السلاجقة
تاريخهم السياسي والعسكري

تاليف
دكتور محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر

طبعة ٢٠٠٣م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية
ÊIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية – الهرم – ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾

صدق الله العظيم

(سورة البقرة : آية ٣٢)

إهـــداء

إلـى والـدى ووالـــدتى
عطاء أرض النيـل الطـيبة

محمد

مقدمــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، وأصلى وأسلم على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على نهجه ودربه إلى يوم الدين .

وبعد . .

فقد شهد التاريخ حركات اندفاع شعوب وجماعات ، خرجت من مواطنها الأصلية ، إلى حيث استقرت فى أرض جديدة صنعت فيها أوطانها ، وحملت معها عناصر من مقومات حياتها الأولى ، واقتبست - فى الوقت نفسه - مما وجدته صالحا للبقاء والتطور من مقومات الحضارة الأصلية فى الأرض الجديدة ، ومن هذه الحركات الكبرى التى غيرت وجه التاريخ ، خروج الشعوب التركية من مواطنها الأصلية وتسربها - أحيانا - واندفاعها - أحيانا أخرى إلى غربى آسيا وشرقى أوربا ووسطها ، وهى حركة امتدت من القرن العاشر إلى القرن السابع عشر الميلادين ، وكانت نقطة التحول حين اعتنق الأتراك (الإسلام) منذ وصل إلى ديارهم ، وباعتناقهم الإسلام انهار (الحاجز) الذى كان يقف بينهم وبين المسلمين بل بينهم وبين التاريخ العالمى ، فأصبحت بلادهم (دار إسلام) وبدأ هؤلاء يتسربون إلى ممالك الإسلام يدخلون فى خدمة ملوكها وأمرائها وقوادها ، يمدون هذه الممالك بقوة عسكرية جديدة حتى استطاعوا أن يقيموا لهم دولاء ومن هذه الدول التركية التى رفع الإسلام من شأنها ، وأدخلها نطاق التاريخ العالى دولة الأتراك السلاجقة ، التى التف سلاطينها حول راية الإسلام وأنقذوا قوة الإسلام (السنى) فى دار الإسلام ثم مضوا يركزونها على معالم الطريق الذى ساروا فيه فى البحر والبر حتى وسط أوروبا .

وهذا البحث يتناول فترة مهمة من أهم فترات التاريخ الإسلامى عامة ، وتاريخ الدولتين العباسية والسلجوقية بصفة خاصة ، ألا وهى (نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام ٤٢٩هـ - ٤٧٥هـ/١٠٣٧-١٠٩٢م) وهذه الفترة هى العصر الذهبى للدولة السلجوقية التى أسسها طغرليك فى نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، وقد كان موضوع رسالتى فى الماجستير هو تأسيس الدولة السلجوقية على يد طغرليك ، ولذا لن أتعرض لفترة التأسيس طويلا ، فالسلاجقة إحدى قبائل الغز الأتراك أقاموا فى شرق الدولة العباسية ثم اعتنقوا الإسلام على المذهب السنى (الحنفى) ، ونظرا لعوامل داخلية تركوا

موطنهم الأصلى ، واستقروا يبسطون فى بلاد ماوراء النهر ، ولما ضاقت بهم مراعيهم تطلعوا إلى الغرب حيث كان الغزنويون يبسون سلطانهم على تلك المنطقة ، وسمح لهم السلطان محمود الغزنوى بعبور نهر جيحون ، والاستقرار فى إقليم خراسان ، واستطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على بلاد المشرق فى عهد السلطان مسعود الغزنوى ، ويقيموا لهم دولة بزعامة طغرلبك سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، وحارب السلاجقة من تصدى لهم ، وأقروا من أقر لهم بالسيطرة والزعامة، وكان هدفهم البعيد توحيد هذه الرقعة الكبيرة فى دار الإسلام الممتدة من بلاد ماوراء النهر إلى شرق البحر المتوسط ، ولهذا بسطوا نفوذهم على إيران والعراق ، وعلى أكثر أجزاء الشام وآسيا الصغرى ، وبعد أن ورثوا أملاك الغزنويين ، واعترف بهم الخليفة العباسى ، ثم دخلوا بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م وقضوا على آخر الأمراء البويهيين ، فازداد نفوذهم فى حاضرة الخلافة العباسية خاصة بعد قضائهم على حركة أبى الحارث البساسيرى ، وإعادة الخليفة العباسى إلى مقر خلافته بعد طرده منها ، فأصبح السلاجقة سادة الموقف ، بعد أن حققوا وحدة العالم الإسلامى فى المشرق ، فزاد نفوذهم ، ودخلت منطقة الشرق الإسلامى والعراق دورا جديدا فى الحياة السياسية والحضارية كان للسلاجقة دور كبير فيه . وورث ألب أرسلان مملكة وسلطنة واسعة بعد وفاة عمه طغرلبك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، واستطاع أن يضيف إليها المزيد من الأراضى ، وأن يقيم علاقات حسنة مع الخلافة العباسية ، ومع ولاة أقاليمه ، بل وعلى حساب البيزنطيين فانتصر عليهم فى موقعة ملاذكرد الشهيرة سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م . والتى كان لها صدى واسع فى العالم كله آنذاك ، والتى أثبتت بما لايدع مجالا للشك أن السلاجقة أصبحوا قوة عظمى يخشى خطرها ، فتوسعت دولتهم وزاد نفوذهم وعلاقاتهم الدولية ، ولم يكن مقتل ألب أرسلان نهاية لأمجاد هذه الدولة ، فقد خلفه ابنه ملكشاه الذى يعتبر عصره أزهى عصور الدولة السلجوقية على الإطلاق ، حيث بلغت الدولة السلجوقية فى عهده أقصى اتساع لها ، لقد بلغ نفوذه من حدود الصين شرقا وتركستان شمالا إلى بحر مرمرة واليمن غربا وجنوبا ، بمساعدة وزير قدير فذ هو نظام الملك الطوسى الذى يرجع إليه الفضل الأكبر فيما وصلت إليه دولة ملكشاه من اتساع ونفوذ وقوة ، بفضل سياسته الحكيمة فى إدارتها ووضع الأسس التى قامت عليها الإدارة ونظم الحكم فى العصر السلجوقى ، والذى كان مصرعه على يد ألد أعدائه الشيعة الإسماعيلية سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م من أهم الحوادث فى تاريخ السلاجقة العظام ، وخسارة كبرى للعالم الإسلامى عامة ، والسلاجقة خاصة ، فقد كان وزيراً سياسيًا بارعًا ، ذا مقدرة عظيمة على إدارة الأمور يمتلك ثقافة واسعة ، كما كان للمدارس النظامية التى أنشأها فى بغداد وغيرها من المدن أثر كبير فى النهضة العلمية آنذاك .

وبموت ملكشاه ، سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م بعد مصرع وزيره بخمسة وثلاثين يوما فقط ، انفرط عقد الدولة السلجوقية وتمزقت وحدتها وقوتها ، وانتهى عصر السلاطين العظام ، أو العصر الذهبى للدولة السلجوقية ، وكثر النزاع بين أفراد البيت السلجوقى ، وتنافس الإخوة أبناء ملكشاه على عرش السلاجقة ، مما أدى إلى تفكك وحدة هذه الدولة الشاسعة التى تركها ملكشاه لأولاد من بعده ، وإلى ضعف الجهود التى بذلت لتأمين الوحدة الذهبية لهذه الدولة مرة أخرى على الرغم من محاولة السلطان سنجر الناجحة التى أعادت إليها بعض قوتها ، وعلى هذا يعده بعض الباحثين أحد السلاطين العظام ، وإن كنت لا أميل لهذا الرأى فقد ورث سنجر مملكة مفككة يتصارع فيها الإخوة والوزراء على العرش والوزارة إلى جانب تقلص رقعتها عما كانت عليها أيام طغرلبك وألب أرسلان وملكشاه .

وعلى الرغم من أن السلاجقة كانوا عنصرا جديدا طرأ على المجتمع الإسلامى إلا أن عصرهم كان أكثر ازدهارا وقوتهم أعز سلطانا كما كان لهم الفضل فى تجديد قوة الإسلام السنى ، وإعادة تكوين وحدته السياسية وفى ظلهم ازدهرت الحضارة الإسلامية وهو القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى .

وقد أثر العنصر القبلى فى مختلف مظاهرة حياة السلاجقة بعد استقرارهم وتكوين دولتهم، مما جعل للسلاجقة أثرا واضحًا فى مختلف مظاهر الحضارة الإسلامية ، لايقتصر على السياسة ونظم الحكم بل يمتد إلى الآداب والعلوم والفنون ، وهذا كله ظهر بوضوح خلال عصر السلاطين العظام وأعنى بهم (طغرلبك - ألب أرسلان - ملكشاه) مما يجعل هذه الفترة جديرة بالدراسة لأنها تكشف لنا جزءا مهما من تراثنا الحضارى ، غاصت جذوره فى أعماق الزمن ، وضروب النسيان .

ونظرا لأهمية الدراسات الحضارية فى التاريخ الإسلامى ، حيث لم يعد التاريخ لصيقا بالملوك والرؤساء والحكام ، متتبعا حروبهم وانتصاراتهم وهزائمهم ، بل امتد ليشمل النواحى الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والفنية ، ونظم الحكم ، فقد تعرضت لموضوع غاية فى الأهمية ، وكان للبعض السبق فى دراسة تاريخ وحضارة السلاجقة ، ولكنها دراسات لم تركز بشكل مفصل على نظم الحكم والإدارة والجوانب الحضارية الهامة خاصة فترة العصر الذهبى للدولة السلجوقية ، وهو عصر السلاطين العظام ، لذا ركزت اهتمامى على نظم الحكم والإدارة ونواحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية ، والعلمية ، والفنية لأنها

الإرهاصات الأولى بل الأسس التى قامت عليها حضارة الدول السلجوقية المستقلة بعد ذلك كسلاجقة العراق ، وسلاجقة كرمان ، وسلاجقة فارس ، وسلاجقة آسيا الصغرى وغيرهم .

فجاء الفصل الأول تمهيدا ومدخلا للبحث ، ويعالج الأحوال السياسية لدولة السلاطين العظام حيث تعرضت فيه لأصل السلاجقة ، وهجرتهم نحو المشرق ، واعتناقهم الإسلام ، وقيام دولتهم بزعامة طغرلبك سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، وملحمة الصراع الغزنوى السلجوقى ، واتصال السلاجقة بالخلافة العباسية ، ودخولهم بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، والقضاء على نفوذ البويهيين الشيعة ، والبساسيرى ، وتسيدهم للموقف وضعف الخلافة العباسية ، كما عالجت سلطنة ألب أرسلان والقضاء على المناوئين له وتفرده بالسلطنة واعتراف الخليفة العباسى بسلطنته ، وموقعة ملاذكرد والنتائج التى ترتبت عليها ، ثم مقتل ألب أرسلان ، وتولى ملكشاه السلطنة التى بلغت فى عهده أقصى اتساع لها ، وقضاءه على المشكلات الداخلية والخارجية التى واجهته ، وفتوحاته فى الشام وبلاد ماوراء النهر وآسيا الصغرى ، ودور وزيره القدير نظام الملك الطوسى فى تدعيم السلطنة ، وظهور الشيعة الإسماعيلية ، ومصرع نظام الملك على أيديهم ثم وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، وتفكك وانهيار الدولة السلجوقية بعده .

- وتناولت فى الفصل الثانى (النظام السياسى) ، السلطنة وتعريفها ، ورسوم اختيار السلطان السلجوقى وموافقة الخليفة العباسى ، ونظرية التفويض الإلهى ، وكيفية تفوض الخلفاء السلطنة للسلاطين ، ورسوم تعيين السلطان السلجوقى حيث إقامة الخطبة والتلقب بالألقاب والنقش على العملة ، وعلامات الحكم ورسوم دار السلطنة السلجوقية ، وحواضر السلاجقة ورسوم وملابس السلطان فى قصره ، وشارات السلطنة مثل الخيمة ، والعلم والسيف، والتاج والميقاتى ، والخاتم ، ومراسم الاستقبال والهدايا المتبادلة ، وعلاقة السلاطين بالخلفاء العباسيين ، ثم ولاية العهد واختيار ولى العهد ورسوم تعيينه ، ثم الوزارة وتطورها وأهم وزراء طغرلبك وألب أرسلان وملكشاه ، مثل عميد الملك الكندرى ، ونظام الملك الطوسى ، وأبى الغنائم الشيرازى ، والتنافس بينهم على الوزارة ومصرع الكندرى ونظام الملك ، ورسوم تعيين الوزير السلجوقى ومهامه ، وألقابه وشاراته ، والعلاقة بينه وبين السلطان ، ورواتبه ، ومحاسبته وعزله ووزراء الأقاليم ، ووزير الخليفة ووزير السلطان حيث سمح السلاجقة للخلفاء العباسيين باتخاذ وزراء بعد أن حرمهم البويهيون من هذا الحق ، كما تناولت الحجابة وتطورها وأهم حجاب السلاطين العظام وكذلك الكتابة وتطورها وأهم كتابهم .

وعالجت فى الفصل الثالث النظم الإدارية والقضائية والحربية ، حيث تعرضت للتقسيمات الإدارية - أقاليم الدولة السلجوقية ، والولاة وأمراء الأقاليم ، ومراسيم تعيين الوالى ، والعلاقة بين السلطان السلجوقى وولاة الأقاليم ، والدواوين مثل ديوان الصدارة (الوزارة)، وديوان الاستيفاء ، وديوان الرسائل ، وديوان عرض الجيش ، وأرباب الوظائف الأخرى كوكيلدار السلطان ، والطغرائى ونائبه ، والمستوفى ونائبه ، والمشرف ونائبه ، وعارض الجيش، والعميد ، والشحنة ، والمحتسب ، وصاحب الشرطة ، وأمير الحرس ، والمختارين وغيرهم ، كما عالجت النظام القضائى وتطور منصب القضاء ، وأشهر من تقلد هذا المنصب زمن السلاطين العظام ، وثقافة القضاة ونزاهتهم ، ومجالسهم ورواتبهم ، وأعوان القاضى ، والوكلاء ، والمحامين ، ومهابة القضاة عند سلاطين السلاجقة وملابس القضاة ، ثم قضاء المظالم وجلوس السلاطين العظام بأنفسهم لهذا الأمر .

كما عالجت فيه أيضا النظام الحربى والجيش السلجوقى وعناصره ، وتشكيلاته وأسلحته ، وتسجيل الجند فى ديوان العرض ، وأساليب السلاجقة فى القتال ، ومرتبات الجند (النظام الإقطاعى العسكرى السلجوقى) الذى عممه السلاجقة واستفادوا منه كثيرا .

محمد عبد العظيم

الزقازيق أكتوبر ٢٠٠٠م

دراسة فى أهم المصادر

كان لتعدد عناصر السكان ، واتساع رقعة الدولة السلجوقية ومتاخمتها بلادا غير إسلامية كأرمينية ، وبيزنطة ، وأواسط الهند ، وبلاد إسلامية تتكلم بغير العربية كالدولة الغزنوية ، والقراخانية ، وغيرها ، أثره فى تعدد المصادر التى أرخت لحياة هذه الدولة وخاصة عصر السلاطين العظام ، الذين بلغت الدولة السلجوقية فى عهدهم أقصى اتساعها ، فتوزعت أمكنة ولغات المؤرخين لها ، مما زاد الأمر صعوبة أمام الباحث ، إلا أن التنوع المنهجى والفنى العلمى لهذه المصادر تقريبا ، قرب من الحقيقة المرجوة ، فتنوعت المصادر التى اعتمد عليها البحث بين مصادر عربية مخطوطة ، ومطبوعة وأخرى فارسية ، وتركية ، وأجنبية . وسأقتصر على عرض المصادر الأساسية التى كان بعضها معاصراً للأحداث ، مما جعلها ذات أهمية كبيرة فى دراسة نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة عصر ازدهار الدولة السلجوقية .

أولا : المخطوطات :

١- اعتمد البحث على بعض المخطوطات ، وإن كانت قليلة إلا أنها شكلت مادة وفيرة للباحث ، وأهمها مخطوطة الإمتاع فى أحكام الإقطاع ، لابن ابراهيم المراكشى وهو مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط ، بالمغرب تحت رقم ٢١٢ ، وهناك نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧١ فقه ميكروفيلم ٢٤٩٢ ، وقد أمدنى هذا المخطوط بمعلومات وافية عن الإقطاع المدنى منذ بدأ فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ثم الإقطاع العسكرى الذى طبقه البويهيون وعممه سلاطين السلاجقة العظام .

٢- أما مخطوطة (الفلاحة النبطية) لأحمد بن على بن قيس بن المختار أبى بكر المعروف بابن وحشية فقد أمدتنى بمعلومات وافية عن أنواع كثيرة من الحاصلات الزراعية التى زرعت فى بلاد المشرق الإسلامى عصر السلاطين العظام ، كما أمدتنى بمعلومات غزيرة حول مواسم هذه الزراعات ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٠ زراعة ، ميكروفيلم ٣١٥٩ .

٣- أما مخطوط (شذور العقود فى تاريخ العهود) لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٩٤ تاريخ ميكروفيلم

٦٧٥١ ، فقد أمدنى بمعلومات وافيه فى الفصل الأول عن قيام الدولة السلجوقية ، ودخول السلاجقة بغداد ، وفتنة البساسيرى .

أما حفيده "سبط بن الجوزى" ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م ، فى مخطوطته الشهيرة (مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ ميكروفيلم ٦٤٣٥ ، ونسخة مصورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض تحت رقم ١٢٨١ تاريخ ، ميكروفيلم .

وقد أفادنى هذا المخطوط فى الفصل الأول بمعلومات وافية عن الحياة السياسية فى العراق فى أثناء دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وقيام دولة السلاجقة ، وحروب ألب أرسلان ، وملكشاه ، كما أمدنى بمعلومات فى الفصل الثانى (النظام السياسى) بمعلومات وافية عن علاقة السلطان السلجوقى بالخليفة العباسى ومرحلة الشد والجذب فى هذه العلاقات، كما أفادنى معلومات عن كيفية استقبال الخلفاء للسلاطين السلاجقة وتأتى أهمية هذا المخطوط إلى أن صاحبه نقل كثيرا عن جده (أبى الفرج بن الجوزى) كما نقل عن مصادر أخرى ويقع فى أربعين مجلدا ، وذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان . وقد نقل عن سبط بن الجوزى عدد من المؤرخين المتأخرين منهم الذهبى فى سير أعلام النبلاء والعينى فى عقد الجمان، وابن خلكان فى وفيات الأعيان وغيرهم .

أما مخطوط الرتبة فى طلب الحسبة لأبى الحسن على بن محمد الماوردى ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م بمعهد المخطوطات العربية رقم ٥٥١٠ ميكروفيلم رقم ٢٤٩٩ ، فقد أمدنى بمعلومات فى الفصل الثالث (النظم الإدارية والقضائية والحربية) حول المحتسب ودوره ومهامه، والشروط الواجب توافرها فيه ، والأسعار .. إلى غير ذلك من مهام المحتسب .

ثانيا : المصادر التاريخية :

يأتى كتاب (تاريخ دولة آل سلجوق) لمؤلفه الوزير السلجوقى أنو شروان بن خالد الكاشانى ٥٣٢هـ/١١٣٧م والذى ألفه بالفارسيه أصلا ، وترجمة بعد ذلك بإضافة كثير من الزيادات (عماد الدين الأصفهانى) سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ، ثم اختصر الترجمة العربية ونشرها بعد ذلك (الإمام الفتح بن على البندارى) سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م ، ونشره المستشرق هوتسيما (Hautsma) حيث بحث العلاقة بين هذه الكتب فى مقدمته التى قدم بها طبعته لنسخة (البندارى) ، وقرر أن هذه النسخة توجد فى صورتين مختلفتين الأولى منهما مطوية وتشتمل

عليها مخطوطة أكسفورد ، والأخرى قصيرة ، وتشتمل عليها مجموعة باريس ، ولهذا الكتاب أهمية خاصة لأنه يحتوى على التاريخ السياسى للسلاجقة منذ بدء ظهورهم ، ونسبهم، ومرحلة تكوين دولتهم مما أفادنى فى الفصل الأول من البحث ، والكتاب يحتوى على تراجم السلاطين السلاجقة الواحد تلو الآخر ، كما أفادنى هذا الكتاب كثيرا فى أغلب فصول الرسالة خاصة فى الفصل الخامس (الحياة الاجتماعية) حيث أمدنى بمعلومات عن زواج طغرلبك ورسوم وعادات السلاجقة فى الزواج ، والحفلات ، والمواكب ، ودور المرأة السلجوقية فى دولتها . وفى الفصل السادس (الحياة الثقافية أمدنى بمعلومات عن المدارس النظامية ، ومدرسيها كما يتضمن الكثير من الأشعار التى دلت على مدى تشجيع سلاطين السلاجقة للشعر والشعراء ولكن يؤخذ على كتاب البندارى ركاكة الأسلوب وغموضه وتعقيد المعانى فى كثير من الأحيان .

ويليه فى الأهمية بالنسبة لتاريخ السلاجقة كتاب (أخبار الدولة السلجوقية) أو (زبدة التواريخ فى أخبار الملوك والأمراء والملوك السلجوقية) ، وحققه الدكتور محمد نور الدين ، وقد اختلف المؤرخون حول مؤلف هذا الكتاب ، ويبدو أنه من كتاب النصف الأول من القرن السابع الهجرى ، حيث نسب التأليف إلى جمال الدين أبى الحسن القفطى أو أبو على الحسن على بن ظافر الأزدى مؤلف كتاب (أخبار الدول المنقطعة) ، والذى ولد بمصر سنة ٥٦٦هـ/٥٦٧هـ حيث يرى بعض الباحثين أن هناك تشابها بين أحداث أخبار الدول والمنقطعة ، وأخبار الدولة السلجوقية ، ولكن يبدو أن هذا الرأى خطأ حيث أن مؤلف أخبار الدول السلجوقية أو زبدة التواريخ قد عاش فى الأنحاء الشرقية من العالم الإسلامى فى أذربيجان أو خوارزم ، بينما عاش الأزدى فى مصر أيام الأيوبيين ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه يعرض لتاريخ دولة السلاجقة منذ نشأتها فى نيسابور سنة ٤٣٩هـ/١٠٣٧م حتى سقوطها ، ولهذا أفادنى بمعلومات وافية فى الفصل الأول ، والثانى حول السلطنة السلجوقية ، ورسوم السلطان السلجوقى فى قصره وشاراته ، ومجالسه وعلاقته بالخلافة العباسية . كما تضمن معلومات عن وزراء السلاجقة العظام خاصة عميد الملك الكندرى ونظام الملك الطوسى والصراع بينهما وهو ما أفاد الباحث فى الفصل الثانى .

ومن المصادر المهمة ، التى أسهمت فى دراسة أحوال المشرق الإسلامى السياسية والاقتصادية والحربية والقضائية بل والاجتماعية والعلمية كتاب (المنتظم فى تاريخ الملوك

والأمم) لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م . وهو كتاب لاغنى عنه للباحث فى تاريخ المشرق الإسلامى ، وهذا الكتاب أمدنى بمعلومات وافية ووفيرة فى كل الفصول ، إذ لايكاد فصل يخلو من معلومات مستمدة من جـ٨ ، جـ٩ ، جـ١٦ ، طبعة بيروت من هذا المعجم الضخم ، فقد استفدت منه فى الفصل الأول بمعلومات عن قيام دولة الأتراك السلاجقة ودخولهم بغداد ، وعلاقتهم بالخلافة العباسية ، وحروب ألب أرسلان ، وملكشاه ، وفى الفصل الثانى أمدنى بمعلومات كثيرة حول نظام الحكم السلجوقى حيث السلطنة وشاراتها ، ورسوم اختيار وانتخاب السلطان السلجوقى ورسوم تعيينه ، ومراسيم الاستقبال للرسل ، واختيار ول العهد ، والصراع الذى دار حول الوزارة السلجوقية بين الكندرى ، ونظام الملك الطوسى ، وفى الفصل الثالث أمدنى بمعلومات عن النظام الإدارى والعلاقة بين السلطان السلجوقى وولاة أقاليمه ، وعن العميد والشحنة ودورهما فى بغداد .

ومن المصادر المهمة والقيمة التى اعتمد عليها البحث كتاب (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير على بن أحمد بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م ، والذى يشمل التاريخ العام للعالم الإسلامى ، ابتداء بأول الزمان ، وانتهى عند آخر سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٦م ، ويعد هذا المصدر من أهم المصادر فى التاريخ الإسلامى إذ يتميز عن غيره بكثرة وثائقية ، والتوازن فى تناول الأحداث بالنسبة لأقاليم الدولة الإسلامية مع الموازنة بين الأحداث والربط بينهما ، وقد حرص ابن الأثير على استقاء معلوماته من مصادر تاريخية معاصرة للفترة التى يكتب عنها ، فنراه ينقل عن الهمذانى وابن الجوزى حين يتحدث عن تاريخ العراق ، وينقل عن ابن شداد والصنهاجى حين يتناول تاريخ المغرب وهكذا .

وقد تجلت مواهب ابن الأثير فى طريقة عرضه للحقائق إذ حذف التفاصيل التى لاداعى لها ووثق فى مصادره وأخباره ، وجمع بين شتات الأخبار ليجعل منها وحدة متماسكة ، وقد أمدنى هذا الكتاب القيم بمعلومات وفيرة وغزيرة فى كل فصول الرسالة ، ففى الفصل الأول (الأحوال السياسية) أمدنى بمعلومات وافية عن أصل السلاجقة وهجرتهم نحو المشرق ، وقيام دولتهم وحروبهم مرتبا الأحداث بالنظام الحولى ، وفى الفصل الثانى (النظام السياسى) كان للكامل الفضل الكبير فى إمدادى بمعلومات كثيرة حول السلطان السلجوقى وشاراته ، ومراسيم الاستقبال ، وكيفية استقبال الخليفة العباسى للسلطان السلجوقى ، والعلاقة بينهما ،

والوزارة ، وأهم وزراء السلاجقة حيث أنه هو المصدر العربى الوحيد الذى كتب عن وزراء طغرلبك الأوائل قبل عميد الملك الكندرى والصراع الذى دار بين نظام الملك وملكشاه ، وأهم حجاب وكتاب السلاطين العظام ، وفى الفصل الثالث (النظم الإدارية والقضائية والحربية) استقيت معلومات وافية منه حول ولاة الأقاليم السلاجقة ، وعلاقتهم بالسلطنة السلجوقية ، وحروبهم مع السلاطين العظام ، وأهم قضاة السلاجقة العظام ودورهم السياسى والدينى ومدى ارتباطهم بالسلطة وتنفيذ أوامرها ونظام الإقطاع السلجوقى ، ودور نظام الملك الطوسى فى تعميمه .

أما كتابى (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) ، (والأنافة فى مآثر الخلافة) للقلقشندى ، فعلى الرغم من تأخره عن فترة البحث ، حيث أنه يعتبر من مؤرخى عصر سلاطين المماليك بمصر الإسلامية ، فإنه قد أمدنى بمعلومات وافية حول السلطنة وتعريفها ورسومها وشاراتها ، وأرباب الوظائف الأخرى المساعدة للسلطان فى قصره .

ويأتى (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للخطيب البغدادى ت ٤٦٥هـ/١٠٧٣م ، على رأس المصادر المهمة والقيمة حيث أمدنى بمعلومات وفيرة عن أحوال الخلافة العباسية وقت دخول السلاجقة ، ووصف وصفًا ممتعًا فتنة البساسيرى لأنه كان قد شهدها بنفسه ، كما وصف كيفية مقابلة الخليفة العباسى للسلطان السلجوقى مما أفاد الفصل الأول والثانى .

أما الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، لمحمد بن على بن طباطبا ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م ، فهو من أهم الكتب التى احتوت على معلومات مهمة عن وزراء بنى العباس فى مختلف عصورهم ، ومدى علاقتهم بالخلفاء وسلاطين السلاجقة ، ودورهم السياسى مثل أبى القاسم بن المسلمة رئيس الرؤساء وفخر الدولة بن جهير ، وغيرهم مما أفاد الباحث فى الفصل الثانى .

ثالثا : المصادر الجغرافية :

لكتب الرحالة والجغرافيين أهمية كبيرة للوقوف على كثير من التفاصيل والمعلومات المهمة التى تساعد باحث التاريخ على تحليل وتدوين الحقائق التاريخية والمكانية ، لاسيما عند دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، فضلا عن قيمتها فى معرفة حياة الشعوب والدول والقبائل وعاداتها وتقاليدها ، وتعد هذه الكتب شاهد عيان على عادات وحياة وتقاليد

الشعوب ونشاطهم الزراعى والصناعى والتجارى . وما اشتهرت به المدن والأقطار من منتجات زراعية وصناعية وحرف وصادرات وواردات إلى غير ذلك من المعلومات المهمة .

ومن أهم المصادر الجغرافية التى اعتمد عليها البحث :

١-كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم "لمؤلفه شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن بكر المقدسى ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م ، حيث بحث فيه الأقاليم التى فتحها العرب من حيث تركيبها ومناخها ، وبحيراتها وأنهارها ، ومسالكها ، وطبيعة مجتمعاتها من حيث اللغة والمذاهب والنقوذ والحياة اليومية والاقتصادية .

٢- كتاب المسالك والممالك لأبى اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى ، الرحالة المتوفى ت٣٤٦هـ/٩٥٧م من أهل أصطخر ، ولذا نسب إليها ، كان من أجل العلماء قام بسياحة طاف بها بلاد العرب ، وبعض بلاد الهند ، وجاء كتابه صورة حقيقية ومعبرة عما رواه من عادات وتقاليد وحياة الشعوب والأقاليم التى زارها .

٣- كتاب (معجم البلدان) لمؤلفه شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى الرومى ٦٢٦هـ/١٢٢٩م حيث امتاز هذا المعجم بترتيبه على حروف الهجاء ، ودقته واتساعه ، وجمعه بين الجغرافيا والتاريخ والأدب ، وقد فرغ ياقوت من تأليفه سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م ، أى قبل وفاته بحوالى خمسة أعوام ، وقد أفادنى هذا المعجم إفادة كبيرة فى تحقيق أسماء المدن والأماكن ، فى كل الفصول .

٤- كتاب المسالك والممالك لمؤلفه أبى القاسم بن عبد الله بن خرداذبه ت ٣٠٠هـ/٩١٢م ، وكان مجوسيا وأسلم على يد البرامكة ، وتولى البريد والخبر بنواحى بلاد الجبل ، وكتابه (المسمى بالمسالك والممالك كتاب جغرافى مهم يبحث فى طبيعة البلاد وحياة المدن والشعوب والمسافات والأسفار والتجارة وطرقها ، وطوائف التجارة ويتطرق الحديث عن وصف البلدان وأوصافها وأحوالها وأحوال شعوبها ، ويتناول الحياة الاقتصادية فى حياة الشعوب ، مما أمدنى بمعلومات وافية .

٥- (صورة الأرض) لمؤلفه أبى القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى ت٣٨٠هـ/٩٩٠م، وهو رحالة اتخذ التجارة وسيلة للتجوال والدراسة ، ولدراسة أحوال الأقاليم، وطبائع الشعوب، حيث جاء وصفه دقيقا .

رابعا : الكتب الفقهية :

- كتاب (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) لأبى الحسن على بن محمد الماوردى ، ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، وهذا المصدر المهم يقرر النظم الإدارية والمالية فى الدولة الإسلامية ، وقد التزم الماوردى فى منهج كتبه ومصادر مؤلفاته بما يتفق وتكوينه الدينى ، فقد جعل كتاب الله على قمة مصادره التى يستقى منها مادته العلمية ، ثم يهتدى بالأحاديث الشريفة والسنة العطرة ، وماهو موروث عن الخلفاء الراشدين ، ثم يفكر ويتأمل ويطرح قضايا يجتهد فيها بنفسه ، وقد تولى القضاء فى بلدان كثيرة ، ولقب بلقب (أقضى القضاة) سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م ، لتبحره فى الفقه ، ويعتبر رائد الفكر السياسى فى الإسلام ، فقد نقل عنه ابن خلدون قسما كبيرا خاصة من كتابه (الأحكام السلطانية) والتى تتعلق بالخلافة ومهماتها والملك ورسومه ، وولاية العهد ، والشروط الواجب توافرها فيمن يلى أمر الناس ، ودواوين الدولة ، وخراجها ، والمقطعين وأحكامهم ، وولاية القضاء وولاية المظالم ، وولاية الحسبة ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العديد من اللغات الأجنبية ، حيث يعتبر أشهر كتب الماوردى على الإطلاق .

- أما كتابه (قوانين الوزارة وسياسة الملك) ، تحقيق صلاح الدين بسيونى ، والذى نشر بالقاهرة سنة ١٩٢٩م بعنوان "أدب الوزير" ، فقد أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية فى الفصل الثانى (النظام السياسى) عن الوزارة وأنواعها (وزارة تفويض) (ووزارة تنفيذ) والشروط الواجب توافرها فيمن يلى الوزارتين ، وتطور منصب الوزير وخطره ، وحقوق السلطان على الوزير ، وحقوق الوزير على السلطان .

- كتاب (الأحكام السلطانية) لأبى يعلى محمد بن الحسين الفراء ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م ، والذى كان أحد المغضوب عليهم من السلاجقة هو وأسرته لاختلافهم فى المذهب ، وقد أمدنى هذا الكتاب القيم بمعلومات وافية فى الفصل الثانى عن السلطنة وتطورها ، وأنواع الوزارة ، وولاية العهد . وفى الفصل الثالث أمدنى بمعلومات مهمة عن القضاء وشروط تولى القضاة ، وولاية المظالم ، والحسبة .

كتاب (نهاية الرتبة فى طلب الحسبة) لمؤلفه عبد الرحمن بن نصر الشرزى ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م وترجع أهمية مؤلفات كتب الحسبة فى الإسلام ، إلى أنها تمد الباحث بمعلومات مهمة عن المحتسب وشروط وعن الأسواق وما يباع فيها ، وعن الأسعار وتقلباتها ، والموازين والمكاييل والمقاييس ، ومراقبة تنظيم المجتمعات اقتصاديا ، ومنع الغش والتدليس ،

والضرائب الحرفية والشخصية ، وأصحاب الصناعات ، كما أنها تلقى الضوء على المعاملات المالية المختلفة من عملات وسفاتج وصكوك مما أفاد الباحث فى الفصل الثالث حول الحسبة والمحتسب .

- كتاب (الأموال) للأمام الحافظ الحجة أبى عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤هـ/٨٣٨هـ ، وهو موسوعة علمية فى سياسة أموال الدولة العامة ، ولقد سماه صاحبه "الأموال" نظرا لاحتوائه على المسائل المالية المتعلقة بموارد الدولة العامة ، وقد أمدنى هذا الكتاب الموسوعى بمعلومات غاية فى الأهمية عن موارد الدولة المالية مثل الجزية ، والخراج ، والزكاة بأنواعها .

- كتاب (الملل والنحل) لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستانى ت ٥٤٨هـ/١٣٦٦م تحقيق محمد سيد كيلانى ، والذى يعتبر دائرة معارف مختصرة للأديان والمذاهب ، والفرق ، وقد أمدنى هذا الكتاب بمعلومات وفيرة فى الفصل الأول عند التصريف بالطائفة الإسماعيلية والحسن الصباح ، كما أفدت منه كثيرا .

خامسا : كتب التراجم والطبقات :

- كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لأبى العباس شمس الدين بن خلكان ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م ، تحقيق د/ إحسان عباس ، وقد أمدنى هذا المعجم الضخم بمعلومات وافية عن سلاطين الدولة السلجوقية العظام ودورهم ، وأهم وزراء العصر السلجوقى ، مما أفاد الفصل الأول والثانى ، كما أمدنى بمعلومات كثيرة عن أهم العلماء والأدباء والشعراء والمصنفين فى عصر السلاطين العظام .

- كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب السبكى ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م ، وقد أمدنى هذا الكتاب بمعلومات غاية فى الأهمية فى الفصل الثانى عن الوزارة السلجوقية خاصة الوزير نظام الملك ودوره .

- كتب (طبقات الشافعية) لأبى بكر بن هداية الله الحسينى ت ١٠١٤هـ/١٦٠٥م ، والذى كان من فقهاء الشافعية ومؤرخيهم ، ومن أعيان الأكراد ، وكان يجيد إلى جانب العربية الفرسية والتركية ، وقد أمدنى بمعلومات وفيرة حول علماء الشافعية ودورهم ومدى تعصب نظام الملك الطوسى لهم ، وبناء النظاميات وأشهر مدرسيها وطلابها حيث اقتصر القبول فيها على الشافعية الأشعرية .

- كتاب (طبقات الصوفية) لأبى عبد الرحمن السلمى ت٤١٢هـ/١٠٢١م ، تحقيق نور الدين شريبة وهو يعد موسوعة مهمة لأشهر علماء التصوف فى العصر الإسلامى .

سادسا : المصادر الأدبية :

كان لكتب الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) أهمية كبيرة ، فقد كتب فى الموضوعات السياسية والاجتماعية ، والأخلاقية ، والاقتصادية ، ففى كتابه (رسائل الجاحظ فى مناقب الترك) أمدنى بمعلومات وفيرة عن صفات الترك وعاداتهم وتقاليدهم والمرأة التركية والأبناء والفروسية مما أفاد الفصل الأول والأخير من الرسالة ، أما كتاب (التبصر بالتجارة) فيورد نصوصا فريدة تبين أنواع السلع الواردة على الأسواق ومن أى الأقاليم أو الدول .

سابعا : المصادر الفارسية والتركية :

حافظ الأتراك السلاجقة على لغتهم الأصلية (التركية) على الرغم من دخولهم فى الإسلام، والتى كانت لغة قصورهم ، وقوام لسانهم ، واتخذوا الفارسية لغة للدواوين والرسائل ، إلى جانب العربية التى لم يكن أول سلاطينهم (طغرلبك) يتكلمها ، ولذا حفلت المصادر الفارسية والتركية بمعلومات وفيرة عن السلاجقة ونظام حكمهم وأهم مظاهر الحضارة فى دولتهم ، بل كانت هذه المصادر هى قوام العمل داخل هذه البحث ، ولمن يتصدى بالكتابة عنهم . ومن أهم المؤلفات الفارسية :

- كتاب (سياسة نامة) أو - سير الملوك - للوزير القدير (نظام الملك الطوسى) أشهر وزراء السلاجقة والذى ترجمه إلى العربية محمود العزاوى سنة ١٩٧٥م ، ود/ يوسف حسين بكار ، ونشر فى الدوحة سنة ١٩٨٧م ، والذى يضم عصارة أفكار نظام الملك وتجاربه فى أخريات حياته ، إنه مذكرات سياسى ووزير عظيم ، والذى قدمه للسلطان ملكشاه سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م الذى قال عنه (لقد اتخذت هذا الكتاب إماما لى وعليه سأسير" ، ويقع الكتاب فى خمسين فصلا فى موضوعات شتى ، وكل فصل من فصوله الخمسين وموضوعاته المختلفة تكشف بوضوح تام عن ناحية من أوضاع الحكم ، وأجهزة الإدارة والطبقات الاجتماعية ، ورسوم ذلك العصر ، وتقاليده ، وآدابه ، عن مسألة الإقطاع ، وأهمية عمل القضاة وحدود اختيارهم ومن المحتسب وأعماله ، والمشرفين وواجباتهم ، وأهمية عمل صاحب الأخبار والعيون ، وإرسال الجواسيس ، والندماء ، والمختارين والأسلحة وأحوال الرسل ، والرهائن ، وتنظيم المقابلات الخاصة والعامة ، وأمير الحرس ، وعرض أحوال المذاهب الخبيثة

(أعداء الإسلام كالباطنية والقرامطة ، وتدوين حساب الولايات إلى غير ذلك من الموضوعات التى لاغنى عنها للباحث فى حضارة السلاجقة العظام ، ويجب ألا ينظر إليه على أنه كتاب تاريخ محض ، فقد جاءت فيه بعض الأخطاء التاريخية ، ولكنه يمكن أن تستنبط منه فوائد تاريخية جمة ذات أهمية أكثر مثل وصاياه ودستور الوزارة ، وقانون الملك ، وجلوس الملك للمظالم إلى غيرها من الموضوعات التى احتواها الكتاب .

وأكاد أجزم أن جميع فصول البحث قد استفادت كاملة من هذا الكتاب القيم الذى لاغنى عنه للباحث فى تاريخ السلاجقة . ففى الفصل الأول أفادنى بمعلومات عن الباطنية الإسماعيلية الذين كانوا همه الأول والأخير ، وقضى عمره كله سعيا فى محاربتهم ، وعدّهم ضَالِّينَ غواة ، حتى كانت نهايته على أيديهم سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .

- وفى الفصل الثانى (النظام السياسى) فقد أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية عن السلطنة ، وكيفية جلوس الملك للمظالم ، وتحليه بالخصال الحميدة ، وتنظيم المقابلات الخاصة والعامة ، ورسوم السلطان فى قصره وشارات السلطنة السلجوقية ، مثل التاج ، وجنود الخدمة، والخزانة السلطانية والدركاه وحقوق السلطان السلجوقى ، واستقبال الرسل ، والعلاقة بين الوزير والسلطان .

- وفى الفصل الثالث (النظم الإدارية والقضاية والحربية) فقد أمدنى بمعلومات وافية عن الشحنة والعميد والقاضى والخطباء والمحتسبين ، وعمال الخراج ، وأصحاب البريد ، وإرسال الغلمان ، والجواسيس والرسل والسعاة والمختارين ، ووكليدارالسلطان ، وأحوال الرسل ، والندماء ، والقضاة وتشكيلات القضاء وثقافة القضاة ونزاهتهم ، وديوان المظالم ، وكيفية إعداد الخوان والخزينة السلطانية ، وعناصر الجيش ، وتعددها واحتياجات الجيش ومطالبه ، ومعدات الحرب والسفر ، وأرزاق الجند (النظام الإقطاعى) والمستقطعين والتحقق من معاملتهم للرعية .

- كتاب (راحة الصدور وراية السرور) لمحمد بن على بن سليمان الراوندى ت ٥٩٩هـ/١١١٩م ، والذى نقله إلى العربية د/ إبراهيم الشواربى ، د/ عبد النعيم حسانين ، د/ فؤاد الصياد ، وهو مصدر هام لتاريخ السلاجقة من بداية ظهورهم إلى سقوط دولتهم ، حيث أمدنى بمعلومات وافية عن أصل السلاجقة وموطنهم الأول وسبب هجرتهم واعتناقهم الإسلام ، واتصالهم بالخلافة العباسية ، وحروبهم مع الغزنويين والبيزنطيين مما أفاد الفصل

الأول من الرسالة ، وأمدنى بمعلومات عن السلطنة وكيفية جلوس السلطان السلجوقى على عرشه ومهابته بين رعيته ، وكيفية اختيار السلطان السلجوقى ، ورسوم اختياره وموافقة الخليفة العباس وولاية العهد وشروطها ، والوزارة السلجوقية وأهم وزراء السلاجقة خاصة عميد الملك الكندرى ونظام الملك الطوسى والشيرازى والتنافس بينهم ، وحجاب وكتاب السلاطين العظام مما أفاد الفصل الثانى من الرسالة ، وفى الفصل الثالث أمدنى بمعلومات حول التقسيم الإدارى للدولة السلجوقية ، وولاة الأقاليم ، والعلاقة بين السلطان السلجوقى وولاة أقاليمه ، وبعض دواوين الدولة السلجوقية ، وكثير من أرباب الوظائف الأخرى كالطغرائى ووكيلدار السلطان ، والمشرف ، والعميد والشحنه ، والطشت دار ، والساقى ، والأطباء ، والسعاة ، والندماء ، وكلها معلومات غاية فى الأهمية إلى جانب أشهر قضاة السلاجقة ، وملابس القضاة ، والنظام الإقطاعى السلجوقى .

-كتاب (تاريخ البيهقى أو صحائف مسعودى) لمؤلفه أبى الفضل محمد بن حسين البيهقى ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧ والذى نقله إلى العربية د/ يحيى الخشاب ، د/ صادق نشأت ، والذى كان شاهد عيان على ملحمة الصراع الغزنوى السلجوقى ، حيث ترجع أهمية هذا المصدر ، لأن البيهقى كان نائبا لرئيس ديوان الرسائل فى عهد السلطان مسعود الغزنوى ، وشاهد بنفسه موقعة داندانقان ٤٣١هـ/١٠٣٩م الفاصلة ، حيث ألحق السلاجقة بالغزنويين هزيمة ساحقة ، وقد أمدنى هذا الكتاب بمعلومات غاية فى الأهمية عن الصراع الغزنوى السلجوقى ، وحروب السلطان مسعود الغزنوى معهم مع عرض أمين للأحداث ، مما أفاد الفصل الأول ، كما أمدنى بمعلومات عن بعض النظم الاجتماعية ومجالس الشراب والطرب وإشارات الحكم .

- كتاب (جهار مقاله) أى المقالات الأربع الذى ألفه نظامى عروض سمر قندى ، ووضع حواشيه محمد بن عبد الوهاب القزوينى أمدنى بمعلومات مهمة عن الصراع الغزنوى السلجوقى ، وترجع أهميته إلى أن مؤلفه كان يذيل الحوادث يقصها ويرويها كما شاهدها وسمعها وهى مقالات فى الكتابة والشعر والنجوم والطب وغيرها من العلوم الأدبية والعلمية مما أفاد الفصل السادس كثيرا ، وقد قام بترجمته من الفارسيه عبد الوهاب عزام ، ويحى الخشاب .

- كتاب (دستور الوزراء) لغياث الدين خواندمير الحسينى ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م . بتصحيح سعيد نفيسى ، وترجمة حربى أمين سليمان ، أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية عن وزراء العصر السلجوقى خاصة عميد الملك الكندرى ، ونظام الملك الطوسى ، وتاج الملك

الشيرازى ، والصراع بينهم ، ورواتب الوزير السلجوقى ومهامه ورسوم تعيينه مما أفاد الفصل الثانى .

– أما ذبيح الله صفا فى كتابة (تاريخ أدبيات درايران) فقد أمدنى بمعلومات وفيرة عن أشهر أدباء ومتصوفى العصر السلجوقى عصر السلاطين العظام ، ولايقل عنه كتاب (تاريخ تصوف در إسلام) لقاسم غنى ، الذى أمدنى بمعلومات وافية عن أشهر متصوفى عصر السلاطين العظام .

– ومن أهم المصادر الفارسية التى اعتمدت عليها كتاب (سفرنامه) الذى ألفه الرحالة ناصر خسرو (أبو معين الدين ناصر خسرو القباديانى) ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م ، وترجمة الخشاب سنة ١٩٤٥م ، وضمنه رحلته إلى مصر والحجاز والعراق وبلاد المشرق ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى أن مؤلفه عاصر فترة البحث وعمل لفترة فى بلاد الملك جغرى بيك فى مرو فوصف مارأى ، ، وقد أفادنى بمعلومات عن العادات والتقاليد .

– أما أحمد بن المستوفى القزوينى ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م ، فى كتابه (تاريخ گزيده) الذى ألفه بالفارسية وتناول فيه الحالة السياسية التى سادت المنطقة ، وترجع أهمية هذا المؤلف إلى أن مؤلفه كتبه بعد سقوط دولة السلاجقة ، وضمنه كل ما سمعه ، وما اعتمد عليه من مصادر فارسية غير متوافرة أو موجودة الآن ، وقد أفادنى فى الفصل الأول حول أصل السلاجقة وهجرتهم وأهم معاركهم مع جيرانهم وعن علاقات السلاطين العظام بالدول المجاورة كالبيزنطية والغزنوية .

– ومن أهم المصادر الفارسية التى اعتمدت عليها فى دراسة المظاهر الحضارية ونظم الحكم عصر السلاطين العظام كتاب (اصطلاحات ديوانى دورة غزنوى وسلجوقى) لمؤلفه حسن أنورى، وقد أفادنى إفادة كبيرة فى الفصل الثانى حيث السلطنة والدركاه ، كما أفادنى كثير فى الفصل الثالث حيث النظم الإدارية والقضائية والحربية ، فأمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية حول الإقطاع السلجوقى ، وديوان الاستيفاء ، وديوان عرض الجيش ، وديوان الطغرا ، وتنظيم الجيش السلجوقى وأسلحته ، وديوان الأشراف ، وديوان البريد ، وديوان القضاء ، وأمناء القاضى وديوان المظالم ، وأرباب الوظائف الأخرى مثل وكيدار السلطان ، وأخو سلار ، والاستدار والشراب دار ، والحرس ، والشحنة ، والعميد والمحتسب ، وديوان الجند ، والخطباء، والمقطعين والسعاة والرسل .

- ومن أهم المصادر الفارسية التى اعتمدت عليها فى دراسة المظاهر الحضارية ، خاصة الحياة الاقتصادية ونظم الزراعة والرى وطرقها ، كتاب (نوروز نامه) الذى ألفه عمر الخيام (غياث الدين أبو الفتح بن ابراهيم الخيام ، ت ٥١٧هـ/١١٢٣م ، ويذكر عمر الخيام فى مقدمة مؤلفه هذا أن صديقا له سأله عن سبب وضع النوروز ، وأى ملك وضعه ، فدون هذه الرسالة إجابة عن طلبه وقد حوت عادة الملوك وكبار رجال الدولة فى أعيادهم ، وحياتهم وشئونهم اليومية .

- أما كتاب (وزارات در عهد سلاطين برزك سلجوق) للأديب والمؤرخ الفارسى عباس إقبال ، والذى قام بترجمته الدكتور (أحمد حلمى) والمنشور فى الكويت سنة ١٩٨٤م ، تحت عنوان (الوزارة فى عهد السلاجقة) فهو كتاب مهم وقيم لدراسة الوزارة السلجوقية ، فقد ضمنه مؤلفه مقدمة عن السلاجقة ونسبهم وتكوين دولتهم مما أفاد الفصل الأول ، ثم شرح أهم الدواوين فى عهد السلاجقة كديوان الاستيفاء ، وديوان الإشراف ، وديوان عرض الجيش ، وديوان الطغرا وأهم مشرفى هذه الدواوين مما أفاد الفصل الثالث . أما الفصل الثانى فكانت إفادته كبيرة من هذا الكتاب حيث ذكر وزارة الدولة السلجوقية عصر السلاطين العظام وزراء طغرليك ، وألب أرسلان وملكشاه ، مع وصف ممتع لأحوالهم وسنى وزارتهم ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه مؤرخ وأديب فارسى معروف اعتمد فى كتابته على كتب معظمها نادر مخطوط ، وعلى أكثر من ألف ومائتى بيت من الشعر الفارسى ، وعلى مئات من الشعر العربى لإثبات ما جاء به من معلومات تتعلق بموضوع لم يسبقه إليه أحد ، ولم يتطرق إليه من بعده من يناظره دقة وأصالة .

أما كتاب (تاريخ الأدب الفارسى) لرضا زاده شفق ، ترجمة موسى هنداوى سنة ١٩٤٧م ، فقد أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية .

أما أفضل الدين أبو حامد كرمانى فى كتابه (تاريخ أفضل بدائع الأزمان فى وقائع كرمان) والذى نشر بطهران سنة ١٣٣٦هـ ، فقد أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية عن سلاجقة كرمان، وحروب ولاة كرمان ، من السلاجقة للسلطان ألب أرسلان وملكشاه مما أفاد الفصل الأول .

أما مقالة حسين على ممتحن (نظامية بغداد) فهى كما يتضح من عنوانها أمدتنى بمعلومات كثيرة حول نظامية بغداد وأشهر مدرسيها وطلابها ، ونظام التعليم بها ، ومكتبتها .

المصادر التركية :

يأتى كتاب «Tugur Bey Vevamani» أى عصر طغرلبك بالتركية لمؤلفه محمد الطاى Pr-Dr. Mehmemt Altay والذى نشر فى استانبول سنة ١٩٧٦م ، وقد تفضل د/ مجدى بكر أستاذ اللغة التركية المساعد بكلية الألسن بترجمة بعض فقرات الكتاب ، ساعدت الباحث كثيرا ، حيث أمدنى بمعلومات غاية فى الأهمية فى الفصل الأول عن السلاجقة وأصلهم وهجرتهم وتكوين دولتهم وعلاقاتهم بالدول المجاورة ، وحروبهم مع البيزنطيين والغزنويين ، وفى الفصل الثانى أمدنى بمعلومات عن السلطنة السلجوقية وشاراتها مثل البيرق، والبوق ، والخيمة وغيرها ، والهدايا المتبادلة بين السلاجقة وغيرهم .

أما كتاب Seleuklu - Arastirmatari - Dergisi أى مجلة البحوث السلجوقية عدد خاص بمناسبة ذكرى موقعة ملاذكرد ، بقلم مجموعة من المؤرخين الأتراك ، والذى نشر فى أنقره سنة ١٩٧١م ، فقد أمد الباحث بمعلومات وفيرة عن العملات التى ضربها السلاطين العظام فى كل المدن التى دخلوها ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن به ملاحق عن هذه العملات مرتبة حسب سنوات ضربها ونوعها وقيمتها ، وفى الفصل الثانى حول الألقاب التى لقب بها السلاطين العظام والتى وجدت على عملاتهم .

- أما (قاموس العلماء) تأليف ش . سامى المنشور فى استانبول سنة ١٣٠٦هـ فقد أمدنى بمعلومات وفيرة عن علماء ومتصوفى وأدباء وشعراء العصر السلجوقى ، عصر السلاطين العظام .

الفصل الأول

الأحوال السياسية

دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام

أصل السلاجقة وهجرتهم نحو المشرق الإسلامى - قيام دولة الأتراك السلاجقة فى نيسابور من ٤٢٩هـ/١٠٣٧ بزعامة طغرلبك - الصراع مع الغزنويين وهزيمتهم - ضم إيران ، وبلاد ما وراء النهر - دخول طغرلبك العراق ، ٤٤٧هـ/١٠٥٥م - فتنة البساسيرى ومقتله - انفراد طغرلبك بالسلطة فى العراق وبغداد - زواج طغركبك بابنة الخليفة العباسى ووفاته من ٤٥٥هـ/١٠٦٣م - تولية ألب أرسلان السلطنة - اتساع الدولة على عهد ألب أرسلان ، والقضاء على المشكلات الداخلية والخارجية - موقعة ملاذكرد ٤٦٣هـ/١٠٧١م . وانتصار ألب أرسلان على البيزنطيين ونتائجها - وفاة السلطان ألب أرسلان ٤٦٥هـ/١٠٧٤م - سلطنة ابنه ملكشاه ، والمشكلات الداخلية حول سلطنته - سياسة ملكشاه الخارجية وفتوحاته فى الشام والعراق وبلاد وماوراء النهر وآسيا الصغرى - نظام الملك الطوسى وزير ملكشاه ودوره فى تدعيم السلطة السلجوقية - النزاع بين السلطان ملكشاه ، ووزيره نظام الملك وأسبابه - ظهور الشيعة الإسماعيلية ، ومصرع نظام الملك- وفاة السلطان ملكشاه (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وتفكك الدولة السلجوقية .

تشعبت آراء المؤرخين وتباينت حول أصل السلاجقة الذى يحيط به الغموض ، فالسلاجقة أنفسهم صدقوا أسطورة تنسبهم إلى آل أفراسياب[1] على اعتبار أنهم بقية منهم ،

---

(١) آل أفراسياب : أفراسياب ملك توران (الترك) ، وطبقا للأساطير الإيرانية ينسب التوران إلى "تور" الأبن الأوسط لأفريدون ملك ايران ، وقد جعل له والده أراضى الترك والصين نصيبا ، إلا أن تور لم يرض بقسمه ، وتعاون مع أخيه الأكبر سام أو سلم ، وزحف بعسكره نحو إيران وقتل أخاه الأصغر "ايرج" ومن هنا بدأ التنافس بين آل تورك (الترك) ، وآل ايرج (الإيرانيين والعرب) وكانت عاصمة أفراسياب مدينة كاشغر وكان ينسب إليه تأسيس مدينة "بارجوق" وهى مدينة (مارال سباشى) الحالية فيما وراء النهر ، والتى سجن بها بيشرن البطل الإيرانى الذى عشق ميشرة ابنة أفراسياب ، وحبس فى قاع جب فترة طالت ، حتى عثر =

ومن هؤلاء المؤرخين حمد الله المستوفى القزوينى[١] المتوفى سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م ، حيث يقول "إن سلجوق مؤسس هذه السلالة التركية ينتسب إلى أفراسياب فى أربعة وأربعين ظهرا". بينما يرى البعض الآخر[٢] أن السلاجقة من أولاد طوقشور ميش وأحفاده - وطوقشور ميش بمعنى ذلك الذى يهاجم الغير ويحمل عليهم - هو ابن كَوكَجو خواجه (ويشير هذا الاسم إلى اللون الأخضر الذى كان يميل إليه السلاجقة)[٣] .

= عليه رستم بن دستان بمعاونة منيشرة ، فأخرجاه من الجب ، وأعاداه إلى إيران وفقا للأساطير الإيرانية ، لمزيد من التفاصيل انظر : الفردوسى : أبو القاسم ، الشاهنامه ، ترجمة الفتح بن على البندارى ، تحقيق وترجمة عبد الوهاب عزام ، ط ٢ ، جـ١ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٩٣م) ص٨٢-٩١، خواندمير : (غياث الدين بن همام الدين) ، حبيب السيرفى معرفة أخبار أفراد البشر (طبع بومباى ، ١٢٧٣هـ/١٨٥٨م) ص٧٤٩ ، نظام الملك الطوسى : سياسة نامة ، ترجمة يوسف بكار (قطر سنة ١٩٨٧م) ص٤٦ ، الثعالبى : أبو منصور ، تاريخ غرر الفرس المعروف غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، (مكتبة الأسدى ، طهران ، ١٩٣٠م) ، ص٢١٥-٢٢٠ ، محمد عوفى : لباب الألباب ، (طهران سنة ١٩٠٦م) ، ص ٣٠١ ، بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، (ط. الأنجلو المصرية ١٩٥٨م) ص١٠٦ ، أحمد معوض : أضواء على تاريخ المشرق الإسلامى وحضارته ذروة عصر السلاجقة العظام (طغرلبك) ، الدار العربية للنشر القاهرة سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) ، ص٢٣ ، ويفصل الفردوسى فى الشاهنامة الصراع بين الترك والإيرانيين ، جـ١ ، ص٨٧ - ٩٨ .

(١) صاحب كتاب (تاريخ كَزيده) ط١ ، نشره إدوارد براون ، (ليدن سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) ، ص٤٣٤، ومابعدها .

(٢) ظهير الدين النيشابورى: سلجوقنامه ، (طهران ، ط١ سنة ١٣٣٢هـ/١٩٥٤م) ، ص٩٠ ، ويعتبر ظهير الدين النيشابورى من أقرب المؤرخين لحكام السلاجقة فى العراق ، فقد كان أستاذا للسلطانيين مسعود بن محمد ابن ملكشاه (٥٢٧-٥٤٧هـ/١١٣٣-١١٥٢م) ، وارسلان شاه (٥٥٦-٥٧٣هـ/ ١١٦١-١١٧٧م) ووضع مصنفة فى عهد السلطان طغول الثانى (٥٧٣هـ- ٥٩٠هـ/١١٧٧-١١٩٤م) آخر سلاجقة العراق ، وقد نشره بازورث Bosworth " سجلوقنامة" بطهران سنة ١٣٢٢هـ/١٩٥٤م ، لمزيد من التفاصيل راجع : حاجى خليفه : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، جـ٣ ، ص٦٠٦ بارتولد : التركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح عثمان هاشم (الكويت ، ١٩٨١م) ص٩٧-٩٩ ، خواندمير : حبيب السير ص٧٥٠ ، أحمد معوض : أضواء ، ص ٢٣ . وكان هو المصدر الوحيد للراوندى فى عرضه للأحداث السابقة لعصره ، والمصنف أغلبه مفقود .

(٣) احمد معوض : اضواء ، ص ٢٣ .

ويجمع معظم المؤرخين على أن السلاجقة يرجع أصلهم إلى الأتراك الغز[١] الذين ظهروا فى التاريخ كمجموعة تركية تابعة للأمبراطورية التركية فى القرن السادس الميلادى[٢] . والسلاجقة أحد فروع هذه القبائل التركمانية[٣] الغزية[٤] . وتعرف قبيلتهم باسم

---

(١) الغزو (الأوغوز) : أمة عظيمة من الترك ، والأغز أو طوقوز (أى تسعة بالتركية) وهو مأخوذ من عدد قبائلهم ، أو أسرهم المتفرقة ، وظل الحكم فى أيديهم فى بلاد الترك حتى انتقل إلى الاويغور (إحدى قبائل الترك) سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م ، وظل الحكم فى أيديهم إلى عام ٢٥٦هـ/٨٤٠م ، وكانت بلاد الأوغوز هذه تحف بالبلاد الإسلامية فى آسيا الوسطى ، وتتأخم بلاد جرجان وطبرستان من أملاك المسلمين ، وهناك قبائل عديدة من الغز منهم (السلاجقة) ، وقد أطلق عليهم اسم التركمان ، أو أشباه الترك (ترك ماند) ، ولم يكن هناك تفريق بين الأوغوز والتركمان فيما بعد فكان يطلق الاسم على هذا الشعب أو ذاك ، وكان الغز هم أول الشعوب الجنوبية التى هاجرت من أراضيها وكونت فريق الترك الجنوبيين ، وكون القفجاق فريق الترك الغربيين، وكانت أراضيهم منتشره مابين بحر الخزر إلى أواسط مجرى سيردار (جيحون) . لمزيد من التفاصيل أنظر : بارتولد : تاريخ الترك ، ص٩٤ ، ٩٥ ، دائرة المعارف الإسلامية : مجلد ٥ ، ص٣٨ - ٤٥ .

ويرجع الدكتور / أحمد السعيد سليمان فى كتابه (تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل) نشر دار المعارف ص ١٤٦ ، أصل كلمة (أوغوز) أى الغزالى (أوكوز) فى التركية وتعنى (الثور) ويذكر أن الثور كان مقدسا عند الصينيين والأتراك ، وأن عشائر الأتراك تسمت باسمه ، ويضيف أن التركمان كانوا يعلقون عمودا فى ذيل الثور علامة عندهم ، فقد كان الثور مقدسا وهو طوطم الأتراك الغز ، ويسمى هذا العمود بالطوغ ، أو الطوخ أو (توغ) بالتركية وقد أطلقت على الراية وعلى الطبلة.وكانت من نوع خاص من القماش ، ولما استقر الأتراك الغز فى بلاد المشرق الإسلامى استبدلوا بذيل الثور ذيل الحصان ، ويؤكد ذلك ما ورد فى مراسيم الوفاة عند السلاجقة من أنهم كانوا يعقدون ذيل خيولهم عند وفاة سلطانهم .

(٢) حمد الله المستوفى : تاريخ گزيدة ، ص ٤٣٢ ، عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران والعراق (النهضة المصرية سنة ١٩٥٩) ص ١٦.

(٣) القبائل التركمانية : من الأتراك الذى ينتمى إليهم الغز ، وكلمة تركمان كلمة مجهولة الأصل والمنشأ، ويقال إنها ذات أصل فارسى (ترك ماننده) أى "أسباه الترك "أو" ترك كردن أى الترك والابتعاد ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٥ ، عبد النعيم حسانين : قاموس الفارسية (دار الكتاب المصرى واللبنانى) القاهرة ، بيروت سنة ١٩٨٢) ص١٥٩ .

(٤) الحسينى : (صُدر الدين أبو الحسن بن على) ، أخبار الدولة السلجوقية (دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة ١٩٨٤م) ص٢ ، ٣ ، ابن الأثير : (على بن أحمد) ، الكامل فى التاريخ (١٢ جزء ط . بولاق سنة ١٢٧٤هـ ، دار صادر ببيروت ١٩٦٥م) ج٩ ، ص ١٦٢ ، بارتولد : تاريخ الترك ص ١٠٦ .

(قنق) ويرسمها محمود الكشغرى[١] فى ديوانه عن الترك (قينيق)[٢] وهى إحدى قبائل الغز الأربعة والعشرين .

والغز هم أهم المجموعات التركية التى عرفها العرب فهم عربَ الترك وهم رماة الحذق[٣] وينكر الدوادارى[٤] عليهم هذا النسب ، ويقول (إنهم من السامانية) ويرجع أصولهم إلى الفرس ملوك العجم ، ولكن أصلهم التركى هو الأصح[٥] .

---

(١) الكشغرى : هو (محمود بن الحسين بن محمد) مؤلف كتاب "ديوان لغات الترك" ، ومن أكثر المصنفين المسلمين الذين أفاضوا فى ذكر وكتابة تاريخ القبائل التركية ، ومواطنها ، وعاداتها ، ولهجاتها ، وألف ديوانا عن الترك ، ذكر فيه أنه كان هناك عشرون شعباً تركياً منذ الأذل انقسموا إلى فريقين شماليين ، وجنوبيين ، ولقد أنهى الكشغرى ديوانه هذا سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، وهذا يعنى أنه أتم كتابته على عهد السلطان السلجوقى ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م) ، وكان أول معجم تركى عربى يتحدث عن الترك باستفاضة ، فلقد تجول الكشغرى فى كل الأقاليم والمقاطعات التركية وجمع فى كتابة لغات الأقوام التركية وتواريخهم ، وخرافاتهم وأساطيرهم وأمثالهم ، وربما عاداتهم ، وعلى هذا اعتبر كتابه موسوعة زاخرة بالمعرفة ، ويرجع نسبه إلى الأتراك القراخانية ، وكانت الغاية من هذا الكتاب هو تعليم اللغة التركية لأبناء العربية ، ويحمل هذا الكتاب صفة الموسوعة لأنه يحتوى إلى جانب لغات الترك الأدب التركى والتاريخ والجغرافيا والأدب والأساطير ، ولقد أعلى فيه من شأن الترك ، ولقد قدم هذا الكتاب إلى الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله ٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٧٥-١٠٩٤م فى بغداد ، وجمع فيه سبعة آلاف وخمسمائة كلمة تركية ، كما توجد به كلمات عربية وأخرى فارسية ، والكشغرى أول من كتب التركية بالخط العربى حيث طوع التركية للخط العربى . لمزيد من التفاصيل أنظر : سنية مصطفى حسن ، محمود الكشغرى وكتابه (ديوان لغات الترك) مقال نشر بمجلة أبحاث المؤتمر الدولى المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز (جامعة الأزهر ، ١٩٩٣م) جـ٦ ، ص٩٩-١١٣ . وقد أطلع الباحث على أصل الكتاب بأجزائه الثلاثه فى مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، سنة ١٩٨٩م .

(٢) الكشغرى : (محمود بن الحسين بن محمد) ، ديوان لغات الترك ، مجلد أول طـ١ (استانبول ، سنة ١٣٣٣هـ) جـ١ ، ص٢٣٨ - ٢٨٢ ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٦ .

(٣) ابن خرداذبه : (أبو القاسم عبد الله) ، المسالك والممالك ، (نشر دى غويه سنة ١٨٨٩م) ، ص١١٦ ، ابن رسته : (شهاب الدين أحمد بن عمر) ، الأعلاق النفيسة ، (طـ . ليدن ، سنة ١٨٩٢) ، ص ٢٩٥ .

(٤) الدوادارى : (أبو بكر عبد الله) ، كنز الدرر وجامع الغرر أو الدر المطلوب فى أخبار ملوك بنى أيوب، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم رقم ٦٤٨٣ ، ورقة ٢٠ ، ٢١ .

(٥) أحمد الشامى : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، (دار النهضة العربية ، طـ١ ، سنة ١٩٩٣) ص ٣٢ .

ومما يؤكد أن السلاجقة بطن من بطون قبائل (الغز - التركمان) ما ذكره ابن فضلان[١] فى رحلته إلى ملك البلغار ، حينما التقى بجماعة من الغز سنة ٣٠٩ -٣١٠هـ/ ٩٢١ - ٩٢٣م) فى أثناء مهمة قام بها من قبل خليفة بغداد (المقتدر بالله العباسى ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) إلى ملك البلغار فى حوض نهر الفولجا[٢] ، فوصف أخبار لقائه ببعض قادة الغز ، ووصف حالة الفقر والتعاسة التى كان يعانى منها هؤلاء الغزو وقاداتهم ، وذكر أن رئيسهم كان يلقب باسم (بيغو)[٣] ، بينما كان قائدهم العسكرى يقال له (سوباشى)[٤] - أى صاحب الجيش - وكان لقب معاونه ، وهو الأقل منه مرتبه يسمى (ينال)[٥] ، ولقد ترددت هذه الألقاب بذاتها وعينها ، ولفظها فى العصر السلجوقى ، وخاصة فى الفترة المبكرة منه مما يعطى إشارة قوية ومؤكدة أن السلاجقة فرع من بطون الغز ، الذين هاجروا إلى العالم الإسلامى ، واعتنقوا الإسلام بعد ذلك .

---

(١) ابن فضلان : (أحمد بن فضلان العباسى) ، رحلة ابن فضلان ، حققها سامى الدهان (دمشق ١٩٦٠م) ص٩١-١٠٦ .

(٢) حوض نهر الفولجا : المنطقة التى تشمل بلاد التركستان ، والتى زارها ابن فضلان فى رحلته ، راجع : ابن فضلان : الرحلة ، ص٧٧-١٠٨ .

(٣) بيغو : لقب السلطان الأعلى عند الترك طبقا للأساطير الاويغورية ، ومعناها الغزال وهو لقب من بعد الخاقان بدرجتين ، وهو متضمن فى اللقب التركى بيغو ، وهو يعنى الشيخ الكبير لدى الغز كما أشار ابن فضلان ، الرحلة ، ص ٩١-٩٣ ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص٢١٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص٢٥ .

(٤) سوباشى : قائد عسكرى - صاحب الجيش - كان دائم التدخل فى شئون الدولة وهو يلى البيغو فى المرتبة ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٦٣ ، سهيل زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، (دار الفكر ، ط٢ ، دمشق ، ١٩٧٣) ص ٢٢ .

ينال : لقب عسكرى ، حيث كان الغز خاصة السلاجقة عادة يطلقون أسماء الحيوانات الجميلة أو القوية على أشخاص قوادهم ، يعرف رئيسهم باسم بيغو ، وقائد جيشهم باسم سوباشى ، ومعاونه باسم "ينال" ، وأن الأسماء التى اشتهر بها السلاجقة مثل طغرى وجغرى ألقاب وليست أعلاما ، أنظر : فامبرى : (أرمينوس) تاريخ بخارى ، ترجمة وتعليق د/ أحمد الساداتى (ط. مصر سنة ١٩٦٠م) ، ص ١٢٧ .

(٥) ابن بى بى : علامة يحيى بن محمد ، ترجمة محمد زكريا مائل ، طبع أول ، (جولاتى ، (١٩٢٥ع) ص ٩ ، ١٠ ، ١١ ، سهيل زكار : المدخل ، ١٢ .

وكان الموطن الأصلى للشعوب التركية ومنها (الغز) هى سهول أوراسيا ، التى هى الآن مناطق تابعة للجمهوريات الإسلامية الحالية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى سابقا أو الصين الشعبية[١] ، ولقد عرف الجغرافيون العرب هذا الموطن باسم تركستان[٢] أو آسيا الوسطى وعاشت قبائل الغز فى الصحراء الواسعة السهوب التى تبدأ عند حدود الصين وتمتد حتى شواطئ بحر الخزر[٣] .

وكانت هذه الشعوب ، شعوب رعوية ، ورجال حرب ، فى حوزتهم الكثير من السلاح يرحلون فى الشتاء ، والصيف من مكان لآخر طلبا للمرعى وحسب الطقس الملائم[٤] . وحتى القرن الثانى الهجرى ، الثامن الميلادى كانت قبائل الغز تابعة لإمبراطورية الخزر[٥] .

---

(١) سهيل زكار : المدخل ، ص ٢٢ .

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ٣٣٦ ، ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ص ٢٩٥ ، ابن حوقل: (أبو القاسم محمد النصيبى) ، صورة الأرض (ط. ليدن سنة ١٩٦٧م) ص٣٨١ ، المقدسى : (شمس الدين ابو عبد الله البشارى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ط. بيروت ، سنة ١٩٨٧) ، ص ٢٢٧ ومابعدها .

وآسيا الوسطى : شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهملايا ، وهضبة البامير ومن الغرب جبال تيان شان، وتبلغ مساحتها حوالى ٦ ملايين كم ٢ ، وتركستان سميت بذلك لأنها حسبت المصادر أقدم موطن للترك أو التركمان ، ومعنى تركستان مركبة من كلمتين (ترك) ، وستان لاحقة بها فى اللغة الفارسية ، وتفيد المكان الذى يكثر فيه الشئ ، وتنقسم إلى قسمين التركستان الغربية أو الروسية والتى كانت تعرف ببلاد التتر ، وعرفت بعد ذلك ببلاد ما وراء النهر وأهم مدنها بخارى وسمرقند وتركستان الشرقية أو الصينية ، وهى ولاية مستقلة عن الصين ، وتشكل بلاد التركستان الآن جمهوريات آسيا الوسطى الروسية ، وكانت هذه البلاد هى منبت الأتراك الذين شهدهم التاريخ . لمزيد من التفاصيل : راجع ، بارتولد : تاريخ التركستان ، ص ١٤٥ وما بعدها ، السيد العرينى : المغول ، (دار النهضة العربية بيروت ، سنة ١٩٧١م) ، ص ٥ ، ٦ ، شيرين عبدالنعيم حسانين : مسلمو تركستان والغزو السوفيتى من خلال التاريخ والآداب ، (آداب القاهرة ، ١٩٨٥) ، ص ١١ ، ١٢ . يسرى الجوهرى : آسيا الإسلامية (القاهرة ، ١٩٨٠م) ص ١٩١-٢١٥ .

(٣) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٢٧ ، أى فى منطقة مصب نهر سيحون فى جنوب بحيرة خوارزم ، عباس أقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمة محمد علاء الدين ، (القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص١٩٣ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٣٨٧ .

(٥) سهيل زكار : المدخل ، ص ٣٣ ، الخزر شعب تركى قامت أراضيه فيما بين مجرى الفولجا الأدنى وجبال القوقاز وامتدت حتى نهر جيحون ، وخزر تعنى بالتركية (البداة) وفى الروسية (ذيل الخنزير) وفى السلافية (الماعز أو رعاة الماعز) وفى العربية بمعنى أخزر أي (ضيق العينين) أو ذى العين المائلة (الحولاء) والتفسير التركى أقرب ، وكانت لهم حروب طويلة مع المسلمين ، انظر دنلوب : تاريخ يهود الخزر ، ترجمة سهيل زكار ، ط. (دار الفكر ، لبنان ، سنة ١٩٨٧) ، ص ٥ - ٤٥) .

وفى نهاية القرن نفسه قام هؤلاء الغز ، بعد أن أصبحت لهم زعامتهم الخاصة ، بالتحرك غربا عبر سهوب سيبريا نحو بحر الآرال[١] ، وإلى الفولجا ، وجنوبى روسيا ، وأغاروا فى عهد الخليفة المأمون العباسى ١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م ، على اشروسنة[٢] وهكذا وصلت أخبارهم إلى أسماع الكتاب والعلماء المسلمين فاهتموا بأخبارهم ، وبدأ الغز يتحركون نحو الأراضى الإسلامية[٣] وكانوا مؤلفين من تسع قبائل[٤]، وكان لكل قبيلة أميراً ومقدم- بك دعاه المسلمون باسم (دهقان) [٥] .

ومنذ أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى كان لفظ تركمان يستعمل بكثرة فى كتابات المؤرخين العرب بدلا من الغز كمرداف أو بديل لها[٦] ، ويذكر الكشغرى[٧] فى ديوانه عن الترك "أغز قبيلة من الترك وهم التركمانية ، ويقول أيضا (تركمان هم الغزية)

---

(١) بحر الآرال : هو الذى سماه العرب ببحيرة خوارزم ، وكانت تجاوره بلاد التركمان / الغز ، وكان ضحلا لايصلح لحركة السفن ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٨٦ ، ٥٨٧ ، عباس إقبال : إيران ، ص ٢٢٧ .

(٢) اشروسنه : بلدة كبيرة بما وراء النهر بين سيحون وسمرقند ، ياقوت : (شهاب الدين بن عبد الله الحمرى) ، معجم البلدان ، ط (دار صادر بيروت سنة ١٩٧٥) ص ١٩٧ ، الطبرى : (محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك (دار المعارف بمصر ط٣) جـ٨ ، ص٦٤٥ ، وما بعدها ، وكتب اشروسنه وسروشنه وستروشنه ، يقع شرق سمرقند بين الرساتيق الممتدة فى محازاة يمين نهر الصغد ، والرساتيق التى فى يسار نهر سيحون ، وأراضه سهول وجبال ولا تتخللها أنهار كبيرة ، ويقال المدينة اشروسنه أو بو نسجكث ، وبذجكث ، وهى من أقاليم نهر سيحون ومن قواعد ماوراء النهر ، والغالب عليها الجبال ، راجع : لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، بارتولد : التركستان : ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص ٢٢٣ ، سهيل ركار ، ص٣٣ .

(٤) The Cambridgs History of Fran. p. 6 .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٨٧ ، ودهقان : لقب فارسى قديم ، وسلطته تشبه سلطة رئيس القبيلة ، على أن يكون مسئولا أمام الدولة ، ويحمل الخراج إليها بعد ضمانها وأصله فى الفارسية بمعنى رئيس القبيلة أو القرية أنظر ، البيهقى : أبو الفضل محمد بن حسين ، تاريخ البيهقى ، أو صحائف مسعودى ترجمة يحى الخشاب ، صادق نشأت ، (الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦م) ص٦٢٨ ، ٨٠١ عبد النعيم حسانين : قاموس الفارسية ، (دار الكتاب المصرى واللبنانى ، سنة ١٩٨٢م) ص ٢٧١ .

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٧٤ .

(٧) الكشغرى : ديوان ، جـ١ ص ٥٦ ، ٣٩٣ .

ويقسم الكشغرى التركمانية إلى اثنين وعشرين بطنا لكل بطن منها علامة وسمة على دوابهم يعرف بعضهم بعضا بها ، وعندما عدد أسماء هذه البطون بين أن "قنق" هى القبيلة المتقدمة بين كل القبائل التركية ، ومنها السلاطين السلاجقة الذين يبدو أن أسرتهم لم تكن فى الأصل أكبر أسر القنق أو أكثرها شهرة ، وقوة ، وعددا ، ولكنها أصبحت كذلك بفضل الشخصيات التى ظهرت فيها [١] عندما هاجرت هذه القبائل عن موطنها وفى شكل موجات عديدة ، وخلال القرون الثانى والثالث والرابع للهجرة ، الثامن والتاسع والعاشر للميلاد ، أخذت قبائل الغز التركمان ترحل من موطنها الأصلى أقصى سهول التركستان [٢] وفى سنة ٣٧٥هـ/ ١٩٨٥م استقرت هذه القبائل فى بلاد ماوراء النهر فى موضع قرب بخارى [٣] وكانوا كثيرى العدد ، يعتمدون على الخيول فى رحليهم من جهة إلى أخرى [٤] .

---

(١) الكشغرى : نفسه ، ص ٥٦ - ٥٨ ، عباس إقبال : إيران ، ص ٢٢٧ ، الجاحظ : أبو عثمان بن بحر ، رسائل الجاحظ فى مناقب الترك (الخانجى ، القاهرة ١٩٦٤م) وعن مفهوم الترك ومواطنهم وأجناسهم ، راجع : بارتولد : تاريخ الترك ، وسعد زغلول عبد الحميد ، الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، مقال بمجلة (كلية الآداب ، الإسكندرية ، مجلد ١٠ ، سنة ١٩٥٦م) .

(٢) الراوندى : (محمد بن على بن سليمان) ، راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة إلى العربية د/ إبراهيم الشواربى ، د/ عبد النعيم حسانين ، د/ فؤاد الصياد (القاهرة ، سنة ١٩٦٠) ص١٤٥ .

(٣) بخارى : مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند ثلاثون فرسخا أى حوالى ١٨٠ كم* وهى من قواعد ما وراء النهر وهى العاصمة الدينية ، وقصبة إقليم الصغد ، أبو الفداء : تقويم البلدان، ص ٤٨٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٠٤ . أما عن تحديد المسافات "بمراحل" أو "مسيرة يوم" أو "مسافة يوم أو "فرسخ" فقد أطلق الجغرافيون المسلمون على المسافات بين مدينة وأخرى أو بلد وآخر ، أسماء مثل (مرحلة) و(مسيرة) و(سكة) و(فرسخ) وغيرها ، وكما ذكر الأستاذ حسن الكرمى فى قاموسه الهادى إلى لغة العرب ، جـ٢ ، ص ١٤٥ ، أن المرحلة هى المسافة التى يقطعها المسافر فى نحو يوم واحد ، وتقدر بنحو ٣٠كم ، على وجه التقريب ، أما "مسير اليوم" فقد جاء فى القاموس المذكور جـ٢ ص ٤١٤ هى المسافة التى يقطعها المسافر فى يوم واحد ، وفى نفس الوقت هى تساوى المسافة التى يقطعها المسافر فى المرحلة الواحدة ، أما بالنسبة للسكة ، فهى تساوى المسافة بين محطتين من محطات البريد فى العصور الوسطى ، وقدرها ٤ فراسخ والفرسخ يساوى ٣ أميال عربية ، وهى حوالى ٦ كم ، وعلى ذلك فالسكة تساوى على وجه التقريب ٢٤ كم ٢ ، انظر : عبد الرحمن محمد العبد الغنى : موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور السلاجقة، حوليات كلية الآداب - الكويت سنة ١٩٩٤ ، حولية رقم ٩٧ ، ص ١٥ ، ١٦ ، هامش (١٠) ، وعلى هذا تكون المسافة بين سمرقند وبخارى حوالى ١٨٠ كم٢ تقريبا .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥ ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

وقد هاجرت هذه القبائل إلى بلاد ماوراء النهر لدوافع عديدة منها ضيق رقعة ديارهم وقلة مراعيهم[١] ، والتنازع والتنافس واستمرار الحروب فيما بينهم ، أو غلبة قبائل أكثر قوة عليهم ، وسيطرتهم على أراضيهم خصوصًا إذا ما كثر عدد أفراد القبائل ، فعجزت موارد الرزق عن كفايتهم ، أو حدث قحط جعل هذه الأماكن لاتصلح لاستمرار الحياة فيها ، وقد يممت هذه القبائل وجهها شطر الغرب ، واستقرت فى بلاد ما وراء النهر وخراسان[٢] .

والمصدر الأساسي بالنسبة لأخبار وأصل الأسرة السلجوقية ، هو كتاب "ملك نامه" وهو كتاب مجهول وردت حواشيه فى كتاب أخبار الدولة السلجوقية للحسينى ، واعتمد عليه المؤرخون العرب فى التعريف بأصل السلاجقة ، مثل ابن الأثير فى الكامل ، والحسينى فى زبدة التواريخ ، وابن العديم فى كتابه (بغية الطلب فى تاريخ حلب)[٣] . وهذا الكتاب ألفه صاحبه كما قال ابن العديم[٤] أنه استفاد أنسابهم وأحسابهم عن الأمير اينانج بك إذ كان أسن القوم ، وأعرفهم بأنسابهم وأحسابهم قال . كان الأمير سلجوق[٥]

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٦ ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، ترجمة الشواربى (ط. القاهرة ، سنة ١٩٨٤) ص٢٠٩-٢١٠ ، عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٦ .

(٢) بروان : تاريخ الأدب ، ص ٢١٠ ، عبد النعيم حسانين : نفسه ص١٦ ، إقبال : إيران ، ص٢٢٧ .

(٣) سهيل زكار : المدخل ، ص٢٠ ، بارتولد : تاريخ التركستان ، ص٩٨ ، ٩٩ .

(٤) ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم عمر) ، بغية الطلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان (ط١ ، دمشق ، سنة ١٩٥٤) جـ٣ ص ٢٨٦ .

(٥) ساجوق : إن قواعد اللغة التركية قد امتهنت كلها فى رسم كلمة "سلجوق" على هذا الوجه فهى إما سيلجيق أو سالجوق ، ذلك أن مقطعى جيق ، وجوق يفيدان التصغير ، ويستعمل الأول مع الكلمات التى تقع الياء فى مقطعها الأخير ، ويستعمل الثانى مع التى تقع الألف أو الواو فى مقطعها الأخير ، وقد نطق العلماء الغربيون اسم هذا القائد هكذا (سلجوق ، Seldiuk وهو نطق يطابق الإملاء الغربى ، ولكنه ينافى قواعد الصوتيات فى اللغة التركية ، والآن يحاول علماء الصوتيات فى اللغة التركية العثمانية تصحيح هذا الاسم فهم يكتبونه أحيانا (سالجوق) أو (سالجيق) ولكن النطق الصحيح لهذه الكلمة كما يتضح من النصوص التركية هو (سالجوك - Salskuuk) وهذا اللفظ موجود فى ديوان الكشغرى ، وفى اللغة التركية الحديثة تكتب هكذا Salquki = Selquklu بمعنى سلجوق ، راجع : بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، دائرة المعارف الإسلامية : جـ١٢ ، مادة سلجوق ، فامبرى : تاريخ بخارى ، حاشية رقم ١ ، ص١٢٧ ، الصفصافى المرسى : معجم صفصافى ، "تركى - عربى" (ط٣ ، القاهرة ١٩٨٥م) ص ٤٤٥ .

بن دقـــاق[١] من أعيان ترك خزر ، وكان دقاق يلقب (بتمريالغ - أى شديد القوس) وعلى هذا ينسب السلاجقة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن دقاق - أى القوس من الحديد[٢] ويلقب دقاق فى بعض المصادر بلقب "تيمور - بليغ" أو (تيمور مبلغ) أى السهم الحديدى الشديد[٣] .

وكان دقاق هذا فى خدمة ملك الترك (بيغو أو بوغو)[٤] الذى ألقى فى يده زمام أمره ، وكان ملك الترك لايحزم أمرا دون مشورته[٥] ، ولكن الأمير "دقاق" اختلف مع ملك الترك حينما عزم (البيغو) على محاربة بلاد الإسلام المجاورة لمملكته ، فحاول الأمير (دقاق) منعه[٦] وطال النقاش بينهما ، فأغلظ له ملك الترك الكلام[٧] وتملك الأمير (دقاق) الغضب فأخرج سيفه ، ولطم الملك به فشج رأسه ، فسقط من على فرسه[٨] ، ونشبت معركة بين جنود ملك الترك ، وجنود الأمير " دقاق" فقاومهم ، وعارضه أصحابه ، ثم صلح الأمر

---

(١) دقاق : أويقاق ، اسم مقدم السلاجقة وصلت إلينا بصيغ مختلفة ، فقد ذكر ابن الأثير : بالكامل ، جـ٩ ص ١٦٢ ، على أنه يقاق وسايره الحسينى فى زبدة التواريخ ص ٥ ، ومعناه القوس الحديدى > أما ابن العبرى ، جـ١ ، ص ٢٩٢ فيذكره أنه تقاق الذى من أجل قوته لقب (تيمور باليق) أى السهم الحديدى ، وذكره ابن العديم ، وابن خلكان فى وفيات الأعيان ، جـ٣ والروانلى فى راحة الصدور على أنه دقاق ، أما صاحب حبيب السير ، والنظام العروضى فى العراضة فى الحكاية السلجوقية فيذكروه على أنه لقمان .

(٢) الحسينى : زبدة التاريخ ، ص ٢٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٢ ، الروانلى : راحة الصدور ، ص ٥ ، ابن بى بى : سلجوق نامه ، ص ١٠ ، ١١ .

(٣) ميراخوند : ذكر طبقة السلجوقية وذيل من أحوال سلجوق ووالده تقاق ، استانبول سنة ١٣٣٣هـ) ص ٢ ، ٣ .

(٤) الحسينى : أخبار ، ص ١ ، ٢ ، أحمد معوض : أضواء ، ص ٣٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٦٢ ، أبو الفداء : (الملك المؤيد عماد الدين) ، المختصر فى أخبار البشر ، (القاهرة ١٣٢٥هـ) ، جـ١ ص٢٦٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٦٣ ، ميراخواند : ذكر طبقة السلجوقية ، ص٤ .

(٧) ميراخوند : المرجع السابق ص ٤ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٧٦ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢ ، ابن طباطبا : (فخر الدين الطقطقى) ، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، (ط. دار صادر بيروت ، سنة ١٩٧٥) ص٢١٣ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص٢٤ ، مادة سلجوق .

بينهما وأقام عنده[١] . وفى صحراء الخزر ولد الأمير "سلجوق" ، ورباه والده تربية عسكرية، فلما كبر ظهرت عليه إمارات النجابة ومخايل التقدم ، واشتهر بالفروسية والشجاعة ، فقربه ملك الترك (بيغو) إليه ولقبه سوباشي - قائد الجيش[٢] وأجاز له ملك الترك حضور مجالسه، وأن يحضر إلى حرمه ، ولكن زوجة ملك الترك أوغرت صدر زوجها على الأمير سلجوق ، لجرأته وجلوسه فى مجالس أولاد الملك [٣] واستمالته لقلوب طوائف كثيرة من الجند والأكابر والعامة ، وبالغت فى طلب قتله[٤] خاصة وكان زوجها عقيما[٥] ، وخاف الأمير سلجوق من بطش (البيغو) فهاجر بقومه إلى بلاد ماوراء النهر ، حيث أقاموا بالقرب من سمرقند[٦] فى مدينة جند[٧] التى اعتنق فيها (سلجوق) الدين الإسلامى على المذهب الحنفى، ومنذ العقد الأخير من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، بدأ تحول السلاجقة إلى الإسلام ، وسعد سلجوق وأتباعه بالدين الجديد[٨] ، وجاوروا السامانيين والخانيين[٩] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٣ .

(٢) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٤ ، ابن النظام اليزدى الحسينى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ترجمة وتحقيق د/ عبد النعيم حسانين ، وآخرون ، (بغداد ، سنة ١٩٧٩م) ، ص ٢٠ .

(٣) خواندمير : حبيب السير ، ص ٤٧٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٦٣ ، الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٤ ، فاضل الخالدى : النظم فى العراق خلال القرن الخامس (بغداد سنة ١٩٦٩) ، ص١٤٤ ، ١٤٥ .

(٥) ابن العبرى : غريغوريوس أبو الفرج) مختصر تاريخ الدول المعروف بتاريخ ابن العبرى ، (بيروت ، ١٩٨٣) ص ٢٩٢ ، اليزدى : العراضة ، ص٢١ .

(٦) سمرقند : يقال لها بالعربية سمران أو مدينة المسرات ، بلد معروف بما وراء النهر ، قيل أنها من أبنية ذى القرنين ، فتحها قتيبة بن مسلم الباهلى سنة ٨٧هـ/٦٩٧م ، وموقعها خلف نهر جيحون شرق بخارى فى أعلى النهر ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٢٤٦ ، اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) البلدان (ط١ ، القاهرة ١٩٥٩) ص٢٩٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٠٧ .

(٧) جند : مدينة من بلاد ماوراء النهر ، قريبة من خوارزم ، ونهر سيحون وأهلها مسلمون على المذهب الحنفى ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ١٤٣ .

(٨) الحسينى : أخبار ، ص٢٤ .

(٩) السامانية والخانية : الدول السامانية تنسب إلى "نوح بن سامان" الذى أسس لأسرته دولة فيما وراء النهر (٢٦١-٣٨٩هـ/٨٧٤-٩٩٨م) ، واتخذ من مدينة بخارى عاصمة له ، وأخلصوا للخلافة العباسية التى اتخذتهم حائط صد ضد الطاهرين والصفاريين ، ويرجع لها الفضل فى نشر الإسلام واللغة والثقافة =

ويذهب البعض إلى أن السلاجقة دخلوا فى الإسلام ، بعد أن اعتنقوا المسيحية ، ويستندون فى تأييد قولهم بأسماء ميكائيل وموسى وإسرائيل التى تسمى بها ملوكهم ، وأولادهم ، وهى من الأسماء التى وردت فى الكتاب المقدس[1] .

كان لدخول السلاجقة فى الإسلام أثر كبير فى التقريب بينهم وبين السامانيين ، الذين عهدوا إليهم بالدفاع عن أراضيهم من غارات الأتراك غير المسلمين لقاء المراعى التى أعطيت لهم[2] ، كما أعان السلاجقة السامانيين فى صد غارات القراخانيين[3] مما جعل السامانيين

= الإسلامية فى التركستان وأواسط آسيا ، وتعاقب على حكمها أمراء أقوياء مثل الأمير نصر السامانى المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢-٨٩٣م ثم أخيه اسماعيل السامانى المتوفى سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م وبعده انقسم البيت السامانى وضعف لتسقط فى النهاية سنة ٣٨٩هـ/٨٧٤م .

لمزيد من التفاصيل : الطبرى : تاريخ ، جـ٩ ، ص ٥١٤ ، النرشخى : (أبو بكر محمد بن جعفر) ، تاريخ بخارى ، ترجمة أمين بدرى ، ونصر الطرازى (القاهرة ١٩٦٥م) ، ص١٠٥ ، ١٠٦ ، فامبرى : تاريخ بخارى ص٩٤ -٩٥ ، ومابعدها ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله للعربية نبيه فارس ، منير البعلبكى (بيروت ، ط ٧ ، لبنان سنة ١٩٤٨) جـ٢ ، ص ١١٣ .

الخانيين : الدولة القراخانية - خانات التركستان ، أولى الدويلات التركية التى ظهرت فى بلاد التركستان بعدما نشر السامانيون الإسلام ، وتنتمى الدولة إلى قبيلة القرلق التركية من الأتراك الشرقيين ، وكانوا أول الأتراك الشرقيين اعتناقا للإسلام ، وكان أول ملوكها هو ستون بغراخان عبد الكريم المتوفى سنة ٣٤٤هـ/ ٩٩٥م وبعد فترة اصطدام ملوكها مع السامانيين ، ومن أشهرهم ايلك خان ، وأرسلان خان سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م الذى أغرى السلاجقة بالسلطان مسعود الغزنوى فيما بعد ، وكان للخانيين فضل فى نشر الإسلام فى شرق التركستان ، ولكن لكثرة الحروب بينها وبين السامانيين والغزنويين الأثر فى سقوطها سنة ٤٣٥هـ /١٠٤٣م .

لمزيد من التفاصيل : ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ١٨٨ ، زامباور : معجم الدول والأسرات الحاكمة (القاهرة ، سنة ١٩٥١-١٩٥٢) ص٣١٨ ، حسن محمود : الإسلام فى آسيا الوسطى ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢م) ، ص ١٨٠ ، عصام الدين الفقى : الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق ، (دار الفكر العربى ، ١٩٨٧) ص ٤٤ .

(١) دائرة المعارف الإسلامية : مجلد ١٢ ، ص ٢٤ ، مادة سلجوق .

(٢) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، محمد محمود ادريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول (نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ص٥٩ ، ٦٠ .

(٣) ماركار : دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، مادة سلجوق .

يسمحون لهم بالعبور عبر أراضيهم للإقامة على مقربة من شاطئ نهر سيحون ، حيث اتخذوا من مدينة "جند" مقرا لهم[١] .

وبذكاء استغل السلاجقة كثرة عددهم فقد عبر مع الأمير سلجوق ألف فارس وألف بعير وخمسون ألف رأس من الماشية[٢]، كما استغلوا النزاع القائم فى منطقة ماوراء النهر بين السامانيين والقراخانيين ، أحسن استغلال ، حيث عملوا على تحسين أحوالهم ورعاية شئونهم[٣] ومحاربة الكفار من الأتراك ، فأخذت قوتهم تزداد[٤] .

وقد أكسبهم ذلك احترام الحكام المسلمين المجاورين لهم[٥] ، ونال الأمير سلجوق مكانة كبرى وتسابق ملوك المنطقة يطلبون إليه المساعدة لمناهضة أعدائهم ، وأصبح بلاطه ملاذاً لأمراء السامانية ، فعندما هزم المنتصر السامانى[٦]، من أيليك خان طلب إلى سجلوق مساعدته فلبى الأمير سلجوق طلبه ، وهزم أيليك خان بعد انتصاره[٧] .

وهكذا كان السلاجقة قد ورطوا أنفسهم فى حروب طويلة ، وكانوا جاهزين لتقديم خدماتهم لمن يطلبها ويدفع أكثر ، أو يسمح لهم بالإقامة ، وتأمين المراعى للماشية[٨] ، وهذا كل ما كان يرمى إليه الأمير سلجوق ، الذى لم يدر فى خلده تكوين دولة أو إمارة له ولأولاده من بعده .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٧٦ ، الحسينى : تاريخ ، ص ٢ ، ٣ ، إقبال : إيران ، ص ٢٢٨.

(٢) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٢٨ .

(٣) الخالدى : النظم ، ص١٤٧ ، إقبال : إيران ، ص ٢٢٨ .

(٤) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٨ ، رقبال : إيران ، ص ٢٢٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٧٦ .

(٦) المنتصر السامانى : هو المنتصر بن نوح الثانى السامانى الذى جاهد كثيرا ليحافظ على عرش اجداده ، لكن الإسماعيلية الشيعة قتلوه سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م ، ستانلى لين بول : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، جزءان ترجمة أحمد السعيد سليمان (دار المعارف بمصر ١٩٦٥) جـ١ ص٣٧٧ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٢٨ .

(٧) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٢٨ ، أحمد معوض : أضواء ، ص٣٥ .

(٨) سهيل زكار : المدخل ، ص٣٧ .

وفى مدينة "جند" ، توفى الأمير سلجوق بن دقاق[١] بعد أن عاش مائة سنة أو يزيد ، ولقد رأى فى منامه ذات ليلة أنه سيبول نارا يتلظى شرارها فى مشارق الأرض ، ومغاربها فسأل المعبر ، فقال سيولد من نسلك ملوك يملكون أقاصى الأرض[٢] .

وعلى الرغم من أن حقائق التاريخ لاتبنى على الرؤى والأحلام ، فلقد تحققت هذه الرؤية فعلا حيث كان لسلجوق أربعة أولاد من الذكور ، هم : أرسلان (إسرائيل) ، وميكائيل ، وموسى ، وبيغو[٣] وابن خامس هو يونس حسب ما أورده الراوندى[٤] .

وقاد إسرائيل أكبر أبناء سلجوق ، هجرة السلاجقة بعد أبيه ، حيث اتجه جنوبا نحو خراسان[٥] ، ولما زالت الدولة السامانية سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م ، ووزعت أراضيها بين القراخانيين، والغزنويين[٦] عمل السلاجقة على الاستفادة من هذا الوضع الجديد ، فأخذوا يوسعون رقعة أراضيهم التى ضاقت بهم[٧] .

ونتيجة للنزاع بين "ايليك خان"[٨] ، وعلى تكين[٩] الذى تحالف مع إسرائيل بن سلجوق ضد الخانية ، بدأ صدام السلاجقة مع الغزنويين ، لتبدأ ملحمة الصراع الغزنوى السلجوقى، حيث أن على تكين حليف السلاجقة كان عدوا ومعارضا للسلطان

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٤ ، اليزدى : العراضة ص ٢٠ .

(٢) الحسينى : أخبار ، ص٢ .

(٣) الحسينى : أخبار ، ص ٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ١٦٤ ، ابن العبرى : تاريخ ، ص٩٣ ، اليزدى : العراضة ص٢٠ .

(٤) راحة الصدور ، ص١٤٦ .

(٥) الحسينى : أخبار ، ص٢ ، سهيل زكار ، ص١٢ ، إقبال ، إيران ص٢٢٨ .

(٦) بارتولد : تاريخ الترك ، ص٨٢ ، ٨٣ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٥ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٥ ، براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى (د. القاهرة سنة ١٩٥٤م) ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٩) على تكين : كان فى حبس (أرسلان خان) آخر ملك الخانيين (ايليك خان) وقد تمكن من الهرب من حبسه ، وذهب إلى بخارى ، وهو أمير خارج عن طاعة الأسرة القراخانية ، وكان يطمع فى الانفراد ببلاد ما وراء النهر ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٧٦ .

محمود بن سيكتكين الغزنوى [١] الذى عبر نهر جيحون لملاقاة المتحالفان على تكين ، وإسرائيل سلجوق ، فهرب على تكين من بخارى ، والتجأ إسرائيل وجماعته إلى الصحراء خوفا من محمود الغزنوى[٢] .

وفى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م ، عقد صلح بين السلطان محمود الغزنوى ، والملك القراخانى (قدرخان) وتم تصفية مشاكل الحدود بينهما ، وكان هذا نذير شؤم على السلاجقة ، حيث أوغر الملك (قدرخان) صدر السلطان محمود الغزنوى عليهم[٣] عندما هاله قوة وكثرة جند السلاجقة وقوة شوكتهم ، وانصياعهم لرئيسهم ، وشجاعتهم فى المعارك[٤] ، واحتمال قيامهم بالاستيلاء على بعض الولايات فى حالة مسير السلطان إلى بلاد الهند ، وأشار عليه بأن يستعين بهم[٥] .

وهكذا ازدادت مخاوف السلطان محمود الغزنوى ، فعول بعد عبوره لنهر جيحون على القضاء على السلاجقة والقبض على إسرائيل بن سلجوق ، وتشتيت شمل أتباعه وإبعادهم ، فلجأ إلى أسلوب الحيلة والمكر والخديعة ، فكتب إلى إسرائيل يستميله ، ويرغبه فى لقائه قائلا له "إننى لفى عجب من تدبيركم ، وعقلكم ، ولكنكم حتى الآن وبحكم الجوار ، فلم تطلبوا منا طلبا ، أو تلتمسوا منا معونة ، وأنى لشديد الرغبة فى مصادقتكم ، واستمداد المعونة منكم ، فإذا لم يستطع الإخوة الحضور إلى ، فليختاروا واحداً منهم ، يفد إلى مقرى ، ولقد اتخذت مقامى على شاطئ النهر ، حتى تقصر المسافة بينى وبينكم ، فإذا جاءنى واحد منكم ، عقدت معه العهد ، ووثقت معه المواثيق[٦] .

---

(١) براون : تاريخ الأدب ، ص٢١٠ .

(٢) كان السلاجقة حين يدهمهم خطر يبعثون زوجاتهم ، وأولادهم ، ومتاعهم إلى مخابئ آمنة فى الصحراء ، ثم يخرجون للحرب معتمدين على خيولهم الصغيرة ، فامبرى ، تاريخ بخارى ، ص ١٢٩ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٧ ، ١٤٨ ، اليزدى : العراضة ، ص ٢٢ - ٢٤ .

(٤) الراوندى : نفسه ، ص ١٤٨ .

(٥) اليزدى : العراضة ، ص٢٢ - ٢٤ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٧ ، ١٤٨ ، الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٩ ، إقبال إيران ، ص٢٢٩ .

واستجاب السلاجقة لرسالة السلطان محمود ، ووثقوا بما جاء فيها ، اعتمادا منهم على الوفاء بالعهد الإسلامي[١] واختاروا أن يرسلوا (إسرائيل) لأنه المقدم المحترم بينهم ، بعد أن اقترعوا على ذلك[٢] فسار إسرائيل ومعه عشرة آلاف فارس ، فلما علم السلطان محمود بقدمهم ، أرسل إلى إسرائيل رسولا يقول له "لسنا الآن فى حاجة إلى الاستعداد بجيشك ، وإنما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك ، والاستظهار بك ، فاترك الجيش فى مكانه وآت مع خواصك وأعيان رجالك"[٣] .

وامتثل إسرائيل لطلب السلطان محمود ، وسار إليه ، ومعه ولده (قتلمش) فى جماعة من خيرة فرسان السلاجقة ، قدرها الراوندى[٤] بثلاثمائة فارس ، فلما وصل إسرائيل بالغ السلطان محمود في إكرامه وأجلسه على طرف سريره[٥] .

وأراد "محمود الغزنوى" أن يعرف قوة السلاجقة على حقيقتها ، فأوهم (إسرائيل) أنه يود الاستعانة بهم للقضاء على الخارجين عليه ، حينما يذهب لغزو بلاد الهند . أو يشركهم فى حملاته الإسلامية فى بلاد الهند حبا فى الجهاد[٦] .

وسأل السلطان محمود - إسرائيل - حول مقدار ما يستطيع السلاجقة أن يعدوه من الجيوش إذا احتاج ؟ وما هى الأمارة التى يصلنا بها هذا المدد ؟ وكان إسرائيل يحمل قوسا وسهمين فأخذ سهما وأعطاه لمحمود وقال له : "أرسل هذا السهم إلى جندنا إذا عرضت لك حاجة يأتك منا مائة ألف فارس "فأجابه السلطان" : وإذا لم يكف هذا العدد ؟ فتناول إسرائيل السهم الآخر وأعطاه للسلطان محمود ، وقال له : أرسل هذا السهم إلى جبل بلخان[٧] فسوف يأتيك

---

(١) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٩ .

(٢) اليزدى : العراضة ، ص٢١ .

(٣) الروندى : راحة الصدور ، ص١٤٨

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٨ .

(٥) الراوندى : نفسه ، ص١٤٨ ، اليزدى : العراضة ، ص٢٢ ، الخالدى : النظم ، ص١٥١ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٨ .

(٧) جبل بلخان : جبل إلى الشمال الشرقى من خراسان والساحل الشرقى لبحر الخزر ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٠٢ ، إقبال : إيران ، ص٢٢٩ .

خمسون ألف غيرهم ، وإذا لم يكف هذا العدد ، فأرسل إلينا هذا القوس ، وكان إسرائيل قد ناوله قوسه ، فسوف يأتيك إذا شئت مائتا ألف فارس"[١] .

وهكذا جرد السلطان محمود الغزنوى ، إسرائيل من أسلحته ، بعدما زادت مخاوفه من كثرة عدد جنده[٢] ، ثم هيأ له مجلسا فطعم فيه وشرب ، هو ومن معه ، حتى لعبت الخمر برؤوسهم[٣] ، فأمر السلطان الغزنوى بالقبض على إسرائيل وولده قلتمش ، وبقية فرسانهم ، ثم أرسلهم إلى بلاد ما وراء النهر ، وسجن إسرائيل فى قلعة كالنجر[٤] التى مكث بها مدة سبع سنوات ، وجرت محاولة لتهريبه ، إلا أنها فشلت ، وأعيد ثانية إلى القلعة ، وشددوا عليه قيوده وبقى فيها حتى أدركته الوفاة[٥] .

كان لغدر السلطان محمود بالسلاجقة واعتقاله إسرائيل ومن معه من القواد والفرسان أسوأ الأثر فى نفوسهم ، ولذلك ستبدأ ملحمة الثأر من الغزنويين[٦] ، وازداد السلاجقة حذرا وحيطة، وتولى قيادتهم "ميكائيل بن سلجوق" الذى نجح فى نقلهم إلى إقليم خراسان [٧] بعد أن أرسلوا إلى السلطان محمود الغزنوى رسالة جاء فيها "إن مقامنا أصبح يضيق بنا ،

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٩ .

(٢) Osborn : Islam Under the Khalifa of Bagheded, london, (1978), p. 313 - 318 .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص٢٤ - ٢٦ ، مادة سلجوق .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥١ ، اليزدى : العراضة ، ص٢٩ ، حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى (بغداد سنة ١٩٦٥م) ، ص٤٨ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٤٩ ، اليزدى : العراضة ، ص٢٩ ، البندارى : (الفتح بن على محمد) ، تاريخ دولة آل سلجوق (دار الآفاق ، بيروت ، سنة ١٩٨٠م) ص ٥ ، ماركار : دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص ٢٤-٢٦ ، مادة سلجوق ، ابن بى بى : سلجوق نامه ، ص ١٠ .

(٦) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص٤٨ ، الخالدى : النظم ، ص١٥٣ .

وقد تفرق أتباع أرسلان بن سلجوق فى العراق وبلاد غرب إيران وشمالها الغربى ، وعرفوا باسم الغز العراقيين وعجزوا عن تكوين دولة لهم عكس أخوانهم من أبناء ميكائيل بن سلجوق وهم السلاجقة الأصليون، إقبال : إيران ، ص٢٢٩ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص٥ ؛ ابن بى بى : سلجوق نامه ص ١٠ ، ١١ .

وأن مراعينا أصبحت لاتفى بحاجة مواشينا ، فأذن لنا أن نعبر النهر وأن نجعل مقامنا بين نسا ، وباورد[١] .

ولكن "أرسلان الجاذب" حاكم طوس[٢] ، حذر السلطان محمود من عبور السلاجقة قائلا له "ليس من الصواب أن تسمح لهم بالعبور إلى خراسان ، فإنهم كثيرون يملكون العدة والعتاد ، وأنى أخشى أن يكونوا سببا فى متاعب لايمكن تلافيها وتداركها"[٣] بل أشار عليه بأن يقطع إبهام كل رجل منهم ، ليأمن شرهم ، أو أن يغرقهم جميعا فى نهر جيحون ، فاستفظع السلطان محمود هذا العقاب ، وسمح لهم بعبور النهر[٤] .

وفى سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م ، عبر السلاجقة بقيادة ميكائيل بن سجلوق نهر جيحون إلى خراسان لتبدأ قصة أخرى فى تاريخ الأتراك السلاجقة ، حيث تمكن ميكائيل من ترسيخ أقدام قومه فى إقليم خراسان ووحد صفوفهم[٥] وتحين فرصة الأخذ بالثأر من الغزنويين ، والقضاء على نفوذهم فى خراسان ، وبلاد ماوراء النهر[٦] .

ولكن أهل بعض المدن فى خراسان ، فى نسا وباورد ، اشتكوا إلى السلطان محمود وطلبوا إليه إبعاد السلاجقة من جوارهم ، فأمر السلطان محمود ، واليه على طوس بإبعادهم ،

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٣ ، اليزدى : العراضه ، ص٢٩ ، كرديزى : أبو سعيد عبد الحى ابن الضحاك) ، زين الأخبار ، ترجمة ، عفاف زيدان ، (القاهرة ، ١٩٨٢م) ، ص٦٧ .

ونسا = مدينة بخراسان قرب سرخس ، بناها فيروز بن يزدجرد ، أحد الأكاسرة ، وكان يقال لها شهر فيروز، أى مدينة فيروز ويقال لها اليوم (درهكز) أى وادى المن ، القزوينى ، آثار البلاد ص٤٦٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٤٣٥ .

باورد : تلفظ أيضا أبيورد ، تقع شرق مدينة نسا فيما وراء الجبال ، وتعدد من أقاليم خراسان الشرقية ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٣٢١ ، ٣٣٣ ، ياقوت : جـ١ ص ١١١ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، الشرقية ، ص٤٣٦ .

(٢) طوس : من أعمال نيسابور ، بها قبر هارون الرشيد ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٤٥ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٣ ، اليزدى : العراضة ، ص٢٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٩٦ ، البندارى : تاريخ ، ص٥ ، اليزدى : العراضة ، ص٢٩ .

(٥) الكرديزى : زين الأخبار ، ص٧٠-٧١ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص٤٩ .

(٦) عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ، ص٢٦ .

فهجم عليهم ، ودافع السلاجقة دفاعا مجيدا ، ودارت معارك عنيفة ، انتصر السلاجقة فيها ، إلا أن حضور السلطان محمود بنفسه أحال النصر إلى هزيمة نكراء للسلاجقة[١] قرب رباط فراوة[٢] حيث قتل ميكائيل ، ومعه أربعة آلاف فارس من خيرة فرسان السلاجقة[٣] .

طغرلبك يتولى قيادة السلاجقة :

وفى رباط فراوة ، تجمع السلاجقة بعد هزيمتهم ، تحت قيادة ابنى ميكائيل بن سلجوق وهما جغرى بيك[٤] داود ، وطغرلبك أبو طالب محمد[٥] ، وتم اختيار طغرلبك ليكون هو القائد

---

(١) الكرديزى : زين الأخبار ، ص٧٠-٧١ ، البندارى : ال سلجوق ، ص٧ ، على أن ابن الأثير يذكر أن ميكائيل قتل فى أثناء قتاله مع الكفار ، وهو ينشر الاسلام بينهم ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٦٣ ، على أن مقتله على يد الغزنويين أرجح .

(٢) فراوة : مدينة صغيرة بين نسا ودهستان وخوارزم ، الأدريسى : (أبو عبد الله محمد بن محمد) ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، (القاهرة ، ١٩٦٠م) جـ٢ ، ص٦٩٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٤ ، ابن بى بى : يلجوق نامه ، ص١٠ ، ١١ .

(٤) جغرى بيك داود : لفظ تركى معناه اللامع أو المتألق ، وهو مشتق من مصدر (جقمق) ، أى يلمع ، ويخطئ المستشرقون حين يظنون أن لفظ (جغرى) هو لفظ (جعفر) محرف ، وهو من الأسماء التى وردت فى الكتاب المقدس ، ولفظ ولقب بك ، لقب تركى وهى (بى) فى لغة العثمانيين ، و(بى أربى) ، فى لغة القرغيز ، ويمكن أن نرد معانى هذا اللفظ المختلفة ، كما وردت فى المعاجم إلى ثلاثة أوجه أساسية وهى : الوجه الأول : بك لقب يلقب به أى نبيل للتفرقة بينه وبين العامة ، وكذلك بينه وبين أفراد البيت المالك ، وإن كان هؤلاء يلقبون به فى بعض الأحيان ، والوجه الثانى : أن لقب "بك" يطلق على شيخ قبيلة أو أمير جماعة ما للتفرقة بينه وبين الخاقان أو الخان ، وهو سيد بلاد كثيرة ، والوجه الثالث : أن هذا اللقب يطلق على كل ذى نفوذ ، بالمعنى الواسع لهذه الكلمة سواء أكان نفوذه مستمدا من حاكم أو طريق الانتخاب ، أو كان مغتصبا ، مثال ذلك قواد وحدات الجيش على اختلاف رتبهم ، وراجع : فامبرى : تاريخ بخارى ، حاشية رقم(١) ، ص١٢٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٧ ، ص٤٣ ، مجلد ١٥ ، ص٦٧ .

(٥) طغرلبك : اسم تركى مركب من طغرل / وبك ، وطغرل علم على طائر ويسمى الرجل به ، وبك معناه الأمير ، أى - الأمير الطائر - وهو مصغر (دوغراول) أى القصاب باللغة التركية ، وهو مشتق من فعل (دوغرامق) ، أى (يذبح) وقد أخطأ المستشرقون الأوربيون خطأ شنيعا حين ربطوا كلمة طغرل مع كلمة دوغرو، أى المستقيم أما عن نطق الاسم باللغة التركية صحيحا ، أو غير صحيح فكثير من الأسماء التى نطقتها الأقوام التركية على أنها صحيحة مازالت تكتب خطأ ، والحصول على أشكال صحيحة لأسماء تركية قديمة ، أو صعب جدا ، ولاشك أن نطق طغرل فى اللغة فى شكل (طوغرول - Tugurl) خطأ ، أما النطق الصحيح لهذا الاسم فهو الشكل (طوغول) Tog وكان هذا الاسم يكتب بهذا الشكل فى العهدين السلجوقى=

على الرغم من صغر سنه عن أخيه داود ، ولكنه كان يتمتع بحب قومه وجنده ، ولما يتحلى به من صفات الفروسية والشجاعة [١] ، فصمم على تحقيق أهداف السلاجقة التى ترمى إلى إنشاء دولة قوية تسع العالم الإسلامى كله لو استطاعت إلى ذلك سبيلا[٢] ويعتبر طغرلبك هو المؤسس الحقيقى لدولة الأتراك السلاجقة فى إيران والعراق[٣] .

وفى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م ، توفى السلطان محمود الغزنوى ، فانتهز الأخوان جغرى بيك وطغرلبك الفرصة ، فجمعا السلاجقة ، ووحدا صفوفهم ، وأعدا جيشا قويا ، وحاولا الثأر من الغزنويين ، وتوسيع رقعة أراضيهم ، كما عملا على بسط نفوذ السلاجقة على المناطق المجاورة ، حتى أصبح معظم إقليم خراسان خاضعا لنفوذهم[٤] لتبدأ ملحمة الصراع الغزنوى السلجوقى ، التى انتهت بالنصر الحاسم للسلطان طغرلبك ، وبنى جلدته من السلاجقة[٥] .

وقد بدأت هذه الملحمة فى خراسان ، فبمجرد أن بسط السلاجقة أقدامهم فى خراسان لم يكتف طغرلبك ، وأخوه داود ، بما حققاه من نصر ، بل أرسلا إلى حاكم مدينة نيسابور[٦] ،

= والعثمانى ، وكان دائما يبدأ بالهجاء Tug وليس الهجاء Tog وكانت أغلب الكتب ، ومنها رشيد الدين الهمدانى فى جامع التواريخ قد كتبه (طوغرل) ، وكان هذا الشكل (طوغرل) هو الأقدم والأكثر صوابا، وأصالة لهذا الاسم ، وكان بروكلمان فى كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) قد كتبه وقرأه بهذا الشكل ، وكذلك كتبه محمود الكشغرى فى ديوانه عن الترك ، والطوغرل طبقا لمحمود الكشغرى كان نوعا من طيور الصيد ، لمزيد من التفاصيل ، راجع : ش. سامى : قاموس العلماء ، المجلد الرابع (استانبول ، ١٣٠٦هـ) ص٣٠١٣ ، محمد فريد : دائرة معارف القرن العشرين المجلد الخامس ، (بيروت ١٩٧١م) ، ص٧٥ ، أحمد معوض : أضواء ، ص٧٢ ،

Mehmet Altay : Tugrulbeyve Zamant. (Istanbul 1976)p. 2-5 .

(١) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٣٠ ، اليزدى : العراضة ، ص٣٢ ، Mehmet Altay. p. 7 .

(٢) حسن محمود : المرجع السابق ، ص٥٤٩ .

(٣) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٥ ، ١٦ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ، ص١٦٧ ، فاضل الخالدى : المرجع السابق ص١٥٦ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص٩ ، ١٠ ، اليزدى : العراضة ، ص١٠-٣٢ .

(٦) نيسابور : مدينة عظيمة ، ذات فضائل جسيمة ، وأعظم مدن إيران وسميت إيران شهر ، فتحت فى عهد عثمان ابن عفان (رضى الله عنه) ، وقيل فى عهد عمر بن الخطاب على يد الأحنف بن قيس ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ص٣٣١ تعرف نيسابور فى الفارسية القديمة باسم : نيشابور ، وهى فى العربية =

سورى بن المعتز[١] ، يطلبان إليه أن يأذن للسلاجقة بالإقامة فى أطراف هذه المدينة ، فرض إجابة طلبهم ، وكتب إلى السلطان مسعود الغزنوى ٤٢٢-٤٣٢/ ١٠٣٠-١٠٤٠م[٢] يخوفه منهم ، ومما قاله له "إذا والعياذ بالله لم يسارع السلطان بالذهاب إلى خراسان فإنه يخشى أن تخرج من حوزتنا ، فإن للسلاجقة مددا خفيا" (٣) .

وجمع السلطان مسعود مجلس الشورى ، فيما هو فاعل مع السلاجقة ، خاصة بعد أن وصلته الأخبار بتطويق السلاجقة على كثير من نفوذه ، فمدوا سيطرتهم على مروو سرخس وبادغيس (٤) سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م ، ثم عملوا على بسط نفوذهم على خوارزم حينما تحالفوا مع أميرها (التونتاش) من قبل الغزنويين[٥] ، وكان قد انحاز إلى السلاجقة كما تواطأ معهم على تكين[٦]، مما هيأ لهم فرصة الانتصار على الغزنويين .

= نيسابور وهو مشتق من نيوشاه بور فى الفارسية القديمة ، ومعناه شئ أو عمل أو موضع سابور الطيب، وإنما سميت بذلك نسبة إلى الملك سابور الثانى الساسانى الذى جدد بناءها فى المائة الرابعة للميلاد ، وفى صدر العهد الإسلامى كان يقال لها أبر شهر أى مدينة الغيم بالفارسية ، وسميت إيران شهر أى مدينة إيران ، وهى عاصمة إقليم خراسان ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص٢٩٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص٣٠٨ ، ٣٠٩ ، لترنج ، بلدان الخلافة ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(١) البيهقى : (أبو الفضل محمد بن الحسين) ، تاريخ البيهقى أو صحائف مسعودى ، ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، وكان البيهقى يشغل وظيفة نائب ديوان الرسائل فى بلاط السلطان مسعود الغزنوى ، وكتب كتابا سماه (صحائف مسعودى) وكان شاهد عيان على كل حروب الغزنويين مع السلاجقة .

(٢) فؤاد جبر : جدولة العصور التاريخية للدولة الإسلامية ، (الرياض ، ١٩٨٦) ص٣٢ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص٥٠٣ .

(٤) مرو سرخس وبادغيس : سرخس ، مدينة قديمة من نواحى خراسان ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٥٨ .

بادغيس : بليدة من نواحى خراسان ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٤٥٤ ، ٤٥٥ ، مرو : أشهر مدن خراسان وهى مدينتان مرو الروز ، ومرو الشاهجان ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص١١٢ ، سرخس : مدينة قديمة من نواحى خراسان تقع بين نيسابور ومرو فى وسط الطريق بينهما ، وبين كل واحدة منها ست مراحل ، أى تقع على مسافة ١٨٠ كم من خراسان على وجه التقريب ويقال لها اليوم تجند ، أنظر : ياقوت ، جـ٢ ص٢٥٨ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ليدن ١٩٧٩) ص٣٢٣-٣٢٤ ، القزوينى : آثار البلاد ، جـ٢ ص٢٦١ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٤٣٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٧٦ .

(٦) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٠٤ .

تمخض اجتماع السلطان مسعود مع مستشاريه عن إرسال جيش لمحاربة السلاجقة ، وأعد السلطان جيشا كبيرا ، عهد بقيادته إلى عشرة من قواد ، وذهب هو إلى نيسابور[١] ، وعند "نسا" لم يكن السلاجقة متأهبين للقاء الغزنويين فهجموا عليهم فجأة ، وهزموهم هزيمة نكراء، وأسروا وغنموا منهم الكثير[٢] وانشغل الجيش الغزنوى بجمع الغنائم مما أتاح الفرصة لقواد الجيش السلجوقى لترتيب صفوفهم ، ودارت معركة رهيبة بين الجيشين عند "نسا" انتهت بهزيمة ساحقة للغزنويين[٣]، واستولى السلاجقة على ماقيمته عشرة ملايين من الدنانير ، ومن الملابس والأمتعة والدواب الكثير[٤] .

كانت هزيمة الغزنويين فى "نسا" أول هزيمة جدية تلحق بهم [٥] ، وتعتبر هذه الموقعة هى بداية الطريق لفتح وامتلاك خراسان كلها أمام السلاجقة[٦] .

وفى محاولة من السلاجقة لالتقاط الأنفاس ، وبعد شعورهم بالأمن والطمأنينة ، وأن النصر أصبح حليفهم ، استقر رأيهم على إيفاد رسول إلى السلطان مسعود الغزنوى يحمل رسالة منهم إليه ، يلتمسون فيها العفو عنهم ، وعقد صلح يقرهم على ما بيدهم من بلاد ، وقد جاء فى هذه الرسالة "وقد أخطانا فى اختيار" سورى بن المعتز ، للوساطة والشفاعة عند السلطان ، فإنه متهور ، ولايرعى المصلحة فى وجه الجيش المنصور ، لولا أنهم انقضوا على دورنا كما تنقض الذئاب على الحملان ، واعتدوا على نسائنا وأطفالنا ، مع أنا كنا حاصلين على الأمان ، فلم نجد بدا من أن ندافع عن أنفسنا والنفس عزيزة .. وليتأكد السلطان من عبوديتنا وإخلاصنا ، وبأنا لانبغى غير السلم[٧] .

---

(١) البيهقى : تاريخ ، ص ٦١٥ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٢٠ ، ٥٢١ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٢١ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٥ ، ١٥٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ٩ ، ص١٧٨ ، ١٧٩ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص٥٢٣ .

(٦) لمزيد من التفاصيل : راجع ، الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٨ ، سهيل زكار : المدخل ، ص٤٨ - ٥٥ .

(٧) البيهقى : تاريخ ، ص٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

ووافق السلطان مسعود عي الصلح مع السلاجقة[١] ، وجرت المفاوضات بين رسل السلاجقة والسلطان مسعود[٢] واستقر الرأى فى النهاية على إعطاء (بيغو وطغرلبك وداود) ولايات (نسا ، وفراوة ، ودهستان)[٣] ، ومنح كل منهم منشورا ولواء [٤] مقابل منع أعمال السلب والنهب[٥] وخوفهم من قوتهم ، وأرسل السلطان مسعود إليهم كتبا تضمنت الولايات التى وزعت عليهم ، فأصبحت "دهستان" من نصيب داود و"نسا" باسم طغرلبك ، وفراوة باسم "بيغو" ، وخوطبوا بلقب دهقان[٦] ، ثم خلع على كل واحد منهم خلع غزنوية[٧] .

واقترح السلطان مسعود أن يرتبط برباط المصاهرة السياسية مع السلاجقة ، فعرض أن يزوج أمراء السلاجقة الثلاثة ، من ثلاث أميرات غزنويات ، لكن السلاجقة رفضوا طلبه[٨] .

وكان لانتصار السلاجقة على جيش مسعود الغزنوى فى "نسا" ، واعترافه بنفوذهم بخراسان اعترافا رسميًا ، حسبما ورد فى اتفاقية الصلح بينه وبينهم ، أثر كبير فى توطيد نفوذهم بخراسان ، وتوسيع رقعة أراضيهم[٩] فقد ذكر الراوندى[١٠] "أن السلاجقة بعد عقد الصلح مع السلطان مسعود اشتد بأسهم ، وازدادت قوتهم ، ولاحت عليهم إمارات الملك ، وعلامات الحكم ، ومخايل السلطان" .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٧ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص٥٢٨ .

(٣) فراوة ، دهستان : دهستان ، مدينة مشهورة ، معناها بالفارسية موضع القرى ، وهى بين جرجان ، وخوارزم وآخر حدود طبرستان ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٤٣٩ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص٥٢٨ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٧ ، دائرة المعارف الإسلامية : مادة جغرى بيك .

(٦) دهقان : انظر ص .

(٧) تشمل الخلع الغزنوية قلنسوة ذات ركنين ولواء ، وحلية مطرزة ، وجوادا ، وسرجاً ، وكمرا من ذهب برسم التركمان (السلاجقة) وثلاثين ثوبا غير مخيطة ، البيهقى : تاريخ ص٥٨٢ .

(٨) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٣٢ .

(٩) الخالدى : النظم ، ص١٥٩ .

(١٠) راحة الصدور ، ص١٥٦ ، ١٥٧ .

وفى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، عاد السلطان مسعود الغزنوى من بلاد الهند إلى غزنة[١]، ولما علم بعلو شأن السلاجقة ، وازدياد نفوذهم ، وأحس بالخطر الذى بات يهدد دولته على أيديهم[٢] كتب إلى أمير خراسان سوباشى الذى أجاب السلطان مسعود بقوله "إن أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولاغيرى أن نقاومهم[٣] .

وبعد إلحاح من السلطان مسعود ، اضطر أمير خراسان (سوباشى) إلي الخروج لملاقاة السلاجقة وإجلائهم عن منازلهم[٤] ، خاصة بعد أن استولى داود على مدينة مرو سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م [٥] وانضم بقواته إلى قوات أخيه طغرلبك ، وفى آخر شعبان سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م التقى جيش (سوباشى) أمير خراسان بجيوش السلاجقة على باب مدينة سرخس[٦] ، ودارت بين الفريقين معركة كبيرة انتهت بانتصار ساحق للسلاجقة [٧] .

إعلان قيام دولة الأتراك السلاجقة فى نيسابور شوال سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م :

كانت معركة سرخس هى النقطة الفاصلة فى تاريخ السلاجقة ، حيث ملكوا بعدها خراسان، وكان هذا إيذانًا بقيام دولتهم ، حيث سار طغرلبك إلى نيسابور ودخلها ، بعد أن منح أهلها الأمان ، وجلس على عرش السلطان مسعود الغزنوى فى ذى القعدة من العام نفسه ، باسم السلطان طغرلبك ، وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه على منابر المدينة ، ولقب طغرلبك نفسه بلقب

---

(١) غزنة : ولاية واسعة فى طرف زابلستان ، والأفصح فى اسمها (غزنين) ، وهو الاسم المعترف به عند العلماء ، وتعرب فيقال (جزنة) ، وواليها ينسب الغزنوى ، وتقع غزنة حاليا إلى الجنوب الشرقى من مدينة كابول عاصمة أفغانستان الحالية على مسافة ١٢٠ كم تقريبا ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٨٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٥٧ ، اليزدى : العراضة ، ص٣٤ .

(٤) البيهقى : تاريخ ص ٦٠٠ ، ٦٠٤ .

(٥) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٤١ ، ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩، ص١٦٩ .

(٦) البيهقى : تاريخ ، ص٦٠٤ ، ٦٠٥ .

(٧) الروانديى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، البيهقى : تاريخ ، ص٦٠٠ - ٦٠٥ ، بارتولد : تاريخ الترك، ص٤٤٨ .

(سلطان) باسم (السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب محمد[١] ، واستقر بدار السلطنة ، ونادى بألا يتعرض أحد من السلاجقة بسوء ، أو أذى للناس[٢] كما أمر بأن تضرب النقود باسمه فى البلاد التى كانت تحت أيديهم[٣] .

وهكذا أصبح للسلاجقة كيان سياسى ، ورقعة كبيرة من الأرض ، وحاكم له الزعامة التى منحها إياه رعاياه[٤] حيث تعتبر سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م هى بدء قيام دولة السلاجقة من الناحية العملية[٥] ، أما من الناحية النظرية فقد كان السلطان السلجوقى فى هذا الوقت بحاجة إلى تفويض شرعى من الخليفة العباسى لحكم البلاد ليكسب حكمة صفة الشرعية أمام المسلمين على الرغم من كونها موافقة شكلية[٦] .

ولما بلغ السلطان مسعود خبر قيام الدولة السلجوقية على جزء غال من أرضه ، وتلقب طغرلبك بلقب السلطان الأعظم ، عزم على محاربة السلاجقة ، والقضاء على دولتهم الوليده[٧] ، فأعد جيشا قوامه خمسين ألف فارس وراجل وثلاثمائة فيل[٨] ، وقاده بنفسه، وأراد أن يخوض معركة انتحارية للخلاص من السلاجقة [٩] .

وفى الثامن من رمضان سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م ، خرج السلطان مسعود بجيشه الجرار ، متجها إلى مرو ، ومنها إلى نيسابور ، ولكن جيش الغزنويين كان كما وصفه البيهقى[١٠]

---

(١) الروانذى : راحة الصدور ، ص ١٥٨، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص١٦٦ ، الشامى : العلاقات ، ص٣١ .

(٢) فامبرى : تاريخ بخارى ص١٣٣ .

(٣) بارتولد : تاريخ الترك ، ص٤٤٨ ، ٤٤٩ ، إقبال : إيران ، ص٢٣٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص١٦٦ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٣٣ .
Holt : The Combriadge of Islam (London, 1961) p. 232 .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص٥٢ ، الخالدى : النظم ، ص١٦١ .

(٦) حسين أمين : نفسه ، ص٥٢ ، حسن محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى (دار الفكر العربى ، بدون) ص ٥٥١ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٢ .

(٨) البيهقى : تاريخ ، ص٦٤٧ ، بارتولد : تاريخ التركستان ، ٤٤٨ .

(٩) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص٥٢ ، بارتولد : نفسه ص٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(١٠) تاريخ البيهقى ، ص٦٤٧ .

"وركب السلطان مسعود ، وسار الجند وراءه متخاذلين كأنهم حقا يقدمون رجلا ، ويؤخرون أخرى ، وكان اليوم شديد القيظ ، والمؤن قليلة ، والعلف لاوجود له ، والدواب هزيلة والناس صيام" فى الوقت الذى استعد فيه السلاجقة كل الاستعداد ووقفوا فى الصحراء الواقعة بين سرخس ومرو ، فى مكان يعرف بداندنقان (١) حيث طمس السلاجقة آبار الصحراء (٢) .

ودارت معركة رهيبة بين السلاجقة والغزنويين ، انتصر فيها السلاجقة انتصارا حاسما (٣)، حيث أنها أنهت الصراع بين هاتين القوتين ، وكانت الضربة القاصمة للحكم الغزنوى فى الغرب (٤) .

وعلى الجانب السلجوقى كانت موقعة داندنقان هى بدء التاريخ الحقيقى للسلاجقة ، حيث أنهم لم يواجهوا قوة كبيرة فى خراسان ، مثل الدولة الغزنوية ، ولم يجرؤ الغزنويين على التصدى للسلاجقة أو محاولة استعادة ما فقدوه (٥) .

لقد كانت داندنقان من كبريات المعارك الفاصلة فى تاريخ السلاجقة ، فبعدها أقيمت سلطنة سلجوقية واسعة ، والتى كان لطغرلبك شرف تأسيسها (٦) والذى رأى أن تحقيق أهداف السلاجقة يقتضى جمع الكلمة وتوحيد الصف السلجوقى (٧) ، فاجتمع مع أخيه جغرى بيك وعمهما موسى بن سلجوق الذى كان يطلق عليه (بيغوكلان) ، ومع أبناء أعمامهم ، وكبار قوادهم ، وقواد جندهم وفرسانهم ، وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم (٨) .

---

(١) داند نقان : بلدة من نواحى مرو ، الشاهجان على بعد عشرة فراسخ منها فى الصحراء تقع بين سرخس ومرو أى على بعد ٦٠كم من مرو تقريبا ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ص٦١٠ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص٣٧٩ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٣ ، البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٧ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٨ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور : ص ١٦٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٦٧ ، حسين أمين : تاريخ ص٥٣ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص٥٣ ، ٥٤ ، بارتولد : التركستان ص ٤٤٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص١٦٣ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٤ ، ١٦٥ ، ومما قاله طغرلبك فى هذا الاجتماع "فإذا نشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم ، وتغلب علينا الأعداء ، وذهب الملك من أيدينا" .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ص١٦٥ ، عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ، ص٣١ ، ٣٢ .

وجددوا العهد على تعيين طغرلبك قائد أعلى لجيوشهم ، وسلطانا على دولتهم ، على الرغم من أن أخيه جغرى بيك كان يكبره سنا ، إلا أن طغرلبك كان يتميز بشجاعة نادرة مع تدين ملحوظ وذكاء حاد (١) ، وضربت باسمه السكة فى مدن خراسان ، وخطب باسمه فى نيسابور منذ سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م(٢) .

ولتوطيد النفوذ السلجوقى فى تلك البلاد ، رأى طغرلبك الاستعانة بأفراد البيت السلجوقى لحكم البلاد التى تحت أيديهم ، وضمان الوحدة بين أفراد الأسرة ، ولكى يتجنب فى المستقبل ما ينشأ من نزاع حول السلطة ، قسم هذه البلاد فيما بينهم ، وعين كل واحد منهم حاكما على الولاية التى صارت من نصيبه(٣) ، فاتخذ جغرى بيك وكان أكبر أخوته مدينة مرو دارا لملكه ، واختص بأكثر خراسان ، وتنصب موسى على ولاية بست وهراة وسجستان(٤) ، وما يجاور ذلك من النواحى التى يستطيع فتحها ، وتنصيب قاورد وهو أكبر أبناء جغرى بيك على ولاية الطبسين(٥) ونواحى كرمان ، ولإبراهيم ينال أخو طغرلبك من الأم ،

---

(١) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص٥٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٦٧ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٥ ، إقبال : إيران ص٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٤) بست وهراة وسجستان : بست : مدينة بين سجستان وغزنة وهراة من أعمال خراسان : أبو الفداء: تقويم البلدان ، ص ٣٤٥ .

هراة : مدينة تبعد عن نيسابور ، من أعمال خراسان ، فتحها الأحنف بن قيس ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٤٥٤ ، ٤٥٥ ، وتقع ضمن أفغانستان الآن ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٤٩ ،

سجستان أو زابلستان : إقليم عظيم وبلد جليل ، مدينتها العظمى ست متصلة ببلاد الهند ، أول من فتحها الربيع بن زياد فى خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ، ثم أتم المسلمون فتحها فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وهو إقليم يجاورة فارس وكرمان ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣٤٠ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص٢٠١ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٣٧٢ .

(٥) الطبسين وكرمان : الطبسين : مدينة من أعمال خراسان : اليعقوبى ، البلدان ، ص٢٩٥ .

كرمان : ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان ، وقصبتها السيرجان ، ومن مدنها القفص والبلوص كثيرة الزروع والمواشى والتمور ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣٨ .

قهستان وجرجان[١] ، ولأبى على الحسن بن موسى بن سلجوق بوشنج وبلاد الغور[٢] ، وهى ولاية متداخلة فى ولاية أبيه موسى ، وتم هذا سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م [٣] .

وأتخذ طغرلبك مدينة الرى دارا لملكه[٤] ، وسمح لكل واحد منهم أن يفتح ما يشاء من البلاد المجاورة ويضمها إلى ولايته ، على ألا يعتدى الواحد منهم على حقوق الآخر[٥] .

وهكذا استقر رأى السلاجقة ، وقويت شوكتهم ، وتوحدت كلمتهم ، وصفوفهم ، فبدأوا يتجهون إلى التوسع الخارجى ، وكتبوا بنصرهم إلى خانات التركستان ، وأبناء على تكين ، وغيرهم لإجبارهم على الاعتراف بهم [٦] .

ولم يبق أمام السلاجقة ، إلا أن يحصلوا على الاعتراف الشرعى بقيام دولتهم ، وهو اعتراف الخليفة العباسى ، لأن هذا الاعتراف وحده بحكم نظم هذا العصر هو الذى يكسب الدولة شرعيتها بحكم المناطق التى يسيطرون عليها[٧] .

وبدأ السلاجقة الاتصال بالخليفة العباسى ، لكسب عطفة والتعريف بحالهم ، والحصول على شرعية لدولتهم[٨] فكتبوا سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٢م إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسى

---

(١) فهستان وجرجان : جرجان : مدينة مشهورة قرب طبرستان تقع بينهما وبين خراسان بناها يزيد بن المهلب أبى صفرة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١١٩ ، القزوينى : أثار ، ص٣٤٨ ، لترنج : بلدان الخلافة ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

قهستان : مدينة مشهورة بخراسان ، افتحها الأحنف بن قيس ، القزوينى : آثار ص ٤٠٢ .

(٢) بلاد الغور أوغورستان : ولاية واسعة موحشة تغلب عليها الطبيعة الجبلية والمناخ البارد ، تقع بين هراة وغزنة ، الأصطرخى : (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد) المسالك والممالك (ط. القاهرة ، ص ١٩٦٠م) ، ص١٥٣ ، ١٥٤ ، لترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٥ .

(٤) إقبال : الوزارة فى العهد السلجوقى ، ترجمة أحمد حلمى (الكويت ، سنة ١٩٨٤) ص٣٢ ، ٣٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٨ ، ١٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٩٤ ، بارتولد : الترك ، ص ٤٤٨ .

(٧) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص٥٥ .

(٨) حسين أمين : نفسه ، ص ٥٥ .

٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣٠-١٠٧٤م) رسالة حملها رسولهم (المعتمد أبو اسحاق الفقاعى) (١) يقولون فيها :

"إننا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة ، وأحببناها من صميم قلوبنا ، ولقد اجتهدنا دائما فى غزو الكفار ، وإعلان الجهاد ، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة ، وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه إسرائيل بن سلجوق قبض عليه "يمين الدولة محمود بن سبكتكين" بغير جرم أو خيانة ، وأرسله إلى قلعة (كالنجر) فى بلاد الهند ، فبقى فى أسره سبع سنوات حتى مات واحتجز كذلك فى القلاع الأخرى كثيرا من أهلنا وأقاربنا ، فلما مات محمود ، وجلس فى مكانه ابنه مسعود الذى لم يقم على مصالح الرعية ، واشتغل باللهو والطرب ، فلا جرم إذا طلب بيننا وبينه معارك تناولنا فيها كر وفر وهزيمة وظفر ، حتى ابتسم لنا الحظ الحسن ، وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل ، وبفضل إقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة المطهرة ، وانكسر مسعود وأصبح ذليلا ، وانكفأ علمه وولى الأدبار ، تاركا لنا الدولة والإقبال ، وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر ، فنشرنا عدلنا وإنصافنا على العباد ، واستبعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ، ونحن نرجو أن نكون فى هذا الأمر قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين (٢) .

وفى الوقت الذى كانت فيه الدولة السلجوقية تنعم بهذا التقدم والتوسع الكبير ، والنشاط والحيوية ، كانت بغداد وقت وصول رسالة السلاجقة تعج بالاضطرابات ، وكان ملك البويهيين فى بغداد قد بدأ يتداعى ، ولم يكن للخليفة العباسى ، ولا للملك الرحيم البويهى آخر البويهيين ٤٤٠-٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٠م ، أية سلطة تذكر ، وكان الجند الأتراك فى ثورات متصلة ، والفرق المذهبية يضرب بعضها بعضا(٣) وكان الخليفة يحس بهذا التفكك والانحلال، يدرك ما للقوة الجديدة (السلجوقية) من أثر وخطر على مستقبل العالم الإسلامى (٤). فلما وصلت رسالة السلاجقة إلى دار الخلافه ، سر بها الخليفة ، وبادر بإرسال

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص٨ - ٩ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١ ، ص١٨٨ ، ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم (ط. الهند ، حيدر آباد الدكن ، سنة ١٣٥٨هـ) ، جـ٨ ، ص١٤ حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٧ .

(٤) حسين أمين : نفسه ، ص٥٧ .

رسول إلى السلاجقة هو (أبو الحسن الماوردى) [١] إلى مدينة الرى ، وطلب إليه أن يتقرب إلى طغرلبك ، حتى يحضر إلى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره[٢] ، وكان الماوردى يحمل معه إلى طغرلبك الخلع السلطانية التى منحها الخليفة له ، مع كتاب التفويض بحكم البلاد[٣] .

وقد مكث الماوردى ثلاث سنوات فى الرى ينتظر طغرلبك من حروبه[٤] ، فقد كان طغرلبك وقت قدوم الماوردى برسالة الخليفة منشغلا بفتح النواحى والولايات ، فقد سار على رأس جيش كبير نحو جرجان وطبرستان[٥] واستولى عليها ، وكان يتولى حكمها أنو شيروان الزيارى[٦] وقضى على الدولة الزيارية التى حكمت من (٣١٦-٤٣٣هـ/٩٢٨- ١٠٤١م)[٧].

---

(١) أبو الحسن الماوردى : هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصرى المعروف بالماوردى ، الفقيه الشافعى ، كان من وجوه الشافعية ومن كبارهم ، ولقب بقاضى القضاة عنه بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب ، وفوضى إليه القضاء فى بلدان كثيرة ، وله مؤلفات كثيرة منها ، أدب الدنيا والدين ، والأحكام السلطانية ، وسياسة الملك ، وتوفى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، ابن خلكان : (شمس الدين أبو العباس أحمد) ، وفيات الأعيان (تحقيق إحسان عباس (ط. دار النهضة العربية) بيروت سنة ١٩٤٨ ، ١٩٧٧) جـ٣ ص٢٨٣ . فتحى أبو سيف : الماوردى عصره وفكره السياسى ، (القاهرة ١٩٩٠م) ، ص ٤ - ٥ . وإن كان الراوندى والبندارى يذكران ، أن رسول الخليفة إلى السلاجقة هو "هبة الله بن محمد المأمون القاضى الهاشمى" لأنه كان يختص هبة الله بوده وإخلاصه ، الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٨ ، ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ، ص١٠ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص١٦٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٧ .

(٥) طبرستان أى مازندران : ناحية بين العراق وخراسان بقرب بحر الخزر ، ذات مدن كثيرة وقرى ، ومن مدنها جرجان ودهستان ، ومعنى طبرستان موطيع الأطبار (أى الفؤوس بالفارسية) فتحت على عهد عثمان بن عفان رضى اله عنه) ابن دسته : (أبو على أحمد بن محمد) ، الأعلاق النفسية ، (ليدن ١٨٩٢) ص١٣٩ ، الهمذانى : (أبو بكر بن الفقيه) ، محضر كتاب البلدان ، (ليدن ١٩٦٧) ، ص ٣٠١ ويتألف معظم طبرستان أو منطقة الجبال العالية اليوم مما يعرف بجبال ألبرز بفتح الهمزة وضم الباء وهو الاسم الحالى لسلسلة الجبال العظيمة الفاصلة بين هضبة بلاد والأراضى المنخفضة على ساحل بحر قزوين ، ومعناها (الجبل العالى) ، وطبر فى لغة أهل بلادها تعنى الجبل فطبرستان تعنى بلاد الجبل ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٢٣٢ ، لترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٠٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٧ .

(٧) فؤاد جبر : جدولة العصور ، ص ٧٩ .

وفى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م ، توجه طغرلبك إلى خوارزم [١] فأخضعها للسلاجقة[٢] فى الوقت الذى كان أخوه غير الشقيق إبراهيم ينال قد استولى على همذان[٣] وما جاورها[٤] ، التى التقى طغرلبك مع إبراهيم ينال ، وسارا معا إلى كرمان طمعا فى الاستيلاء عليها ، غير أن الملك البويهى أبا كاليجار ، كان قد سير عدة جيوش تمكنت من صد السلاجقة عنها[٥] ، وفى نفس العام واصل طغرلبك فتوحاته فى الغرب ، فسار إلى قزوين[٦] واحتلها ، وتمكن من بسط سيطرته على أبهر وزنجان[٧] .

وعلى الرغم من أن السلاجقة تمكنوا من إخضاع هذه الأقاليم بحد السيف ، إلا أن سلطانهم على بعض هذه الأقاليم لم يكن مستقرا تماماً بسبب تغير حكامها ، ففى سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م ، أمر طغرلبك أخاه إبراهيم ينال بالمسير إلى بلاد الجبل[٨] وهمذان التى خرجت عن

---

(١) خوارزم : إقليم يجاور خراسان ، وماوراء النهر ، ويجاور بلاد الترك من الشمال ، ناحية مشهورة قرب بلخ بها نهر جيحون ، افتتحها مسلم بن زياد ابن أبيه ، فى أيام يزيد بن معاوية ، وتعمل بها السمور والفراء وغيره أبو الفداء تقويم البلدان ، ص ٤٧٧ ، ابن الوردى : (السراج أبى حفص عمرو) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، (القاهرة سنة ١٣٩٦هـ) ، ص ١٢٥٠ ، ابن الأثير : الكامل و جـ٩ ، ص ٢١٢ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيه ص٣٥٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١١٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢١١ ، إقبال : إيران ، ص ٢٣١ .

(٣) همدان : أكبر مدن أصفهان ، فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٤هـ/٦٤٤م ، وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة وهى من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها وأرفهها ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ص٤١٢-٤١٧.

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢١١ ، إقبال : إيران ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢١٣ .

(٦) قزوين : مدينة مشهورة شمال غربى طهران وفتحت فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ياقوت: معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣٤٢ ، لترنج : بلدان الخلافة ، ص٢٥٣ .

(٧) أبهر وزنجان : مدينتان كثيرتا المياه يقترب ذكرهما معا ، وزنجان أكبر من أبهر ، بينها وبين الدنيور تسعون ميلا وتقع أبهر على الطريق غرب قزوين ، الإدريس : نزهة المشتاق ، ص ٦٧٨ ، لسترنج : بلاد الخلافة ص٢٠٧ ، وتقع الآن فى شمال غرب إيران .

(٨) بلاد الجبل : أرض واسعة ، وإقليم عظيم ، من مدنه همذان والسوس وششتر وسرخس الطالقان ، رقم وقاشان ، وأردبيل وجرجان : ابن الوردى : الخريدة ، ص ٣٠ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٢٤٩ .

طاعة السلطان السجلوقى [١] ، فسار إليها ينال وتمكن من دخولها ، وقضى على حكم أسرة علاء الدولة بن كاكويه المواليه للبويهيين[٢] ، ثم توجه إلى قرميسين[٣] فاستولى عليها ، كما استولى على حلوان [٤] ودخلت جيوشه مدينة خانقين[٥] ، فامتد بذلك النفوذ السلجوقى إلى الأقسام الغربية ، والوسطى ، والشرقية من إيران ، بل أن ينال اختار سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م أن يقوم بمهمة الغازى فأرسل جماعات وفيرة العدد إلى حدود بيزنطة[٦] ، حيث صبغ السلاجقة حربهم بصبغة الجهاد الدينى[٧] .

وعلى الرغم من انتصارات طغرلبك فى جبهات إيران الجنوبية ، والشمالية ، والوسطى ، لم ينس أن هناك جهة شرعية ، لابد من كسبها إلى جانبه دائما ، ففى رمضان سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م ، أرسل طغرلبك رسالة إلى الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، ردا على رسالته له ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢١٩ ، ٢٢٠ ، إقبال : إيران ، ص ٢٣٢ .

(٢) أبو الفداء : المختصر جـ٢ ص١٧٦ ، ودولة الأكراد الكاكويه : أسستها أسرة ديلية على أنقاض الحكم البويهى فى إقليم الجبل ، ومؤسسها علاء الدولة محمد بن كاكويه ، وكلمة كاكويه تعنى "الخال" بالفارسية وكان ذلك سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ، وهو أن خال والده مجد الدولة ابن فخر الدولة بويه ، ودخل فى حروب مع البويهيين ، ومع الغزنويين ، ومع الغز الأتراك وخلفه فى الحكم ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م ، واستطاع إبراهيم ينال أن يقرر الخطبة لأخية طغرلبك فيها سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص٢١١ ، ٢١٣ ، الحسينى : أخبار ، ص ١١ ، Camb : Mistory of Iran, Vol. 5, p. 44 ، عبد النعيم حسانين : قاموس الفارسية ، ص٥٢٨ ، عصام الفقى : الدول المستقلة ص٤٦ - ٥٧ .

(٣) قرميسين : بلد معروف قرب همذان ، والدينور ، وحلوان ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص ٣٣٠.

(٤) حلوان : بلدة فى آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد ، وقيل إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف من قضاعة ، حيث كان بعض الملوك قد أقطعة إياها ، وهى تقع بين همذان وبغداد ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٢٩٠ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥٧ .-

(٥) خانقين : بلدة من نواحى السواد فى طريق همذان من بغداد ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ص٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨٢ .

(٧) ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء) ، البداية ، والنهاية جـ١٢ ، (ط. القاهرة ١٩٤٨) ص ٥٨ .

والمليشة بالخلع والألقاب ، وأرسل إليه عشرة آلاف دينار للحاشية ، وألفي دينار لرئيس الرؤساء[١] .

ولما فرغ طغرلبك من فتح الأجزاء الجنوبية من ايران ، اتجه نحو أذربيجان[٢] وآران سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م ، وأتم فتحها[٣] ثم قصد تبريز[٤] وجنزه[٥] حيث قدم أميراهما الولاء للسلطان السلجوقي[٦] .

وبذلك استقر الوضع لطغرلبك في إيران ، وبعض أجزاء من العراق ، وما وراء النهر ، ففي سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م ، تلقى ولاء الحكام فيما وراء النهر[٧] ، ثم قصد أرمينية[٨] وحاصر ملاذكرد[٩] التي كانت خاضعة للنفوذ البيزنطي ولما عجز عن فتحها عاد

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٧ .

(٢) أذربيجان آران : أذربيجان بالفتح ثم السكون ، وفتح الراء وكسر الباء إقليم واسع يقع في حدود الإقليم الخامس ، النسبة إليه أذري ، ومن أشهر مدنها تبريز وهي قصبتها وأكبر مدنها . ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص١٢٨ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٩٣ ، ومابعدها ، ومعناها القصد والاستطراد .

آران : اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة منها جنزة وبرذعة بينها وبين أذربيجان ، نهر يقال نهر "الدس" ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص١٣٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢١٩ .

(٤) تبريز : أشهر بلدة أذربيجان ، والعامة تسميها تورِيز ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٥) جنزه : مدينة بين خوزستان وأصبهان ، ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٤٨٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢١٩ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص١٦٧ ، ابن الوردي : (سراج الدين أبي حفص عمر) المعروف بتاريخ بن الوردي أو تتمة المختصر في تاريخ البشر (دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٨م) ص٣٥١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٢٢٤ ، أحمد معوض : أضواء ، ص ٦٢ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ص ٤٤٠ ، كانت أرمينية مملكة عاصمتها آني ، انظر : عبد الرحمن العبد الغني : موقف البيزنطيين ص ٣٣ هامش (٨١) .

(٩) ملاذكرد : تقع إلى الشمال من بحيرة فان Van (أوان في تركيا الحالية) قرب خلاط وأرزن الروم ، واختلفت المصادر الإسلامية في تسميتها فسبط بن الجوزي : مرآة الزمان جـ٢ ورقتي ٣٣٦ ، ٣٦٧ كتبها (منازخرد) ومعه ياقوت جـ٥ ص٢٠٢ وكتبها ابن الأثير (ملاذكرد) الكامل جـ١٠ ، ص ١٣ ، وذكرها القلقشندي (ماذكرد) صبح الأعشى جـ٤ ، ص٤٧٦ ، لمزيد من التفاصيل راجع : فايز اسكندر البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد) ص٦٢ ، ٦٣ .

إلى الري[١] . وبعدها بدأ طغرلبك يستعد للخطوة الفاصلة فى تاريخ دولته ، وهى دخول السلاجقة بغداد والعراق .

ولكن فى سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩-١٠٥٠م ، وقع أول انشقاق فى الأسرة السلجوقية ، حينما أعلن إبراهيم ينال ، تمرده على طغرلبك ، وخرج عن طاعته ، ولاندرى ما أسباب خروج إبراهيم ينال على أخيه[٢] ، وأرسل طغرلبك إلى أخيه يطلب إليه تسليم القلاع التى بيده ، فامتنع ينال عن ذلك ، فاضطر طغرلبك إلى الخروج لقتاله ، ودارت بين الأخوين معارك شديدة انتهت باستسلام إبراهيم ينال ، لأخيه السلطان ، الذى عفا عنه[٣] . وفى نفس العام كتب طغرلبك إلى (نصر الدولة بن مروان) حاكم ديار بكر[٤] أن يخطب له فى بلاده ، فأجابه إلى طلبه[٥].

وفى سنة ٤٤٢هـ/١٠٥١م حاصر طغرلبك أصفهان ، وكان يحكمها وقتذاك أحد أمراء آل كاكويه (الأمير منصور بن علاء الدولة من كاكويه) ، وكان غير ثابت فى موالاته للسلاجقة فتارة يخطب للملك الرحيم البويهى ، وتارة لطغرلبك السلجوقى[٦] . ولكن بعد حصار دام عاما كاملا ، تمكن طغرلبك من ضم أصفهان إلى حوزته فى المحرم سنة ٤٤٣هـ/١٠٥٢م ، واتخذها مقرا لحكمه بدلا من الري[٧] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٠٧ ، أحمد معوض : أضواء ، ص ٦٢ .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول تمرد إبراهيم ينال - الأول - على أخيه السلطان طغرلبك ، راجع : ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص ٥٨ خواندمير : حبيب السير ، جـ٢ ص ٦٠٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٣١ ، خواندمير : حبيب السير ، جـ٢ ص ٤ .

(٤) ديار بكر : بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بالقرب من دجلة ، وكيفا ، وميا فارقين ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ، ص ٤٩٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٣١ ، أحمد معوض : أضواء ص ٦١ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٣٢ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٣٤ ، السيوطى : (عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين) تاريخ الخلفاء (القاهرة دار الفكر العربى سنه ١٩٦٨م) ص ١٦٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ص ٤٤٠ .

وفى جمادى الأولى سنة ٤٤٢هـ/١٠٥١م ، وبينما كان طغرلبك مشغولا بفتح أصفهان ، قاد ابن أخيه ألب أرسلان ، حملات بنفسه على مناطق آخرى ، حيث وصل إلى مدينة فسا[١] فاستولى عليها وبعدها عاد إلى خراسان[٢] .

دخول السلاجقة العراق ٤٤٧هـ/١٠٥٥م :

تعتبر سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م هى السنة الفاصلة فى تاريخ السلاجقة ، ففى هذا العام دخل طغرلبك العراق ، عن طريق حلوان[٣] فى وقت كانت الخلافة العباسية ، وخليفتها القائم بأمر الله العباسى ، فى حال يرثى لها من الضعف والوهن ، فقد كانت أهواء البويهيين الشيعة تتلاعب بعاصمة الخلافة ، ولذا أعد طغرلبك عدته من أجل القضاء عليهم[٤] .

لقد كانت الخلافة العباسية جسدا لاروح فيه[٥] يعكر صفوها ثورات جند الأتراك التى عمت بغداد[٦] ووقوع الخلاف بين أصحاب المذاهب المختلفة واستغلال العيارون[٧]

---

(١) فسا : بالفتح ويقال لها بسا بالباء ، وهى مدينة بفارس ، والمنسوب إليها يقال له بساسيرى ولم يقولوا فسائى ، وقولهم بساسيرى مثل قولهم كرم سير ، وسرد سير ، وخرج منها البساسيرى الذى خرج على القائم بأمر الله العباسى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٩٥ ، إقبال : إيران ، ص٢٣٥ .

(٣) هو الطريق الذى يطرقه التجار من العراق إلى بلاد فارس وبالعكس منذ أقدم العصور حتى الآن وهو أقرب إلى الطرق لغزو قلب العراق ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص٥٨ ، ولمزيد من التفاصيل راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٥٤-٢٥٥ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٩ ، ابو الفداء : المختصر ، جـ١ ضص١٧٣ .

(٤) حسين أمين : المرجع السابق ، ص٥٨ ، محمود عرفه محمود : الأحوال السياسية والدينية فى بلاد العراق والمشرق الإسلامى فى عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسى (حوليات آداب الكويت ، رقم ١٠ ، ١٩٨٩.٨٨) ص٤٨ وما بعدها .

(٥) حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٣٨ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص١٦٣ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص٢١٤ ، محمد عبد العظيم : طغرلبك ، ص٢٤٥-٢٥٥ .

(٧) العيارون : لفظة العيار لغة : تعنى الكثير المجئ والذهاب فى الأرض ، وقيل هو الذكى الكثير التطواف يقال غلام عيار نشيط فى المعاصى ، وغلام عيار نشيط فى طاعة الله عز وجل حيث أن العرب تمدح بالعيار ، وتذم به ، وظهرت حركة العيارين بكثرة فى العصر العباسى الثانى فى أثناء العصر البويهى =

الفرصة فتسلطوا وثاروا[1] وتصارعت القوى السياسية على السلطة فى بغداد ، وانقسمت هذه السلطة إلى قوتين رئيسيتين :

الأولى : عسكرية يمثلها أبو الحارث أرسلان البساسيرى[2] .

= نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة ، ويصفهم بعض المؤرخين بأنهم لصوص ، وأن حركتهم لم تقم إلا لإكثار الفوضى والفساد ، ولكن نجد فى بعض أعمالهم صفات الإنسانية والرجولة ، ولهم صلة بحركة الفتوة فسموا طريقتهم بالفتوة ، ولقبوا باللصوص الشرفاء ، وربما حلف أحدهم بحق الفتوة لا يأكل ولايشرب، وركز العيارون هجماتهم على بيوت الأغنياء ، وكبار التجار ، وأصحاب الشرطة وكانت لهم نظمهم الخاصة ، ومن درجاتهم المتقدم ، والقائد والرئيسى وظلت هذه الحركة تحمل مبادئ سامية ، حتى انهار الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، مما جعل الكثير من العاطلين ينتظمون فى صفوفها ومن أشهرهم العيار (البرجمى) الذى استبد ببغداد سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م ، وسكنوا الكرخ ، ولم يتذهبوا بأى مذهب فقد كان منهم شيعة وسنة وعلويون . لمزيد من التفاصيل راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ٧ ، ٨ . ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدين) ، لسان العرب (ط. بولاق القاهرة سنة ١٣٠٠هـ) ، جـ٥ ، ص ٣٠١ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٤٧ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص٣١ ، ٣٢ محمد أحمد عبد المولى : العيارون والشطار البغدادة فى التاريخ العباسى، (مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، سنة ١٩٨٧م) ص ١٥ - ٣٠.

(١) اليافعى : (الإمام أبو محمد عبد الله) مرآة الجنان وعبرة اليقظان (حيدر آباد الدكن ط ١٩٣٨م) جـ٢ ص ٢١ .

(٢) البساسيرى : هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرى التركى ، وقيل أبو منصور البساسيرى مقدم الأتراك ببغداد ، والبساسيرى بفتح الباء والسين المهملة ، نسبة إلى بلدة بفارس اسمها (بسا) والعرب تسميها (فسا) ، والنسبة إليها بالعربية "فسو" ويقال لها بالفارسية (بساسيرى) ، وكان مولاه رجلا من أهل "بسا" فنسب الغلام إليه ، فاشتهر بالبساسيرى ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص١٩٢ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ٢ ، ص١٧٩ . كان البساسيرى فى بداية حياته مولى لأبى على الحسن بن أحمد الفارسى ، ثم تقلبت به الأحوال حتى ملكه الأمير البويهى بهاء الدولة فيروز (٣٨٨-٤٠٣هـ/٩٩٨-١٠١٢م) حيث بدأ حياته العسكرية كعبد ترك فى خدمته ، وتدرجت به المناصب حتى أصبح من كبار قواد الجند الأصفهلارية الذين يمثلون كبار قواد الجند بمدينة بغداد ، فعظم شأنه واستفحل أمره وقويت شوكته وانتشر ذكره ، وتهيبه أمراء العرب والعجم فجبى الأموال وخرب الضياع ، الخطيب البغدادى : (الحافظ أبو بكر أحمد) ، تاريخ بغداد ، ١٤ جزء (القاهرة سنة ١٩٣١م) ، جـ٩ ، ص ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ابن الجوزى المنتظم ، جـ٨ ، ص١٦٣ ، ابن خلدون العبر ، جـ٤ ، ص٤٩٣ .

والثانية : مدنية يمثلها رئيس الرؤساء ابن المسلمة[١] ، وزير الخليفة القادم بأمر الله ، وكان البساسيرى شيعيا وكان ابن المسلمة سينا حنبليًا ، وهكذا تصادم الاثنان فى المذهب[٢].

ونظرا لضعف السلطة فى بغداد ، وظهور التفكك والانحلال بسبب تنافس أمراء بنى بويه على السلطة ، وتدخل الجند الأتراك فى توليتهم وعزلهم ، فقد علا شأن هؤلاء الأتراك وقوادهم ، ففى سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م ، استطاع البساسيرى قائد جيش الأتراك ، أن يساعد الأمير البويهى (جلال الدولة أبا طاهر ٤١٦-٤٣٥هـ/١٠٢٥-١٠٤٣م) على توطيد سلطته فى الأنبار[٣] ، وغيرها من البلاد ، وذلك حينما حارب البساسيرى (قرواش بن المقلد) أمير الأنبار بسبب خروجه عن طاعة البويهيين[٤] .

وفى سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م عاون البساسيرى ، الملك الرحيم البويهى فى الاستيلاء على البصرة عندما تغلب على الأمير "على بن أبى كاليجار البويهى" ، وضم البصرة إلى أملاك الملك الرحيم[٥]. وفى سنة ٤٦٦هـ/١٠٥٤م ، نكل البساسيرى بجماعات من الأعراب ، والأكراد عاثوا فى العراق فسادا[٦] .

وهكذا ازداد نفوذ القائد التركى أبى الحارث البساسيرى فى بغداد ، وأصبح يتمتع بمكانة رفيعة لدى الخليفة ، فكافأه بتعيينه مقدما للأتراك فى بغداد ، فما لبث أن استبد بالسلطة فى حاضرة الخلافة ، وأصبح الخليفة العباسى (لايقطع أمرا دونه ، ولايحل ولايعقد إلا عن رأيه)[٧] .

---

(١) ابن المسلمة : هو على بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر أبو القاسم بن المسلمة كان أحد الشهود المعتدلين ثم استكتبه الخليفة القائم بأمر الله واستوزره ، ولقبه رئيس الرؤساء ، وشرف الوزراء وجمال الورى وكان ذا علم وافر نكب به وقتل فى فتنة البساسيرى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، ونصبت جثته على نهر دجلة ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، نظام الملك : (الحسن بن اسحاق الطوسى) ، سياسة نامة ، ترجمة السيد العزاوى ، (القاهرة ، ١٩٧٥م) ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٢) سهيل ركار : المدخل ، ص٩٧ .

(٣) الأنبار : مدينة على الفرات على بعد عشرة فراسخ من بغداد فى الجهة الغربية ، ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ٢٥٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٤ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص٤٩٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٧ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ص ٤٠١ .

وفى الوقت الذى كانت مكانة البساسيرى تعلو وترتفع عند الخليفة العباسى ، ولدى أمراء بنى بويه ، قام الخليفة بتعيين رئيس الوزراء أبى القاسم (ابن المسلمة) كاتبا له ، ثم استوزره[١] ، وبدا صراع قوى فى بغداد بين رئيس الرؤساء والبساسيرى الشيعى ، وفتش كل منهما عن حليف ، فتحالف ابن المسلمة مع قريش بن بدران[٢] ، صاحب الموصل ، وحائط الصد للقضاء على الأطماع الفاطمية فى العراق ، وتحالف البساسيرى مع "بنى أسد" وزعيمهم (دبيس بن مزيد) وأخذ كل منهما يعد العدة للانتقام من الآخر[٣] .

وزاد الصراع بين البساسيرى ، ورئيس الرؤساء ، حينما اتهم كل منهما الآخر بالاتصال بدولة خارجية ، حيث اتهم البساسيرى ابن المسلمة ، بالاتصال بالأتراك الغز ، والعمل على جلب طغرلبك إلى بغداد ، واتهم ابن المسلمة البساسيرى ، بالاتصال بالقاهرة سرا ، والتمهيد للإطاحة بالخلافة العباسية ، وإعلان الخلافة الفاطمية الشيعية[٤] .

وأيقن الخليفة العباسى عن نية البساسيرى وهى التقرب إلى الفاطميين ، ولذا ساءت العلاقة بينهما ، خاصة بعدما أسقط مشاهرات الخليفة ورئيس الرؤساء من دار الضرب ، مما ترتب عليه توتر علاقات البساسيرى ، مع كل من الخليفة ووزيره[٥] .

ولذلك أرسل الخليفة العباسى إلى الملك الرحيم البويهى ، يقول له (إن البساسيرى خلع الطاعة ، وكاتب الأعداء (يعنى الفاطميين) وأن الخليفة له على الملك عهود ، وله على الخليفة

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٢ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٤ .

(٢) قريش بن بدران : هو الأمير علم الدين أبو المعالى قريش بن بدران العقيلى ، صاحب الموصل ، أمر عليها بعد وفاة زعيم الدولة بركة بن المقلد ، ولما علم بقرب وصول طغرلبك إلى بغداد أسرع بالخطبة له فى الأنبار ونهب ما كان للبساسيرى فيها ، ولما دخل طغرلبك ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ثار الناس وقبض على الملك الرحيم واعتدوا على مخيم قريش بن بدران ، ولكن طغرلبك أرسل إليه يعتذر ويخلع عليه الخلع وأمره بالعودة إلى حلله وأصحابه ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص ٣٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٠٨ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٩٩ ، محمد عبد العظيم : طغرلبك ص ٢٤٨ - ٢٥١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٢ ، إدريس : تاريخ العراق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

مثلها ، فإن أثره فقد قطع ما بينها ، وإن أبعده ، وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدبير أمـــره[١] . فقال الملك ومن معه (نحن لأوامر الديوان متبعون ، وعنه منفصلون) أي عن البساسيرى[٢] .

ومن الصعاب التى أرقت الخلافة العباسية ، ازدياد النفوذ الفاطمى فى بلاد العراق ، على يد هبة الله الشيرازى[٣] ، الذى قام بدور مهم فى نشر الدعوة الفاطمية للخليفة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م ، فى بلاد العراق ، وفارس ، واستطاع جذب الملك الرحيم البويهى إلى دعوته[٤] .

وإزاء هذه الأخطار التى هددت الخلافة العباسية داخليا وخارجيا ، فكر الخليفة العباسى القائم بأمر الله فى استدعاء الأتراك السلاجقة لحمايته ، وضبط الأمور فى العراق وحماية المذهب السنى ، مذهب الخلافة العباسية والسلاجقة[٥] . وكان السلطان طغرلبك ذكيا لماحا ، فلم تكن تلك الأخطار التى كانت تعانى منها الخلافة العباسية خافية عليه[٦] فانتهز الفرصة لمواصلة جهود السلاجقة لبسط نفوذهم على العراق .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢١١ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٣ ، وهكذا جرد الخليفة ، الملك البويهى من قائد جيشه .

(٣) الشيرازى : هو هبة الله بن أبى عمران موسى بن داود الشيرازى السليمانى ، ولد فى شيراز سنة ٣٩٠هـ/ ٩٤١م من أبوين إسماعيليين ، وكان والده من دعاة الخلفاء الفاطميين ، وبعد وفاة والدة عهد إليه برتبة (داعى إقليم) فكانت باكورة أعماله اتصاله بالملك أبى كاليجار البويهى الذى أعجب به ، وحضر مجالسه ، واعتنق مذهبه ، واستعان به البساسيرى فى حركته الانفصالية ضد الخلافة العباسية ، وله العديد من المؤلفات منها ، مذكرات داعى الدعاة والمجالس المؤيدية ، والمجالس المستنصرية ، وكان حجة فى الإقناع ، قد حاجج أبو العلاء المعرى الذى قال فيه "والله لو ناظر أرسطاليس لتغلب عليه" ، راجع : المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى ، سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، ترجمة حياته بقلمه ، تحقيق محمد كامل حسين ، (دار الكتاب المصرى ، القاهرة ١٩٤٩) ، ص ٩ ، ١٠ مصطفى غالب : تاريخ الدولة الإسماعيلية (بيروت ١٩٦٥) ، ص ٢٣٦ ، مذكرات داعى الدعاة المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى ، حققه وقدم له د/ عارف تامر (لبنان ١٩٨٣) ص ٢٠٥ .

(٤) الشيرازى : السيرة المؤيدية ص ٤٩ .

(٥) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ص ٣٩٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ٥٧ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٤ - ٢٦ .

ففى المحرم سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م أظهر السلطان طغرلبك أنه يريد التوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وإصلاح طريق مكة ، والسير إلى الشام ، ومنها إلى مصر لإزالة المستنصر العلوى صاحبها[١] . ومن يدرى فمن الجائز أن يكون الرسول الذى أوفده الخليفة إلى طغرلبك من قبل ، كان يحمل معه من معانى الترحيب لو دخل طغرلبك بغداد ، أو أن الرسول الموفد طلب رسميا نيابة عن الخليفة التوجه نحو بغداد ، إنقاذ العراق من حالته البائسة[٢] .

وفى أواخر شهر رمضان سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، دخل طغرلبك بغداد عن طريق حلوان ، بحجة القضاء على الخلافة الفاطمية ، ومساندة الخليفة العباسى على عدوه البساسيرى ، والفواطم الشيعة ، وكان قصد السلطان السجلوقى بهذا الادعاء ، عدم إثارة شكوك الملك الرحيم البويهى ، حتى لايستعد لحربه[٣] .

وعندما علم الخليفة العباسى بدخول طغرلبك بغداد ، أمر أن يذكر اسمه فى الخطبة ، وأن يكون لقبه (السلطان ركن الدولة أبو طالب محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين) على أن يذكره بعده اسم الملك الرحيم البويهى[٤] ، وهكذا رضيت الدولة البويهية أن تكون تابعة للسلاجقة آملة بذلك أن يتاح لها نوع من البقاء[٥] .

---

(١) الحسينى : أخبار ، ص ١٨ ، ١٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ٢١٠ ، الروانذى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ .

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٨ ، ومهد طغرلبك لنفسه بهذه الطريقة دخول بغداد ، راجع : محمود عرفه ، المرجع السابق ، ص ٤٨ ، هامش ١٨٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ٢ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ابن ميسر : (محمد بن على بن يوسف) تاريخ مصر ، (القاهرة سنة ١٩١٩م) ص ٣٧ ، عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٣٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢١٢ ، الروانذى : راحة الصدور ، ص ١٧١ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ٥٧ البندارى : آل سلجوق ، ص ١٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، ص ٤٥٩ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ١ ص ٢٣٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ١ ص ٣٥٥ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ص ٥٩ .

وأرسل السلطان طغرلبك رسالة إلى الخليفة العباسى ، عن طريق رئيس الرؤساء ابن المسلمة يدين فيها بالطاعة للخليفة ، ويستأذنه فى دخول بغداد[١] ورحب الخليفة العباسى بطغرلبك ، ويتجلى ذلك فى الاستقبال الرائع الذى حظى به السلطان السلجوقى فى حاضرة الخلافة ، فعندما وصل طغرلبك إلى النهروان ، أرسل إلى الخليفة يستأذنه ، فأذن له بالدخول إلي بغداد ، وخرج الوزير رئيس الرؤساء إلى لقائه فى موكب عظيم من القضاة والنقباء ، والأشراف ، والشهود وأعيان الدولة ، وصحبة أعيان الأمراء من عسكر الملك الرحيم ، فلما علم طغرلبك بمسيرهم لاستقباله ، أرسل إلى طريقهم وزيره أبا نصر الكندرى[٢] فلما وفد رئيس الرؤساء على السلطان أبلغه رسالة الخليفة ، واستحلفه للخليفة ، والملك الرحيم وأمراء الأجناد ، وسار طغرلبك قاصدا بغداد فوصلها يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م[٣] .

وبدخول طغرلبك بغداد ، فقد تحقق للسلاجقة ما كانوا يطمحون إليه ، فقد جاوروا الخلافة العباسية ، رمزهم الدينى فى عقر دارها ، بل جعلوا من الدولة البويهية دولة تابعة لهم ، ودخل طغرلبك بغداد دخول الفاتحين .

وعندما علم البساسيرى بدخول السلاجقة بغداد ، فر إلى حليفه (دبيس بن مزيد) فى الحلة[٤] ثم غادروها إلى الرحبة[٥] ، وبعث إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمى يطلب إليه السماح له بدخول مصر ، ولكنه لم يجبه إلى طلبه[٦] .

أما عن مصير الملك الرحيم البريهى ، فمع أن الملك الرحيم قبل أن يكون تابعا للسلطان السلجوقى وعلى الرغم من العهود التى أعطاها طغرلبك بعدم التعرض له ، ومسانده الخليفة

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٣ .

(٢) انظر ترجمته ص   من الرسالة .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٤) الحلة : مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، وكانت تسمى الجامعين ، سكنها "بنو مزيد" وكان أشهرهم دبيس بن مزيد ، الذى كان من حماه الشيعة من العرب ، وكان أكبر الأمراء العرب فى عصره ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص ٢٦٣-٢٦٥ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٥) الرحبة : مدينة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٣٣ .

(٦) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ١١ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ص ٢٣٢ .

له لكن طغرلبك على مايبدو وأراد أن يستأصل شأفة البويهيين ، ولا يدع منافسا له فى الخطبة ، أو الألقاب[١] ، فقبض على الملك الرحيم البويهى ، وعلى كبار أمراء الجند وأرسله مقيداً إلى قلعة طبرك بالرى ، وظل هناك حتى توفى سنة ٤٥٠هـ ١٠٥٨م[٢] ، وبموته يسدل الستار على الدولة البويهية ، لتحل محلها دولة تركية جديدة تتحكم فى مصائر الخلافة العباسية .

وقد غضب الخليفة العباسى ، من تصرف السلطان طغرلبك مع الملك البويهى[٣] ، وعلى الرغم من ترحيب السلطة الرسمية - الخليفة ومعاونيه - بالسلاجقة ، إلا أن العامة فى بغداد قد تذمرت ، نتيجة لبعض الحوادث التى أثارها الجند السلجوقى ، وهى نتيجة طبيعية لمثل تلك الحالة التى تدخل فيها جيوش أجنبية أى بلد كان[٤] .

وبهذه الطريقة يكون السلطان طغرلبك قد رسم طريقة معاملته مع خليفة بغداد ، التى لم تختلف كثيرا عن سابقيه من البويهيين ، بل زاد طغرلبك وصادر جميع إقطاعات عسكر الملك الرحيم البويهى ، وأموال الأتراك البغدادة[٥] بل طلب الخليفة ، وهو فى غمرة أحزانة بوفاة ولده محمد بن القائم بالله بأمواله ، فغضب الخليفة[٦] .

ويبدو أن العلاقات بين طغرلبك ، والخليفة القائم بأمر الله لم تتحسن كثيرا ، على الرغم من زواج الخليفة العباسى سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، من أرسلان خاتون خديجة إبنة داود ، أخى السلطان طغرلبك[٧] ، فقد بقى السلطان السلجوقى أكثر من ثلاثة عشر شهرا دون أن يلقى الخليفة العباسى[٨] .

---

(١) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦٠ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ٩ ص ٢١٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ٢ ص ١٧٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٩ ، ص ٢٥٥ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦١ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ابن خلدون : العبر جـ٣ ص ٤٦٠ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ١٧ ، ١٨ ، أبو الفداء : المختصره جـ٢ ص ١٧٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ص ١٦٧ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٦١ .

فتنة البساسيرى :

وفى غمرة هذه الانتصارات التى حققها طغرلبك ، ونجاحه فى توطيد عرى المصاهرة مع البيت العباسى أخذت الأنباء تترى عن حركات حربية واسعة ، يقوم بها القائد التركى (أبو الحارث أرسلان البساسيرى) [١] حيث دخل البساسيرى الموصل وخطب فيها للمستنصر بالله الفاطمى [٢] ، بعد انتصاره فى موقعة سنجار[٣] ، سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، على قريش بن بدران ، وقتلمش بن إسرائيل ابن عم طغرلبك[٤] .

وطلب الخليفة العباسى إلى السلطان طغرلبك - الخروج لمحاربة البساسيرى ، وإعادة ملكه، ونفوذ الخلافة العباسية على الموصل ، فسار طغرلبك إليها ، ودخلها ، وأعاد الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى[٥] ، وسر الخليفة كثيرا عندما علم بإعادة الخطبة له بالموصل، وتأهب للاحتفاء بقدوم السلطان السلجوقى بعد انتصاره[٦] ، ولما وردت الأخبار بوصول طغرلبك إلى أطراف بغداد ، خرج لاستقباله ، الوزير (رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، نائبا عن الخليفة ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢١٣ ، حسين أمين : تاريخ العراق .

(٢) الشيرازى : السيرة المؤيدية ، ص ١٠٩ - ١١٦ ، سرور : سياسة الفاطميين الخارجية (دار الفكر العربى ، ١٩٦٦م ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية (النهضة المصرية سنة ١٩٤٨) ص ١٩٠ .

(٣) سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة ، فى لحف جبل عال ، ويقولون إن سفينة نوح (عليه السلام) لما مرت به نطحته فقال نوح : هذا سن جبل جار علينا ، فسميت "سنجار" وهى تعريب سنكار ، وهى مدينة عامرة ، بها بساتين ذات أشجار ونخل ، بينها وبين الموصل ٩٠ كم ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٢٦٢ .

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، جـ٢ ص ٢٣٤ ، اليافعى : مرآة الجنان ، ص ٦٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص ٦٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ، ص ٢٣٤ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ١٠٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٢٣٥ ، البندارى : آل سلجوق ص ١٥ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان حوادث سنة ٤٤٩هـ ، سهيل زكار : المدخل ص ١١٤ ، محمد عبد العظيم : طغرلبك ، ص ٢٩٧-٢٩٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ، ص ٢٣٥ ، البندارى : آل سلجوق ص ١٧ ، ١٨ .

وأبلغه سلام الخليفة ، وقدم له هدايا وخلع الخليفة ، وكانت جاما[١] من ذهب فيه جواهر[٢] وفرجية[٣] .

وفى أواخر ذى القعدة سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م ، ولأول مرة ، يقابل السلطان طغرلبك الخليفة العباسى بناء على طلبه[٤] ، حيث جلس الخليفة جلوسا عاما ، حضره وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداد[٥] ، وكان الخليفة عند قدوم السلطان السلجوقى عليه يرتدى بردة (النبى صلى الله عليه وسلم) - وبيده القضيب والخيزران ، فقبل طغرلبك الأرض بين يديه وقبل يديه، وأجلس على كرسى ، فقال الخليفة لرئيس الوزراء : "قل له أن أمير المؤمنين شاكر لسعيك ، حامد لفضلك ، مستأنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ، ورد عليك مراعاة عباده ، فاتق الله فيما ولاك ، واعرف نعمته عليك فى ذلك ، واجتهد فى نشر العدل ، وكف الظلم وإصلاح الرعية"[٦] ، وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب[٧] وحب الرعية [٨] ، وخصه الخليفة بملك المشرق والمغرب[٩] .

---

(١) الجام : إناء من الفضة ، ومعناه أيضا القدح أو الكأس ويستعمل بمعنى الطبق ، النرشخى : تاريخ بخارى ص ٢٧٠ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨١ - ١٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٠ .

(٣) الفرجية : نوع من العباء المسترسل ، ويصنع اليوم غالبا من الجوخ وله أكمام واسعة طويلة تتعدى أطراف الأصابع وهى غير مفتوحة أو متقوبة ، ويسميها البعض فراجية ، وهى جبة العظماء وملاءة الناس انظر : حسين أمين : تاريخ العراق ، حاشية (٤) ص ٦٥ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧١ ، ١٧٢ ، البندارى : آل سلجوق ص ١٦ ، ١٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٢١ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ١٦ ، ١٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨١ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٦٦ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦٥ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل جـ٩ ، ص ٢٢١ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨١-١٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٢٣٧ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ٢ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٨ ، ميراخواند : حبيب السير : جـ٤ ص ١٠٦ ، محمد عبد العظيم : طغرلبك ، ٣٠٠ - ٣٠٣ .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٢٢١ .

ونقل عميد الملك للسطان السلجوقى (الذى كان لايتكلم العربية) كلام الخليفة ، فقام وقبل الأرض دفعات ، وقال "أنا خادم أمير المؤمنين ، وعبده ، ومتصرف على أمره ودينه ونهيه ، ومتشرف بما أهلنى له واستخدمنى فيه ، ومن الله استمد العون والتوفيق[١] ، ثم أمر الخليفة بمنحه الخلع ، كما أعطاه سيفا ، وثلاثة ألوية ، اثنين بكتائب صفر[٢] ، والثالث بكتائب مذهبة ، سميت لواء الحمد ، وأمر الخليفة بأن يسلم إليه العهد[٣].

انشقاق إبراهيم ينال :

لم ينعم طغرلبك طويلا بهذه الانتصارات التى حققها ، ومقابلة الخليفة العباسى ، ففى مطلع سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، خرج عليه أخوه غير الشقيق إبراهيم ينال[٤] ، وكان ينال قد راسل البساسيرى ، والمؤيد فى الدين[٥] داعى الدعاة ، للدخول فى طاعة الفاطميين ، والدعاء لهم فى مناطق نفوذه ، فى همذان وبلاد الجبل ، وسنجار والموصل التى كان طغرلبك قد نصبه أميرا عليها سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[٦].

كانت ثورة إبراهيم ينال على أخيه طغرلبك ، قد مهدت السبيل أمام البساسيرى لتحقيق أغراضه ، فلما علم البساسيرى بخلو بغداد من الجند السلجوقى الذى خرج لمقاتلة إبراهيم ينال زحف إليها ولكن طغرلبك استأصل شأفة أخيه وقتله بالموصل سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٧].

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨٢ ، سهيل زكار : المدخل ص ١١٠ ، ويدل نقل الكلام إلى طغرلبك عن طريق وزيره ، أنه كان لايتكلم ولا يعرف العربية حيث ترجمت له الكلمات من العربية إلى الفارسية .

(٢) صفر : كلمة فارسية تعنى النحاس "حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٤٣٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٨١-١٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٣٧ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٦٢-٢٦٣ ، الشيرازى : السيرة ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، محمد عبد العظيم : طغرلبك ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٥) لقب المؤيد فى الدين : من الألقاب التى تشير إلى تقوى الملقب ، إذ أنه مؤيد من السماء يأتيه النصر من الله تعالى ، ولقب الداعى كان من ألقاب القائمين بالدعوة الشيعية فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، وكان رئيس الدعاة يسمى (داعى الدعاة) وكان لقب داعى ينقش على النقود ، راجع : حسن الباشا : الألقاب الإسلامية (دار النهضة العربية ص ١٩٧٨م) ، ص ٢٨٥ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

(٦) الشرازى : السيرة المؤيدية ، ص١٧٥ ، ١٧٦ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٤٠١-٤٠٢ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٠٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص ٢٤٣ .

زحف البساسيرى إلى بغداد ، على رأس أربعمائة فارس ، حاملا الرايات المستنصرية والتى كتب عليها (الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين)(١) ، وكان لونها أبيض- شعار الفاطميين الشيعة فى مصر ، وكان رفع هذه الرايات تحديا سافرا للخلافة العباسية ، ولأهل السنة فى بغداد(٢) .

دخول البساسيرى بغداد :

صحب البساسيرى إلى بغداد - قريش بن بدران - الذى كان قد شق عصا الطاعة على طغرلبك ، وتمكن من دخول بغداد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، دون مقاومة تذكر(٣)، واستقبله أهل الكرخ(٤) الشيعة ، ورحبوا بقدومة (٥) .

وفى يوم الجمعة الثالث عشر من ذى القعدة سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، أمر البساسيرى أن يخطب للمستنصر بالله الفاطمى ، بجامع المنصور(٦) ثم أقامها على جميع منابر بغداد ، وأمر بأن يؤذن - بحى على خير العمل - شعار الفاطميين الشيعة ، وضرب دنانير سماها المستنصرية ، وكان عليها من جانب "لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، محمد رسول الله على ولى الله" ، ومن الجانب الآخر" عبد الله ووليه الإمام أبو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين"(٧) ، وبذلك انقطعت ولأول مرة الخطبة للخلافة العباسية من مساجد بغداد .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٩١ ، ابو الفداء ، المختصر ، جـ١ ص ١٧٧ .

(٢) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٤٠١ ، ٤٠٤ .

(٣) البغدادى : تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٩١ ، ١٩٢.

(٤) الكرخ : حى من أحياء بغداد يقع فى الجانب الغربى ، وسميت بذلك نسبة إلى نهر "كرخايا" واسمها (آرامى) بمعنى القلعة - صالح العلى : بغداد مدينة السلام ، جزءان (ط. العراق ، سنة ١٩٨٥) ، جـ١ ، ص ٤٢-٤٦ .

(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص ٢٤٣ ، وقد يكون السبب هو عدم توافر قوات كافية لانضمام معظم قوات طغرلبك إلى جيشه المحارب لأخيه ، حسن محمود : العالم الإسلامى ، ص ٥٦٦ .

(٦) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ٤٠٠ - ٤٠١ ، الشيرازى : السيرة المؤيدية ، ص ٢٢١ .

ابن منجب الصيرفى : تاج الرئاسة أمين الدين أبى القاسم على ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، حققه أيمن فؤاد سيد (الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠م) ص٧٣ ، ٧٤ ، ٨١ .

(٧) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٤٠١ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٢ ، ص١٩٢ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ٢٢٣ ، البندارى ، آل سلجوق ، ص ١٨ ، الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٨ ، ١٩ .

ونهب البساسيرى بغداد[١] ، ورأى الخليفة المسكين النهب بنفسه ، فأمر رئيس الرؤساء، أن يطلب له الأمان من قريش بن بدران ، فقبل قريش[٢] ، فاستاء البساسيرى من ذلك ، وأرسل إلى قريش بن بدران يعاتبه على ذلك ، واتفقا على أن يأخذ قريش بن بدران الخليفة العباسى ، ويأخذ البساسيرى رئيس الرؤساء ابن المسلمة وزير الخليفة[٣] .

ولم يكتف البساسيرى بإسقاط الدعوة للخليفة العباسى ، وإقامتها للمستنصر بالله الفاطمى فقط ، بل أرغم القائم بأمر الله العباسى ، على كتابة عهد اعترف فيه بأنه لاحق لبنى العباس ، ولآله فى الخلافة ، مع وجود بنى فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ثم بعث بهذا العهد إلى القاهرة حيث ظل محفوظا بقصر الخلافة الفاطمية حتى استولى صلاح الدين الأيوبى على محتوياته سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م[٤]. وأرسل البساسيرى إلى الخليفة الفاطمى ثوب الخليفة العباسى ، وعمامته ، وشباكه[٥]، وبعد ما استقر له الأمر فى بغداد ، وبعد أن طرد الخليفة إلى منفاه الاختيارى فى "حديثة عانة"[٦] ، عمل على التخلص من غريمة ابن المسلمة ، فأمر بقتله[٧] .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٩٢ ، العصامى : سمط النجوم العوالى ص ٤٤٣ ، ميرخواند : حبيب السير ، جـ٢ ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

(٢) البغدادى : تاريخ بغداد ، ص ٤٠١ ، ابن الجوزى ، جـ ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٩٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٢٩ .

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٤٣٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٢٨ .

(٥) الشباك يجلس فيها الخليفة يعتمد بيديه على حافتيها ، إدريس : تاريخ العراق ، ص ١٠٨ ، هامش (٤٩) .

(٦) حديثة عانة : العانة الجماعة من حمر الوحش ، وتجمع عانات ، بليدة بين الرقة والفرات ، وهى مشهورة ومشرفة على الفرات ، ويضرب بما حدث فيها المثل فيقال (كأنه قد جاء برأس البساسيرى ، وإذا كرهها أهلها ظلما قالوا (الخليفة إذا فى عانة) ، راجع ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص ٧٢ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٤١٨ ، وهى ناتر القديمة ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٣٨ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ابن ميسر : تاريخ مصر جـ٢ ص ١٠ ، ١١ ، الحسينى: أخبار ص ٢٠ .

ومن حديثة عانة ، كاتب الخليفة السلطان السلجوقى طغرلبك الذى كان قد فرغ من القضاء على ثورة أخيه المتمرد إبراهيم ينال ، وجاء فى كتاب الخليفة "بحق الله أدرك الإسلام فقد ساد العدو اللعين"(١) .

وعلى الفور لبى طغرلبك نجدة الخليفة ، فكاتب كلا من البساسيرى ، وقريش بن بدران ، يطلب إليهما إعادة الخليفة إلى بغداد ، وطلب إلى قريش بن بدران أن يكون الخليفة فى حمايته(٢) ، وكان الخليفة عند الأمير (مهارش ابن المجلى) أمير حديثة عانه" والذى عزم على المسير بالخليفة إلى بغداد فى الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م(٣) .

ولما علم طغرلبك بخروج الخليفة من الحديثة ، أرسل وزيره "الكندرى" لاستقباله ، وصحبه الأمراء والحجاب ، وفى الرابع والعشرين من شهر ى القعدة سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م ، وصل الخليفة العباسى إلى النهروان بالقرب من بغداد ، فخرج طغرلبك لاستقباله ، وقبل الأرض بين يديه ، واعتذر له بسبب تأخره عنه بسبب تمرد أخيه عليه ، فشكره الخليفة وقلده سيفا(٤) ، ثم استأذن طغرلبك الخليفة لملاحقة البساسيرى ومحاربته ، فأذن له بعد أن أوصله طغرلبك إلى حدود بغداد(٥) .

وجهز طغرلبك جيشا كبيرا لقتال البساسيرى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م ، وخرج معه أعوانه ، وفى معركة رهيبة قتل البساسيرى ، وحملت رأسه إلى السلطان طغرلبك ، حيث حذها عن رأسه بسيفه(٦) .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٥-٢٢٦ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ٢ ص ١٧٨ .

(٢) البغدادى : تاريخ بغداد ، ص ٤٠٤ ، سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٠٣-٢٠٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ، ص ٢٠٦ ، لمزيد من التفاصيل حول مصير الخليفة العباسى فى حديثه عانة راجع ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٢٦ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢٩ .

(٤) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٨ ، ص ٤٠٤ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٠٣-٢٠٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٦ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ص ٢٥٦ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٨٢ ، ابن دحية : (أبو الخطاب عمر بن الحسن) ، النبراس فى تاريخ بنى العباس ، تحقيق عباس العزاوى ، (ط. بغداد ، ١٩٤٦م) ص ١١٩ .

ولخمس بقين من ذى القعدة سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م ، وفى يوم الاثنين دخل الخليفة[١] بغداد ، دخول الفاتحين المنتصرين ، وسار معه السلطان طغرلبك ، بعد عام كامل من خروج الخليفة منها[٢] .

وهكذا أصبح طغرلبك هو سيد الموقف بلا منازع ، مما زاد نفوذ السلاجقة فى العراق خاصة أنهم قضوا علي أخطر ثورة فكرية وعسكرية هددت الخلافة العباسية ، والتى لو قدر لها النجاح لتغير وجه التاريخ الإسلامى كله ، ولازالت الخلافة العباسية من الوجود سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م قبل زوالها على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٣] .

وبدأ طغرلبك يبسط سلطانه على العراق ، فاستقر جنده فى بغداد ، واستأثر بالسلطة دون الخليفة العباسى حيث أقام نظاما جديدا للحكم فى دار السلام - بغداد - اتبعه معظم سلاطين من بعده ، وهو الفصل بين سياسة الخليفة وسلطانه الروحى ، وبين السلطات فى المدينة ، ومنذ هذا العهد استقر الأمر فى بغداد ، على أن الخلفاء هم القادة الروحيون بينما سلاطين السلاجقة هو الحكام الفعليون المدنيون ، وصارت هذه الثنائية ، أمرا مقررا معترفا به فى الوضع الدستورى الإسلامى[٤] .

وانزوى الخليفة العباسى فى قصره ، وفوض الأمر كله إلى السلطان طغرلبك[٥] ، وأصبح لايستطيع التصرف حتى فى أملاكه الخاصة ، بل صار يعيش من إقطاعات مقررة يستولى على دخلها لسد نفقاته الخاصة[٦] .

---

(١) البغدادى : تاريخ بغداد ، ص ٤٠٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ٩ ص٢٢٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ص٢١ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ص٢٥٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص٢١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٢٧ ، سهيل زكار ، المدخل ص ١١٩ ، إقبال : إيران ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٤) أحمد معوض : أضواء ، ص ٦٨ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨١-١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ص ١٧٦ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص٢٦٥ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٤٣٨ .

واستغل طغرلبك ضعف الخليفة ، فأمر أن تحمل موارد العراق المالية إلى خزانته بدلا من خزينة الخليفة ففى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م ، ضمن مدينة واسط بمائتى ألف دينار[١] ، كما ضمن البصرة والأهواز على مبلغ مقداره ثلاثمائة وستون ألف دينار[٢] ، وفى السنة التالية ضمن بغداد سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م ، لأبى الفتح المظفر ابن الحسين ثلاث سنوات بأربعمائة ألف دينار[٣] .

وقبل أن يرحل إلى الرى ، أناب عنه فى حكم العراق موظفًا سلجوقيًا يعرف (بالعميد)[٤] كما عين موظفا آخر لحفظ الأمن فى بغداد يعرف باسم (الشحنة) [٥] ، ووضع تحت تصرفهما حامية من الجند السلجوقى[٦] .

زواج طغرلبك من ابنة الخليفة العباسى ، ووفاته سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م :

ولقد بلغت الجرأة بطغرلبك ، أن أقدم سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م ، على طلب الزواج من ابنة الخليفة العباسى القائم بأمر الله[٧] ، وهكذا يكون السلطان السلجوقى قد تخطى بعمله هذا ، كل التقاليد العباسية ، إذ لم يسبق لأمير أعجمى أن تقدم لمصاهرة البيت العباسى من قبل[٨] . وكانت العلاقات بين السلطان السلجوقى ، والخليفة العباسى قد ساءت قبل مشروع

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٣ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢١٦ .

(٤) انظر ص ١٧١-١٧٤ من الرسالة .

(٥) انظر ص ١٧٤ من الرسالة .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٢١٦ ، ابن دحية النبراس ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ابن كثير : البداية جـ١٢ ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٩ ، الحسينى : أخبار ص ٢١ ، ٢٢ اليزدى : العراضة ، ص٤٤ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ ، وفاء على : الزواج السياسى فى عهد الدولة العباسية (دار الفكر العربى سنة ١٩٨٥) ص ٨٧ ومابعدها ، فتحى أبو سيف : المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوى والسلجوقى» . (الأنجلو المصرية ، بدون) ص٧٥-٨٢ ، ويختلف الراوندى عن أغلب المؤرخين فيرى أن المصاهرة لم تكن مع ابنة الخليفة وإنما أخته ، وهذا غير صحيح .

(٨) لمزيد من التفاصيل حول زواج طغرلبك ابنة الخليفة راجع : ابن الأثير ، جـ١ ، ص ٧ - ١٢ .

الزواج ، واستاء الخليفة أكثر من طلب الزواج ، ولكن عوامل الضعف والخوف جعلت الخليفة يوافق مضطرا على هذه المصاهرة[١] .

ولقد قصد طغرلبك من وراء هذه الزيجة تحقيق أهداف سياسية بحتة ، تبعد بها عن أن تكون خالصة لوجه الزواج ، ولكن هذه الزيجة لم ينجم عنها شئ ، فقد كان طغرلبك عقيما ، بالإضافة إلى تقدمه فى السن ، كما أنه كان وقت الزواج عليلاً لم ينعم بعروسه الهاشمية ، فمات طغرلبك دون أن يترك ولدا يخلفه فى السلطنة[٢] ، وكان ذلك يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، عن عمر يناهز السبعين عاما [٣] .

ولكن طغرلبك ترك دولة قوية ، راسخة الأركان ، ثابتة البنيان ، أخذت فى النماء والازدهار ، وبلغت أقصى اتساعها فى غضون عقدين من الزمان بعده ، فصار يرهبها الأعداء ، ويخطب ودها الكبير والصغير وأوسعت قبضتها على المشرق والمغرب[٤] ، ولكن كيف تحقق ذلك ؟

النزاع على العرش بعد وفاة طغرلبك وتولية ألب أرسلان السلطنة :

كانت وفاة طغرلبك سنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م دون عقب بحكم من بعده ، أو ولى عهد يرثه ، سببا فى إثارة التنازع حول عرش السلاجقة ، حيث برزت مشكلة ولاية العهد[٥] ، فمن يخلف طغرلبك على عرش هذه السلطنة الشاسعة ؟ وجاءت وفاة جغرى بيك داود ، الأخ الأكبر لطغرلبك سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م[٦] المبكرة ، سببا آخر من أسباب النزاع حول العرش

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٧ ، البندارى : آل سلجوق ص ٢١ .

(٢) وفاء على : الزواج السياسى ، ص ٩١ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ٧-٩ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢٣ ، اليافعى مرآة الجنان ، ص ٧٧ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٨ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٠ .

(٤) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٠ ، ابن غرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ٧٣، ٧٤ .

(٦)ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٠ ، ويروى البندارى أن وفاة داود كانت ببلخ سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م و راجع : البندارى : آل سلجوق ص ٣٠ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ١ ، ص ١٨٠ ، الحسينى : أخبار ص ٢٩ .

السلجوقى ، حيث أن داود قد مات تاركاً عدداً من الأبناء ، أكبرهم ألب أرسلان الذى خلفه فى حكم خراسان ومرو وماوراء النهر[١] .

وتطلع ألب أرسلان أن يلى حكم السلاجقة بعد وفاة عمه ، وأبيه[٢] . وكان السلطان طغرلبك قد تزوج بأرملة أخية جفرى بيك ، وكان لها ابن من جفرى بيك هو سليمان[٣] ، واستطاعت بحسن دهائها ، أن تؤثر فى طغرلبك ، وتجعله يختار ابنها سليمان وليا لعهده على الرغم من صغر سنة الذى لم يتجاوز الرابعة ببضعة أشهر[٤] .

وبعد وفاة طغرلبك ، نفذ وزيره - أبو نصر الكندرى - وصيته ، بأن يكون سليمان سلطانا على السلاجقة ، وأجلس سليمان على العرش السلجوقى فى مدينة " الرى" (طهران الحالية) ، وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه[٥] ، متجاهلا أخاه الأكبر ألب أرسلان الذى أبلى بلاءا حسنا مع عمه طغرلبك[٦] .

وهكذا برزت إلى الوجود مشكلة التنازع على العرش السلجوقى ، بصورة هددت كيان الدولة ، وهددت بحدوث اشتباك بين الطرفين ، خاصة أنه كان يساند ألب أرسلان رجل زكى ،

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٠ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ ١ ص ١٨٠ ، لقب ألب : كلمة تركية معناها البطل قلب الأسد ، وهى شخصية كان لها شأن كبير فى المجتمع التركى ، وهى مرادفة لكلمة "باتور" ، وقد استعملت بين الشعوب التركية المختلفة منذ الأزمنة القديمة، إما فى تركيب أسماء أعلام وإما ألقابا ، وهى ترد كثيرا فى أسماء الأعلام فى العهد الإسلامى أيضا، مثل (ألب أرسلان السلجوقى) وألب من حيث هى لقب - كان يستعملها الأمراء السلاجقة كلقب ، كما اتخذها أمراء الدول الإسلامية التى خلفت الدولة السلجوقية كلقب أيضا ، أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ، جـ١ كتاب الشعب سنة ١٩٦٤ ، المجلد الرابع ، ص ١٦٣ ، ول ديورانت : قصة الحضارة ، (جـ٢، من المجلد الرابع ط٣ القاهرة ، ١٩٧٤) ص ٣١٤ .

(٢) أبو الفداء : المختصر ، جـ١ ، ص ١٨٠ ، عبد النعيم حسانين : إيران والعراق ، ص ٥٤ .

(٣) ويتضح أن سليمان هذا لم يكن أخا شقيقا لألب أرسلان .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ٣٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ٢٣١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٠ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ١ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٦ ، ٢٩ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ .

فطن ، لبيب ، هو نظام الملك الطوسى[١] وزيره[٢] ، ولكن انتهت مشكلة العرش السلجوقى بحسم ألب أرسلان لها بسيفه ، فأصبح ألب أرسلان سلطانا على السلاجقة ، وأصبح سليمان أخوه وليا لعهده[٣] .

وبعد جلوس ألب أرسلان على عرش السلطنة السجوقية فى ذى الحجة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[٤] ، برزت مشكلة جديدة وهى التنافس على عرش الوزارة السلجوقية ، بين وزيرين عظيمين هما عميد الملك الكندرى ، وزير طغرلبك ونظام الملك الطوسى وزير ألب أرسلان ، وقد انتهى هذا التنافس بقتل الكندرى بتحريض من نظام الملك الطوسى[٥] .

وهكذا خلُص عرش السلاجقة لألب أرسلان ، وخلصت الوزارة لنظام الملك الطوسى ، الذى سيلعب دورا رائعا فى تاريخ الدولة السلجوقية ، وأخذ السلطان ألب أرسلان بمساعدة وزيره الشهير ذائع الصيت ، أن يرتفع ببناء الدولة ، ويوسع حدودها ، وقد بلغ السلاجقة فى عهده وابنه ملكشاه من بعده ، أوج قوتهم وازدهارهم[٦] .

ولكن ما أعلنت الخطبة باسم ألب أرسلان فى الرى فى ذى الحجة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، وما كاد هذا العام ينصرم ، حتى تجددت مشكلة سلطنة السلاجقة ، والمطالبة بعرشها ، ففى المحرم سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، أعلن " شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل" ابن عم جغرى بيك ، أنه أحق بالسلطنة من ألب أرسلان فتوجه إلى الرى ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة[٧] ، ولكن ألب أرسلان جهز جيشا قويًا ، ومعه وزيره نظام

---

(١) انظر : ترجمته فى الفصل الأول .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠-٣١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠، ص ١٠ ، الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ص ٣٠ - ٣١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٠ ، أبو الفداء : المختصر جـ١ ص ١٨٣ .

(٥) لمزيد من التفاصيل حول الصراع على كرسى الوزارة السلجوقية أنظر : البندارى ، آل سلجوق ، ص ٣١ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٢٣٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٥ ص ٧٦ محمد إقبال : الوزارة ص ٢٣-٥٢ .

(٦) حسانين : إيران والعراق ، ص ٥٧ ، إقبال : إيران ص ٢٤١ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٥ ص ٧٦ .

الملك الطوسى ، ونشبت معارك أنتهت بمقتل القائد المتمرد قتلمش ودخل ألب أرسلان الرى، وبذلك أصبح سلطانا على السلاجقة دون منازع ولا شريك[١] .

ولكن لم يهنأ ألب أرسلان بفتح الرى ودخولها ، وإعلان نفسه سلطانا على السلاجقة ، حتى قاد أخوه "قاورد بن جغرى بيك داود "تمرد آخر عليه فى كرمان ، وبسط سلطانه على شيراز[٢]، واعتصم بقلعة أصطخر[٣] ، فسار إليه ألب أرسلان بجيش وهزمه ، وأمنه وأخذ منه القلعة[٤] .

ولم يكد الأمر يستتب لألب أرسلان ، حتى فوجى بفتنة أخرى ، قادها هذه المرة ، عمه (بيغو) أكبر السلاجقة سناً[٥] ووالى هراة الذى عز عليه أن يكون تابعا لابن أخيه ، فرفع عليه العصيان ، ولكن ألب أرسلان سار إليه بجيش ، وقاتله قرب هراة سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م[٦] ، وانتصر عليه انتصارا حاسما ، تعهد بيغو بعده بطاعة ألب أرسلان[٧].

وهكذا استطاع ألب أرسلان القضاء على كل الحركات المناوئة له ، وبسط سلطانه على أرجاء الدولة السلجوقية ، واستتب له الأمر ، وتوطد سلطانه ، وذكر اسمه فى الخطبة فى جميع البلاد التى خضعت لسلطانه ، وأقطع البلاد للأمراء[٨] ، وبدأ يعمل على التمكين لدولته الشاسعة ، وزيادة رقعتها[٩] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٢ ، ١٣ الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) شيراز : بلد عظيم مشهور ، قصبة بلاد فارس فى وسطها ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٣) اصطخر : قلعة حصينة عظيمة فى مدينة بروشير ، ومن أعظم مدن كرمان ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ١٢٧ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٢ ، ١٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ٧٧ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٤ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

(٩) سهيل زكار : المدخل ص ٦٣ .

وكان عليه أن يحصل على تفويض من الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، بالسلطنة ، ولتحقيق ذلك ، عمل ألب أرسلان كل مافى وسعه ، فقد كان يدرك أن زواج عمه طغرلبك ، من ابنة الخليفة العباسى قد تم دون رضا الخليفة ، فبادر فى سبيل كسب رضا الخليفة إلى إرجاع ابنته إلى بغداد بعد أن منحها خمسة آلاف دينار ، لتستعين بها فى العودة (١) .

ولقد فرح الخليفة العباسى فرحا شديدا بعودة ابنته ، ورحب برسل السلطان السلجوقى الجديد ومنحهم التقليد بالسلطنة ، وأمر أن تقام الخطبة للسلطان السلجوقى فى مساجد بغداد ، وأن يكون لقبه (السلطان المعظم عضد الدولة ، وتاج الملة ، أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود) (٢) . ولم يحدث خلال الفترة التى حكم فيها ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م ، ما يكدر صفو العلاقات بينه وبين الخليفة العباسى بل كان السلطان السلجوقى يؤثر أن تكون علاقته بالخليفة طيبة (٣) .

وهكذا حقق ألب أرسلان ما كان يرنو إليه ، وهو إضفاء الصفة الشرعية على دولته ، واكتساب الخليفة العباسى إلى جانبه ، ليتمكن بعد ذلك من تحقيق أهدافه ، وإكمال مسيرة عمه طغرلبك فى تكوين سلطنة السلاجقة العظمى .

وحدد ألب أرسلان مع وزيره نظام الملك الطوسى ، سياسة الدولة السلجوقية ، التى كانت تتلخص فى بسط نفوذ السلاجقة على مساحات أوسع ، وتأمين ما بأيديهم من أراض ، ونشر الإسلام فى الممالك النصرانية المجاورة ، كبلاد الأرمن والروم ، الأمر الذى أكسب السلاجقة وحروبهم صبغة وطابع الجهاد الدينى (٤) .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٨ ، عبد الهادى محبوبة : مقال بعنوان "وثائق تاريخية من العهد الأول من حكم الدولة السلجوقية ، (مجلة معهد المخطوطات العربى ، المجلد العاشر ، ط١ ، سنة ١٩٦٤) ص ١٠٠-١٠٣ ، وقد أقامت دار الخلافة العباسية حفلا رسميا لذلك حضره أعيان الدولة ، وكبار العلماء وفيه أنفذت الخلع والهدايا مع وفد السلطان إليه .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٤، ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٢٨ .

(٣) الخالدى : النظم فى العراق ، ص ١٨٧ .

(٤) عبد النعيم حسانين : إيران والعراق ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

وبدأ السلطان السلجوقى ألب أرسلان فى تحقيق أهدافه ، فبسط سلطانه على أذربيجان سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، ولم ينفض ذلك العام حتى استولى على ختلان وهراة وصغانيان [١] ، فى الشمال الشرقى لدولته[٢] ، ثم سار إلى بلاد الكرج[٣] ، وتبعه ابنه ملكشاه ، ووزيره نظام الملك الطوسى ، واستطاع بسط سلطانه عليها[٤] .

وبذلك أمن ألب أرسلان حدود دولته ، وأطمأن من ناحية إخوته وأعمامه ، وهدأت الأمور الداخلية فى دولته الشاسعة ، فصمم على تحقيق حلمه ، وهو محاربة الروم البيزنطيين ، فاتجه نحو بلاد الروم ، وفتح مدينة آنى[٥] البيزنطية بعد حصار طويل ، واستطاع دخولها ، وأدخل أهلها فى الإسلام ، وقرئ كتاب الفتح ببغداد ، فى دار الخلافه ، وعين عليها واليا من قبله[٦] وعاد إلى أصفهان ، ثم سار إلى كرمان ، ومنها إلى مرو[٧] .

وفى سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م سار ألب أرسلان إلى مدينة "جند" معقل الأسرة السلجوقية ، واستقبله أميرها ، وهاداه ، وفرض إليه حكمها[٨] ، وكانت هذه المدينة ذات أهمية خاصة

---

(١) ختلان ، وصغانيان : ختلان ، كورة بما وراء النهر وهى بلاد وراء بلخ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، جـ٢ ، ص ٥٠٠ ، الصغانيان : كورة من بلاد ماوراء النهر ، تقع وراء نهر جيحون ، ويقال لها بالعجمية جغانيان ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، جـ٢ ، ص ٥٠٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، إقبال : إيران ص ٢٤٣ .

(٣) بلاد الكرج : مدينة تقع إلى الجنوب الشرقى من همذان ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٢٣٠ .

(٤) ابن الجوزى المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٩ .

(٥) مدينة آنى : تقع آنى جنوب همدان بجوار بلاد الكرج بين خلاط وكنجه ، تقع على الشاطئ الأيمن من نهر أخوريان ، على بعد عشرين ميلا عند ملتقى هذا النهر بنهر الرس ، وهى ذات قلعة حصينة ، ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ٦٥ .

(٦) لمزيد من التفاصيل حول استيلاء السلاجقة على آنى : سبط بن الجوزى : مرآة الزمان حوادث سنة ٤٥٦هـ ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٤ ، الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٣٤-٣٦ ، اليزدى : العراضة ، ص ٤٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٥ ، فايز اسكندر ، استيلاء السلاجقة على عاصمة البيزنطيين" آنى ، (دار الفكر الجامعى) اسكندرية ١٩٨٧م) ص ٧ - ٢٧ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٤ ، ١٥ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٤ ، ١٥ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٥ .

عند السلاجقة قبيل قيام دولتهم ، حيث أن جدهم الأعلى "سلجوق بن دقاق" مدفون بها ولهذا السبب يعود اهتمام ألب أرسلان بها[١] .

وفى سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م ، أخمد ثورة والى كرمان (قرا أرسلان)[٢] ، وخطب لـه والى حلب ، (محمود بن صالح المرداسى) على منابرها[٣] ، ثم سير وزيره نظام الملك الطوسى إلى بلاد فارس ، فاستولى على قلعة فضلون الحصينة[٤] وأخذ فضلون أسيرا إلى ألب أرسلان الذى عفا عنه[٥] ، وخطب له والى مكة والمدينة باسمه ، واسم الخليفة القائم بأمر الله العباسى[٦] . ثم وثق علاقتة بالخلافة العباسية ، حينما تزوج ولى العهد (المقتدى) ابنة ألب أرسلان سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م[٧] ، كما وثق بالدولتين الغزنوية والخانية ، حتى يؤمن ظهره ، فلا يطعن من الخلف ، فربط دولة السلاجقة برباط المصاهرة مع هاتين الدولتين بأن تزوج أحد أبنائه ابنة السلطان إبراهيم الغزنوى ، وتزوج ابنه الأكبر ملكشاه ابنة (طمغاخ خان) ملك الخانيين ، وهيأت هذه المصاهرة للسلطان ألب أرسلان أن يتفرغ لغزو بلاد الروم ببال هادئ[٨]، بعد أن أضفى على فتوحاته صبغة الجهاد فى سبيل الله ، ورفع راية الإسلام . وتمكن ألب أرسلان فى مدن السنوات الخمس (٤٦٠-٤٦٥هـ/١٠٦٧-١٠٧٢م) من السيطرة على المناطق الواقعة بين بحيرتى وان وأورميا[٩] ، واخضاع بعض القلاع الحصينة المنيعة ، وأمن ظهره فى بلاد ما وراء النهر وخراسان ، وهراة ، وضم الكثير من بلاد الأرمن ، والكرج (جورجيا الحالية) وشد من أزره الخليفة العباسى وناصره ، وهنا عزم على تحقيق هدف أبعد ،

---

(١) براون : تاريخ الأدب : ص ٢٢١ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة ص ٤١ ، ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٨ ، ١٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢١ ، إقبال : إيران ص ٢٤٦ .

(٤) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٤٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٤٣ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٦ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٤ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٥ ، حسانين : إيران والعراق ، ص ٦٠ .

(٩) وان وأورميا : وان قلعة بين خلاط ونواحى تفليس من أعمال قاليقلا ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ص ٣٥٥ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٠ ، أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة (الكويت ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٣٣ .

وهو فتح بلاد غير إسلامية أخرى ، ومنازلة الروم البيزنطيين فى جنوب بلاده وشرقها ، حتى يأمن خطرهم[١] .

---

(١) لم تكن حملات ألب أرسلان هى أولى المحاولات السلجوقية على العالم البيزنطى أو الإمارات الكرجية (جمهورية جورجيا الحالية) والأرمينية ، حيث تعرض إقليم فاسيور اكان (تاج البلاد الكرج) وملاذ كرد وآنى ، وإقليم طايبك لعمليات حربية قام بها ابراهيم ينال وغيره من قادة السلاجقة بتوجية من طغرلبك أحيانا ، ومن تلقاء أنفسهم أحيانا أخرى ، فقد وصل إبراهيم ينال سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م إلى إقليم باسيان .

إحدى أقاليم أرمينية ، كما أغار على أرضروم (أرض روم) وعلى الأرمن كاربين ، وثيود بسيوبوليس ، عند البيزنطى وهى أكبر مدن من بلاد قاليقلا ، بينها وبين ميافارقين ٤٢ كم (الأصطخرى : المسالك ، ص ١٩٤ ، كى لسترنج : بلدان الخلافة ص١٤٩ ، ١٥٠) ، كما شن ينال حملة أخرى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م على أرمينية اكتسح فيها وادى باسيان مرة أخرى وكاربين ، وتمكن فى حملته هذه من الحاق الهزيمة بالجيش البيزنطى فى معركة كابوترو وكان يساند الجيش البيزنطى فى هذه المعركة مقام أرمينية أمثال ليباريت الذى يسميه ابن الأثير ملك الأبخاز ، ولم يجد الأمبراطور البيزنطى قسطنطين مونوماخوس (١٠٤٢-١٠٥٥م/٤٣٤-١٠٤٧م) لم حلا لأطلاق سراحة سوى الدخول فى مفاوضات مع طغرلبك أسفرت عن هدنة مدتها أربع سنوات بين الجانبين بالإضافة إلى إطلاق سراح الأكير الكرجى ليبارات ، ولكن لم تستمر هذه الهدنة طويلا حتى قام ينال سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م بهجوم على قارص وهى مدينة كبيرة فى جورجيا تقع على مسافة ١٠من من تفليس عاصمة كرجستان (أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٤٠٣ ، لترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢١٦) ، وكان حملته بدون توجيه من طغرلبك بسبب الخلاف بينهما ، كما قاد طغرلبك فى نفس العام حملة ضد أرمينية البيزنطية حشد لها جيشا كبيرا زوده بالأفيال والعربات وآلات الحصار ، واستعمل طغرلبك أسلوب الحرب الدعائية فى حملته هذه عندما دعا إلى الجهاد المقدس ضد البيزنطيين ، ووصل إلى بحيرة فان وسهل أرضروم وسار نحو أرجيش (من أكبر مدن أرمينية تقع على الساحل الشمالى لبحيرة فان) ، وحاصر ملاذكرد ولكنه رفع عنها الحصار وعاد إلى أذربيجان ، وعلى الرغم من عدم نجاح طغرلبك فى الاستيلاء على ملاذكرد إلا أن البيزنطيين أخذوا يحسبون له ألف حساب نظرا للأثر التدميرى الذى خلفته حملات السلاجقة على الأقاليم التى هاجموها ، لمزيد من التفاصيل راجع ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٩ ، ص ٥٢ ومابعدها لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢١٦ ، ومابعدها ، عبد الرحمن العبد الغنى ، موقف البيزنطيين ص٣٤-٣٦ بلاد الكرج : (كرجستان) (جورجيا الحالية) وتسمى أيضا إبخازيا وعاصمتها تفليس وتقع فى أعالى نهر الكر ، وقد أكثر من وصفها الجغرافيون المسلمون ، إنظر : الأصطخرى : المسالك ، ص ص١٨٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٨٢ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٣٧٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢١٦ .

موقعة ملاذكرد وانتصار السلاجقة :

وبدأ ألب أرسلان تنفيذ الخطة ، فتوجه إلى أصفهان ومنها إلى كرمان ، حيث استقبله أخوه قاورد بالحفاوة والترحاب ، وجدد له الولاء بالبيعة والطاعة وحماية حدود الدولة من جهة الجنوب[١] .

كل هذا آثار حفيظة الإمبراطور البيزنطي أرومانوس ديوجنس الرابع (٤٦٠-٤٦٣هـ/ ١٠٦٨-١٠٧١م) ، الذى صمم على أن يقود حملة مضادة لمناهضة أعمال السلطان السلجوقي[٢] ، ولوقف الفتح السلجوقي عند حد ، فأقبل الإمبراطور البيزنطي في جيش كثيف إلى الشام وهاجم(منبج) [٣] ، ونهبها وقتل أهلها[٤] ، ثم أغار على حلب[٥] .

وفطن السلطان ألب أرسلان إلى هدف الإمبراطور البيزنطي ، فأرسل بعضا من جيشه بقيادة ابنه ملكشاه لغزو الأجزاء الشمالية من الشام ، وفتح حلب ، وينقذ جيش السلاجقة من خطر التطويق[٦] ، وتمكن الجيش السلجوقي من إخضاع حلب للدولة العباسية ، وحاصر دمشق ، وهكذا مهد الطريق أمام سقوط الشام من يد الفاطميين[٧] .

واهتدى "رومانس الرابع" إلى فكرة تضمن له الانتصار والقضاء على دولة ألب أرسلان ، خاصة بعد فشله في حلب ومنبج ، وبلاد الشام ، فجمع جيشا جرارا من أجناس مختلفة

---

(١) البنداري : آل سلجوق ، ص ٤٠ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٥ .

(٢) ابن القلاني : ذيل تاريخ دمشق ص٩٨ ، إقبال : إيران ص ٢٤٦ .

(٣) منبج : تقع بين حلب ونهر الفرات شمالي بلاد الشام ، ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد (بيروت ١٩٧٩) ط٢ ، ١٩٨٦م) ، رحلة ابن جبير ص ٢٢٣ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، وعن سقوط منبج أنظر :

Charanic : p., The Armeniana in the Byzantine Empire Lisbc, 1936, p. 191 .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٢٠ .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٩٨ .

(٦) عبد النعيم حسانين : إيران والعراق ص ٦١ .

(٧) الحسيني : أخبار الدولة ، ص٤١ ، ٤٢ .

من الروم ، واليونان والفرنج ، والغز ، والروس ، والكرج والبلغار ، وغيرهم[١] وكان هدف الإمبراطور واضحا وهو أن تأخذ حربه فى آسيا الصغرى صيغة الحرب الصليبية ، وأن تكون نتيجتها القضاء على السلاجقة ، والعالم الإسلامى معا[٢] .

وعسكر الجيش البيزنطى بقيادة إمبراطوره فى ملاذكرده وحشد السلطان السلجوقى ألب أرسلان جيشا كبيرا ، انقض به على مقدمة الجيش البيزنطى الكثيف العدد فهزمه ، وطلب السلطان السلجوقى الصلح على الرغم من نصره فى البداية ولكن الإمبراطور البيزنطى رفض الصلح فى صلف وكبرياء ، مما أثار حفيظة ألب أرسلان وجنوده ، وغيرتهم على الإسلام[٣] .

وأيقن السلطان ألب أرسلان أن الروم يريدون القضاء على دولته ، فأعلن بين جنوده أن الإسلام فى خطر ودعاهم إلى الاستماتة فى القتال ، وصبغ حروبه بصبغة الجهاد الدينى وألهب حماس جنوده[٤] .

والتحم الجيشان فى معركة فاصلة ، انتهت بهزيمة ساحقة للجيش البيزنطى وأسر الإمبراطور البيزنطى نفسه[٥] بعد قتل وأسر العديد من جنوده[٦] ، وعامل السلطان السلجوقى ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٠ ، ٢١ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية (القاهرة سنة ١٩٦٣م) جـ١ ، ص ٨٢-٨٨ ، أحمد عبد الكريم سليمان : المسلمون والبيزنطيون (القاهرة سنة ١٩٨٢) جـ١ ص ٣٢٥ ، ستيفن نسيمان : تاريخ الحروب الصليبية (بيروت ، ١٩٨١م) جـ١ ص ١٠٧-١٠٩ .

(٢) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص٣٥ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص ٢٧ ، البندارى : آل سلجوق : ص٤٠ ، ٤٢ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ ، اليزدى : العراضة ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
Vesilliev : Ahistory of the Byzantine Empire Madison, 1961, Vol. I. p. 32-33 .

(٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان حوادث سنة ٤٦٣هـ/ ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص٢٣ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢٢٣ ، أحمد الشامى : العلاقات ص ٣٤ ، ٣٥ ، فايز نجيب اسكندر : البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى موقعة ملاذكرد (الإسكندرية سنة ١٩٨٣) ص ١٣ ومابعدها .

أسيره الإمبراطور أحسن معاملة كما أجمعت المصادر الإسلامية والبيزنطية والأرمينية[١] . وكان أول إمبراطور بيزنطي يأسره المسلمون .

وتعتبر موقعة ملاذكرد ، من المواقع الفاصلة في التاريخ الإسلامي بأسره ، فقد كانت ذات أهمية كبيرة ، ونقطة تحول هامة في التاريخ الإسلامي بصفة عامة ، وتاريخ السلاجقة بصفة خاصة ، وفي تاريخ المشرق ، ومنطقة غرب آسيا أيضا[٢] ، حيث أنها فتحت الطريق أمام السلاجقة لفتح آسيا الصغرى ، وكانت فاتحة للصراع بين الشرق والغرب ، في شكل حروب مستعرة باسم الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي منذ سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[٣] .

ويسرت ملاذكرد الطريق للقضاء على النفوذ الروماني في أكثر أجزاء آسيا الصغرى ، وبقية الأجزاء الشرقية من بيزنطة التي لم تعد تستطيع الصمود في وجه التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى ، مما أتاح تكوين دولة سلجوقية فيما بعد ، عرفت باسم سلاجقة الروم ٤٧٠-٦٩٦هـ/١٠٧٧-١٢٩٦م . والتي أسسها خلفاء قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق[٤] .

ولقد غيرت هذه الموقعة الخريطة السياسية لآسيا الصغرى ، وحولتها إلى الحضارة الإسلامية الخالصة ، وأخذ سكانها يدخلون في الإسلام ، ويتعلمون مبادئه ، ويلزمونه بأحكامه في سلوكهم ومظاهر حياتهم ، وتحولت لغتهم إلى اللغة الفارسية لغة الجنود الفاتحين ، واللغة التركية لغة السلاطين الحاكمين ، واللغة العربية لغة الإسلام دين رب العالمين[٥] .

ومن نتائج ملاذكرد تقلص ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية في جنوب إيطاليا على يد النورمان[٦] ، وبعدها نشبت حرب أهلية في القسطنطينية بين مناصري الإمبراطور المهزوم

---

(١) فايز اسكندر : نفسه ص١١٤-١١٥ ، ستيفن رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ١ ص ١٠٩-١٢٠، سبط بن الجوزي مرآة الزمان ، جـ٩ ورقتي ٣٧٤-٣٧٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ .

(٢) أحمد الشامي : العلاقات ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) حسن محمود : العالم الإسلامي ، ص ٥٨٩ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ص ٨٢-٨٨.

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٤٨ ، إقبال : إيران ص٢٤٨ يلمازاوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة ترجمة عدنان سليمان ، جـ١ ، (استنانبوب ١٩٨٨م) ص ٦٧ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص٧٤ ، حسانين : إيران والعراق ص ٦٥ .

(٦) حسانين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٨٣م) ص ١٩٠ وما بعدها .

الذى خلع من منصبه فور هزيمته وبين أنصار المتربع على العرش (ميخائيل السابع فوقاس)[١] ٤٦٤-٤٧١هـ/ ١٠٧١-١٠٧٨م . واستمرت عشر سنوات حتى تولى الإمبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) عرش الإمبراطورية[٢] . ولقد كانت ملاذكرد بالنسبة للسلاجقة هى التاج الذى توج سلاطين تلك الدولة ، وأحس العالم بعدها بقوتهم ، وحسب لهم ألف حساب[٣] .

ولقد كانت فرحة الخليفة العباسى القائم بأمر الله بانتصار ملاذكرد لاتوصف ، حيث استقبل هذا الانتصار بحفاوة بالغة وغامرة ، وأرسل يهنئ السلطان السلجوقى ، ويخلع عليه الألقاب فأرسل إليه كتابا يهنئه بالفتح ويلقبه بقوله (الولد السيد الأجل ، المؤيد المنصور المظفر السلطان المعظم ، مالك العرب والعجم ، وسيد ملوك الأمم ضياء الدين ، غياث المسلمين ظهير الإمام ، كهف الأنام ، عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الباهرة سلطان ديار المسلمين ، برهان أمير المؤمنين ، حرس الله تمهيده ، وجعل من الخيرات مزيده)[٤] .

نهاية ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م :

وبعد عامين فقط من موقعة ملاذكرد ، وفى العاشر من ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ/ نوفمبر سنة ١٠٧٢م ، كانت نهاية هذا البطل المغوار ، والسلطان القوى ، والقائد البطل ، وهو فى الرابعة والأربعين من عمره[٥] ، حيث لم يعش طويلا ليجنى ثمرة هذا النصر العظيم ، وليواصل فتوحاته فى بلاد الروم ، حيث قتل السلطان ألب أرسلان شر قتله على يد أحد الثائرين[٦] .

---

(١) ميخائيل دوقاس : هو الأبن الأكبر للإمبراطور البيزنطى قسطنطين العاشر وايدوكيا ، شغل عرش بيزنطة من كانت امبراطوريته فى أمس الحاجة إلى قائد عسكرى يضع حدا لهجمات السلاجقة ، انظر : فايز اسكندر : موقعة ملاذكرد وصداها فى القسطنطينية (الإسكندرية سنة ١٩٨٧م) ص٤ حاسية رقم (٦) .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ، ص ٨٢-٨٨ ، السيد الباز العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية (القاهرة ، ١٩٦٣) ص٧-١٠ .

(٣) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٧٤ ، أحمد سليمان : المسلمون والبيزنطيون ص ٣٢٥ .

(٤) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٥٣ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٥ .

ففى أوائل عام ٤٦٥هـ/١٠٧٢م سار ألب أرسلان إلى بلاد ماوراء النهر ، فوصل جيحون على رأس جيش تعداده مائتا ألف فارس ، حيث عبر نهر جيحون ، يريد محاربة الخارجين عليه أثر فتنة ظهرت فى بلاد ما وراء النهر حيث أصهاره الخاينون ، حيث ساءت العلاقات بينه وبينهم بعد وفاة (طمغاج خان) والد زوجة ابنه ملكشاه سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ، فقد حاول ابنه (شمس الدين نصر) أن يستقل عن السلاجقة ، مما اضطر السلطان إلى التوجه إليه واستطاع فعلا حصار الكثير من القلاع وفتحها(١) .

وهاجم ألب أرسلان إحدى القلاع المتمردة ، وهى قلعة خوارزم ، واستولى عليها ، وقبض على قائدها المسمى "يومى الخوارزمى" أو يوسف البرزمى كما كانت تسمى القلعة(٢) ، وجلبوا هذا الأسير إليه ، وأوثقه بالحبال ، وشتم هذا الأسير السلطان ألب أرسلان(٣) بأقبح الكلمات ، فصمم السلطان على قتله بنفسه ، ولكن سهمه أخطأ لأول مرة فهجم عليه الأسير فضربه فى خاصرته(٤) بسكين كان يخفيها فى ملابسه ، ولم يستطع أحد من الحراس التدخل بسرعة لضرب الأسير (٥) وبعدها بأربعة أيام مات السلطان ألب أرسلان(٦) ودفن فى مدينة مرو بجوار أبيه ، وعمه طغرلبك بعد أن حكم تسعة أعوام ونصف تقريبا(٧) .

وليس من شك أن ألب أرسلان قد استطاع أن يوطد دعائم دولة السلاجقة ، ويوسع رقعتها حتى امتدت إلى أقاصى بلاد ماوراء النهر ، وأقاصى بلاد الشام ، وآسيا الصغرى بعد نصره على البيزنطيين ، ولقنهم درساً فى فن الحرب أجبرهم على دفع جزية سنوية للسلاجقة(٨) .

---

(١) الحسينى : أخبار الدولة ص ٥٣ ، ٥٤ ، إقبال : إيران ، ص٢٤٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٥ ، وفى راحة الصدور للراوندي ص ١٨٨ (ترزمى) .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٧ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢٢٣ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ٢٥ .

(٥) براون : تاريخ الأدب ، ص٢٢٤ ، وتمكن فراش أرمنى من قتل يوسف الخوارزمى بمرزبه كان يحملها فضربه على رأسه فقتله ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٥ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٤ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٤ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ص ٤٩ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٧٠ ، حسانين : إيران والعراق ، ص ٧٣ .

هكذا انتهى عصر السلطان ألب أرسلان ، بعد أن أقام لخلفائه دولة قوية ، ثابتة البنيان ساعده فى تشييدها وزيره نظام الملك الطوسى ، الذى اشترك بحسن سياسته ، ودقة تدبيرة فى إنجاح أهداف السلاجقة ، فلم تضع مجهودات ألب أرسلان سدى بعد وفاته[١] .

وكان السلطان ألب أرسلان ، قد أوصى وزيره نظام الملك الطوسى ، بأن يكون ابنه "ملكشاه" ولي لعهده [٢] ولقبه بـ (معز الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين) ودربه وهيأه لهذا الغرض ، واشركه معه فى حروبه ، فقد كان مع والده فى حملته التى قتل فيها لتأديب الخانيين[٣] ، ورجع على رأس جيش السلاجقة إلى نيسابور[٤] ، وكان والده قد سيره مع وزيره نظام الملك إلى بعض القلاع البيزنطية (قلعة سرمارى)[٥] ، وأتما فتحها[٦] .

سلطنة ملكشاه :

وآلت السلطنة السلجوقية إلى ملكشاه بناء على تلك الوصية ، وكان ملكشاه فى السابعة عشرة من عمره فاتخذ نظام الملك الطوسى وزيرا له ، يعاونه فى إدارة شئون الدولة[٧] ، وكتب إلى حكام الأقاليم والأطراف بذلك حتى يطيعوا أمره ويخضعوا له[٨] واختار السلطان ملكشاه مدينة مرو حاضرة لملكه ولكن شرف الملك أبو سعد المستوفى أشار على نظام الملك بالانتقال إلى نيسابور فنقل إليها السلطان[٩] . ولما اطمأن ملكشاه إلى خضوع أمراء السلاجقة له ، رأى أنه فى حاجة ماسة إلى اعتراف الخليفة العباسى بدولته وسلطته ، فأرسل إلى دار الخلافة يبلغها بوفاة والده ، ويطلب من الخليفة القائم بأمر الله العباسى تفويضا

---

(١) حسانين : إيران ، ص ٦٢ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى دولة السلاجقة على عهد السلطان ملكشاه رسالة ماجستير غير منشوره ، آداب القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ١٦-٢٤.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١١٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٤ ص ٦٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٧٦ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٤ ، الحسينى : أخبار ، ص ٥٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١١٩ ، حسانين : إيران والعراق ، ص ٦٣ .

(٥) قلعة سرمارى : قلعة عظيمة وولاية واسعة تقع بالقرب من بخارى ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٥ ص ٧٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ١٤ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٨) حسانين : إيران والعراق ، ص ٦٣ .

(٩) أبو الفداء : المختصر ، جـ١ ، ص ١٩٨ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٢٤ .

بحكم البلاد ، وذكر اسمه فى الخطبه[١] ، فوافق الخليفة العباسى وأعطاه اللواء بعد أن عقده بيده[٢]. وهكذا استقام الأمر لملكشاه ، فتوجه من نيسابور إلى الرى ليكمل مابدأه أبوه[٣] .

ولكن مشكلة الأحقية بعرش السلاجقة بدأت تطل برأسها من جديد ، حيث قوبل ملكشاه بمؤامرة قادها عمه قاورد ابن داود[٤] والى كرمان ، الذى أيقن أن حلمه القديم قد أصبح ممكنا بعد وفاة أخيه ألب أرسلان فأعد جيشا كبيرا سار به من كرمان عابرا نهر جيحون ، وأرسل إلى ملكشاه يحذره منه بقوله (أنا الأخ الكبير وأنت الولد الصغير وأنا أحق منك بميراث أخى السلطان ، فأجابه السلطان ملكشاه "الأخ لايرث مع وجود الابن[٥] .

وصمم نظام الملك الطوسى والسلطان ملكشاه على محاربة قاورد ، والتقت قوات الفريقين على مقربة من همذان فى السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، ودارت معركة كبيرة ، تمكن فيها ملكشاه ومعه وزيره نظام الملك ، وبمساعدة أمراء العرب والأكراد من هزيمة عمه "قاورد" وتشتيت شمل جنده ، ثم أسر قاورد الذى أمر السلطان بقتله[٦] ولكنه أبقى كرمان بيد سليمان شاه بن قاورد[٧] وتوارثها أبناؤه إلى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٧ . الراوندى : راحة الصدور ص ١٩١ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٤ ، الراوندى : راحة الصدور ص ٩١ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ط١ (دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩٢م) جـ١٦ ، ص ١٤٥ ، حسانين إيران ، ص ٦٣ .

(٤) قاورد بن داود : هو عماد الدين قرا أرسلان قاورد كان يلى كرمان بعد استيلائه عليها سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م وكان خاضعاً للسلطان ألب أرسلان ، وسبق لقاورد العصيان سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، وسنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م على أخيه ألب أرسلان ، وخلع عليه الطاعة ، وقطع له الخطبة مطالباً بأحقيته بالسلطنة ، ولكن ألب أرسلان أخضعه ثم صالحه ، وفوضى إليه حكم هذا الأقليم ، الرواندى : راحة الصدور ، ص١٩٨ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص٥٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٠ ، أدريس : تاريخ العراق ، ص ١٤٥ هامش (٨٠) .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٩ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٨ ، عباس إقبال : أخبار الدولة السلجوقية طهران ١٤٥٣هـ) ص ٥٦ .

(٦) أفضل الدين أبو حامد كرمانى : تاريخ أفضل بدائع الأزمان فى وقائع كرمان (إيران – طهران ١٣٢٦هـ) ص ١٠ .

(٧) حمد الله المستوفى القزوينى : تاريخ كزيدة ، ص ٩٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٥٦ ، وسميت دولتهم باسم سلاجقة كرمان .

وبعد تخلصه من فتنة عمه قاورد ، نظم دولته ، وفوض الولايات على الأمراء فأسند ولاية فارس إلى الأمير ركن الدولة قتلغ تكين وخلع على أخيه شهاب الدولة تتش ، وولاه بلخ وطخارستان[١] ، كما عين بورى برس بن داود واليا على هراة ونواحيها[٢] ، وأتخذ من أصفهان حاضرة لملكه ، لما امتازت به من عذوبه الماء ، وطيب الهواء والحصون المحكمة[٣] .

ويبعد نظر رسم نظام الملك سياسة السلاجقة الخارجية ، فقد جعل أهم أهدافهم فتح الولايات غير الإسلامية الواقعة فى شمال غربى إيران ، وفى آسية الصغرى[٤] ، والشام ، ومصر ، وبلاد ماوراء النهر ، ولقد نفذ السلطان ملكشاه هذه السياسة الخارجية التى رسمها وزيره ، بعد أن أخمد الفتن الداخلية فى دولته ، وأعطى سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م لوزيره نظام الملك حق إخماد فتنة الجند ، فنجح نظام الملك نجاحا عظيماً فى إخمادها ، استحق عليه لقب (أتابك) [٥] ، ومعناه الأمير الوالد[٦] - إلى جانب تفويض الأمور كلها إليه من قبل

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٥٧ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة ص ٥٩ ، عباس إقبال : أخبار الدولة ، ص ٥٧ .

(٣) ناصر خسرو : ناصر القباديانى "سفر نامه ، نقله للعربية يحيى الخشاب (القاهرة سنة ١٩٤٥م) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م ، ترجمة د/ أحمد خالد البدلى (جامعة الملك سعود ، الرياض سنة ١٤٠٣) ط. القاهرة ، ص ١٥٤ وما بعدها ، ط. الهيئة ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤) عبد النعيم حسانين : إيران والعراق ، ص ٨٠ .

(٥) أتابك : كلمة "أتابك" تركية الأصل ومن بقايا عادات التركمان القديمة ، وهى مركبة من لفظين (أتا) أو "أطا" بمعنى مرب ، وبك ، بمعنى أمير ومعناهما معا مربى الأميرة أو الأمير الوالد ، وكانت لقباً يطلق على الأمراء والقواد العسكريين الذين يعهد إليهم بتربية أبناء سلاطين السلاجقة ، وتعليمهم وتدريبهم على شوون الحكم ، وفنون الحرب ، ويعتبر الوزير نظام الملك أول من تلقب بهذا اللقب من وزراء وقواد السلاجقة ، راجع : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة "أتابك" جـ١ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، براون : تاريخ الأدب فى إيران ص ٢٢٦ ، أحمد الشامى : العلاقات ص ٤٥ ، وكان هذا اللقب من أرفع الألقاب فى بداية التلقيب به ، ثم أصبح بعد ذلك كثير الشيوع والذيوع حتى عرفت به دول الأتابكة فيما بعد التى استقلت بالحكم عن السلاجقة ، وكان هذا اللقب إذا منح لأمير ما يكتسب صفة الدوام ولو انقطع صاحب اللقب عن القيام بوظيفته . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية (القاهرة ١٩٧٨م) ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩٨ .

السلطان ملكشاه حينما قال له "قد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك ، فأنت الوالد وحلف له[١] ، وأقطعه إقطاعاً زائداً على طوس مدينة نظام الملك مسقط رأسه[٢] .

سياسة ملكشاه الخارجية :

استغل حكام ما وراء النهر فترة عدم الاستقرار التى أعقبت وفاة السلطان ألب أرسلان ، وتولى ملكشاه السلطنة ، فتمردوا عليه ، وخلعوا طاعته ، فعزم على تأديبهم[٣] ، فتوجه فى المحرم سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م ، إلى بلخ بعد شكوى أهلها إليه من والى "ترمذ"[٤] (الخاقان[٥] شمس الملك) ، واستطاع ملكشاه ، بمساندة وزيره نظام الملك استرداد قلعة (ترمذ) ، وبلغ إلى ملكه[٦] .

وفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ، استقل والى خوارزم بها ، ولكن ملكشاه أجبره على الدخول فى طاعته[٧] ، كما أتم فتح سمرقند وبخارى سنة ٤٨٢هـ/١٠٩٠م معه وزيره نظام الملك ، بعد شكا له علماؤها من ظلم واليها[٨] ، وعين على سمرقند الأمير العميد أبا طاهر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ط . بيروت ، جـ٨ ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٣٩٧ ، إدريس : العراق ، ص ١٤٦ .

(٣) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٢٨ .

(٤) ترمذ : مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون ، الذى كان حدا حصينا لها ، وكانت مجاورة لبلخ ومتصلة بها وكذلك متصلة بالصغانيان ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٥) لقب الخاقان : لقب تركى يطلق على شيوخ الأمراء فى قبائل الترك منذ القرن الأول أو الثانى الهجرى ، ومعناه الرئيس ، وربما قيل أيضا (قان) أو "خان" ، وأطلق أيضا على الولاة والحكام من المغول ، ودخل هذا اللقب فى العالم الإسلامى عن طريق خانات التركستان ، حكام بخارى وهو تعريب للقب (قاعمان) التركى الذى كان يطلق على ملوك من تسموا بالأتراك فى القرنين السادس والسابع من الميلاد ، وأصل اللقب (قان قان) ، أى (قان القان) أو "قان القانات" ،وأطلق هذا اللقب فى الإسلام على رؤساء الترك من المسلمين ، واجع حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ص ٢٧١ ، إنستاس الكرملى : النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، ط٢ (القاهرة ١٩٨٧م) ص ١٥١ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة ، ص٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٩٥ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، زامباور : معجم الأنساب ، جـ٢ ، ص ٣١٧ .

(٨) عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٦٨ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٠ .

عميد خوارزم ، ثم سار إلى كاشغر[١] ، وأجبر حاكمها على إقامة الخطبة وضرب السكة باسمه، فأقره ملكشاه على ملكه[٢] .

وحتى يشعر نظام الملك العالم كله آنذاك ، وخاصة العالم المسيحى (البيزنطى) بقوة واتساع نفوذ السلاجقة أمر أن يرسل إمبراطور الروم الجزية المفروضة على بلاده منذ "ملاذكرد" إلى كاشغر بدلا من أصفهان عاصمة ملكشاه وأن يرسل الملاحون الذين يعملون فى نهر جيحون الرسوم المقررة عليهم إلى أنطاكية ، حتى يظهر مدى اتساع ملك السلاجقة[٣] .

ومرة أخرى تمردت قبائل الأتراك بالقرب من سمرقند ، بحجة أن مرتباتهم لم تصل إليهم[٤]، وانضم إليهم أمير فرغانة[٥] ، فعول ملكشاه ووزيره نظام الملك اليهم ، وأخمدت الثورة وعاد الجميع إلى طاعته ، وبذلك استقرت له أحوال بلاد ماوراء النهر[٦] .

وفى بلاد الشام واصل ملكشاه فتوحاته التى كان قد بدأها فى عهد أبيه أرسلان سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م إبان انشغال والده بإخضاع الروم والأرمن والكرج فى ملاذكرد ، وكان ملكشاه قد حقق بعض النصر ووصل به الحد لدخول بيت المقدس سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م ،كما خضع له والى حلب[٧] ، مما شجعه على التوجه نحو القاهرة وحاصرها سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م بعد توليه السلطنة ، غير أنه لم يستطع فتحها ، لاستماتة الفاطميين

---

(١) كاشغر : مدينة فى وسط بلاد الترك ، قريبة من سمرقند ، ياقوت ، معجم البلدان جـ٤ ، ص ٤٣٠ .

وكاشغر مدينة فى نقطة التقاء عدة طرق بين الجبال المرتفعة بين أفغانستان وتركستان والصين ، كانت لها أهمية كبيرة منذ القدم فى التجارة ، وكانت تتكون من قسمين يسمى الأول (كهنة شهر) والثانى (يكى شهر) ويتصلا عن طريق جسر كانت المدينة محاطة بخندق وسور ، ولقد ضربت كاشغر القديمة فى أثناء الحرب مع السلطان سعيد سنة ١٩١٩ ، وتأسس بدلا منها القسم المسمى الآن "كهنة شهر" وأهلها يعرف كل واحد منهم باسم الكشغرى وهم يعملون بالزراعة والتجارة والمدينة مشهورة بزراعها الكثيرة وصناعة السجاد .

أنظر : شمس الدين سامى : قاموس الأعلام ، جلد ٥ و استانبول ١٣١٤هـ ، ص ٣٨٠٩-٣٨١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٢١ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ص ١٢٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٦٣ ، عبد المنعم حسانين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٦٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٦٣ ، ٦٤ ، اقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٣ .

(٥) فرغانة : ناحية عظيمة وراء أرض الشاش بما وراء النهر ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٦٤ .

(٧)ابن ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٣٨٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص ٢٦ ، البندارى : آل سلجوق ص ٧١ .

فى الدفاع عنها ، فارتد جيش السلاجقة إلى الشام ، ولم يفكر فى غزو مصر ثانية ، ولكنه حرص على انتزاع بلاد الشام من أيدى الفاطميين[١] .

ففى سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م وبمجرد اعتلائه السلطنة ، عهد ملكشاه إلى آتسز التركى[٢] بالاستيلاء على دمشق ، فتوجه إليها ولكنه هزم على يد الفاطميين ، ولكنه استطاع فتحها سنة ٤٦٧هـ/١٠٨٣م[٣] ، كما أعد آتسز التركى هذا جيشا آخر من التركمان والعرب قاصدا مصر سنة ٤٦٩هـ/١٠٨٥م ، فتوغل فى البلاد المصرية دون أن يصادفه مقاومة تذكر ، مستغلا فرصة انشغال بدر الجمالى[٤] فى إخماد ثورات فى صعيد مصر ، وهزمه بدر الجمالى، ولم تتكرر المحاولة ثانية[٥] .

---

(١) ابن القلانسى : ذيل ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، أبو الفداء : المختصر جـ٢ ص ١٤٩ ، عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ص ٦٥ .

(٢) آتسز : كلمة تركية معناها من لا اسم له ، آت بمعنى اسم ، وسيز أداة تجريد ، وهو لقب يطلقه الأتراك على أحد أبناء الشخص المتوفى ، حتى تكتب له الحياة حسب اعتقادهم ، راجع : النظام العروض السمرقندى : جهاز مقالة ، ص٤٩ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٤٩ . ويعرف باسم اتسز من أوق وهو مقدم الأتراك الغز بالشام ، وكان أحد قادة السلطان ألب أرسلان ، وقصد فى عهده فلسطين فافتتح الرملة وبيت المقدس ، وطرد الفاطميين منها للمزيد من التفاصيل راجع ، صلاح الدين المنجد : ولاة دمشق فى العصر السلجوقى ، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير للحافظ ابن عساكر ، حـ٣ ، (دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٨١م) ص ٤ ، ٥ ، ١٧ .

(٣) أبو الفداء : المختصر جـ١ ص ٢٠٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ص ٣١٥ .

(٤) كان بدر الجمالى مملوكا أرمينيا للأمير جمال الدين بن عماره ثم أخذ يترقى فى المناصب حتى أظهر كفاءة فى الحرب التى قامت فى بلاد الشام حتى ولى إمارة دمشق من قبل الخليفة المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م ، وأخذ يحارب الأتراك فى تلك البلاد ولم يلبث أن أصبح من أقوى قوادها ثم تولى نيابة عكا سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ، وعندما حدثت الشدة المستنصرية فى مصر سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ، والتى استمرت سبع سنوات استدعى المستنصر بالله "بدر الجمالى" وولاه الوزارة الفاطمية فى مصر ، وأعاد الأمر إلى طبيعته ، ولعب دور كبير فى تثبيت الفاطميين فى مصر ، وقاد جيوشهم خارج القاهرة ، وكان لولده الأفضل بن بدر الجمالى دورا كبيراً فى الدولة الفاطمية حتى عرف عهدهم بعهد نفوذ الوزراء الفاطميين . راجع : جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر (القاهرة ، دار الفكر العربى سنة ١٩٧٤م) ص ١٠٧ ومابعدها ، المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى (دار المعارف بمصر بدون) ، ص ٢٧٠-٢٧٢ .

(٥) ابن ميسر : (محمد بن على بن يوسف) ، تاريخ مصر ، (القاهرة سنة ١٩١٩م) ص ٢٢ ، ٢٥ ابن القلانى : تاريخ دمشق ص ١٠٩ ، البندارى ، آل سلجوق ص ٧١ .

وأقر ملكشاه أخاه "تاج الدولة تتش" على بلاد الشام سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ، وسمح له بفتح ما يستطيع فتحه من الأقاليم المجاورة له ، وضمه إلى حوزة السلاجقة[(١)] ، فتوجه تتش إلى حلب سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م ليردها إلى منطقة نفوذه[(٢)] ، وكاد تتش يفلح فى ضم حلب ، لولا أن الفاطميين هاجموا دمشق ، وأرسل حاكمها يستنجد بتتش ، فأسرع تتش لنجدته ، مما اضطر الجيش الفاطمى إلى الانسحاب دون قتال ، ودخل تتش دمشق دخول الظافرين سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م ، واتخذها مقر لحكمه ، وأسس فيها دوله "سلاجقة الشام" ، وحاول أن يحسن سيرته ، ويعدل فى حكمه[(٣)] .

وفى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م تمكن تتش من دخول حلب ، بعد أن أصبحت بلاد الشام مركز للصراع بين حكامها[(٤)] ، وواصل نواب ملكشاه تنفيذ سياسته فى بلاد الشام ، وفتحوا البلاد باسمه، وأقيمت له وللخليفة العباسى المقتدى بأمر الله العباسى[(٥)] ٤٦٧هـ-٤٨٧هـ/١٠٧٥-١٠٩٤م على منابر طرابلس[(٦)] ، وطرسوس[(٧)] ، وديار بكر[(٨)] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤١٦ ، حسانين : سلاجقة إيران ص ٦٥ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص ٣٠ ومابعدها .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٤١٨ ، حسانين : سلاجقة إيران ص ٦٥ ، ٦٦ ، حلمى : السلاجقة ص ٢٨ .

(٤) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط حوادث ، سنة ٤٧٤هـ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٤٢٦ ، كما استولى تتش على حران ، والرها ونقش السكة باسمه فيها ، وانطرطوس وبعضا من الحصون .

(٥) كان الخليفة القائم بأمر الله العباسى ، قد توفى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م ، وخلفه فى الخلافة العباسية حفيده المقتدى بأمر الله عبد الله محمد بن القائم (بايعه القضاة والأمراء والوزير ابن جهير ، وكان الذخيرة أبو العباسى محمد بن القائم قد توفى أيام أبيه ولم يكن له غيره ، وسير فخر الدولة بن جهير إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة ، وأرسل السلطان البيعة ومعها الهدايا العظيمة للخليفة ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٦) طرابلس : يقال لها أطرابلس ، وتسمى أيضا مدينة إياس ، وقيل معناها الثلاث مدن ، تقع على شاطئ البحر المتوسط ، فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ/٦٤٣م ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٢٤، ٢٥ .

(٧) طرسوس : قيل أنها كلمة عجمية رومية ، بناها سليمان خادم هارون الرشيد العباسى سنة ١٩٤هـ/٨١٩م ، وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ، ص ٢٨ .

(٨) ديار بكر : ديار واسعة كبيرة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن نزار ، تقع غرب نهر دجلة ، قريبة من حصن كيفا وآمد رميا فارقين ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٤٩٤ .

وفى سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م سلم والى قلعة بعلبك القلعة إلى "تاج الدول تقش" ،[١] وعهد السلطان إلى قسيم الدولة آقسنقر (أحد أقرانه) [٢] ، بالاستيلاء على ديار بكر وما يجاورها، وأن يجلى بنو مروان عنها ، فأتم الاستيلاء عليها ، وطلب السلطان إلى الوزير فخر الدولة بن جهير[٣] الذهاب إلى الموصل فأتم الاستيلاء عليها[٤] .

وفى آسيا الصغرى كانت تطلعات ملكشاه هى نفسها تطلعات والده السلطان ألب أرسلان، لأنه كان يرى - شأنه شأن والده - أن فتح بلاد الروم له أهميته البالغة ، إذ عن طريق فتحها يمكنه السيطرة على الشام ومصر . والقضاء على النفوذ الفاطمى ، وأن يجعل العالم الإسلامى بأسره خاضعا لقيادة واحدة ، وأن يجعله قادرا على التكتل على المسيحية وهزيمتها وكف يدها عن بيت المقدس[٥] .

ففى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م عين ملكشاه أحد أقاربه وهو " سليمان بن قتلمش" واليا على منطقة آسيا الصغرى ، فبسط نفوذه على قونية[٦] ، واتخذها مقرا لعرشه[٧] ،

---

(١) بعلبك : مدينة قديمة قرب دمشق واسمها مركب من بعل اسم صنم وبك أصله من بك عنقه أى دقه ، فهى بمعنى يبك الأعناق ، بها قبر ألياس (عليه السلام) ، ياقوت : معجم البلدان جـ١ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٢) قسيم الدولة أقسنقر أحد أقران السلطان السلجوقى ملكشاه فى صباه ، وكان له لدى السلطان مكانة عظيمة ، ولذا أقطعه حلبا وأعمالها ، وما يستولى عليه من البلاد الشامية ، ابن الأثير : الباهر فى الدولة الأتابكية القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٤٠ ، وهو الذى أسس البيت الزنكى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص ١٠٤ .

(٣) فخر الدولة بن جهير : هو أبو نصر محمد بن محمد بن جهير ، ولد بالموصل سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م ، وعمل مشرفا على أملاك زوجة الأمير (قراوش بن المقلد العقيلى) وسار إلى حلب وتولى وزارة الأمير ثمال بن صالح بن مرداس ثم تولى للأمير قصر الدولة بن مروان حاكم دياربكر فأرتفعت مكانته ، وتمتع بنفوذ كبير لدى الأمراء ، ورسل الخليفة القائم بأمر الله فولاه الوزارة ، وعزل عنها سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ثم أعيد ثانية سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م وأقره المقتدى بالله على الوزارة سنة ٤٦٧هـ/١٠٨٣م ، راجع ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١١٠ ، ١١١ ، الزهرانى : نظام الوزارة فى الدول العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى (الرياض سنة ١٩٨٦م) ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٤٨ .

(٥) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٦) قونية : من أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم وكانت دار ملك سلاجقة الروم ، ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٤١٥ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨ .

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص ٩٦ ، ٩٧ ، وكان سليمان هو ابن عم جغرى بيك جد السلطان ملكشاه .

كما فتح أنطاكية[١] والتى كانت بيد الروم منذ سنة ٣٥٨هـ/١٩٦٨م ، وتم له ذلك سنة ٤٧٧هـ/١٣٠٠م[٢] .

وكان فتح أنطاكية بالغ الأهمية لأنه جعل نفوذ الدولة السلجوقية يمتد إلى سواحل البحر المتوسط[٣] وأرسل سليمان بن قتلمش إلى السلطان ملكشاه يبشره بالفتح ، وأعلن عدم خروجه عن طاعة السلطان السلجوقى[٤] ، وقد زارها السلطان ملكشاه فصلى على الشاطئ وحمد الله على ما أنعم عليه مما تملكه من بحر المشرق إلى بحر المغرب[٥] .

وهكذا بلغت الدولة السلجوقية فى عهد السلطان ملكشاه درجة كبيرة من النفوذ والازدهار والتوسع ، فوصل نفوذ السلاجقة إلى حدود الصين والهند ، وامتد من كاشغر شرقا إلى أنطاكية على سواحل البحر المتوسط غربا ، ومن بحيرة خوارزم شمالا إلى حدود اليمن جنوبا ، كما شمل إيران بأسرها ، وبلاد ماوراء النهر ، وآسيا الصغرى ، والعراق ، والشام ، وذكر اسمه فى الخطبة ، ونقش على السكة فى هذه الديار الشاسعة[٦] ، ووصف الراوندى[٧] ، عهده بأنه "صار شبابا للدولة وربيعا لأيام الملك وطرازا لأبهى حلة ، وأصبحت الدولة السلجوقية مصدر رعب يهدد العالم المسيحى ويخيفه[٨] .

---

(١) أنطاكية : قصبة العواصم من الثغور الشامية على ساحل البحر المتوسط ، وبعد أن استولى عليها سليمان ابن قتلمش سار إليه شرف الدولة مسلم بن قريش من حلب ليدفعه عنها فقتله سليمان سنة ٤٧٨هـ/١٣٠١م ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٢٦٦-٢٧٠ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص ٢٦٩ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص ١٠٤ ، ويذكر البندارى ، ص ٧١ أن الأمير برسق ضيق على الروم فى القسطنطينية وقرر على الإمبراطور فيها ثلثمائة ألف دينار سنوياً ، تحصل للسلطان ملكشاه ، وثلاثين ألف جزية يود بها للأمير برسق نفسه ، البندارى : آل سلجوق ص ٧١ .

(٣) عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ص ٦٦ ، أحمد حلمى : السلاجقة ص ٤٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ابن واصل : مفروج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢م) جـ١ ص١٨ ، ١٩ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص ٢٦٩ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص ٩٩-١٠١ .

(٦) الذهبى : دول الإسلام جـ١ ص ١٠ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٠ ، إدريس : تاريخ العراق ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٧) راحة الصدور وآية السرور ص ١٩٨ .

(٨) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٠ .

ولكن ومع هذه الانتصارات الرائعة التي حققها السلطان ملكشاه ، إلا أن بعض المواقف العصبية أرقت دولته الشاسعة ، وكان أولها حينما دب النزاع بين سليمان بن قتلمش ، وتتش أخ السلطان حول الممتلكات الخاصة بكل منهما في شمال الشام[١] ، حيث سار سليمان بن قتلمش إلى حلب مطالبا بها بعد استيلائه على أنطاكية ، مما اضطر تتش إلي قتله في حرب ضروس قرب حلب في صفر من سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٢] ، وذهب السلطان ملكشاه بنفسه إلى حلب ، ولما أطمأن إلى ولاء أخيه تتش أقر حكمه على بلاد الشام ، وأقر حكم أبناء سليمان على بلاد الروم[٣] .

وكان مقتل سليمان بن قتلمش خطرا على دولته الناشئة على آسيا الصغرى ، حيث أنه لم يترك سوى طفل صغير هو قلج أرسلان الذى تسميه المصادر الأوربية "بسليمان[٤] ، مما عرض آسيا الصغرى للغزو الصليبى فيما بعد ٤٩٣هـ/١٠٩٩م ، ولم يجد الصليبيون أمامهم اتحادا من السلاجقة بسبب أن سلاجقة الروم لم يغفروا لأقربائهم سلاجقة فارس والشام ذلك الجرم وهو مقتل والدهم سليمان[٥] .

وفى سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م أعلن صاحب حصن سيزر[٦] الدخول فى طاعة السلطان ملكشاه، وسلم له اللاذقية[٧] وكفر طاب[٨] ، فأقره السلطان على شيزر[٩] ، وظلت بيت

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ٩٦ ، ٩٨ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٠ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص ٩٦ ، ٩٧ ، العرينى : الشرق الأوسط ، ص ٩ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٧١ ، حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٦٧ .

(٤) Ostagarsky : History of the Byzantianstate. p. 316 .

(٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ص١٠٣-١٠٥ .

(٦) حصن شيز : قلعة تشمل على كورة بالشام قرب المعرة فى وسطها نهر الأردن قرب حماة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٣٨٣ .

(٧) اللاذقية : مدينة فى ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال حمص ، وهى غربى جبلة ، وتعد أيضا من أعمال حلب : ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ص ٦ .

(٨) كفر طاب : بلدة بين المعرة ومدينة حلب ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٤٧٠ .

(٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٣ .

المقدس بيد الأمير أرتق ، الذى خلفه بعد وفاته ابنه سكمان الأول سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، أما الرها[١] فقد منحها للأمير بوزان (بزان) [٢] .

وثانى هذه المواقف هو موقف أخيه "تتش" الذى أصبح بعد انتصاره على "سليمان قتلمش" سيد الموقف فى بلاد الشام بأكملها ، وخاف السلطان ملكشاه من اتساع نفوذه ، ولذا لم يتركه ينعم بالشام منفردا واستغل ملكشاه إصرار أهل حلب على ألا يسلموا مدينتهم إلا للسلطان ملكشاه نفسه ، واتجه من عاصمته أصفهان إلى حلب عن طريق الموصل ، وأخضع ما صادفه فى طريقه من قلاع كانت لاتزال تحت سيطرة الروم ، فلما اقترب من حلب أخلاها تتش ورحل إلى الشام ودخل السلطان حلب ومنحها لقسيم الدولة أقسنقر "فعمرها وأحسن السيرة فيها"[٣] .

وانحصر نفوذ تتش فى بلاد الشام حيث لم يبق معه سوى دمشق وفلسطين ، ولكن ذلك لم يرضه فتوجه إلى أخيه السلطان ملكشاه فى بغداد سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، واستأذنه فى التوسع فى بلاد الشام على حساب الفاطميين ، فأذن له السلطان ، وأمر مملوكيه أقسنقر صاحب حلب ، وبوزان أمير الرها بالمسير فى خدمته ، وتمكن تتش من الاستيلاء على حمص ومعرة النعمان[٤] .

وفى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م زوج ملكشاه ابنته تركان خاتون الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله [٥] فازداد نفوذ السلاجقة استقراراً فى جميع المناطق التى تحت أيديهم[٦] ، وأرسل إلى

---

(١) الرها : بضم أوله ، والمد ، والقصر ، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ(٣٦ كم) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص ١٠١ - ١٠٣ ، ابن القلانسى : ذيل ، ص ١١٩ ، البندارى : آل سلجوق ص ٧١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ، ص ١٠٤-١٠٦ .

(٤) حمص ومعرة النعمان : حمص : بلد مشهور بين دمشق وحلب فى منتصف الطريق ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ص ٣٠٢ ، معرة النعمان : النعمان هو النعمان بن بشير صحابى اجتاز بها فمات بها فدفن وسميت باسمه وهى مدينة كبيرة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماه ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ١٥٦ .

(٥) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٥١ ، ٤٥٢ ، براون : تاريخ الأدب جـ٢ ص ٣٧٤ ، فتحى أبو سيف: المصاهرات ، ص ١٣٢ ، ١٣٤ .

(٦) حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٦٨ .

الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين يطلب إليه تأييده لمناهضة الأمراء الخارجين عليه فى آسيا الصغرى ، ولكن الإمبراطور البيزنطى فضل معاونة الأمراء المحليين على معاونة السلطان نفسه[1] .

وبعد أن استقرت الحالة فى دولة الأتراك السلاجقة أو دولة السلطان ملكشاه الشاسعة بعد أن أدب الخانيين والروم ، عاد إلى أصفهان ، غير أن الأحداث كانت تخبئ له قوة رهيبة وخطرا كبيرا ، أطلت برأسها سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٩٠م ، وباتت تشكل مصدر خطر يهدد السلاجقة بصورة مباشرة فى إيران ، ونقصد بها فرقة الشيعة الإسماعيلية[2] .

الاسماعيلية ومصرع نظام الملك الطوسى :

لقد كان للشيعة الإسماعيلية وجود فى إيران قبل ملكشاه ، فقد استطاع دعاتهم نشر دعوتهم فى بقاع متفرقة من إيران وبلاد ماوراء النهر وخاصة فى عهد السامانيين والديالمة ، إلا أن نفوذهم تلاشى فى عهد الغزنويين والسلاجقة السابقين على ملكشاه لارتباطهم الكبير بالخليفة العباسى ، وحماسهم الشديد للمذهب السنى[3] .

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) الشيعة الإسماعيلية : تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على كرم الله وجهه ، وزعمت أن الإمام بعد جعفر هو ابنه اسماعيل التى أنكرت موته فى حياة أبيه ، وقالوا كان ذلك من جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف مغيبهم عنهم ، وزعموا أن اسماعيل لايموت حتى يملك الأرض وهو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده ، واعتقدوا أنه أحق بالإمامة من أخيه موسى الكاظم ، واعتقدوا فى سبعة أئمة آخرهم اسماعيل وأولهم على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، ولذلك سموا بالسبعية ، وأهم مبادئهم الإيمان بالإمامة ، ومذهبهم قائم على أن العقيدة لها ظاهر وباطن ، وأن الشخص الذى يدرك كنه الباطن ويتبعه لايستحق العقاب ، وقد أدى هذا إلى تأويل أحكام الشريعة فجعلوا لكل نوع من أنواع العبادة باطناً ، وكان هذا سببا فى تسميتهم "بالباطنية" ، وجعلوا لكل أية من كتاب الله تفسيرا ، ولكل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلا ، انظر : النوبختى (أبو محمد الحسن بن موسى) كتاب فرق الشيعة ، (استانبول سنة ١٩٣١م) ص ٥٧ ، ٥٨ ، الحمادى اليمانى (محمد بن مالك) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (القاهرة ١٣٥٧هـ) ص ١٧ ، برنارد لويس : أصول الإسماعيلية (مصر سنة ١٩٤٧) ص ٩٦ ، محمد السعيد جمال الدين دولة الإسماعيلية فى إيران (القاهرة ١٩٧٥) ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣) المؤيد فى الدين الشيرازى : السيرة المؤيدية ص ٤٣ ، مذكرات داعى الدعاة ص ٣٢ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤١ .

ولكن الشيعة الإسماعيلية عادت بصورة مخيفة على يد الحسن بن الصباح[1] ، الـــذى

---

(١) الحسن بن الصباح : هو الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد الصباح الحميرى ، ولد فى مدينة "قم" التى كانت معقلا قويا للشيعة الإثنى عشرية التى ينتمى إليها أبوه ، وقيل أنه من أصل يمنى ، وذكر بعض الباحثين أنه ينحدر من ملوك حمير القدامى فلقب بالحميرى ، ولايعرف بالتحديد التاريخ الذى ولد فيه الحسن ومن المحتمل أنه فى أواسط القرن الحادى عشر الميلادى ، وعندما كان طفلا انتقل مع والده إلى مدينة الرى ، وهناك تلقى تعليمه الدينى ، وكانت الرى مركزا للتعليم الشيعى الاسماعيلى منذ القرن التاسع الميلادى وأثرت فيه شخصيات شيعية قوية ، وأخذ يقرأ فى كتب الإسماعيلية ، حتى التقى بكبير دعاة الفاطميين آنذاك عبد الملك بن عطاش داعى العراق الذى أقسم أمامه يمين الولاء للإمام الفاطمى وهو نزار بن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م) ففى أواخر عهد المستنصر بالله حدث نزاع حول ولاية العهد بين أبنيه نزار والمستعلى ، فانقسم الإسماعيلية بينهما غير أن نزار لم يستطع الوصول إلى الخلافة بعدموت أبيه ، حيث هزم ووقع أسيرا فى يد أخيه المستعلى ، ثم توفى فى الأسر ، وانتشر أتباعه يدعون له فى كل مكان وسموا مذهبه " بالمذهب النزارى" ، وتحمس له حسن الصباح تحمسا شديدا ، خاصة بعد أن استقبله الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بحفاوة ، وسأله الصباح من إمامى بعدك ، فقال ابنى نزار ، فتعصب له الحسن الصباح ، وقد رحل الصباح سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م من الرى إلى أصفهان ، ومنها سافر شمالا إلى أذربيجان ثم إلى ميارفارقين ، وواصل سيره عبر العراق وسوريا حتى وصل إلى دمشق، ثم سافر جنوبا إلى بيروت ، ثم أبحر من فلسطين إلى مصر ، فوصل إلى القاهرة فى ٣٠ أغسطس سنة ١٠٣٨م/ ٤٧١هـ واستقبل بحفاوة فى البلاط الفاطمى ، ومكث فى القاهرة حوالى ثلاث سنوات قضى الشطر الأكبر منها فى القاهرة ، ثم فى الإسكندرية ، وأختلف مع أمير الجيوش بدر الجمالى بسبب تأييد حسن الصباح لنزار بن المستنصر ، وكان الجمالى يؤيد المستعلى ، فأدخل السجن ، ثم طرد من مصر إلى بلاد المغرب، ولكن هبت ريح عاصفة على السفينة التى كانت تحمله مع بعض الأفرنج ، فتحطمت ، وأنقذ وحمل إلى حلب ثم بغداد ، ووصل إلى أصفهان فى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م ، ومنها إلى خوزستان ثم أقام دامغان ثلاث سنوات ، ثم سافر إلى كرمان ويزد ثم باشر دعوته فى أندجرود أو "أندج رود" مازالت باقية باسمها حتى الآن ، وهى إحدى ضواحى الموت الأربعة ، والموت أو عش العقاب ومعناه بلغة الديلم تعليم العقاب لأن الموت هى نفس كلمة (آموخت) ومعناها تعليم لغة أهل الديلم كما ذكر ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٣١ وكانت قلعة ألموت التى استولى عليها الحسن الصباح ، واتخذها مقرا لحكمة من أملاك وإقطاع رجل من قبل ملكشاه هو "علوى بن مهدى" ومن ألموت الحصينة وقلاعها المجاورة بدأ الحسن الصباح دعوته وحركته التى عرفت أيضا بالفداوية ، وفيها كون دولته الفتية القوية وكثر مريدوه ، وكون جيشا قويا ، وأتباعا مطيعين ومنها أرسل الدعاة إلى الأطراف مما سبب خطرا كبيرا على دولة السلاجقة ، لمزيد من التفاصيل حول حياة الحسن الصباح راجع : عطا ملك الجوينى : "تاريخ جهانكشاى" بالفارسية ، ترجمة د/ محمد السعيد جمال الدين سنة ١٩٧٥م ضمن كتابه (دولة الإسماعيلية فى إيران ص١٨٤) ويذكر أن عطا ملك الجوينى المؤرخ =

كون فرقة إسماعيلية عرفت بالحشاشين[1] ، واستفحل أمرها فى إيران ، وأصبحت مصدر تهديد للدولة السلجوقية السنية[2] والخلافة العباسية .

= الفارس المشهور قد وافق هولاكو فى حملته على قلعة ألموت معقل الحسن الصباح بعد القضاء على الشيعة الحشاشين ، واستاذن هولاكو فى الإبقاء على المكتبة التى توجد فى القلعة ليطلع على أفضل مافيها من كتب، فأذن له هولاكو فوجد كتاباً بعنوان (سر كنشت سيدنا) أو "سيرة سيدنا" يتضمن حياة الحسن صباح، فنقل منه ماهو ملائم ومناسب لسياق التاريخ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٣١ ، البغدادى : (عبد القاهر بن طاهر الاسفرائينى) ، الفرق بين الفرق ، حققه محمد محى الدين عبد الحميد ، (القاهرة ، بدون) ص ١٦٢ ، برنارد لويس : الحشاشون ، تعريب محمد العزب موسى ط٢ (القاهرة سنة ١٩٨٦) ص ٧٧- ٨٢ ، محمد جمال الدين : دولة الإسماعيلية فى إيران ، ص ٩٦ - ٩٩ .

(١) الحشاشون : أخذت من الأصل العربى (حشيش) - Hashish أو "حشاش" ، وعنى بها المؤرخون لأن رؤسائهم كانوا يعطون الحشيش أو القنب الهندى للفدائيين المأمورين بتنفيذ الجرائد و حتى يضمنوا مباهج الفردوس كما رغبوهم ، والتى تنتظرهم لدى نجاحهم فى إتمام مهامهم ، وقد حرف الأوربيون هذه الكلمة وسموها Assassin بمعنى القتلة ، وقد أخذت كلمة Assassins الفرنسية من كلمة الحشاشين العربية ، وينكر سيلفستروى ساسى علاقة الدراسات الخاصة بالحشاشين والذى استخدم المصادر الشرقين والعربية يرد بقوله أن الكلمة جاءت من الأصل العربى "حشيش" وقال إن الأشكال المختلفة للكلمة مثل Heyssissini, Assassini, Assassini التى وردت فى المصادر الصليبية إنما هى مؤسسة على الأشكال المختلفة للكلمة العربية مثل حشيش وحشاش وجمعها حشاشون ، وأثبت أنه لم يذكر كلمة حشاش فى المصادر العربية ، وقال أن كلمة "حشاش" التى تطلق على آكل المخدر المعروف بالحشيش أو القنب الهندى ، كانت معروفة فى العصور الوسطى لأن استخدام الحشيش كان معروفا فى ذلك الوقت ، ولم يكن بالسر المجهول أو وقف على زعماء تلك الفرقة ، ولم يذكر أحد من الكتاب الاسماعيليين أو كتاب السنة الجادين أن الإسماعيلية كانوا يستخدمون هذا المخدر ، ويبدو أنه أطلق عليهم تعبيرا على احتقار عقائدهم وسلوكهم المعيب ، وفتحت دراسة سلفستر الباب أمام الدارسين حول كلمة الحشاشين وإلي الآن عقائدهم فى المصادر الصليبية المعاصرة لهم بأنهم قتلة مأجورون ، فالحشاش يعنى عندهم الذى يقتل الآخرين مقابل أجر ومنذ ذلك الحين أصبحت كلمة حشاش شائعة فى اللغات الأوربية وتعنى القاتل أو بالتحديد الذى يقتل خلسة أو غدر أو تكون ضحيته شخصية مهمة . لمزيد من التفاصيل راجع : برنارد لويس : الحشاشون ص ١١-٤٢ .

(٢) بروان : تاريخ الأدب فى إيران ص ٢٠٩ ، طه شرف : دولة النزارية (النهضة المصرية ١٩٦٠م) ص ٦٤ ، ٨٤ .

واتخذ الحسن بن الصباح من قلعة ألموت[١] حصناً وملاذاً لدولته الفتية منذ سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٧م ، ومنها اندلعت شرارة نيران الدعوة الإسماعيلية فى كل مكان[٢] ، وشكلت ألموت بموقعها خطراً على دولة ملكشاه السلجوقية ، فهى حصن مقام فوق قمة صخرة عالية فى قلب جبال "البورج" Albarg ، وترتفع أكثر من ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، كما تعلو عدة مئات من الأقدام فوق قاعدة الصخرة ، ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر طريق ضيق شديد الانحدار كثير المنعطفات[٣] ، مما جعل من المتعذر على السلاجقة الوصول إليها [٤] ، وكانت هذه القلعة إحدى إقطاعات أمير علوى هو (علوى بن مهدى) كان ملكشاه قد قد أقطعه أياها[٥] .

ويعلل بعض الباحثين نجاح الدعوة الاسماعيلية واستفحال أمرها ، وتهديدها الملك ملكشاه ونفوذه إلى عدة أخطاء فى سياسة السلاجقة ، ومنها نظام الإقطاع السلجوقى الذى أوجد فوارق طبقية ، وهذا ما استغله الحشاشون[٦] ، ويعزو العماد الأصفهانى[٧] سببا آخر وهو

---

(١) قلعة ألموت : Alamut معناها بالفارسية (ألوه أموت) ومعناها "عش العقاب" وبلغة أهل الديلم "تعليم النسر" أو العقاب لأن ألموت هى نفس كلمة (آموخت) ومعناها تعليم بلغة الديلم وقيل أن الذى بناها أحد ملوك الديلم القدامى ، فبينما كان خارجا للصيد ذات يوم أطلق نسرا مدربا فاعتلى صخرة وأدرك الملك القيمة الاستراتيجية للموقع وبنى عليه من فورة قلعة أسماها (ألوه أموت) بمعنى عش العقاب أو النسر . وهى تقع شمال مدينة قزوين ببلاد الديلم ، وتمتد هذه الأرض التى تحيط بها فتشمل الطالقان وهى بلدة فى طخارستان بين بلخ ومرو الروز ، كما تمتد غربا حتى نهر "بهرام أباد وودبار" على الحدود المتاخمة لشرقى آذربيجان ، ويقال إن الحسن الصباح بعد أن أصبح سيدا لها لم يغادرها مرة واحدة منذ دخوله سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٧م حتى وفاته ٥١٨هـ/١١٢٤م بعد ذلك بخمسة وثلاثين عاما ، راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٣١ ، عطا ملك الجوينى : تاريخ جهانكشاى ص ١٨٩ وما بعدها فى الترجمة العربية ، برنارد لويس : الحشاشون ص ٨٥ - ٨٧ ، محمد السعيد جمال الدين دولة الإسماعيلية ص ١٠٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٥٦ ومابعدها .

(٢) طه شرف : دولة النزاريه ، ص ٦٤ ،

(٣) برنارد لويس : الحشاشون ص ٨٥-٨٨ ،

(٤) إدريس : تاريخ العراق ص ١٥٢ .

(٥) عطا ملك الجوينى : تاريخ جهانكشاى ص ١٨٩ .

(٦) محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية ص ٩٩ .

(٧) آل سلجوق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

"لم تكن للدولة - يقصد السلاجقة - أصحاب أخبار" أو ديوان بريد يأتى لهم بأخبار الإسماعيلية[١] .

ومن ألموت أرسل الحسن الصباح دعاته إلى القلاع المجاورة ، ففى سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، سقطت فى يده قلعة (سنمكوه) أو قهستان ، وعين نائبا له بها هو (الحسين القاينى) أحد دعاته[٢] ، فأرسل أهلها يشكون للسلطان ملكشاه[٣] ، مما أدى إلى يطلب الوزير الملك من السلطان إعادة ديوان البريد ، أملا أن تصله أخبار هذه الطائفة ، كما أكد لملكشاه أنه ليس عليه من فريضة أوجب من استئصال شأفة هؤلاء الملاعين لتأمرهم على الدولة[٤] .

وجزع السلطان ملكشاه وعمل على استئصال تلك الطائفة[٥] ، وبدأت الحرب بين الحسن الصباح والسلطان السلجوقى بمعاونة وزيره نظام الملك ، فأرسل السلطان أحد قادته وهو (التونتاش)[٦] لمحاصرة ألموت ، وكان صاحب إقطاعها ، ولكن الحسن الصباح شجع أتباعه على الصمود مدعيا وصول رسالة من المستنصر الفاطمى تحثه على ذلك[٧] ، فلم يفلح التونتاش من دخولها[٨] .

---

(١) ولمزيد من التفاصيل حول الإسماعيلية ، راجع ص من الرسالة .

(٢) عطا ملك الجوينى : تاريخ جهانكشاى ، ص ١٩٣ ، من الترجمة العربية .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١١٠ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٣-٢٥٦ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٥) الجوينى : تاريخ جها نكشاه ص ١٩٥ .

(٦) التونتاش : هذه الكلمة تكتب خطأ لأن اصلها (يورنتاش) وهى فى اللغة التركية تعنى الحجر الأبيض من (يورن) (يورون ، يوروتك ، أوروون ، أورونك) بمعنى أبيض ، و"تاش" بمعنى حجر ، والغزية تسميه آق أى أبيض ، ولها رسم آخر هو أورنكتاش ، بمعنى الصقر الأبيض ، وتأتى أيضا بمعنى الطائر الأبيض ويرنقش وسم آخر لنفس الكلمة وهو من الأعلام التركية المعروفة ويأتى ذكره كثيرا عند السلاجقة ، وورد ذكره باسم (التون تاش) أيضا ، راجع ، محمود الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، جـ١ ، ص ١٢٠ ، ٢٧٨ ، محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية ، ص ١٩٣ هامش "٢" .

(٧) الجوينى : تاريخ جها نكشاى ، ص ١٩٤ ، طه شرف : دولة النزارية ص ١٢٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٣٠ .

ولقد اعتمد الحسن الصباح على "الفدائية" أو "التضحية" ، والذى كانوا دائما على استعداد لتنفيذ أوامره ، فكان يستخدمهم لتنفيذ ما يطلب من قتل لأعدائه ومنافسيه غدرا ، وكانوا يضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم[١] .

ولما تفشت أفعال الإسماعيلية فى المشرق الإسلامى ، وامتدت أضرارهم إلى كل مكان ، أرسل ملكشاه رسولا من قبله إلى الحسن بن الصباح رجاه فيه الكف عن قتل العلماء والأمراء، وحذره ، فرد عليه الحسن برسالة مدعيا فيها أنه ليس لبنى العباس حقا فى الخلافة، وشرح له تطور مذهبه لكى يدخل فيه[٢] .

واستفحل أمر الحسن الصباح ، فعجز الأمراء المحليين ومنهم سلطانهم عن قتاله وجموعه ، فأنفذ إليه السلطان ملكشاه فى أوائل سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م الأمير (أرسلان تاش) الذى تمكن من حصار القلعة ، ولكنه هزم ، وغنم الإسماعيلية جيشه[٣] ، وظلت هذه الطائفة مصدر قلق للسلاجقة على الرغم من حملات ملكشاه المتكررة عليهم ، ولكنها لم تؤد إلى إخمادها أو ضعف شأنهم بل ظلوا محتفظين بكيانهم حتى قضى عليهم المغول سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م[٤] .

ومن أبرز أعمال هذه المنظمة القوية فى عهد ملكشاه ، تمكن الفدائيين أتباعها من اغتيال نظام الملك فى العاشر من شهر رمضان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، فكان أول ضحاياهم ، وكان هو العقل المدبر والمفكر لضربهم وشل حركتهم[٥] .

---

(١) برنارد لويس : الحشاشون ص ١٨١-٢٣٠ ، ٢٣١-٢٣٦ ، بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٨٦ .

(٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ورقة ١١ حوادث سنة ٤٨٤هـ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص ٢٥٧ .

(٤) عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى إيران (دار المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٨١، ص ١١١-١١٤) .

(٥) يقال إن الذى قتل نظام الملك رجل ديلمى تخفى فى زى الصوفية ، حيث كان نظام الملك على مقربة من نهاوند قرب همذان ومعناها الخير المضاعف ، وكان صائما وتناول طعام إفطاره ثم خرج فى محفة لزيارة حريمه وأهله فاعترضه رجل ديلمى يقال له أبو طاهر الأرانى فى مكان يقال له سحنه ، هى قرية من توابع كرمانشاه مازالت باقية باسمها حتى الآن ، وكان يحمل فى يده خنجرا ، ومظلمة ، وسأل نظام الملك أن =

وكانت مكانة نظام الملك قد تزعزعت فى أواخر أيامه ، وساءت العلاقات بينه وبين السلطان ملكشاه للأسباب الآتية :

أ- اعتماد نظام الملك على أبنائه وأقاربه وأتباعه وأنصاره ، فى إدارة شئون الدولة[١] ، فاستبدوا وتحكموا[٢] ، وخاصة عندما منحهم نظام الملك صلاحيات واسعة تطلق يدهم فى مهام الدولة صغيرها وكبيرها ، مما أغضب ملكشاه وآثار حفيظته[٣] .

ب- الخلاف بين تركان خاتون زوجة السلطان ، وبين نظام الملك حول ولاية العهد ، فقد كان نظام الملك يرى أن بركياروق الابن الأكبر لملكشاه هو أحق بولاية العهد ، بينما كانت تركان خاتون تريد تولية ابنها محمود ، الطفل الذى لم يتجاوز الرابعة من عمره[٤] ، فانضمت إلى

= يأخذها ، فمد يده لأخذها فطعنه الديلمى بالخنجر فى قلبه ، فسقط الوزير مغشيا عليه ، وحمل إلى خيمته فمات وهرب القاتل فأدركه رجال الوزير وقتلوه ، وقيل أيضا أن تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه سبب مقتله لتفضيله بركيا ورق الابن الأكبر للسلطان على ابنها محمود فى ولاية العهد ، ولكن مقتله على يد الفداوية أقرب إلى الصحة راجع : الجوينى : تاريخ جهانكشاى ، ص ١٩٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٧٨-٤٧٩ ، الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ ، البنداری : آل سلجوق ص ٦٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص ٣٩٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٥ ص ١٣٧ ، إدريس : تاريخ العراق ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٦ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٢٨ .

(٣) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٢ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٩ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٨ .

كانت تركان خاتون ابنة طمغاج خان وعمة أحمد خان خاقان سمرقند ، وهو تاج الملك أبو الغنائم مرزبان بن خسرو فيروزالشيرازى ، ابن الأثير : جـ٨ ، ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

وتركان : لفظة تركية بمعنى السيدة والملكة (تركن) بكسر التاء والكاف ، أما خاتون فعند أغلب أصحاب المعاجم أنها فارسية بمعنى السيدة ، ودخلت العربية وجمعت خواتين إلا أن أرمنيوس فامبرى رأى رأيا آخر فى كتابه تاريخ بخارى ، ص ٣٩ ، وهو أن الكلمة تركية مستمدة من الأصل (خت) بمعنى الخلط والإدغام ، عباس إقبال : إيران ، ص ٢٥٣ ، هامش (١) ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٢٦٤ .

أعدائه ، وأوغرت صدر زوجها السلطان عليه ، ومال السلطان إلى تصديق مفترياتها[١] ، خاصة وأنها كانت لها سيطرة على كثير من القرارات السياسية فى الدولة لسيطرتها على السلطان نفسه[٢] .

جـ- كثرة الطامعين فى منصب نظام الملك والحانقين عليه ، وكان أكثر هؤلاء طمعا وأعظمهم حنقا تاج الملك الشيرازى صاحب ديوان الإنشاء ، ومجد الملك القمى صاحب ديوان الاستيفاء ، وسديد الملك الشيرازى صاحب ديوان عرض الجيش ، وقد استطاع أحدهم وهو تاج الملك أن يكسب ود زوجة السلطان وتأييدها لمناهضة نظام الملك[٣] .

د- شكوى والى مرو من قبل السلطان ملكشاه من عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك حفيد نظام الملك الذى كان جده قد ولاه رئاسة وشحنة مرو ، فثار نزاع بينه وبين قودن والى مرو من قبل السلطان ، واستغل عثمان نفوذ جده فقبض على - قودن - وأودعه السجن ، ثم أطلق سراحه مستغيثا شاكيا[٤] .

ولم يكن السلطان السلجوقى ملكشاه فى حاجة إلى أسباب أخرى لكى توغر صدره على وزيره ، الذى كان ساعده الأيمن فى أيام كثيرة[٥] ، ودفعت هذه الأسباب السلطان إلى التفكير فى عزل وزيره ، غير أنه تردد لمعرفته مدى حب الشعب ، وقسم كبير من الجيش لنظام الملك وأبنائه[٦] ، وتوقعه أن تثور الفتن وتعم الاضطرابات وتسود القلاقل وتختل الأوضاع فى دولته[٧] .

---

(١) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٢ .

(٢) حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٧٦ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٦٤ ، الحسينى : أخبار ص ٦٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٩ ، الراوندى : راحة الصدور ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٦ .

(٦) حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٧٧ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٣ .

(٧) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٣ ، والدليل على ذلك بقاء أبناء نظام الملك فى الوزارة مدة طويلة .

وفضل السلطان أن يتخذ أسلوب التهديد بدلا من العزل ، فلعل التهديد يرهب نظام الملك ويقلل عدد أتباعه من حوله[١] ، فاستغل شكوى شحنة مرو (قودن) ضد حفيد نظام الملك وأرسل خطاب شديد اللهجة إلى وزيره وأراد أن يمعن فى إغاظة ومضايقة نظام الملك ، فأرسل الخطاب مع عدويين من ألد أعداء نظام الملك ، وهما تاج الملك الشيرازى ، ومجد الملك القمى[٢] ، وقد جاء فى خطاب السلطان إلى وزيره :

إن كنت شريكى فى الملك ، ويدك مع يدى فى السلطة فلذلك حكم ، وإن كنت نائبى وبحكمى فيجب أن تلزم حد التبعية والنيابة ، وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة ، وولى ولاية كبيرة ، ولم يقنعهم هذا حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا وفعلوا ، فكأنك لى فى الملك شريك ، أتريد أن آمر برفع دولة الوزارة من بين يديك ، وأخلص الناس من استطالتك"[٣] .

وكان رد نظام الملك لما وصلته الرسالة أن استشاط غضبا وغيظا ، ورد عليها ردا قال فيه:

قولوا للسلطان : كأنك اليوم عرفت أنى فى الملك مساهمك ، وفى الدولة مقاسمك ، وأن دواتى مقترنة بتاجك ، فمتى رفعتها رفع ، ومتى سلبتها سلب ، ألا تدرى أننى الذى جمعت الجيش - بعد موت السلطان الشهيد ألب أرسلان ، وفتحت الأقاليم وهيأت لك أسباب الملك ، فلو أن وزارتى سقطت لسقطت القلنسوة من فوق رأسك"[٤] .

ولما وصلت رسالة نظام الملك إلى السلطان ازداد حذرا منه ، وأخذ يدبر مؤامرة للإيقاع به ، ولكنه لم يجرؤ على عزله ، لذا لم يكن غريبا أن يرى الكثيرون أنه هو الذى حرض تاج الملك الشيرازى على قتله فى نفس العام الذى ثار فيه النزاع ، على يد أحد الفداوية[٥] .

كان مصرع نظام الملك أمرا جللاً ، ومن أهم الحوادث فى تاريخ السلاجقة ، وخسارة كبرى للعالم الإسلامى عامة ، والسلاجقة خاصة ، فقد كان يجمع بين قوة الشخصية ورجاحة العقل

---

(١) حسانين : سلاجقة إيران ص ٧٧ .

(٢) عباس اقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة .

(٣) الحسينى : أخبار ، ص ٦٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٧٨ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٩.

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ٦٣ ، الحسينى : أخبار ص ٦٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٧٩ .

(٥) الحسينى : أخبار ص ٦٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ من ٤٧٩ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٩ .

وصواب التدبير وكان عاملا مهمًا من عوامل تدعيم بنيان الدولة السلجوقية[١] ، وكان وزيرا سياسيا بارعا ذو مقدرة عظيمة على إدارة الأمور وممارسة العلم ، نظرا لثقافته الواسعة، ويكفى ما خلفه من كتب وأعظمها كتابه(سياسة نامة) الذى يتضمن كثير من النواحى الأدبية والاجتماعية والسياسية والأسس التى يبنى عليها الملك وتساس الرعية ، كما كان للمدارس النظامية التى أنشأها فى بغداد وغيرها من المدن أثر كبير فى النهضة العلمية آنذاك[٢] .

وبعد مصرع نظام الملك ، عاد السلطان ملكشاه إلى بغداد ، وعين "تاج الملك الشيرازى"[٣] فى الوزارة ولكنه مات بعد مصرع وزيره بحوالى خمسة وثلاثين يوما فقط . فى ليلة الجمعة فى النصف من شوال سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٤] .

---

(١) عباس اقبال : الوزارة ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، زحمد حلمى : السلاجقة ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب سياسة نامة ، ص ٥٣١ من الرسالة .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٨٢ ، عباس إقبال ، تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ .

(٤) كانت وفاة ملكشاه فى ظروف غامضة قد أدت إلى نشر الشائعات حول موته ، ويمثل ابن الأثير الطائفة التى تقول بقتله ، أثناء رحلة صيد له فأكل لحم صيد فحُم وافتصد ولكن لم يخرج الدم منه ، لكن المؤرخين قريبى العهد منه يرجعون موته إلى سم دس له فى الشراب ، فيقال إنهم أعطوه سما بيد أحد الخدم وكان السم من شحم أرنب بحرى ، كما جاء فى كتاب مجمل التواريخ المؤلف سنة ٥٢٠هـ ، فى عهد السلطان سنجر السلجوقى ٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٧م ، يقول المؤلف رشيد الدين إنهم أعطوه دواء ويمثل البندارى الطائفة التى تقول وترجع بأنه مات ميتة طبيعية ، آل سلجوق ص ٦٥ ، ويسانده الحسينى فى أخبار الدولة السلجوقية ص ٧١ ، ويرجع أحمد حلمى أنه مات مقتولا مستنداً البيت ورد فى ديوان الأنورى شاعر السلطان سنجر ، يمتدح فيه ملكشاه ابن سنجر بن ملكشاه أحد عظماء عصره : حيث أن مأتم سنجر قد جدد ذكرى قتل ملكشاه .

فإنك عيد ذلك المأتم وفرحه . . أيها المعظم ملكشاه .

ويعزز رأيه بقوله أن ولادة الأنورى كانت عقب مصرع ملكشاه بسنوات قليلة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م ، راجع: ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٤٨٢ ، عباس إقبال : الوزارة ص ٧٦ ، ٧٧ ، هامش ١ ، ٤ ، حربى أمين سليمان : المؤرخ الإيرانى غياث الدين خواندمير (الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠) ص ٢٥٨ ، ٢٥٩.

وبموت السلطان ملكشاه ، انفرط عقد الدولة السلجوقية ، وتمزقت وحدتها وقوتها[١] ، وانتهى العصر السلجوقي الأول الذي سمى بعصر "السلاجقة العظام" ، أو العصر الذهبي للدولة السلجوقية[٢] ، ويقول ابن الأثير[٣] "وانحلت الدولة ووقع السيف" ، وكثرة النزاع بين أفراد البيت السلجوقي ، وأخذت تركان خاتون البيعة لابنها محمود الذي ناصبه أخوه بركياروق العداء مما أدى تفكك هذه الدولة الشاسعة التي تركها ملكشاه لأولاد من بعده[٤] .

وانقسم السلاجقة ولم تعد دولتهم تخضع لسلطان واحد ، فكان هناك سلطان في أصفهان وآخر في الري وفقد البيت السلجوقي سطوته وهيبته ، فواجهته أخطارا خارجية مثل الحروب الصليبية مما أدى إلى انحلالها وزوالها في النهاية ، وورثها الأتابكة[٥] .

---

(١) حسانين : سلاجقة إيران ص ٧٩ .

(٢) إدريس : تاريخ العراق ص ١٥٨ .

(٣) ابن الأثير ك الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٨٣ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٩ ، ص ١٠ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٨٣ ، ومابعدها ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٣٨ .

(٥) انقسم السلاجقة بعد وفاة ملكشاه ، وبرزت مشاكل عدة وأهمها من يخلفه على العرش وتجددت الفتن بين بركياروق الأبن الأكبر ومحمود بن تركان خاتون وتاج الدولة تتش ، وحدث تنازع أيضا علي الوزارة، وازداد نفوذ الإسماعيلية ، ولم تفلح جهود السلطان سنجر في المحافظة على وحدة السلاجقة إلا وقتا قليلا ، وانقسم السلاجقة إلى عدة دويلات متنازعة وهي :

- سلاجقة كرمان ٤٣٣هـ -٥٨٣هـ/١٠٤١-١١٨٧م .
- سلاجقة سوريا أو الشام ٤٨٧-٥٠٨هـ/١٠٩٤-١١١٤م .
- سلاجقة العراق وكردستان ٥١١-٥٧٣هـ/١١١٧-١١٧٧م .
- سلاجقة الروم ٤٧٠-٦٩٦هـ/١٠٧٧-١٢٩٦م .
- السلاجقة الدانشمندية ٤٩٩-٥٦٠هـ/١١٠٥-١١٦٥م .

لمزيد من التفاصيل حول هذه الدول راجع : ابن بي بي : سجلوق نامه ، ص ٥ - ٢١٤ ، أفضل الدين أبو حامد كرماني : تاريخ أفضل بدائع الأزمان في وقائع كرمان ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٨ ، زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، سهيل زكار : مدخل إلى الحروب الصليبية : ص ٢٧ ، وما بعدها .

وهكذا شيد سلاطين السلاجقة العظام صرحاً قوياً راسخاً ، حافظوا على وحدته وقوته واتساعه فكانت دولتهم الواسعة ، ولكن كيف أدار هؤلاء السلاطين هذه السلطنة الشاسعة المترامية الأطراف ؟ المتعددة الأجناس واللغات والأديان ؟ وكيف نظموها سياسيًا ، وإداريًا واقتصاديًا ، وحربيًا ؟ .. هذا ما سوف تجيب عنه السطور التالية !!

الفصل الثانى

النظام السياسى

أولا : السلطنة : تعريفها - رسوم اختيار السلطان السلجوقى - انتخاب السلطان - موافقة الخليفة العباسى- كيفية تفويض الخلفاء السلطنة للسلاطين - نظرية التفويض الإلهى .

رسوم تعيين السلطان السلجوقى : قوة الزعيم السلجوقى وشخصيته - إقامة الخطبة - التلقب بالألقاب - النقش على العملة .

علامات الحكم ورسوم دار السلطنة السلجوقية : حواضر السلاجقة- القصر أو السرايا (دار الحكم) الدركاه - رسوم السلطان فى قصره - ملابس السلطان فى قصره .

شارات السلطنة السلجوقية : الخيمة - التخت - التاج - القوس - القباء - البوق - الخاتم أو التوقيع - دور الحريم - الخزانة السلطانية - حقوق السلطان السلجوقى - العلم أو البيرق - الميقاتى - السيف - السيف - السهم - الهودج - الخوان - الدركاه - رئيس الفراشين .

مراسم الاستقبال وتبادل الهدايا وإرسال الرسل : استقبال رسول الغزنويين والهدايا المتبادلة - استقبال رسول الخلافة العباسية والهدايا المتبادلة وعلاقة السلطان بالخليفة - استقبال رسول البيزنطيين والهدايا المتبادلة .

ثانيا : ولاية العهد : اختيار ولى العهد - رسوم تعيين ولى العهد- موافقة الخليفة العباسى - موافقة الجند السلجوقى - موافقة الوزير السلجوقى - إقامة الخطبة .

ثالثا : الوزارة : تطورها - وزراء السلطان طغرلبك - وزراء ألب أرسلان وملكشاه - التنافس على الوزارة بين نظام الملك وعميد الملك الكندرى ومقتل الكندرى - النزاع بين نظام الملك ، وتاج الملك الشيرازى، ونهاية النظام - رسوم تعيين الوزير السلجوقى - مهام وأعمال الوزير السلجوقى - ألقاب الوزراء - شارات الوزير - العلاقة

بين الوزير والسلطان – راتب الوزير – وزير الخليفة ، ووزير السلطان – محاسبة الوزير وعزله – وزير زوجة السلطان – وزراء أمراء الأقاليم .

رابعا : الكتابة : تطورها – كتاب طغرلبك – كتاب ألب أرسلان وملكشاه .

خامسا : الحجابة : تطورها – السلاطين العظام .

أولا : السلطنة :

تعريفها : السلطان اسم خاص فى العرف العام بالملوك ، ويطلق على الحاكم فى أى شكل من أشكاله خليفة أو إماما أو ملكا أو قاضيا ، وأصله فى اللغة الحجة قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان)[١] يعنى حجة وبرهانا وسمى السلطان بذلك لأنه حجة على الرعية يجب عليهم الانقياد إليه[٢] .

وقيل إنه مشتق من السلاطة ، وهى القهر والغلبة ، لقهره الرعية وانقيادهم له ، وقيل من قولهم لسان سليط أى حاد ماض لمعنى أمره ونفوذه[٣] ، وقيل أنه مشتق من اللغة الآرامية والسريانية Sultaha ويوجد هذا فى أوراق البردى العربية منذ القرن الأول الهجرى ، مثل خراج السلطان ، وبيت مال السلطان ، ويقصد به سلطة الحكومة أو الوالى أو الحاكم[٤] .

وكان التلقيب بهذا اللقب فخريا فى بدايته ، فأول من لقب به هو "خالد بن برمك[٥] وزيرها هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٨٧٦-٨٠٩م تعظيما له ، ثم انقطع التلقيب به إلى أيام

---

(١) سورة سبأ : آية رقم ٢١ .

(٢) القلقشندى : أبو العباس أحمد بن على ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ٥ ، القاهرة ، ١٩٦م ، ص ٤٤٧-٤٤٨ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٤٧ ، ناصر خسرو : سفرنامة ، ص ٤٨ .

(٤) جروهمان : أدولف جروهمان ، أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ٦ اجزاء ، جـ١ ، جـ٢ ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، عبد الحميد حسن (القاهرة ، ١٩٣٤م) ، جـ ١ ، ص ١٣٥ .

(٥) خالد بن برمك : مؤسس الأسرة البرمكية .. وأحد دعاة العباسيين ، واستوزره الخليفة أبو العباس السفاح بعد مقتل أبو سلمة الخلال ، ثم استوزره أبو جعفر المنصور ، ثم استعمله الخليفة المهدى فى قصره إلى أن توفى سنة ١٦٥هـ/٧٨١م ، وورثه أولاده الذين نكب بهم الرشيد فيما بعد ، انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٢ ، ص ٥٠ ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول ، ط٢ (القاهرة ١٩٨٦) ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ .

البويهيين فتلقب به ملوكهم[١] ، فضلا عما كان يضفية عليهم الخليفة من ألقاب فخرية خاصة[٢] ، ثم لقب به ملوك الغزنويين[٣] ثم اتخذه السلاجقة لقبا عاما على ملوكهم[٤] وورثت الأسر الحاكمة بعد السلاجقة هذا اللقب منهم[٥] .

والسلطنة أعم من الملك لأن الملك يختص بالزعيم الأعظم ، والسلطان يطلق على الملك وغيره ويقدم عليه فيقال السلطان الملك الفلانى[٦] .

والسلطنة من الناحية الفقهية تتمتع بعموم الولاية ، وهى نظريًا مستمدة من تفويض صادر من الخليفة ، أما من الناحية الفعلية فهى زعامة بأمر بلد من البلاد ، وصارت ولاية استيلاء

---

(١) لقب الأمير البويهى أبو شجاع ٤٠٣-٤١٥هـ/١٠١٢-١٠٢٤م بلقب سلطان الدولة ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ص ٣١٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٤٧ .

(٢) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٢٣ .

(٣) أول من اتخذ لقب سلطان كدليل على أنه الحاكم أو الملك هو محمود بن سبكتكين الغزنوى وشاع ذكره بذلك اللقب وعرف به حكام دولته من بعده ، كالسلطان مسعود الغزنوى ٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م ، والسلطان مودود ٤٣٢-٤٤١هـ/١٠٤٠-١٠٤٩م وغيرهم ، مما سوغ للملك السلجوقى طغرلبك إعلان ذلك اللقب على نفسه حينما أعلن قيام دولة الأتراك السلاجقة سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م وجلس على عرش مسعود الغزنوى ، انظر : العتبى : أبو النصر محمد بن عبد الجبار ، تاريخ اليمنى ، جـ١ ، (القاهرة ، ١٢٨٦هـ) ، ص ٦١ ، الثعالبى : يتيمة الدهر ، جـ٤ ، ص ٣٩٠ ، السبكى: تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق الحلو ، الطناحى (القاهرة ١٩٦٦م) ، جـ٤ ، ص١٦ ، ويذكر منهاج الدين عثمان صاحب (طبقات ناصرى) جـ١ ص ٢٢٨ ، أن محمود الغزنوى أول من لقب بالسلطان ، سعد الحميدى : حضارة الدولة الغزنوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض سنة ١٩٨١م ص ٦٢ ، هامش (١) ، بدر عبد الرحمن ، رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية ، (ط. الأنجلو المصرية ، ١٩٨٧م) ، ص ٣٩ - ٤٥ .

(٤) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص ٣٠ - ٣٣ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، ١٩٧ .

(٥) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٤٨ .

وتغلب[١] ، فيكون السلطان أو الأمير باستيلائه مستبدا بالخليفة مستقلا فى تدبير السياسة وتنفيذ الأحكام[٢] .

رسوم اختيار وانتخاب السلطان السلجوقى :

اختيار وانتخاب السلطان السلجوقى : كان لبداوة السلاجقة ، وغلبة النظام القبلى عليهم أثر واضح فى نظم الحكم التى طبقوها فلم يكن هناك نظام معين متفق عليه لاعتلاء العرش السلجوقى ، حيث كانت السلطنة يتولاها أقوى أفراد الأسرة ، وأكثرهم نفوذا[٣] ، فلم تكن قبائل الأتراك الغز التى ينتمى إليها السلاجقة قد وضعت نظاما مكتوبا لتولى السلطة والعرش ، فقد كانت القيادة تسند فى بداية الأمر إلى أكبر أفراد القبيلة سنا[٤] ، فلما توفى "سلجوق بن دقاق" خلفه ابنه الأكبر إسرائيل الملقب بأرسلان بيغو[٥] ، ولما سجن إسرائيل فى قلعة كالنجر بالهند ثم قتل [٦] ، تولى أخوه الأكبر ميكائيل ابن سجلوق القيادة من بعده ، وحينما توفى ميكائيل تولى أبناؤه القيادة ، فكان جغرى بيك أكبر أولاد يحارب فى بلغ ومرو ، وطغرلبك يحارب فى نيسابور حتى فتحها وجلس على عرش سلطانها مسعود الغزنوى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م[٧] ، وأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة ، وبذلك كان أول سلطان سلجوقى فى المشرق الإسلامى[٨] .

---

(١) الماوردى : أبو الحسن على بن حبيب الأحكام السلطانية والولايات الدينية ط ٣ ، (القاهرة ، ١٩٧٣م) ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، حسين أمين : نظام الحكم فى العصر السلجوقى ، مقال بمجلة سومر (المجلد العشرون ، جـ١ ، ٢ ، بغداد سنة ١٩٦٤م) ص ٢١١ .

(٢) ابن الفراء : أبى يعلى بن الحسين ، الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد الفقى ، (بيروت، ١٩٨٣) ص ٣٧ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ ، عبد النعيم حسانين : إيران العراق ، ص ١٨٠ .

(٤) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٥ .

(٥) بارتولد : تاريخ الترك ص ٨٦ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥١ ، اليزدى : العراضة ، ص ٢٩ .

(٧) الراوندى راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ١٦٥ ، اليزدى : العراضة ص٣٤.

(٨) الحسينى : زبدة التواريخ ص٤٠ ، ٤١ ، إدريس : رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية (القاهرة ، ١٩٨٣م) ، ص ٢٣ .

وباعتلاء طغرلبك عرش مسعود الغزنوى بدأت السلطنة السلجوقية ، ولقب "بالسلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبى طالب[١] ، ولم يعترض أحد من السلاجقة على ذلك ، بل ولى طغرلبك السلطنة بإجماع قومه وموافقتهم لأن طغرلبك كان قائد لجيوش السلاجقة ومقدمهم ، وأقوى أفراد الأسرة السلجوقية كلمة ، وتم على يده الانتصارات الباهرة التى حققها السلاجقة فى إيران ، فكان لابد أن يلى السلطنة دون منازع[٢] .

ولم يكن الأخ الأكبر فى "رسوم تعيين السلطان السلجوقى" هو الفيصل ، بل جعل السلاجقة الشجاعة والقوة تسبق السن ، وجعلوا الشهامة والبطولة هى الأساس الذى يقوم عليه تعيين القائد[٣] ، فعلى الرغم من صغر سن طغرلبك عن أخيه جغرى بيك داود ، إلا أن السلاجقة قد وافقوا على أن يكون طغرلبك سلطانا لأنه يتميز بشجاعة نادرة عن بقية أفراد البيت السلجوقى[٤] ، وبذلك دانت لطغرلبك قبيلته وأقروا بأمره[٥] .

وهكذا اختير طغرلبك لهذا المنصب ، أو انتخب على نحو ما ينتخب الزعماء ، لما يتحلى به من قوة الشخصية والبطولة النادرة[٦] ، فالتف حوله أمراء دولته وإخوته ، وتعاهدوا على أن يحفظوا هذه الدولة التى شيدها ، وأن يدينوا بالطاعة لزعيمهم طغرلبك[٧] .

واتفق الزعماء والأمراء الكبار على أن يكون لهذه الدولة رئيس واحد منتخب يحمل اسم السلطان ولقبه ، وأن يخضع له الحكام الذين يعينهم خضوعًا تاما ، ويحمل كل واحد منهم لقب "شاه ملك" فأصبح جغرى بيك داود حاكما على مرو ، واختص بأكثر خراسان وحمل لقب ملك ، وأصبح موسى حاكما على بست وهراة وسجستان ، وحمل لقب ملك أيضا ، كما أصبح

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ .

(٢) الحسينى : زبدة التواريخ ص ٢٢ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ١٦٥ ، اليزدى : العراضة ص٣٤.

(٣) بارتولد : تاريخ الترك ص ١٠٧ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، الحسينى : زبدة التواريخ ص ٢٢ .

(٥) إدريس : رسوم السلاجقة ، ص ٢٤ .

(٦) حسين أمين : نظام الحكم ، ص ٢١٠ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٧٩ .

قاورد أكبر أبناء جغرى بيك حاكما على ولاية الطبسيين وكرمان ، ولقب بلقب ملك ، وكان إبراهيم ينال الأخ غير الشقيق لطغرلبك يحكم قهستان وجرجان [١] ، ولكنه لم يلقب بهذا اللقب ، وربما كان هذا أحد أسباب عصيانه فيما بعد .

وهكذا كانت الفكرة الإيرانية عن الملك أو الحاكم بوصفه صاحب السلطة المطلقة فى الدولة غريبة على هؤلاء الرحل الين كانوا يرون فى الدولة ملكا لجميع الأسرة الحاكمة ، ومما يقف دليلا على أن فكرة الحاكم صاحب السلطة المطلقة ، كانت غريبة عن السلاجقة الأوائل أن الخطبة كانت تلقى فى آن واحد باسم طغرلبك فى بعض مدن خراسان ، وباسم أخيه داود فى بعضها الآخر [٢] ، كما كانت الخطبة تقام باسم طغرلبك فى نيسابور ، وتسك باسمه العملة ، وفى الوقت نفسه كان يدعى لداود على مساجد مرو ، وتسك العملة باسمه أيضا [٣] . ثم بدأ السلاجقة يأخذون عن الإيرانيين قواعد المركزية ، وتوحيد أداة الحكم ، ولكنهم لم يأخذوا ذلك دفعة واحدة ، بل شيئا فشيئا [٤] .

ولقد استخدم السلاجقة الأوائل ، ولأول مرة فى خراسان لقب (شاهنشاه) [٥] ، وذلك على العملة التى سكوها باسمهم [٦] ، وبتقدمهم نحو الغرب تركوا هذا اللقب ، واتخذوا بدلا منه

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٥ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ١٠٧ ، وهذا يوضح أن لقب السلطان أعم من لقب الملك .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، بارتولد : تركستان ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٣) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٥ .

(٤) بارتولد : نفسه ص ١٠٥ .

(٥) شاهنشاه : لقب فارسى ، كان يلقب به ملوك إيران قبل الإسلام ، ومعناه ملك الملوك " عندهم ، وذلك تمييزا له عن لقب "شاه" وهو الملك الصغير ، وقد دخل هذا اللقب فى الإسلام كلقب فخرى منذ الدولة العباسية التى شجعت الفرس ولقبتهم بألقابهم الأولى ، وقد لقب به ملوك وسلاطين بنو بويه إذ وجد على مسكوكاتهم إحياء منهم للدولة الساسانية القديمة ، وقد منع علماء الدين فى عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسى التلقب به لأنه لقب مختص بالله سبحانه وتعالى لأنه يعنى - ملك الملوك - وقد منعه القائم بأمر الله عن جلال الدولة البويهى حينما سأله التلقب به ، ولكن ملكشاه السلجوقى لقب به ووجد مكتوبا فى نص إنشاء جامع فى مدينة آنى باسم (شاهنشاه الأعظم) ، لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن الأثير ، الكامل جـ٩ ص ١٧١ ، حسن الباشا ، ألقاب ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، نقله حمزه طاهر ، (مطبعة المعارف بمصر ، بدون) ، ص ٦٣ ، ٦٧ ، عبد النعيم حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٤٠٧ . الشامى : الدولة الإسلامية ص ١٧١ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ .

لقب "سلطان"[١] الذى صار له معنى معين فى عهدهم لم يكن له من قبل إذ أطلق على الحاكم المسيطر المستقل ، كما كان يتفق ورسوم دولتهم الجديدة ويتناسب مع تصورهم لفكرة السيطرة التى ساروا عليها فى حياتهم القبلية ، وبالتالى يتناسب مع فكرة السلطنة السياسية التى كانوا يطمعون فى تحقيقها عندما خرجوا من مواطنهم ليكونوا لأنفسهم دولة ، ولذلك تركوا لقب "شاه - ملك - لأنه كان يطلق على الحكام التابعين وحكام الأقاليم[٢] وهذا يدعم الرأى القائل بعموم السلطنة عن الملك .

ولكن طريقة اختيار السلطان طغرلبك أول سلاطين السلاجقة ، قد اختلفت عن طريقة اختيار لاحقيه السلطان ألب أرسلان ، وملكشاه ، فإذا كان اختيار طغرلبك قد جاء على رغبة قادة السلاجقة الأوائل لشجاعته وقدرته الفذة ، فإن اختيار ألب أرسلان قد جاء بناء على رغبته هو ورغبة وزيره نظام الملك الطوسى ، وبتدبير وكيد وحرب .

فقد مات طغرلبك ٤٥٥هـ/١٠٦٣م دون أن ينجب[٣] ، ولم يكن قد وضع نظاما لتولى عرش السلاجقة من بعده بل ترك الأمر لأقواهم وأشجعهم ، وأنسبهم ، كما تولى هو ولكنه قبل موته تزوج بأرملة أخيه "جغرى بيك" التى أوعزت إليه أن يجعل ابنها سليمان وليا لعهده على الرغم من صغر سنه الذى لم يتجاوز الرابعة من عمره[٤] .

ولما علم ألب أرسلان بجلوس أخيه غير الشقيق على عرش السلاجقة ، سار بمساعدة وزيره نظام الملك إلى الرى ، حيث يجلس سليمان الطفل ، وكان يتمتع بتأييد أمراء السلاجقة إلى جانب شجاعته النادرة فاستطاع بسيفه أن يتولى السلطنة بدلا من سليمان[٥] وأجبر الكندرى وزير طغركبك على إقامة الخطبة له فى الرى ، وأن يكون سليمان وليا لعهده[٦] .

---

(١) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٥ .

(٢) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٥ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ص ١٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣١ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ٣١ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٤ ص ٦٤ .

أما اختيار ملكشاه فقد تم بسهولة عن والده ، حيث تم اختياره بناء على وصية والده ألب أرسلان بولاية العهد من بعده لابنه ملكشاه[١] ، فلما قتل ألب أرسلان ٤٦٥هـ/١٠٧٢م[٢] أجلس نظام الملك ، "ملكشاه على عرش السلاجقة بناء على وصية والده[٣] ، وكتب إلى حكام الأقاليم والأطراف بذلك حتى يطيعوه ، ويخضعوا له على الرغم من معارضة عمه قاورت بك[٤] .

وهكذا ورث السلاجقة سلطانهم وعرشهم لأول مرة ، وسوف تصبح هذه عادة وسنة وهى توريث العرش ، مما سيؤدى فيما بعد إلى التنافس والتنازع حول العرش السلجوقى .

موافقة الخليفة العباسى :

وبتعيين السلاجقة لسلطانهم يجب أن ينصاعوا له ويطيعوه ، ويبايعه الجند ، وقوادهم ، وحكام الأقاليم ، والأطراف والوزراء[٥] ، ولكن بهذا التعيين وهذا الاعتراف وهذه المبايعة لم تكتمل الحقوق الشرعية للسلطان السلجوقى ، فلابد من موافقة الخليفة العباسى - خليفة المسلمين - والسلطة الشرعية على هذا التعيين ، فعندما تولى طغرلبك السلطنة سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م شرع فى مراسلة الخليفة العباسى القائم بأمر الله سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٧م فى بغداد للحصول على اعتراف منه بسلطانه على السلاجقة[٦] ، فهو فى حاجة إلى تفويض شرعى من الخليفة العباسى لحكم البلاد التى تحت يده ، وهو الذى سيكسب الدولة الوليدة شرعيتها[٧] .

وفى سنة ٤٣٢هـ/١٠٤١م حمل أبو إسحاق الفقاعى[٨] رسالة من السلطان طغرلبك إلى الخليفة العباسى يطلب اليه فيها الاعتراف به سلطانا على دولة السلاجقة الناشئة ، ووصف

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٦٠ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١١٩ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٥ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٤ ص ٦٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٧ ، أفضل الدين كرمانى: تاريخ كرمان ، ص ١٠ ، أحمد الله القزوينى : تاريخ كزيدة ، ص ٩٦ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٧ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٥٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٨٨ .

(٧) إدريس : رسوم السلاجقة ، ص ٢٦ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٩ .

نفسه فيها بأنهم عبيد أمير المؤمنين[١] ولما وصلت الرسالة إلى دار الخلافة سربها الخليفة[٢] ، وأرسل رسولا إلى طغرلبك فى مدينة الرى هو قاضى القضاة "أبو الحسن الماوردى "يدعو طغرلبك للحضور إلى دار الخلافة العباسية فى بغداد [٣] ، ومع الماوردى أرسل الخليفة الخلع السلطانية إلى طغرلبك مع كتاب التفويض بحكم البلاد التى فى حوزته[٤] وبذلك تحقق للسلطان طغركبك ما أراد واكتملت بذلك حقوقه الشرعية كلسطان للسلاجقة ، وتلقب بلقب "السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبى طالب محمد"[٥] .

ولم يكن اختيار السلاجقة لزعيمهم واعتراف الخليفة العباسى به كفيلا بإسناد السلطنة إلى ذلك الزعيم ، فكثيرا ما اختار السلاجقة زعيما لهم ، لكن قوة وشخصية زعيم آخر هى التى كانت تحسم ذلك الاختيار ، وعلى الخلافة العباسية الانتظار حتى يتضح من هو الزعيم المسيطر حتى تعترف به سلطانا على السلاجقة[٦] .

فلما توفى طغرلبك فى شهر ومضان سنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م[٧] ولم يترك وريثا للعرش ، بدأت تظهر هذه الحقيقة حينما أجلس سليمان الطفل على العرش السلجوقى ، فحسمه ألب أرسلان لصالحه[٨] ، وجلس على عرش السلاجقة[٩] ، ثم أرسل إلى الخليفة العباسى يطلب إليه الاعتراف به سلطانا على السلاجقة فوافق الخليفة ، ولقب بلقب "السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملة أبى شجاع ألب أرسلان محمد بن داود" [١٠] وبذلك أضفى على حكمة الشرعية .

---

(١) انظر النص فى من الرسالة .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ١٨٨ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ ، البدارى : آل سلجوق ، ص ٩ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٩.

(٥) Osbar : Islam of Under the Khalifa. Baghdid, p. 319, 320 .

ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٣ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ، جـ٢ ص ٤٠٠ .

(٦) إدريس : رسوم ، ص ٢٧ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ص ٢٧ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٠ .

(٩) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ .

(١٠) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٧ .

ولم يكن ذلك إلا بالقوة ، واستعمال السيف والحيلة والكيد ، ووافق الخليفة المغلوب على أمره ، ولما قتل ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م طمع أخوه قاورد فى الحكم ، على الرغم من أن ألب أرسلان كان قد أوصى لابنه ملكشاه بالعرض من بعده ، وبدأ التنازع على عرش السلاجقة بين ملكشاه وعمه قاورد[١] ، ولكن ملكشاه بمساعده وزيره الكفء نظام الملك ، فضلا عن قوات السلاجقة تمكن من السيطرة والجلوس على العرش ، بعد هزيمة عمه قاورد[٢].

وبعث ملكشاه سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسى يطلب إليه تفويضا شرعيا لحكم البلاد ، فجلس الخليفة جلوسا عاما لهذه المناسبة ، وحضر الاحتفال رسول السلطان حيث سلمه الخليفة عهد السلطان وموافقة الخليفة ، وأمر وزيره "ابن جهير" أن يقرأ أوله وسلم إليه أيضا اللواء بعد أن عقده الخليفة بيده[٣] ، ثم توفى القائم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م ، وبويع من بعده حفيده وولى عهده أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد ابن القائم الملقب بالمقتدى بالله [٤] ، الذى بايعه ملكشاه بالخلافة [٥] مع تفويض منه لملكشاه بالسلطنة[٦] .

وهكذا فوض ألب أرسلان وملكشاه نفسيهما على السلطنة بالسيف ومساندة الوزير والجند وما كان على الخليفة العباسى إلا الموافقة ، وإصدار التفويض بالسلطنة .

كيفية تفويض الخلفاء السلطنة للسلاطين :

أما عن كيفية تفويض الخلفاء السلطنة للسلاطين ، فقد كانت السلطنة تفوض وتولى بحضرة الخلافة ، حيث جرت العادة أن يجلس الخليفة بمجلسه العام على كرسى عال [٧] ،

---

(١) أفضل الدين كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠ ، ١٧ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٢٧ .

(٤) القلقشندى : مآثر الأنافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار فراج جـ١ ط ٢ (الكويت ، ١٩٨٥م) ص ٣٣٥ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٩ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ، ص ٢٩٤ .

(٧) هلال بن الصابى : أبى الحسن ، رسوم دار الخلافة ميخائيل عواد (بغداد ١٩٨٣هـ ، ١٩٦٤) ص ٩٠ .

ويحضر السلطان الذى تولى ، فيجلس على كرسى لطيف أمام سرير أو كرسى الخليفة ، ويحضر أعيان المملكة ورؤساؤها ، ويخاطب الخليفة السلطان بالولاية على لسان الوزير ثم يخلع على السلطان خلعة الخلافة ، ويحمل على مراكب من اصطبلات الخليفة ، ويذهب السلطان إلى داره ، فيرسل الهدايا إلى الخليفة[١] .

فعندما دخل طغرلبك بغداد للمرة الثانية سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[٢] ، جرت مراسيم مقابلته بالخليفة العباسى القائم بأمر الله لأول مرة ، ويقدم لنا ابن الأثير والبندارى ، وهلال بن الصابىء الذى عاصر الأحداث وعاش تفصيلها ، وابن كثير ، وابن خلدون ، وابن الجوزى والقلقشندى ، والراوندى[٣] ، وصفا ممتعا وحيا لهذه المقابلة التى جرت بين السلطان والخليفة، والتى حصل فيها طغرلبك على تفويض عام من الخليفة العباسى بحكم البلاد ، حيث جلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة جلوسا عاما مشهورا ، وجلس وزيره رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، واستدعى النقباء ، والقضاة والشهود والأعيان ، واستدعى نقيب العباسيين والعلويين ، وقاضى القضاة والحجاب ، وحضر السلطان طغرلبك ومعه وزيره عميد الملك الكندرى ، وقدمت له من خيل الخليفة فرس أشهب فركبه وعليه قباء أسود ، وعمامة مثلثة مذهبة ، ودخل السلطان دار الخلافة ، وبين يديه أولاد الملوك والأمراء - يقصد أمراء السلاجقة - وقتلمش بن عمه ، وأشراف القواد والديلم والجميع بغيرسلاح ، وخرج لاستقباله رئيس الرؤساء ، فرفعت ستارة البهو ، وظهر الخليفة بمجلسه[٤] فدخل عليه طغرلبك ،

---

(١) أول من جلس على سرير للخلافة معاوية بن أبى سفيان ٤٠-٦٠هـ/ ٦٦٠-٦٧٩م حينما بدن وثقل وزنه استأذن أصحابه فى اتخاذ شئ يجلس عليه للاستراحة ، فأذنوا له فى ذلك ، ثم زادوا فى ارتفاعه حتى صار سبعة أذرع ، وكان يفرش للخليفة على سرير الخلافة فُرش مرتفعة ، وهى التى يعبر عنها بسدة الخلافة انظر : القلقشندى : مآثر الانافة ، جـ٢ ص ٢٣٧ .

- القلقشندى : مآثر الأنافة ، جـ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) يذكر أن دخول طغرلبك بغداد للمرة الأولى كان سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، البندارى : آل سلجوق ص ١٢ .

(٣) الكامل جـ٩ ص ٢٢١ ، آل سلجوق ص ١٦ ، ١٧ ، تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء (بيروت ، ١٩٠٤م) ص ٢٠١ ، رسوم دار الخلافة ص ٩٠ ، ٩٤ ، البداية والنهاية جـ١٢ ص ٧٣ ، المنتظم ، جـ٨ ص ١٨١ ، ١٨٢ كتاب العبر : جـ٤ ، ص ٢٢٦ ، مآثر الأنافة جـ٢ ص ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، راحة الصدور وآية السرور ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٦ .

والخليفة على سرير عال من الأرض بنحو سبعة أذرع ، وعلى كتفه البردة[١] وبيده القضيب[٢]، فلما رآه السلطان قبل الأرض دفعات كثيرة[٣] ، ونصب له كرسيا دون

---

(١) البردة : هي بردة (النبي صلى الله عليه وسلم) ، التي كان الخليفة يلبسها في المواكب ، قال أبو السعادات ابن الأثير في "نهايته في غريب الحديث" جـ١ ، ص ٧٢ مادة برد ، وابن منظور : لسان العرب ، مادة برد جـ١ ، ص ٥١٢ أنها شملة مخططة ، وقيل كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الأعراب وجمعها برد ، وقد اختلف في وصولها إلى الخلفاء ، فحكى الماوردي في الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ١٥٣ ، عن إبان بن تغلب أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان قد أهداها لكعب بن زهير (رضي الله عنه) عند ما عاد إلى النبي تائبا مستغفرا واشتراها منه معاوية وتناقلها الخلفاء بعده ، وقيل أن كعبا لم يسمح ببيعها لمعاوية وقال : لم أكن أوثر ثوب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحد ، فلما مات كعب اشتراها معاوية من ورثته بعشرة آلاف درهم ، وقيل أن (النبي صلى الله عليه وسلم) أعطاها لأهل - أثلة - أمانا لهم ، فأخذها منهم سعيد بن أبي أوفى ، وهو عامل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وبعث بها إلى مروان فكانت في خزانته حتى أخذت بعد قتله سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، وقيل اشتراها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس بثلاثمائة دينار وتوارثها خلفاء بنو العباس من بعده ، وكانت رمزا على الخلافة لاتصح إلا بها . لمزيد من التفاصيل راجع : هلال بن الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص ٩٣ ، ابن سعيد : محمد بن سعد كاتب الواقدي، الطبقات الكبرى (دار التحرير ، القاهرة ، ١٩٦٨م) جـ٧ ص ١٥٠ ، العسقلاني : شهاب الدين أبي الفضل بن عليّ الإصابة في تمييز الصحابة ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون) ، جـ٥ ، ص ٣٢٣ ، جـ٤ ص ٢٧٣ ، القلقشندي : مآثر الأنافة ، جـ٢ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، أحمد الشامي : الحضارة الإسلامية (مطبعة عبادة الزقازيق سنة ١٩٩١م) ، ص ٣٣ .

(٢) القضيب : وهو عمود كان (النبي صلى الله عليه وسلم) يأخذه بيده ليشير به على الأصنام في الكعبة عندما دخل مكة فاتحا ، فكانت الأصنام تتهاوى ، وهو من تركته عليه السلام ، وكان القضيب والبردة جميعا عند خلفاء بني العباس ببغداد إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السلجوقي من الخليفة المسترشد بالله العباسي ٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م ثم أعيدت إلى المقتفي ٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م عند ولايته في سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م ، وبقيت في خلافة بني العباس إلى أن سقطت سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ثم انتقلا إلى مصر حينما أحيا المماليك الخلافة العباسية سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م وبعد سقوط الدولة المملوكية سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م نقلا إلى استانبول في خلافة بني عثمان ، انظر : الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٥٣ ، القلقشندي : مآثر الأنافة جـ٢ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وفي عصرنا الحاضر يتخذه رؤساء الدول وكبار القواد ويصنع من الذهب الخالص ، ويرصع بالجواهر ويسمى (الصولجان أو عصا المرشالية) ، أحمد الشامي : الحضارة ، ص ٣٤ .

(٣) القلقشندي : مآثر الأنافة جـ٢ ص ٢٣٩ .

السرير فجلس عليه ، فقال رئيس الرؤساء "أصعد ركن الدين" وأصعد أبو منصور الكندرى مفسرا ، ومترجما معربا ما كان معجمًا [١] وفسر له عميد الملك الكندرى تفويض الخليفة إليه، وقال الخليفة لرئيس الرؤساء "قل لركن الدين ، أمير المؤمنين حامد لسعيك ، شاكر لفضلك ، آنس بقربك ، وقد ولاك جميع ماولاه الله تعالى من بلاده ، ورد إليك مراعاة عباده، فاتق الله فيما ولاك الله : ففسر له عميد الملك القول ، فقام وقبل الأرض ، وقال "أنا خادم أمير المؤمنين وعبده ومتصرف على أمره ونهيه ، ومشرف بما أهلنى له ، واستخدمنى فيه ، ومن الله تعالى أستمد المعونة والتوفيق"[٢] .

ثم أستأذن طغرلبك أمير المؤمنين فى أن ينهض فأذن له[٣] ثم أفيضت عليه سبع خلع جبات سود فى زيق[٤] واحد ، ومنحت له مملكة الأقاليم السبعة ، وشرف بعمامة سوداء مذهبة ، فجمع له بين تاجى العرب والعجم ، وقلده الخليفة سيفًا محلى بالذهب وطوق بطوق من ذهب ، وسور بسوارين من ذهب[٥] ، وكان أحسن ما خلع على طغرلبك (لقب ملك المشرق والمغرب)[٦] .

وخوطب طغرلبك بلقب سلطان ، فكان أول من منح هذا اللقب رسميا فى الإسلام[٧] ، ثم ولاه الخليفة السلطنة على ممالك العراقيين والجبال[٨] (قهستان) ، فقبل طغرلبك الأرض عدة

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٦ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ، ص ٧٣ .

(٣) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ورقة ١٢٨ .

(٤) زيق : تزيقت المرأة تزيقا ، وتزيقت وتزيقا إذا تزينت ، وتلبست واكتحلت ، ومعناه أيضا زيق الجيب المكفوف والزيق ماكف من جانب الجيب ، وزيق القميص وما أحاط بالعنق ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ٣، ص ١٩٠١ .

(٥) البندارى : آل سبجوق ص ١٧ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ١٨ ، القلقشندى : مآثر الأنافة جـ٢ ص ٢٣٨ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨٢ ، ميرخواند : حبيب السير ، جـ٤ ص ١٠٦ .

(٧) سهيل زكار : المدخل ، ص ١١٠ .

(٨) العراقيين والجبال : أى عراق العجم وقهستان وبلاد العراق ، وهى البلاد الجبلية الواسعة الممتدة من سهول العراق والجزيرة إلى مفازة فارس ، وسماها البلدانيون العرب إقليم الجبال ، ثم بطل استعمال هذا الاسم، وصار الإقليم أيام السلاجقة يعرف خطأ بعراق العجم ، وقد سمى بذلك تمييزا له من عراق العرب ، =

مرات وجلس على كرسيه بين يدى أمير المؤمنين ، فحاول تقبيل يد الخليفة ، فمدها له الخليفة، فلم يتمكن بسبب وضع التاج على رأسه ، فرفعه ، وقبل يد الخليفة مرتين ، ووضعها على عينيه[١] فقلده الخليفة سيفا آخر كان بين يديه ، فتم له بتقلد السيفين تقلد ولاية الولايتين[٢] (المشرق والمغرب) . وأعطاه الخليفة ثلاثة ألوية ، اثنان خمرية بكتائب صفر ، وآخر بكتائب مذهبة سمى لواء الحمد والذى عقده الخليفة بيده[٣] . فشكر طغرلبك الخليفة ، واستأذن فى الخروج ، وأبان عن طاعته ، وصادق محبته ، وخرج إلى صحن دار السلام ، فسار والخيل والألوية أمامه ، إلى باب النوبى[٤] الذى اتخذه طغرلبك مسكنا له[٥] وجاءه رئيس الرؤساء مُهَنِّئًا بما أفاض عليه الخليفة ، وحمَّل طغرلبك رئيس الرؤساء إلى الخليفة

= وهو مابين النهرين ، وأطلق العرب اسم (العراقين) على عاصمتى العراق الكوفة والبصرة ، غير أن السلاجقة ، بعد أن تولوا حكم فارس الغربية جعلوا دار ملكهم فى همذان والرى وأصفهان ، وبسطوا نفوذهم على ما بين النهرين حيث مقام الخليفة فى بغداد وأحرز السلاجقة من الخليفة العباسى سلطان العراقين ، وقصد بها فى عهدهم إقليم العراق بكامل مدنه ، وإقليم الجبال (عراق العجم) حيث كان السلطان السلجوقى يقضى أكثر وقته ، وهكذا صار يعرف لدى العامة بعراق العجم تمييزا له عن العراق الآخر بكامل مدنه ، وسماه القزوينى بـ (قوهستان) أى إقليم الجبل ، وبطل استعمال لفظ الجبال بعد الفتح المغولى ، ومازال اسم "عراق العجم" يطلق على إقليم الجبال حتى اليوم ، وخاصة البلاد التى تقع جنوب غربى طهران ، ويعرفه أهل اليوم باسم (ولاية عراق) ، ومن أهم مدنه قرميسين (كرمانشاه الحديثة) وهمذان والرى وأصفهان وكردستان ، ولورستان وغيرها - لمزيد من التفاصيل أنظر أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٤٠٨ ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ١٥ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٨٣ ، ومابعدها ، ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٢٠٨ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٢٠-٢٢٨ .

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ١٨٢ ، القلقشندى : مآثر الأنافة ، جـ٢ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٨٢ .

(٤) باب النوبى : محلة كبيرة بالجانب الغربى من بغداد ، ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ٣٠٨ ، ولقد بلغ من اهتمام الخلفاء العباسيين بباب النوبى ، أن جعلوا له قاضيا بعينه قاضى القضاة العباسى ، وكثيرا ما كان باب النوبى هو مكان جلوس قاضى الحريم الطاهرى ، واعتبر باب النوبى منزلا لكبار زوار الخليفة العباسى فى بغداد وتشير أغلب المصادر التاريخية إلى ذلك ، انظر ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٨٢ ، ومابعدها ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ، ص ١٦٢ ، صالح العلى : معالم بغداد الإدارية والعمرانية (بغداد سنة ١٩٨٨م) ص ٢٤٢ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ .

خمسين غلاما تركيا على خيول بسيوف ، ومناطق[١]، وعشرين رأسا من الخيل ، وخمسين ألف دينار ، وخمسين قطعة ثياب[٢] .

أما تفويض السلطنة لألب أرسلان وملكشاه ، فقد تم دون حضورهما إلى بغداد[٣] ، بل تم عن طريق الوزراء والرسل ، فعندما تم لألب أرسلان أمر السلطنة أرسل قاضى الرى (أبا عمر محمد بن عبد الرحمن) وزوده برسالتين إحداهما للخليفة العباسى ، والأخرى لوزيره ابن جهير[٤] ، وقد رحب الخليفة القائم بأمر الله برسول السلطان ، وأخرج وزيره "فخرى الدولة ابن جهير "لتلقى رسل السلطان ، وجلس الخليفة جلوسا عاما ، وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان السلطنة ، وسلمت الخلع بمشهد من الناس[٥] ، وأمر أن يخطب للسلطان السلجوقى فى مساجد بغداد وأن يكون لقبه "السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملة أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود[٦] . وقد رد ألب أرسلان على إنعام الخليفة عليه بإنفاذ مبلغ من المال، وبعض الهدايا إليه[٧] .

ولما تولى ملكشاه السلطنة سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م بعث سعد الدولة كوهرائين[٨] سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسى يطلب تفويضا بحكم البلاد ، فجلس الخليفة العباسى جلوسا عاما لهذه المناسبة ، ومعه ولى عهده المقتدى بأمر الله ، والنقباء ، وقاضى القاضى ، والوزير فخر الدولة ابن جهير وسلم الخليفة إلى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة ، وقرأ ابن جهير أوله وسلم إليه لواء عقده الخليفة بيده ، ولم يمنع أحد من

---

(١) مناطق : جمع منطق ، وهو الحزام ويكون غالبا من الذهب أو الفضة ، دوزى : المعجم ص ٣٤٠ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨٢ ، القلقشندى : مآثر الأنافة جـ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٣) لم يثبت من خلال قراءة المصادر أن السلطان ألب أرسلان قابل الخليفة العباسى أبدا طوال فترة سلطنته ٤٥٥هـ/٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م .

(٤) الحلبى : ملخص تاريخ الإسلام ، جـ٦ ورقة ٣٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٦٦ ، ط. بيروت .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣٦٨ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٦ .

(٨) سعد الدولة كوهرائين : شحنة بغداد فى عهدى ألب أرسلان وملكشاه ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٥ .

الدخول إلى دار الخلافة ، فامتلأ صحن دار السلام بالعامة ، حتى هنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة من كثرة الزحام[١] .

ويمثل السلطان السلجوقى قمة الهرم الحاكم فى الدولة ، وإليه يرجع جميع المسئولين فى الدولة فى تصريف وفصل الأمور ، ومنه تصدر الأوامر والتشريفات ، وعلى هذا فإن السلطان هو الحاكم الأول فى الدولة السلجوقية[٢] .

نظرية التفويض الإلهى :

كان لاحتكاك السلاجقة بالفرس أثره حيث أنهم اعتقدوا أن حكمهم مستمد من الله سبحانه وتعالى ، فهم يقولون بنظرية الحق الإلهى فى الحكم[٣] ، قال نظام الملك[٤] "اختار الله السلطان ، وميزه على عباده ، وجعلهم جميعا خاضعين له ، منه يستمدون نفوذهم ، ودرجاتهم أما هو فيستمد قوته من ربه الذى جعله أمينا على عباده فعليه إذا ليكون له على سائر الملوك فخر وفضل أن يتحلى بطيب الخلق وحميد الخصال" .

وقد أوضح السلطان ألب أرسلان . ذلك الاعتقاد فى قوله عند تفويض نظام الملك الطوسى بالوزارة (وإنا نعده ونهيئة لنعمة الملوكية المفوضة من الله تعالى ، والتى حصلها بواسطة تربيتنا له)[٥] .

ويقول الراوندى[٦] "إن السلطان خليفة الله فى أرضه ، والحاكم فى حدود دينه وفرضه ، قد خصه الله بإحسانه وأشركه فى سلطانه ، وبذله لرعاية خلقه ، وندبه لنصرة حقه" .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ (ط. دار الكتب العلمية ببيروت بدون) ، ص ١٥٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ، ص ٤٠٣ .

(٢) Mehmet Altay : Tugulbey : p. 76 - 77 .

(٣) نظرية الحق الإلهى فى الحكم هى نظرية الفرس القديمة حينما اعتقدوا أن حكمهم مستمد من الله تعالى ، ونتيجة لاحتكاك بل واعتماد العباسيين اعتمادا رسميا على الفرس فقد طبق أبو جعفر المنصور هذه النظرية فى إحدى خطبه حينما ذكر أنه ظل الله على الأرض "أحمد الشامى" الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول ص ٦١ - ٨٥ .

(٤) سياسة نامة : ص ٤٦ - ٤٧ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٥٨ .

(٦) راحة الصدور : ص ١٩٧ .

ويتضح لنا من خلال هذه النصوص نظرة السلطان والوزير السلجوقى إلى روحية الحكم ، فالسلطان يقول صراحة أن السلطنة والملوكية مفوضة من الله تعالى له ، والوزير يؤكد أن الله اختار السلطان وميزه من عباده ، معنى هذا أن السلاجقة صبغوا على حكمهم صيغة إلاهية - دينية- روحية فالاختيار واقع من الله تعالى لأن يكون طغرلبك وألب أرسلان وملكشاه وبقية سلاطين السلاجقة يحكمون الناس بتفويض من الله تعالى ، فما على الناس إلا الطاعة والاحترام .

ومما يؤيد ذلك كله ماذكره الراوندى[١] ، إثر انتصارات طغرلبك ، قوله "فاشتد بأسهم وازدادت قوتهم ولاحت على صفحات أحوالهم إمارات الملك المؤيد بالتأييد الإلهى وعلامات الحكم الموفق بالعون الأولى" .

ويقول فى حق السلطان ملكشاه (كان السلطان ملكشاه ملكا جبارا نافذ السلطة سعيد الحظ .. مؤيد بالتأييد الإلهى ، موفقا بالتوفيق الربانى)[٢] .

ولذلك تمتع السلطان السلجوقى بحقه الدينى فى دولته ، والولايات التابعة له ، بل فى مقر الخلافة العباسية نفسها ، فكان اسمه ولقبه الدينى يذكر فى الخطبة ، كما كان ينقش على الحكم مع اسم والى الولاية السلجوقية ومع الخليفة العباسى فى بغداد[٣] ، الذى ظن هو الآخر أن حكمه مستمد من الله تعالى ، وأنه ظل الله فى أرضه .

رسوم تعيين السلطان السلجوقى

أولا : قوة الزعيم السلجوقى وشخصيته :

والذى كان يغلب عليه الطابع العسكرى القبلى فهو رئيس القبيلة ، وقائدها العسكرى[٤]، ولذلك سنجد كل سلطان من سلاطين السلاجقة العظام يقود الجيوش بنفسه ، كما فعل طغرلبك وألب أرسلان ، وملكشاه[٥] ، أو يوكل القيادة لأحد أولاده أو أقربائه ،

(١) راحة الصدور : ص ١٥٧ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٧٦ .

(٤) حسين أمين : نظام الحكم ، ص ٢١١ ، إدريس : رسوم السلاجقة ، ص ٣٤ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ، ص ١١٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ٢١١ ، إقبال : إيران ، ص ٢٣١ .

أو وزرائه ، كما فعل طغرلبك حينما أناب عنه إخوته وبنى عمومته لفتح ما يجاورهم من بلاد[١] ، كما منح أخاه إبراهيم ينال ، وابن أخيه ألب أرسلان قيادة الجيوش السلجوقية لفتح الكثير من البلاد وخاصة بلاد الروم[٢] .

بل أننا نجد وزراء السلاجقة يقودون الجيوش ، كما فعل نظام الملك مع ألب أرسلان حينما قاد الجيوش بنفسه لفتح قلعة فى بلاد فارس[٣] .

ولقد بلغ من قوة السلطان السلجوقى أنه هو المسئول الأول عن السياسة العامة للدولة وإعلان الحرب وقيادة الجيوش ، وتعيين الحكام والقواد ، وهو الذى يأمر بإقطاعاتهم كما يأمر بوضع الضرائب أو إزالتها [٤] .

وعلى هذا يمكن القول بأن إدارة السلطان السلجوقى لدولته اتسمت بالمركزية فى بعض الأمور واللامركزية فى بعضها الآخر حينما اتسعت رقعة الدولة السلجوقية ، فكان السلطان السلجوقى يرجع إليه فى تصريف شؤون الدولة فى جلائل الأعمال ودقائقها ، فحينما ذهب الماوردى برسالة الخليفة العباسى سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠ إلى طغرلبك فى الرى انتظر لمدة ثلاث سنوات حتى عاد طغرلبك من حملاته[٥] ، وهذا دليل على قوة السلطان السلجوقى .

ويبلغ السلطان بما يحدث فى أرجاء دولته ، ويمنع جنده من السلب والنهب ، مثلما حدث حينما استأذن "جغرى بيك داود" السلطان طغرلبك فى نهب نيسابور بعد دخولها سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م فمنعه طغرلبك[٦] .

وكان السلطان السلجوقى يولى ويعزل فى الإمارة والقيادة والإدارة ، ويفصل فى المنازعات التى تبلغه ، بين أفراد البيت السلجوقى ، مثلما فعل السلطان ملكشاه مع أخيه تتش ، وابن عمه سليمان بن قتلمش[٧] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٥٢ ، عبد الرحمن العبد الغنى : موقف البيزنطيين ص ٣٤ - ٣٦ .

(٣) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٧٤ ، حسين أمين : نظم الحكم ص ٢١١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٦٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٧ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ١٦٥ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٢٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص ٩٦ ، ٩٧ .

وتمثلت اللامركزية حينما ترك سلاطين السلاجقة كامل التصرف فى شؤون الولاية عامة من جباية للأموال ، وتعيين العمال وخلعهم ، وفض المنازعات ، ورعاية المصالح العامة لأمراء الأقاليم[١] ، نظرا لاتساع رقعة الدولة السلجوقية ، إلى جانب أنهم لم يهدفوا إلى إقامة حكم فردى ينحصر فى رئاسة زعيم واحد ، بل وزعوا الإمارات على أفراد البيت السلجوقى[٢] .

ثانيا : إقامة الخطبة :

ومن رسوم تعيين السلطان السلجوقى إقامة الخطبة له على سائر منابر دولته التى يحكمها ، بالإضافة إلى مدينة بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، بل عمل منابر بعض الدول المجاورة والدول الحليفة مثل القسطنطينية والدويلات العربية المجاورة [٣] .

ويعتبر السلطان طغرلبك هو أول سلطان سلجوقى قرئت باسمه الخطبة على منابر المساجد فى فارس ، والعراق ، وبلاد ماوراء النهر ، والشام ، والقسطنطينية [٤] ، فحينما دخل طغرلبك نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م قرئت الخطبة باسمه فى يوم الجمعة الثانى من شهر رمضان سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م بعد أن كانت تقرأ باسم السلطان مسعود الغزنوى[٥] . وفى سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م اعترف الخليفة العباسى بالسلاجقة ، وفوض طغرلبك البلاد التى تحت يده[٦] فأصبح بذلك سلطان شرعى اكتسب شرعيته من الخلافة العباسية . وفى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م دخل طغرلبك بغداد لأول مرة ، فأمر الخليفة العباسى القائم بأمر الله أن تقرأ الخطبة باسمه على منابر بغداد ، وأن يكون لقب (السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبا طالب

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٧ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، إقبال : الوزارة ص ٦٠ .

(٢) إدريس : رسوم ، ص ٣٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ١٦٧ ومابعدها ، ابن العبرى : مختصر ص ٧٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص ٥٠ ، بارتولد : التركستان ، ص ٤٤٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، المقريزى : السلوك ، جـ١ القسم الأول ص ٥٢ ، اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ص ٢٣٠ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٣ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، ١٦٢ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ١٦٦ ، ابن خلكان : وفيات جـ٢ ص ٤٤٠ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام جـ٤ ص ١٠ .

طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق) [١]، ثم عممت الخطبة باسمه فى سائر أنحاء الدولة العباسية بعد ما قضى على فتنة البساسيرى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م [٢] .

وفى سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م ، وسنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م أقيمت الخطبة لطغرلبك والخليفة العباسى فى مسجد القسطنطينية ، بأمر من الإمبراطور قسطنطين التاسع موناماخوس ، والإمبراطورة ثيودورا [٣] . حينما بعثت ثيودورا (٤٤٧هـ-٤٤٨هـ/١٠٥٥-١٠٥٦م) بهدايا وسفارة إلى طغرلبك الذى كان فى بغداد حينئذ ، وقد وصلت هذه السفارة إلى العاصمة البيزنطية عبر أراضى الأمير المروانى نصر الدولة الذى سارع هو الآخر بإقامة الخطبة لطغرلبك فى بلاده[٤] .

كما أقام الملك بغراخان القرخانى[٥] الخطبة لطغرلبك وللخليفة العباسى على منابر بلاده فى كاشغر عندما توطدت العلاقات بين السلاجقة والقراخانيين[٦] .

كما أقيمت الخطبة لطغرلبك على سائر منابر البلاد والمدن التى أعطى حكمها لأمراء السلاجقة[٧] وهذا دليل على قوة السلطان السلجوقى ، وزيادة نفوذه ، واتساع رقعة دولته .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٩ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ص ٢٣٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص ٨١ ومابعدها . ومن الملاحظ أن البعض يشك فى إقامة الخطبة لطغرلبك على منابر مسجد القسطنطينية على الرغم من الإشارات الصريحة فى المصادر العربية إليها ، راجع : عبد الرحمن العبد الغنى : موقف البيزنطيين من ظهور الأتراك السلاجقة ص ٣٨ ، ٤٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٢١-٣٣٥ .

(٥) الملك بغراخان القرخانى : ملك الدولة القراخانية وهم الأتراك الشرقيون الذين كونوا لهم أول إمارة تركية إسلامية تركستان عرفت باسم القراخانيين شملت البلاد الواقعة إلى الشمال والشرق من بلاد ماوراء النهر حتى حدود الصين وقراخانيون تشتمل على مقطعين - قرا ، وهى كلمة تركية بمعنى أسود ، خانيون جمع خان وهو صاحب السلطة الرئيسية أو الملك ، ولذلك سمى القراخانيون بالأتراك السود . انظر : حسن محمود : الإسلام فى آسيا الوسطى ص ١٣٦ ، بارتولد : التركستان ، ص ١٢١ ، تاريخ الترك ، ص ٦٨ ، ادريس : تاريخ العراق ص ١٦٠ .

(٦) البيهقى : تاريخ ص ٥٧١ - ٥٧٤ ، زامباور : معجم الأسرات ، جـ٢ ص ٣١٢ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ .

ولما استقرت السلطنة لألب أرسلان سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، وبعد موافقة الخليفة العباسى على سلطنته أعلنت الخطبة باسمه فى بغداد إلى جانب اسم الخليفة ، وقيل فى الدعاء " اللهم أصلح السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملة أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود "[١] .

كما أقيمت الخطبة على منابر مدينة الرى حينما أجبر أخاه غير الشقيق سليمان الطفل ، على التنازل عن العرش ، وإقامة الخطبة لنفسه[٢] .

كما قرئت الخطبة باسم ألب أرسلان فى مدن فارس وإيران ، وأذربيجان ، وبلاد الكرج وأرمينية وآنى ، ومعظم بلاد ماوراء النهر[٣] وفى بعض مدن الشام[٤] وفى مكة والمدينة[٥] وبعض مدن آسيا الصغرى وملاذكرد ، والقسطنطينية[٦] .

ولما تولى ملكشاه السلطنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م أمر الخليفه العباسى بأن تقرأ له الخطبة على منابر بغداد ، وسائر أرجاء الدولة العباسية ، ولقبه بلقب السلطان (معز الدنيا والدين ملكشاه)[٧] .

كما كان يخطب له من أقصى بلاد الترك فى كاشغر وحدود الصين حتى بيت المقدس غربا ، ومن القسطنطينية شمالا إلى بلاد الخزر جنوبا[٨] ، ومن شمال بحيرة خوارزم وصحراء

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٦ ص ٨٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٣ ، الراوندى : راحة ، ص ١٨٥ .

(٢) البندارى : : آل سلجوق ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٠ ، أبو الفداء : المختصر جـ١ ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٨ ، ٢٩ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٤٣ ، اقبال : ايران ص ٢٤٦ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٠ ، ومابعدها ، حسانين ربيع : دراسات ص ١٩٠ ، ومابعدها ، فايز اسكندر : استيلاء السلاجقة ، ص ٧ - ٢٧ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٧ ، ابن الجوزى : جـ٨ ص ٢٧٦ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص ٥٨٧ .

القفجاق حتى ماوراء اليمن[١] ، وكان الإمبراطور البيزنطى والأمراء المسيحيون فى بلاد الكرج ، والأبخاز يقيمون له الخطبة ويعطونه الجزية[٢] . وهذا دليل واضح على مدى قوة ونفوذ واتساع ملك السلطان ملكشاه . ففى سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، أقيمت الخطبة لملكشاه فى كرمان بعد قضائه على عمه قاورد بك[٣] ، وفى نفس العام قرئت باسمه الخطبة فى أصفهان حاضرة ملكة[٤] . وفى أعوام ٤٦٧هـ/١٠٧٤م ، وسنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ، وسنة ٤٨٢هـ/١٠٩٠م ، قرئت الخطبة لملك شاه على منابر بلاد ما وراء النهر فى بلخ وبخارى وسمرقند وكاشغر وفرغانة وغيرها[٥] . وفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ، سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م ، وسنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م ، سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م ومابعدها استقرت الخطبة وقرئت لملكشاه فى بلاد الشام فى مدن دمشق وحلب ، وبعلبك وغيرها[٦] . وفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ومابعدها قرئت باسمه الخطبة على منابر آسيا الصغرى فى قونية وأنطاكية[٧] كما ذكر اسمه فى خطبة المسجد الأقصى بيت المقدس[٨] ، وبلاد اليمن[٩] .

ثالثا : التلقب بالألقاب :

اللقب عزيز دائما ، والحفاظ عليه جزء من شرف المملكة[١٠] ، ولذلك حرص سلاطين السلاجقة ووزراؤهم ، وأمراؤهم على التلقب بالألقاب الدينية والدنيوية إلى جانب أسمائهم

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٩٩ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٥٧ ، أبو الفداء : المختصر جـ١ ص ٢٠٠ ومابعدها .

(٢) اقبال : تاريخ إيران ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٣) القزوينى : تاريخ كزيدة ص ٩٦ ، الحسينى : أخبار ص ٥٦ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، ناصر خسرو : سفرنامة ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٣٩٨ ، ٤٢١ ، إقبال : تاريخ إيران ص ٢٥٣ . مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٢٨ .

(٦) أبو الفداء : المختصر جـ١ ص ٢٠٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص ٣١٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص ٣٠ ومابعدها ، حلمى : السلاجقة ، ص ٢٨ .

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص ٢٦٩ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ص ١٠٤ .

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص ١٠١ ، ١٠٣ .

(٩) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٩ ، الحسينى : أخبار ، ص ٥٧ ومابعدها .

(١٠) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٩١ .

الأصلية ، حتى أصبح من المظاهر الرسمية فى العصر السلجوقى الإكثار من الألقاب للسلاطين وذوى النفوذ من الوزراء خصوصا التى اصطلح على تسميتها بالنعوت ، أى الألقاب المركبة التى تتكون من أكثر من لفظ واحد[١] .

وكان الخليفة العباسى يمنح اللقب للسلطان السلجوقى ، إذا ما وافق على تفويضه السلطنة والحكم[٢] ، فإلى جانب لقب السلطان الذى نعت به طغرلبك حينما دخل بغداد لأول مرة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٣] لقبه الخليفة بـ(المعظم ركن الدنيا والدين أبى طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق)[٤] .

وحينما قابل طغرلبك الخليفة العباسى لأول مرة سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م خلع عليه الخليفة لقب (ملك المشرق والمغرب)[٥] ، بل زاد فى ألقابه (يمين أمير المؤمنين)[٦] ، كما وجد هذا اللقب على نقشه المضروب بمدينة السلام سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[٧] .

وبعد القضاء على فتنة البساسيرى فى بغداد سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م[٨] لقب الخليفة - طغرلبك - بلقب (شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب ، محب الإسلام ، حليف الإمام يمين

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٦٣ ، والمعروف أن سلاطين السلاجقة اتخذوا اسمين ، أحدهما الأصلى وهو الاسم التركى الذى كان يسمى به قبل دخوله الإسلام والدولة الإسلامية مثل طغرلبك وألب أرسلان ، واسم آخر عربى ، حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٦١ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، إدريس : رسوم ، ص ٣٥ .

(٣) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٤٠٤ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨٢ .

(٦) يمين أمير المؤمنين : يشير هذا اللقب إلى أهمية الملقب إلى أمير المؤمنين ، كأهمية اليد اليمنى للإنسان ، وهو يحدد إحدى مراحل التطور فى العلاقة بين السلطان والخليفة ، الحسينى : أخبار ، ص ١٩ ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٢١٤ .

(٧) محمد باقر الحسينى : دراسة إحصائية للكنى والألقاب المضروبة بالرى (المحمدية) ، مقال منشور بمجلة المسكوكات ، العدد السابع (بغداد ، ١٩٧٦م) ص ٢٤٠ ، نقود السلاجقة : رسالة دكتوراه غير منشورة (آداب القاهرة ، ١٩٦٨م) ص ٢٠٤ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢١٠ ، المقريزى : اتعاظ ، جـ٢ ص ٢٥٧ ، ابن القلانسى : ذيل ، ص ٨٩ ، الروندى : راحة الصدور ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

خليفة الله أمير المؤمنين) [١] ، مما أعطى لطغرلبك صفة المنقذ لأنه أنقذ الخلافة من الضياع ، كما وجد اللقب نفسه (شاهنشاه المعظم) على ديناره الذهبى المضروب فى نيسابور سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م . وفى سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م وفى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وفى الرى ، وأيذج[٢] ، ومدينة السلام وغيرها[٣] .

كما يتضح من خلال النقود التى ضربها طغرلبك فى المدن التى استولى عليها ، الكثير من الألقاب التى تلقب بها ، وسكها على نقوده الذهبية والفضية ، ومنها "الأمير الأجل" لقب به طغرلبك على نقده الذهبى المضروب فى نيسابور سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٥م[٤] ، ولقب (الأمير السيد أبو طالب) المضروب على نقده الذهبى فى الرى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٦م[٥] ، وسنة ٤٣٥هـ/١٠٤٧م وسنة ٤٣٧هـ/١٠٤٩م ، وسنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م فى هراة[٦] .

وأطلق لقب السلطان على ألب أرسلان حينما وافق الخليفة العباسى على أن يكون سلطانا على السلاجقة ولقبه بـ (السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملك[٧] أبا شجاع ألب أرسلان بن داود)[٨]، ووجد أيضا لقب السلطان سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م فى نقش صينية من الفضة فى إيران[٩] .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٢٢٣ .

(٢) أيذج : من مدن الفرس تقع بين خوزستان وأصفهان ، وهى أجل مدنها ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص ٢٨٨ .

(٣) محمد باقر الحسينى : مجلة المسكوكات ، جـ٧ ص ٢٤٠ .

Lane Poale : Cataluge of Collection of Arabic Conis, London 1897) p. 430 .

(٤) Selcu Kluderaisi, III, 1971, p. 441 .

(٥) محمد باقر : نقود السلاجقة ص ١٨٩ - ١٩٣ .

(٦) Selcu Kludergisi, p. 442 .

(٧) تاج الملة : التاج الإكليل الذى يوضع على الرأس ، وأضيف هذا اللقب إلى الكثير من الألقاب ويرمز اللقب إلى أن الملقب أعلى الطائفة التى ينتمى إليها وبزينتها ، ومثله "تاج الرؤساء" وتاج الملوك وتاج الوزراء ، وقد أطلق على عضد الدولة البويهى ، انظر : المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص ٢٨ ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٢٩ ، ٢٤١ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ .

(٩) حسن الباشا : الألقاب ، ص ٣٢٥ .

وفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م حينما تم النصر لألب أرسلان فى ملاذكرد[١] بعث الخليفة العباسى برسالة إليه يهنئه فيها بهذا النصر العظيم ، ولقبه بأرفع الألقاب "الولد السيد الأجل المؤيد المنصور المظفر ، السلطان الأعظم ، مالك العرب والعجم ، سيد ملوك الأمم ، ضياء الدين ، غياث المسلمين ، ظهير الأيمان ، كهف الأنام ، عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الباهرة سلطان ديار المسلمين ، برهان أمير المؤمنين[٢] ، حرص الله تمهيده وجعل من الخيرات مزيده[٣].

كما لقب ألب أرسلان يلقب (ناصر أمير المؤمنين)[٤] ، وهذه اللقب يحدد إحدى مراحل التطور فى العلاقة بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة ، حيث اعتبر السلاجقة أنفسهم جنود للخلافة العباسية قدموا ليردوا لها هيبتها ، ولذلك تلقبوا بألقاب ترمز إلى مهمتهم فى

---

(١) البندارى : آل سلجوق ص ٤٠-٤٢ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٢٢ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ ، ستيفن ونسيمان : تاريخ تاريخ الحروب جـ١ ص ١٠٧-١٠٩ ، فايز اسكندر : موقعة ملاذكرد ص ١٣ ومابعدها .

(٢) برهان أمير المؤمنين : البرهان بمعنى الحجة ، وكان اللقب يطلق على السلاجقة ، وشاع استعماله فى دولة سلاجقة الروم ٥١١-٥٩٠هـ/١١١٧-١١٩٣م ، كما أطلق لقب (براهين أمير المؤمنين) على سلاطينهم فى آسيا الصغرى أيضا ويلاحظ الاستمرار فى استعمال اللقب بعد انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة سنة ١٢٦١م ، على يد الظاهر بيبرس البندقدارى ٦٦٠-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م ، مما يشير إلى اعتراف سلاجقة الروم بسيادة المماليك ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ١٩٨ ، أحمد الشامى : دولة المماليك البحرية ، آداب الزقازيق ١٩٨٩ ص ٥٦-٦٠ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٢ ، ص ٢٦٠-٢٦٥ ، الحسينى : أخبار ، ص ٧٣ .

(٤) ناصر أمير المؤمنين : عرف هذا اللقب فى أوائل العصر الأموى حين تلقب به (عبد الرحمن بن الأشعث) لما ثار على الحجاج ، وهكذا كان من أوائل الألقاب المضافة إلى أمير المؤمنين ظهورا ، وعرف أيضا فى بداية عصر السلاجقة وفى إطلاقه على سلاطين السلاجقة تعبير على ما أظهره السلاجقة من حمية فى نصرة الخلافة العباسية ، وحماية المذهب السنى ، وإن لم يمنعهم هذا من الاستبداد كلية بشئون الحكم والإدارة بعد ذلك ، وقد توارثه سلاطين السلاجقة فى أغلب دولها ، واستعمله الأيوبيون فى مصر وبعض سلاطين المماليك البحرية ، والملك الأشرف خليل قبل سلطنته ، كما ورد بصيغة ناصر الخلافة العباسية ضمن ألقاب قايتباى ٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

الانتصار للخليفة العباسى[١] ، وإن لم يمنعم هذا من الاستبداد كلية بالخليفة وشئون الإدارة والحكم بعد ذلك .

كما لقب ألب أرسلان بلقب "الأمير الأجل" قبل توليه السلطنة ، وقد وجد هذا اللقب على إحدى نقود طغرلبك الفضية[٢] ، وقد ذهب بعض الباحثين عند قراءته للقب (الأمير الأجل) إلى أن طغرلبك كان قد نصب ألب أرسلان وليا لعهده ، ولكن ورود اسم "ألب أرسلان" مقرونا باللقب (الأمير الأجل) على هذا الدرهم ، لايقضى أن يكون قد عين وليا لعهد عمه طغرلبك كما ذهب (زامباور) ، إذ لو كان ألب أرسلان وليا لعهد طغرلبك لنقش اسمه على جميع نقوده، ولظهر على النقود التى ضربها ألب أرسلان بنفسه فى مرو ٤٥٣هـ/١٠٦١م ، وهراة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م عندما كان واليا على خراسان زمن عمه طغرلبك[٣] .

وأكبر الظن أن تسجيل اللقب (الأمير الأجل) على هذا الدرهم هو رغبة من السلطان طغرلبك فى استرضاء ألب أرسلان للاستعانة به ، وليس لكونه وليا لعهده[٤] .

كما لقب ألب أرسلان بلقب "السلطان المعظم شاهنشاه ملك الإسلام" ، وذلك على نقده الذهبى المضروب فى هراة سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ، وقاشان سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ، ونيسابور فى نفس العام [٥] . كما لقب أيضا بلقب (ملك المشرق والمغرب) على نقده الذهبى المضروب فى نيسابور ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ، وأصفهان سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، ومرو سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م[٦] .

كما تلقب بلقب (ركن الدين) على نقده الذهبى المضروب بالرى سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م ، وفى هراة سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م[٧] وورود لقب (تاج الأمة) على نقد ذهبى لألب أرسلان ضرب

---

(١) البندارى : آل سلجوق ص ١٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ٢٢١ ، حسن الباشا : الألقاب ص ٢٠٤ ، ٢١١ .

(٢) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ١٩٣ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٢٧ ، السيوطى : الخلفاء ص ٤١٩ ، ٤٢٠ محمد باقر الحسينى : نقود السلاجقة ، ص ١٤٨ ، ١٩٣ .

(٤) محمد باقر الحسينى : نقود السلاجقة ص ٤٨ .

(٥) Selcuku p. 481 .

(٦) Op. cit. p. 482 .

(٧) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ١٩٢ .

فى هراة ومرو سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م [١] وكان من ألقابه أيضا (سيف الله)[٢] ، و(ظهير الإمـــام) [٣] ، و"أبو شجاع" وكلها ألقاب وردت على نقوده الذهبية المضروبة فى المدن التى فتحها[٤] .

وتتفق المراجع التاريخية والنقوش والعملة على أن لقب (سلطان) أطلق على ملكشاه ، فحينما استقرت له الدولة ، لقبه الخليفة بلقب (السلطان معز الدنيا والدين ملكشاه)[٥] ، وأضاف المقريزى[٦] أنه لقب بالسلطان جلال الدولة أبو الفتح ملك شاه بن عضد الدولة ، بينما يرد لقب (السلطان المعظم) ضمن ألقابه فى نقش بتاريخ ٤٧٥هـ/١٠٨٢م فى الجامع الأموى بدمشق[٧] ، ويؤيد الحسينى[٨] هذا اللقب حينما ذكر أيام (السلطان الأعظم جلال الدولة أبى الفتح ملكشاه) .

وقد ورد فى تاريخ آل سلجوق [٩] لقب (السلطان جلال الدنيا والدين أبو الفتح ملكشاه) بن ألب أرسلان يمين أمير المؤمنين) ، ويؤيد قول البندارى أن لقب يمين أمير المؤمنين قد أطلق على ملكشاه فى نص أنشئ بتاريخ ٤٧٥هـ/١٠٨٢م فى الجامع الأموى بدمشق ، وآخر بتاريخ ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، فى ضريح الصالحين بحلب باسم (عضد الدولة أبى شجاع أحمد يمين أمير المؤمنين)[١٠] .

---

(١) محمد باقر : نفسه ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٢) سيف الله : لفظ دخل فى تكوين كثير من الألقاب المركبة التى تحمل جميعها معنى القوة ، وأول من نعت به فى الإسلام هو "خالد بن الوليد" لقبه به النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد انسحابه بجيش المسلمين من مؤته ، حسن الباشا : الألقاب ص ٣٤١ ، ٣٤٥ ، أحمد الشامى : تاريخ العرب قبل الإسلام ط٣ (الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٨٥) ص ٢٤٩ .

(٣) ظهير الإمام : الظهير فى اللغة المعين ، وقد استعملت كلقب الرجال العسكريين ، وقد وجد على بعض نقود الغزنويين ، الكرملى : النقود العربية ، ص ١٣٢ ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٨٦.

(٤) محمد باقر : نقوذ السلاجقة ، ص ٢٠٨ - ٢١٤ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٧٦

(٦) السلوك ، جـ٢ ص ٣٣ .

(٧) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٣٢٥ .

(٨) أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٥٥ .

(٩) البندارى ، ص ٥٧ .

(١٠) الراوندى : راحة الصدور ص ١٩٧ ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٢١٤ .

على أن الراوندى[١] قد ذكر ملكشاه بلقب (قسيم أمير المؤمنين[٢]) ، وهو لقب رفيع يعنى مقاسمة أمير المؤمنين فى سلطانه ، ويمكن تصديق ذلك بناء على اتساع ملك ملكشاه ، والذى قاسم به القائم ، والمقتدى العباسى فى سلطانهم ، خاصة حينما ساءت العلاقات بين ملكشاه والخليفة المقتدى بأمر الله [٣] .

ومن ألقاب ملكشاه (معز الدين ركن الإسلام) على نقده الذهبى المضروب فى أصفهان سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، ونيسابور ٤٧٠هـ/١٠٧٧م[٤] ، وعلى نقده الفضى المضروب فى سرخس سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م [٥] .

---

(١) راحة الصدور ، ص ١٩٧ .

(٢) قسيم أمير المؤمنين : من الألقاب الرفيعة المضافة إلى أمير المؤمنين ، ومعناه مقاسم أمير المؤمنين فى سلطانه ، وأطلق هذا اللقب على أبى نصر الملك الرحيم آخر ملوك بنى بويه فى فارس والعراق (٤٤٠-٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٥م إذ ورد ضمن ألقابه ، ويعبر عن صدى ما وصلت إليه سلطة الخليفة من اضمحلال فى آخر عصر بنى بويه ، ولم يتخذ سلاطين السلاجقة فى أول عهدهم هذا اللقب ، فقد كانوا يعتبرون أنفسهم جنودا للخلافة ، ولكن لم يلبث أن ظهر هذا اللقب (قسيم أمير المؤمنين) ثانية فأطلق على ملكشاه وأولاده ، فقد أطلق على أبى شجاع محمد بن ملكشاه فى نص تعمير بتاريخ سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م فى الجامع الكبير فى دمشق ، ثم صار لقبا عاما على سلاطين السلاجقة ، ثم نقل إلى ملوك الدول الآتية بعد السلاجقة مثل ملوك الدولة الغورية ٥٤٣-٦١٢هـ/١١٤٨-١٢١٥م ، وظل مستعملا لكبار السلاطين حتى سقطت الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، وانتهى بنهايتها ، ولكن سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م حينما بعث الظاهر بيبرس الخلافة العباسية من جديد فى القاهرة ، وقلد خليفة جديد عرف بالمستنصر لقب نفسه بقسيم أمير المؤمنين ، وظل شائعا فى العصر المملوكى ، لمزيد من التفاصيل راجع : القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص ٣٩٧ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، حققه محمد كمال عز الدين (دار الكتب بيروت ١٩٨٥م) جـ٢ ص ٧٠-٧٦ ، سيرة الملك الظاهر بيبرس ، (بيروت المكتبة الثقافية ١٩٧٥) ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٢٠٤-٢٠٧ ، أحمد الشامى : دولة المماليك البحرية ، ص ٥٣ - ٥٥ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٩ - ٥١ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٣١٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٣٤ - ٤٥ .

(٤) Salcuku, p. 485 .

(٥) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ٢٠٨ .

كما لقب ملكشاه أيضا بلقب (السلطان المعظم شاهنشاه) على نقده الذهبى المضروب فى سرخس سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م ، والرى سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ومرو سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م[١] ؛ كما لقب بلقب (ركن الدين أبو العباس) على نقده المضروب بمدينة السلام سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، ولقب (ذخر الدين[٢] أبو الفتح) كما ورد فى نقوده الذهبيه المضروبة فى نيسابور وأصفهان والرى وبغداد[٣] .

أما أخطر الألقاب التى لقب بها ملكشاه فهو لقب (أمير المؤمنين) ، وقد ورد على أحد نقوده النحاسية المضروبة فى أصفهان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٤] ، على الرغم من أن هذا اللقب خاص بالخلفاء ، وكان طبيعيا أن يرد هذا اللقب للخليفة بأمر الله أو المقتدى وغيرهما من خلفاء بنى العباس ، وهذا دليل على اتساع ملك - ملك شاه - وسطوته على الخليفة العباسى[٥] ، ولكن يمكن القول أن ذلك من باب التدليس والتزييف فى العملة والكيد بين الخليفة والسلطان ملكشاه خاصة أنه ضرب من النحاس وليس من الذهب وكذلك ضرب فى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وهو العام الذى شهد أوج الخلاف بينهما .

رابعا : نقش اسم السلطان على العملة :

يعتبر نقش اسم السلطان على العملة من أهم رسوم السلطنة[٦] ، ولذلك حرص سلاطين السلاجقة العظام على ضرب اسمهم على السكة مثلما فعل طغرلبك حينما دخل نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م[٧] ، كما ضرب العملات باسمه فى كل البلاد التى استولى عليها

---

(١) Selcuku. p. 488 .

(٢) ذخر الدين : الذخر فى اللغة لما يذخر من النفائس ، وقد غلب استعماله كلقب للعسكريين فى عصر المماليك فيما بعد وغيرهم ، واستعمل فى تكوين بعض الألقاب المركبة ، وأصبح من ألقاب الملوك ، حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ص ٢٩٢ .

(٣) محمد باقر : نقود السلاجقة ص ١٩٣ .

(٤) Selcuku. p. 488 .

(٥) محمد باقر : نقود السلاجقة ص ١٩٣ .

(٦) القلقشندى : مآثر الأناقة ، جـ٢ ص ٢٢٤ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

السلاجقة[١] ، وكان أخوه جغرى بيك داود قد سبقه فى ضرب السكة باسمه فى مرو ، وخطب له فيها سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م[٢].

وإلى جانب اسم الخليفة العباسى ، ضرب طغرلبك اسمه على النقود الذهبية والفضية والنحاسية فى كل البلاد التى استولى عليها[٣] ، ففى مدينة الرى ضرب طغرلبك نقوده سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م وفى سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م وفى سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م ، وكان لقبه (السلطان المعظم شاهنشاه طغرلبك أبو طالب)[٤] .

كما حرص ألب أرسلان على نقش اسمه على السكة قبل تولية السلطنة ، فعندما كان حاكما على هراة زمن والده "جغرى بيك داود" منذ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، حتى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ضرب نقدا ذهبيا ذكر عليه اسمه ، فقد ذكر فى وجهه (لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، ألب أرسلان)[٥] ، وبعد أن استخلف والده فى خراسان ضرب نقودا باسمه سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م فى هراة ومرو [٦] .

وعندما تولى السلطنة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، ضرب اسمه على النقود التى سكها فى الفترة من سنة ٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م وهى مدة حكمه[٧] ، إلى جانب اسم الخليفة العباسى الذى لاتخلو نقود السلاجقة من ذكر اسمه[٨] .

ونتيجة لاستقرار قواعد السلطنة للسلطان ملكشاه ، فقد زاد فى ألقابه التى ضربها على العملة ، وحرص على نقش اسمه وألقابه وكنيته على كل النقود التى سكها فى مدن مملكته

---

(١) البيهقى : تاريخ ، ص ١٠٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٧ .

(٣) محمد باقر : نقود السلاجقة ص ٤٣ .

(٤) Selcuku, p. 443 .

(٥) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ٥٢ .

(٦) Selcuku, p. 444 .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ – ١٩٧ .

(٨) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ٤٣ .

الشاسعة ، ومعظمها ضرب فى مدن الأهواز وبغداد ، وأصفهان ، ونيسابور ، والرى وسرخس وهمذان فى مدة حكمه الممتده من سنة ٤٦٥هـ/٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م[١] .

علامات الحكم ورسوم دار السلطنة السلجوقية :

١- حواضر السلاجقة :

اتخذ سلاطين السلاجقة حواضر خاصة بهم فى بلاد المشرق الإسلامى التى فتحوها وخضعت لسلطانهم ، ولم يتخذوا بغداد مقرا لإقامتهم كما فعل بنو بويه[٢] ، ولكنهم أرسلوا نوابا لهم ليراقبوا نشاط الخلفاء العباسيين ووزرائهم ، وصاروا يصرفون شئون الحكم من عواصم [٣] .

والسلطان طغرلبك هو صاحب السبق فى هذا الأمر ، لأنه هو الذى رسم سياسة السلاجقة ، واقتدى به من جاء بعده من سلاطين ، فقد رأى أن يكون بعيدا عن حاضرة الخلافة العباسية بغداد ليبتعد عن المشاكل السياسية والمذهبية التى كانت تتعرض لها الخلافة العباسية ، أو يمنع جنده من السلب والنهب ، كما حدث حينما دخل بغداد لأول مرة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، واعتدى جنده على العامة فيها[٤] ، أو ليتخذ قراراته وهو بعيد عن الخليفة .

ولذلك اتخذ مدينة الرى عاصمة لملكه فى أول أمره[٥] ، ثم جعل نيسابور عاصمة لحكمه ٤٢٩هـ/١٠٣٧م حينما جلس على عرش مسعود الغزنوى[٦] ، ثم أعاد حكمه إلى الرى مرة أخرى بدليل أنه استعد لاستقبال زوجته ابنة الخليفة العباسى القائم بأمر الله فى الرى

---

(١) ولمزيد من التفاصيل حول نقود السلاجقة ، أنظر الكتاب .

(٢) Lestrange : Bagdad during the Abbasid caliphate, 323 .

Altay, Tugurlbay, p. 73 .

(٣) إدريس : رسوم ص ٤٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ١٠ ، الحسينى : أخبار ص ١٨ ، ١٩ ، الروندى : راحة ص ١٧٠ ، البغدادى : تاريخ بغداد جـ٩ ص ٤٠٢ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٧ .

(٦) البيهقى : تاريخ ص ٦٠٣ ، ابن خلكان : وفيات جـ٥ ص ٦٦ .

باعتبارها دار ملكه[١] ، وأنه دفن فيها بجوار قبر أخيه جفرى بيك[٢] ، وكان سليمان الطفل وليا لعهده فيها ، واستخلص ألب أرسلان السلطنة والعرش منها[٣] .

ومع أن ألب أرسلان استخلص السلطنة لنفسه فى الرى ، وأقيمت له الخطبة فيها[٤] إلا أنه لم يتخذها مقرا لملكه ، بل اتخذ مرو عاصمة له[٥] ، ويرجع السبب فى عدم اتخاذ ألب أرسلان الرى مقرا لحكمه ، وتفضيله مرو عليها ، إلى أن مرو كانت إحدى مدن خراسان التى حكم فيها سنتين من قبل بعد وفاة أبيه جفرى بيك ، ولأن مدينة مرو كانت مقرا وعاصمة لحكم والده قبله حتى وفاته سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م[٦] .

واختار السلطان ملكشاه مدينة أصفهان عن مدن سائر مملكته لتكون عاصمة للمكة ، ومقرا لعرشه لأنها كانت أحب البلاد إليه[٧] ، وكانت أصفهان مقره الصيفى وبغداد مقره الشتوى[٨].

٢- القصر أو السرايا (دار الحكمة) :

كان القصر علامة على سيطرة السلطان السلجوقى على كل أرجاء دولته[٩] ، وقد اتخذ طغرلبك لنفسه قصرا يدير منه شئون حكمه ، فعندما دخل نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، وجلس على عرش مسعود الغزنوى ، أدار دفة الحكم من قصر مسعود فى نيسابور مؤقتا[١٠]، حتى نقل عاصمة حكمة إلى الرى ، فبنى بها قصرا ، ومن هذا القصر كانت

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٦ ، اليزدى : العراضة ص ٤٤ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ص ٢٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ١٠ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ ، ابن الأثير ، الكامل جـ١٠ ص ١٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ٤٩ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٥ ، البندار : آل سلجوق ص ٣٢ ، ٣٣ ، دائرة المعارف الإسلامية مادة جفرى بيك .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٨ .

(٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص ١٠٦ .

(٩) Altay : Tugrulbey, p. 76 .

(١٠) البيهقى : تاريخ ص ٦٠٣ .

تخرج الرسائل السلجوقية إلى شتى أطراف دولته[١] ، وكان قصرا غاية فى الروعة والجمال[٢].

وعقب دخول طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وقبضته على دفة الحكم ، وسقوط دولة بنى بويه وقتل الملك الرحيم البويهى آخر ملوكها[٣] ، انتقلت قصورهم إلى السلاجقة ، حيث اتخذها طغرلبك مقرا لحكمه ، ينزل فيها عند زيارته لبغداد[٤] . وأراد طغرلبك أن يكون له قصر سلجوقى خالص ، فأمر بهدم مائة وسبعين من القصور الشاطئية البويهية ، وأخذ أنقاضها ، وبنى بها قصورا جديدة[٥] ، وبنيت فى الجانب الجنوبى من القصور البويهية، وعرفت بدار السلطنة ، أو دار السلطان ، أو مدينة طغرلبك[٦] .

وفى سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م بنى طغرلبك سورا حول داره وقصره الواسع ، وأدخل فيه قطعة كبيرة من المحرم (دار الحريم الطاهرى) [٧] ، ودار الفيل[٨] ، وكان سور طغرلبك واسعا وجمع له الصناع ، ونقل إليه الأبراج والأخشاب ليعمره[٩] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٧ ، اليزدى : العراضة ص ٣٤ .

(٢) Altay, Tugrulbey, p. 76 .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٦٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ٢٥٥ ، ابن الخطيب : تاريخ بغداد جـ٩ ص ٤٣ .

(٤) Altay : Tugrulbey, p. 76 .

(٥) جورج مقدسى : خطط بغداد في القرن الخامس الهجرى ، ترجمة صالح العلى ، (بغداد ١٩٨٤) ص ٢٥ .

(٦) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ص ٤٠٤ ، جورج مقدسى : خطط بغداد ص ٣٩ - ٤١ .

(٧) دار الحريم الطاهرى : من أشهر محلات الجانب الغربى من بغداد ، وسميت بذلك نسبة إلى طاهر بن الحسين وبه كانت منازلهم ، وكان من لجأ إليه آمن ، ولذلك سمى الحريم ، وكان أول من جعلها حريما عبد الله بن طاهر ابن الحسين ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٢٥٥ ، جورج مقدسى : خطط بغداد ص ١٣-١٥ ، صالح العلى : بغداد مدينة السلام الجانب الغربى (بغداد ١٩٨٥م) ص ١٩٣ - ٢٠٥ .

(٨) دار الفيل : من المعالم العمرانية فى الأطراف الجنوبية والغربية من بغداد . صالح العلى : بغداد ص ١٨٥ .

(٩) جورج مقدسى : خطط بغداد ، ص ٣٩ .

وفى هذا القصر الذى اتخذه طغرلبك مقرا له كلما دخل بغداد ، احتفل بزواج الأميرة العباسية ، احتفالا لم يسبق له مثيل[١] ، ولكن نشب حريق هائل فى دار السلطنة التى بناها طغرلبك سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م ، ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، خرب الكثير منها ، وأعيد بناء هذه الدار مرة أخرى[٢] ، إلى أن توفى طغرلبك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، أمر الخليفة القائم بهدم القصور الشاطئية التى نجت من هدم طغرلبك ونقلت موادها إلى قصر الخلافة[٣] ، واستمرت دار السلطنة السلجوقية ببغداد خلال سيطرة السلاجقة عليها ، إلى أن أمر الخليفة الناصر لدين الله العباسى ٥٧٥ - ٦٢٢هـ/١١٧٩/١٢٢٥م بنقضها سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م[٤] .

وقد اتخذ السلطان ألب أرسلان قصرا يدير منه شؤون الحكم قبل أن يتولى السلطنة فى أثناء حكمه لمنطقة خراسان بعد وفاة والده[٥] ، وعندما ولى السلطنة واتخذ مرو عاصمة له بنى فيها قصرا كان مضرب المثل فى الروعة والجمال[٦] ، أدار منه شئون الحكم ، وسمح لأمراء دولته ووزيره نظام الملك باتخاذ قصور فى العاصمة مرو نفسها[٧] ، كما اتخذ قصورا فى المدن الكبرى التى كان يفتحها أو ينزلها فى المشرق الإسلامى[٨] ، إلى جانب دار السلطنة السلجوقية فى بغداد التى كانت مقرا لسلاطين السلاجقة فى العراق ، والتى لم يقدر لألب أرسلان دخولها وزيارتها . وعندما اصطفى ملكشاه مدينة أصفهان لتكون مقرا لحكمه ، أكثر من بناء القصور فيها ، وبلغ من اهتمام ملكشاه أنه أشرف بنفسه على بنائها[٩] ومعه وزيره نظام الملك وأعيان دولته ، ولاتزال آثار بعضها شاخصة إلى الوقت الحاضر[١٠] .

---

(١) البندارى : آل سلجوق ص ٢٦ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٢٢٦ ، لسترنج : بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير فرنسيس ، ط١ (بغداد ١٩٣٦م) ص ٢٤ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ، ص ٤٠٢ .

(٣) جورج مقدسى : خطط بغداد ص ٧١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٢٢٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٢٣٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٥٧٨ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٧٦ .

(٨) إدريس : رسوم ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٩) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(١٠) حسانين : سلاجقة إيران ص ٨٣ .

وقد شُيد لملكشاه قصور فى كل مدينة كبيرة يصل إليها ، وتعلن ولاءها له ، إلى جانب دار السلطنة السلجوقية فى بغداد ، التى نزلها ملكشاه ضيفا على الخلافة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، والتى أدار منها حكم العراق أثناء وجوده فيه سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[١] .

رسوم السلطان السلجوقى فى قصره :

أضفى سلاطين السلاجقة الهيبة على السلطنة السلجوقية حتى تبدو أبهى وأجمل قوة وهيبة ، يقول نظام الملك "لاينبغى لمن انخفضت أيديهم عن السلطان أن تعلو أيديهم على يده، وإلا تولد الخلل وذهب عن السلطنة بهاؤها وجلالها وهيبتها وقوتها"[٢] . فكان للسلطان السلجوقى مكانته الخاصة بين رعاياه ، وله احترامه الدائم فلا تعلو عليه سلطة ، ولا يتدخل فى حقوقه أحد[٣] .

فلم يجعل سلاطين السلاجقة العظام للنساء مركزا فى إدارة شئون الحكم داخل الدولة ، لأنه إذا تسلطت امرأة على سلطان فى عهد من العهود ينشأ الفساد ، ويضار الملك فى جلاله ووقاره وحرمته ، ومانتج عن ذلك إلا الذل والعار والشر والفتنة والفساد[٤] .

ولم نسمع طوال عهدى طغرلبك وألب أرسلان أن تدخلت أمرأة فى شئون الحكم ، إلا فى أواخر حياة طغرلبك عندما تزوج بأرملة أخيه جغرى بيك داود سنة ٤٥١هـ/١٠٥٧م فأوعزت إليه أن يجعل ابنها سليمان وليا لعهده[٥] .

وخلال المدة الأولى من حكم ملكشاه لم يسمح بتدخل النساء فى الحكم ، ولكن أواخر حياته ، زاد نفوذ تركان خاتون الجلالية ، التى تزوجها ملك شاه سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م ، وكانت من سادات خانات التركستان ، وتسلطت على ملكشاه خاصة بعد أن ولدت له ابنه محمود ، والتى أرادت توليته ولاية العهد ثم العرش ، وكان نظام الملك الطوسى يناصر بركياروق أكبر أولاد ملكشاه ، مما أدى إلى حدوث تنافر بينهما[٦] .

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامة ص٢٢٣-٢٢٦ .

(٣) إدريس: رسوم ، ص ٦٢ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ص ٢٢٤ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٠ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٦٨ .

ويقف على باب قصر السلطان السلجوقى ، غلمان مهيأون فى حلل بهية يبلغ عددهم عشرين غلاماً ، بيدهم السلاح الخاص المرصع يحفون حول عرش السلطان السلجوقى ، ومهمتهم الاحتفاء بالرسل القادمين من الأطراف ، لأن ذلك من زينة الملك وترتيب السلطنة[١].

كما كان يوجد فى القصر السلجوقى مائتا رجل من المختارين[٢] ، المسلحين الذين يختارون عادة من ذوى المظهر الحسن ، والطول الفارع ، والرجولة والشجاعة ، ومهمتهم ملازمة الملك وخدمته فى حله وترحاله ، وكانوا يظلون بألبسة جميلة فى القصر ، وكان لكل خمسين منهم نقيب يتولى شؤونهم ، والإشراف عليهم ، وإسناد المهام إليهم[٣] .

وكان من رسوم السلطان السلجوقى فى قصره أيضا تخصيص يوم أو يومين أسبوعيا للمقابلات العامة والخاصة ، وكانت رسوم مقابلة الخاصة تختلف عن العامة ، فبالنسبة للخاصة يدخل ذوو القربى أولا ، فالمعروفون من الحشم ، فالناس من الطبقات الأخرى مثل ولاة الثغور والأمراء والأئمة[٤] ، وكان من إمارات المقابلة بالنسبة للخاصة رفع الستارة ، أما إسدالها فيعنى أنه لايسمح لأحد بالدخول مالم يستدع[٥] ، ويشترط أن يكون برفقة كل واحد منهم غلام واحد فقط إما حاملا للسلاح أو الطعام ، أو ذائقا الطعام[٦] .

أما بالنسبة لرسوم العامة ، فيخصص يوم أو يومين للمقابلات العامة ، بحيث يكون الملك فيها فى أرج انبساطه ونشاطه ، ولا يمنع أحد من المقابلة ، ويجب أن يخبر العامة بأن هذا

---

(١) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٣٢ .

(٢) المختارين : يقال لهم بالفارسية (مفردان) ، وقد تكون الكلمة مأخوذة من كلمة الفرد العربية التى معناها الذى لانظير له ، وجمعها أفراد ، ويبدو أن هؤلاء هم الذين كانوا يسمون المختارين على عهد الخليفة المعتضد ٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م ، وهم حرس مستخلصون للموكب ، وملازمةالخليفة فى الدار وللدخول أوقات جلوس الخليفة ، وملازمته من أول النهار إلى أخره ، ويمكن تسميتهم الحرس الخاص مثل الحرس الجمهورى الآن ، انظر : ابن منظور : لسان العرب جـ١٢ ص ٤٣٣١ ، حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٦٧٤، آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص ٢٥٣ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٣١ .

(٤) نظام الملك : نفسه ، ص ١٥٩ .

(٥) نظام الملك : نفسه ، ص ١٥٩ .

(٦) نظام الملك : نفسه ، ص ١٥٩ .

اليوم يومهم ولا يأتون فى الأيام التى تخصص للخاصة ، ويجتمعون فى القصر ، لا يكون هناك فرق بين شريفهم ووضيعهم[١] ، وهذا دليل على عدالة السلاجقة .

وسار سلاطين السلاجقة على رسم دائم طول عهدهم ، وهو فتح دار السلطنة للمتظلمين[٢] ، فلابد للملك من الجلوس للمظالم يومين فى الأسبوع لاستلال العدل من الظالمين ، وإنصاف الرعية والبت فى الشكاوى وإصدار حكمه فيها[٣] ، فكان يقف على باب القصر كثير من المتظلمين لا يغادرونه إلا إذا نظر فى شكواهم ، حتى لايكون سلاطين السلاجقة فى موقف الظالمين لرعاياهم ، وحتى لايحدث هؤلاء جلبة أو ضوضاء يسمعها رسل الدول القادمون[٤] .

ولقد نظم السلاجقة ديوان المظالم بحيث تجمع شكاوى أهل كل مدينة أو ناحية من الحاضرين على حدة ، وتوضع فى مكان واحد ، ثم يأتى خمسة منهم إلى القصر لبيان أمرهم وعرض أحوالهم ، ويتلقون الجواب ، ويتسلمون الحكم[٥] . وكان من عادة السلطان السلجوقى أن يقف للمرأة والضعيف ولا يبرح إلا بعد إنصافهم[٦] ، حتى قيل إنه لم توجد على عهد السلطان ملكشاه مظلمة ، فإذا فرض وجاء متظلم لم يكن له من دونه حجاب ، بل كان يحدث السلطان مشافهة ويطلب إليه إنصافه[٧] .

ملابس السلطان فى قصره :

كان للسلطان السلجوقى رداء خاص عند لقائه بالناس ، يرتديه عند جلوسه على العرش ، فكان طغرلبك يلبس الوازارى[٨] ، والبياض[٩] .

---

(١) نظام الملك : نفسه ص ١٦٠ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٢ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٥٩ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص ٢١٢ ، البندارى : آل سلجوق ص ٢٤٨ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ١٦ ، ص ٣٠٩ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامة ، ص٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ص ٣٠٩ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٠٥ ، وقصة صاحب البطيخ الذى أخذه منه غلمان السلطان وردوه إليه مشهورة فى كثير من المصادر ، انظر : ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٨) الوازارى : أو الأودارى ، نوع من الثياب ، طول كل ثوب منه إذا كان كامل خمسون ذراعا فى عرض شبرين ونصف ، وهى تفصل ثوبين كاملين ، وربما فضل من فضلة ، وأجودها ما دقق منه ، وصفق نسجه ، وكان أبيض اللون ، ويصنع من الحرير والقطن ، والكتان ، أنظر : أبو الفضل الدمشقى : الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشرى الشوربجى (القاهرة ، ١٩٧٧م) ص ٤٦ .

(٩) البندارى : آل سلجوق ص ٤٨ ، ٤٩ ، الحسينى : أخبار ص ٢٢ ، ٢٣ .

وكان ألب أرسلان يلبس قلنسوة[١] طويلة عند جلوسه على العرش ، ويوم استقباله للعامة، ويقال إن المسافة بين طرف لحيته ، وطرف قلنسوته بلغت ذراعين[٢] كاملين[٣] .

وسار السلطان ملكشاه على شاكلة والده وفى أثناء جلوسه للعامة ، فكان يلبس مثل والده[٤] ، أما عند استقبال السلطان السلجوقى للرسل والملوك ، وأمراء الدول المجاورة ، فكان يلبس البياض ويضع على رأسه التاج المرصع بالجواهر والقباء[٥] .

---

(١) قلنسوة : بمعنى الطاقية التى توضع تحت العمامة ، وهى مرادف لكلمة طربوش ، أنظر : دوزى : القاموس المفصل لأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل ، (بغداد ، ١٣٩١هـ) ص ٩٧ .

(٢) الذراع : هو أهم وحدات قياس الأطوال المستعملة فى البلاد الإسلامية ، واختلف طول الذراع من فترة إلى أخرى ، والذراع سبعة أنواع أقصرها القاضية ، واليوسيفية ، والسواد والهاشمية الصغرى والهاشمية الكبرى والعمرية ، الميزانية لمزيد من التفاصيل عنها أنظر : الريس : الخراج ص ٢٩٩ ، هنتس : المكاييل والموازين ، ترجمة كامل العسلى (جوتنجن ، ١٩٥٥م) ص ٨٧ ، ٨٨ . إنستاس الكرملى : النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، ط٢ ، (القاهرة ، سنة ١٩٨٧م) ص ٢٧ - ٣٥ . والقاضية : تسمى ذراع الدور فهى أقل من ذراع السوداء بإصبع وثلثى إصبع ، واليوسيفية وهى التى يقيس بها القضاة الدور ببغداد ، والسوداء فهى أطول من ذراع الدور بإصبعين وثلثى إصبع ، وأول من وضعها الرشيد ، والهاشمية الصغرى وهى البلالية وهى أطول من الذراع السوداء بإصبعين وثلثى إصبع وأول من أحدثها بلال بن بردة أمير البصرة وقاضيها ولاه خالد القرى عليها سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م وهى أنقص من الزيادة ثلاثة أرباع عشر وبها يتعامل الناس فى الكوفة والبصرة ، والهاشمية الكبرى : وهى ذراع الملك وأول من نقلها إلى الهاشمية المنصور وهى أطول من الذراع السوداء بخمس أصابع وثلثى إصبع فتكون ذراعا وثمنا وعشرا بالسوداء الزيادية : وسميت بذلك لأن زياد بن أبيه مسح بها أرض السوداء العمرية : ذراع عمر ابن الخطاب (رضى الله عنه) والتى مسح بها أرض السواد بالعراق ، وتساوى ٨١٥و٧٢ سم ، الميزانية : وأول من وضعها المأمون العباسى ، وتساوى بالذراع السوداء ذراعين وثلثى إصبع ، لمزيد من التفاصيل : أنظر ، الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ، هنتس : المكاييل والموازين ص ٦٥-٩٠ ، والميزانية هى التى يقاس بها المساكن والأسواق وكراء الأنهار والحفائر : الماوردى الأحكام ص ١٩٦ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٦ .

(٤) الراوندى : نفسه ، ص ٢٠٩ .

(٥) القباء : لباس خارجى فارسى الأصل ، يطوى تحت الأبط بصورة منحرفة ، واسع شديد الضيق من أعلى ، يمر مرتين تحت البطن ، ويشد تحت الذراع ، وهو مقور وله كمان قصيران ، دوزى : القاموس ، ص ٩٠ ، البندارى آل سلجوق ص ٤٨ ، ٤٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٢١ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٢٠ .

شارات السلطان السلجوقية :

١- الخيمة :

تعتبر الخيمة من أهم شارات السلطنة السلجوقية فهى مساوية تماما لقصر السلطان السلجوقى فى الأهمية لأنها تدل على حاكميته وسيطرته[١] ، وكانت حمراء جهرمية[٢] لكى تميزه عن سائر رعاياه من السلاجقة ، وكان لها خان أو أمين يشرف عليها[٣] ، ويجتمع فيها السلطان بهيئته لمناقشة الأمور السياسية ، كما فعل طغرلبك سنة ٤٢٨هـ-١٠٣٦م ، عندما تشاور مع إخوته وبنى عمومته ، بعد مقتل عمه "إسرائيل بن سجلوق[٤] حيث اجتمع بهم فى خيمة ضربت له فى خراسان[٥] .

وكانت هذه الخيمة تنقل بسفر السلطان لحروبه ، وهى عادة تركية قبلية تتفق وتقاليد السلاجقة البدوية ، ففى رجب سنة ٤٥٠هـ/أغسطس ١٠٥٨م ، اجتمع طغرلبك بقادته للتشاور فى أمر القضاء على البساسيرى[٦] . وفى شعبان سنة ٤٥٤هـ/أغسطس ١٠٦٢م ، جلس السلطان طغرلبك فى خيمته ينتظر قدوم عميد الملك الكندرى ، بعروسة ابنة الخليفة العباسى[٧] .

وكان السلطان ألب أرسلان ثم ملكشاه كلما نزلا مدينة ، أو دخلا معركة كانت الخيمة تنصب للتشاور فى أمر المعركة ، فبعد انتهاء ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، أمر السلطان

---

(١) Altay : Tugrulbey, p. 76 - 77 .

(٢) جهرمية : المقصود بها الخيمة المصنوعة فى مدينة جهرم الفارسية ، واشتهرت هذه المدينة بصنع هذه الخيام حتى قيل للبساط نفسه جهرم ، وهى بين شيراز وأصفهان ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ١٩٤ .

(٣) Altay : Tugrulbey, p. 76 - 77 .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٣ .

(٥) اليزدى : العراضة ، ص ٣٢ .

(٦) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٤٠٤ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٢١٩ ، الحسينى : أخبار ص ٢٣ ، إقبال : تاريخ إيران ص ٢٤٠ .

ألب أرسلان بنصب خيمة استقبل فيها الإمبراطور البيزنطى[١] . كما كانت الخيمة تضرب فى الصحراء فى أثناء خروج السلطان للصيد ، كما فعل السلطان ملكشاه[٢] .

٢- العلم أو البيرق : ومن شارات السلطنة السلجوقية أيضا العلم أو البيرق ، وكان لجميع الحكام بما فيهم الخليفة العباسى نفسه بيارق ، وكان بيرق أو علم السلاجقة أخضر اللون[٣] مكتوبا عليه لفظ الجلالة ، واسم السلطان السلجوقى[٤] .

٣- التخت : وهو يجلس عليه الملوك والسلاطين فى المواكب ، ومعناه العرش أو السرير[٥].

٤- الميقاتى : الذى كان يقوم بدق الطبول أمام قصر الخليفة ، وقصر السلطان السلجوقى والأمراء ، ومن ينعم عليهم السلطان بهذه الميزة كالقضاة ، وبعض الوزراء ، وبعض القواد ، لموعد الصلاة[٦] .

٥- التاج : ما يوضع على الرأس ، وبه يتوج السلطان نفسه ، ويتزين به فى الأعياد الرسمية وفى المواكب[٧] ، وهو منسوج من الصوف المكفت بالذهب ، وتحف به صفوف من المجوهرات والأحجار الكريمة ، وربما يمنحه الخليفة للسلطان السلجوقى ليزين به رأسه[٨] ، وهذا دلالة على أعلى درجات المجد ، والفخار[٩] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٢٣ ، فايز اسكندر : البيزنطيون والأتراك السلاجقة ، ص ١١٣ ومابعدها .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ .

(٣) Altay : Tugrulbey, p. 76 - 77 .

(٤) Altay : Op. Cit., p. 77.

(٥) أنورى : اصطلاحات ، ص ٤٢ .

(٦) Altay, Op. Cit., p. 77-78 .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٩٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٦ .

(٩) دوزى : المعجم ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

٦- السيف : القيلج[١]، هكذا تسمية الترك ، وسمته السلاجقة بنفس الاسم واستعمله السلطان طغرلبك بهذا المسمى فى أغلب حروبه[٢] .

٧- القوس : القوس فى الأصل ، عمود من شجر جبلى صلب ، يحنى طرفاه بقوه ، ويشد فيهما وتر من الجلد أو العصب الذى يكون فى عنق البعير ، وهو يشبه إلى حد ما قوس المنجدين فى هذه الأيام[٣] . وقد كان السلاطين السلاجقة يحملونه معهم ، ويحاربون به من فوق ظهورهم[٤] ، وكثيرا ما استخدم أداة لشنق الخارجين عن سلطان السلطان السلجوقى [٥] فقد قتل طغرلبك أخاه إبراهيم ينال بوتر قوسه[٦] وكذلك فعل ألب أرسلان مع الخارجين عليه[٧] .

٨- السهم : القوس للرامى كالبندقية ، والأسهم كطلقاتها ، ولابد للرامى من أن يحتفظ فى كنانته بعدد من الأسهم عند القتال[٨] ، والسهم والنبل والنشاب[٩] أسماء لشئ واحد ، وهو عود رفيع من شجر صلب فى طول الذراع تقريبا ، ويرمى بالسهام من بعد ، وهو سلاح قتال فتاك ، وبخاصة إذا سقى نصله بالسم[١٠] ، وقد أجاد السلاجقة الرمى به ، فهم من الترك أمهر رماة الحذق أى السهام[١١] ، وفى بعض الأحيان كانت السهام تستعمل كأداة للتخاطب ، يكتب عليها راميها ما يشاء ثم يرميها لمن يشاء ، حفظا للسرية[١٢] .

---

(١) انظر ترجمته وتعريفه من الكتاب .

(٢) Altay, op. cit., p. 77 .

(٣) محمود شيت خطاب : العسكرية العربية الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٨ .

(٤) Altay : Op . Cit., p. 78 .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٠٣ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٠٣ .

(٨) محمود خطاب : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٩) انظر تعريفها ص   من الرسالة .

(١٠) خطاب : المرجع السابق ص ١١٢ .

(١١) ابن خرداذبه : المسالك ، ص ١١٦ .

(١٢) محمود خطاب : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

٩- القباء والهودج : ومن شارات السلطان السلجوقي قباء مرصع بالجواهر ، وجواد مسرج بسرج أحمر ، وفيل عليه هودج ، يركبه السلطان عند مروره وخروجه ، وللفيل مروج خاص يتولى شؤونه[١] ، وقد اكتسب السلاجقة عادة ركوب الفيل من الغزنويين[٢] . وكان من عادة السلطان طغرلبك أن يركب هودجه على هذا الفيل ، عندما سار إلى بغداد في ذي الحجة سنة ٤٥١هـ/ ١٠٦٠م ، بعد أن قضى على البساسيري[٣] .

١٠- البوق : وللسلطان السلجوقي بوق تركي يدق له في وقت الركوب ، أو النزول[٤] ، والبوق شبه منقار ملتوى الخرق ينفخ فيه فيعلو صوته ، فيعلم المراد به[٥] .

١١- جنود الخدمة : وللسلطان السلجوقي جنود يلازمون ركوبه ، مثبتة أسماؤهم في الجرائد الديوانية وبلغ جنود ملكشاه المرافقين له ست وأربعين ألفا من الفرسان ، وكان السلطان يعطيهم أرزاقهم في أيديهم إقطاعا[٦]، وإذا نزلوا بناحية من النواحي كانت نفقاتهم ، وعلوفة دوابهم معدة ومهيأة ، ويضم إقطاع كل قرية وضواحيها منازل واقعة على الطريق التي يستمر بها الركب السلطاني للإنفاق عليه[٧] .

١٢- الخاتم والتوقيع : ومن رموز وشارات السلطنة السلجوقية الخاتم ، وكان السلطان السلجوقي يحمل خاتمه بنفسه[٨] ، كما كان لكل سلطان سلجوقي توقيع خاص به ، ويوقع به على المراسلات والمكاتبات ، واعتادوا أن يتخذوا الأسماء والعبارات الدينية رمزا لتوقيعهم ، كأن يستفتح بها السلطان مكاتبته أو دعاء يستحسنه ويتفاءل به[٩] .

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ص ١٦٣ .

(٢) البيهقي : تاريخ ، ص ٦٠٤ - ٦٥٦ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٧٥ .

(٤) الراوندي : نفسه ، ص ٢٣٠ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، جـ١ ، ص ٣٨٨ - ٣٩١ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ص ٢٠٤ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٣٨ .

(٨) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ١١٢ .

(٩) إدريس : رسوم ، ص ٦٠ .

وقد بدأ السلطان طغرلبك هذا الرسم ، وكان توقيعه هكذا (   ) على شكل الدبوس[١]، ولم يتخذ عبارات عربية لأنه كان لايعرفها ، أو ربما لأنه كان فى مرحلة تأسيس للدولة ، وحروب مستمرة . وأول من بدأ التوقيع بالعربية من سلاطين السلاجقة هو السلطان ألب أرسلان فكان توقيعه (ينصر الله) [٢]، وهو يدل على طلب النصر من الله تعالى ، ولما استقرت أحوال الدولة وتعددت أطراف المملكة ، اتخذ ملكشاه عبارات تدل على زيادة تمسكه بالدين مثل (استعنت بالله) و(توكلت على الله) ، و(اعتصمت بالله) [٣] وعبارة (الحمد لله على نعمة) والتى كانت علامة وزيره نظام الملك[٤] .

١٣- الخوان[٥] : كان القصر السلجوقى يحتوى على قاعات للطعام والجلوس ، وأماكن للغلمان والخصيان[٦] ، وكان السلطان السلجوقى ينصب الخوان فى الصباح الباكر ، ويتكلف من ألوان الطعام أطيبها ، حتى أنها كانت تثير عجب الأمراء والأتراك أثناء تناولهم الطعام[٧] .

وكان ألب أرسلان يطبخ فى مطبخه خمسون رأسا من الغنم للفقراء ، كما خصص راتبا من الخزينة السلطانية للسماط اليومى[٨] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٠ . ويذكر حسن أنورى أن السلطان طغرلبك كان له توقيعا هو (اعتمادى على الله) ، انظر : حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى دوره غزنوى وسلجوقى ، (تهران ، ٢٥٣٥ شاهنشاهى) ص ١٧٥ .

(٢) الراوندى : نفسه ، ص١٨٦ . ويذكر أنورى أيضا أن السلطان ألب أرسلان كان توقيعه - اعتصمت بالله - انظر : أنورى : اصطلاحات ص ١٧٥ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠١ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٩ .

كما يذكر أنورى أن السلطان ملكشاه كان من توقيعه "اعتمادى على الله" ، أنورى : اصطلاحات ديوانى، ص ١٧٥ .

(٥) الخوان : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل ، تعريب خوان ، وأصل معناها الطعام ، والوليمة ، أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة ، (بيروت ١٩٨٠م) ، ص ٥٨ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢١٣ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ص ٤٤٠ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

ويذكر الراوندي[١] أن مطبخ السلطان ألب أرسلان كان يطبخ فيه أربع وعشرون ألف رأس من الغنم سنويا ، يديره شخص مستقل يتولى منصب رئيس المطبخ ، وكان السلطان ملكشاه يتصدق على الفقراء والدراويش بدينار لقاء كل صيد بصيده[٢] ، وكان لايمنع أحد من تناوله طعامه[٣] .

دور الحـــريم : جعل سلاطين السلاجقة دور الحريم فى مكان خاص بهن فى دار السلطنة السلجوقية فإذا كان للسلطان السلجوقى غلمانه ، ومماليكه ، وخدمه الخاص[٤] ، فلدور الحريم خصيان ونقباء وجوارى ومطربات وإماء مغنيات[٥] .

الدركَاه [٦] : باب السلطنة السلجوقية ، والتى اهتم بها سلاطين السلاجقة اهتماما كبيرا حيث كان عليها غلمان قائمون على الخدمة من التركمان (يسمون غلمان القصر) عددهم ألف رجل ينصرفون إلى الخدمة ، ويتعلمون أداب السلاح والخدمة ، ويختلطون بالناس ، حتى تزول من نفوسهم وطباعهم النعرة التركية[٧] .

وفى الدركَاة كان يوجد عبيد السلطان من الخدم ، وهم عدد معلوم من الغلمان الموكلين بالماء والسلاح والشراب ، واللباس ، وكانت لهم عنابر ألحقت بسراى القصر ، وكان لهم ترتيب

---

(١) راحة الصدور : ص ٢٦٨ .

(٢) الراوندى : نفسه ، ص ٢٠٦ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٧٢ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٨٨ .

(٦) الدركَاه : باب القصر فارسيته "دركاه" ومعناه الباب والسدة ، والدار ، وهو مركب من دارى - باب- ومن كاه بمعنى محل ، أدى شير : الألفاظ ، ص ٦٢ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ١٤ ، ١٥ . ويعمل بالدركاه السلطانية ومن يحق لهم دخولها : أمير الأمراء ، والأمير السلجوقى ، وأمير الجيوش ، وأمير الحجاب ، وأمير الصيد ، والحاجب ، ورئيس الفراشين ، وصاحب مراسيم الاستقبال ، ومتولى خزانة السلاح ، ومتولى الخزانة السلطانية ، حارس ملابس السلطان والمتسلحين ، ويوجد بها الصولجان - الملقب - ملعب الضرب - ولاعب الصولجان والخاصة ، والخزانة السلطانية ، والخدم والممرضون والأطباء ، وصانع الخيمة ، وحامل الخلع ، وحامل الدواة ، وضارب الطبل ، وغلمان السراى ورافع الستارة التى تنصب حول خيمة السلطان فى أوقات صيده ، والغلمان ، وحارس الضياع الخاصة للسلطان ، والمحدث ، وحامل البيرق ، وحامل الختم ، والنديم ، ووكيل الدار السلطانية .

عنهم جميعا انظر : حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤ - ٤٦ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٤٣ .

معين حين دخولهم على السلطان ، وهو إسدال الستارة ورفعها [١] ، ومنهم من رقى حتى وصل إلى رتبة أمير الحجاب ، أو أمير إمارة ، أو ولاية[٢] .

وكان مجلس السلطان السلجوقي مرتبا ، حيث يقف الكبراء وغير الكبراء حول سرير الملك، فيقف خاصة الملك من حملة السلاح ، والسقاة وأترابهم بالقرب من سرير الملك ، ويلتفون حوله، ويقف حاجب البلاط على بعد منهم ، يبعد كل غريب يندس وسط الحاشية[٣] . كما كان بالدركاه مماليك صغار للسلطان السلجوقي ينشئهم على القيام بالعمل في الخدمة ، ومغنيات مخصصات للدركاه من الجواري والإماء[٤] .

الخزانة السلطانية :

وفي دار السلطنة السلجوقية الخزانة الخاصة[٥] ، وكان للسلاجقة خزانتان ، الخزانة الأصلية، وخزانة الإنفاق ، وكانت الخزينة الأصلية تحوى المال الكثير ولا ينفق منها إلا للضرورة القصوى ، وعلى سبيل قرض يعاد إليها بعد ذلك ، أما خزانة الإنفاق فمالها قليل ، وهي التي ينفقون منها في حياتهم اليومية وتوجد في قاعة السلطان ، وكانت الخزانة الأصلية هي الرصيد المالي للدولة ، وكان لابد أن تظل عامرة دائما[٦] . فعندما أصبح طغرلبك سيد الموقف بعد هزيمة البساسيري سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م ، ورجوعه إلى دار ملكه أمر أن تحمل الموارد المالية إلى خزانته الخاصة بدلا من خزانة الخليفة [٧] .

وكان السلطان ألب أرسلان يصطحب معه خزانة الإنفاق دائما في تحركاته[٨] ، وكانت له خزانة في قلعة (فراهان)[٩]، وكان يستعان بها في حالة نقص الخزانة الأصلية فهي بمنزلة

---

(١) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٤٤ .

(٢) نظام الملك : نفسه ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٣) نظام الملك : نفسه ، ص ١٦٢ .

(٤) البنداري : آل سلجوق ص ١١٠-١١٤ .

(٥) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٢٤ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٢٩٣ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٨ ص ١٧١ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٩٨ .

(٩) قلعة فراهان : تقع في همذان وهي إحدى رساتيقها أي قلاعها تحيط بها بحيرة كبيرة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص ٢٤٥ ، ٢٥٨ .

احتياطى لها [١] . وكان السلطان السلجوقى يعرف بنفسه دخل دولته وخرجها [٢] وهو بذلك يسير أمورها المالية ، وكان للخزانة خازن خاص بها ، وكان السلطان السلجوقى يضع الجواهر النفيسة بالخزانة الخاصة [٣] .

رئيس الفراشين :

وبدار السلطنة السلجوقية يوجد رئيس الفراشين ، وكان على عهد السلطان ألب أرسلان يسمى (جامع النيسابورى) وهو الذى كان بيده مطرقة ضرب بها قاتل ألب أرسلان فى مجلسه فيما وراء النهر ، فقتله وأخذ بثأر السلطان ، وكان يلازم السلطان فى كل مكان ، وكذلك صاحب المظلة وصاحب الطست [٤] .

حقوق السلطان :

كان السلطان السلجوقى يتمتع بحقوق سياسية ، وعسكرية ، ومالية مطلقة فإلى جانب كونه السلطة العليا فى الدولة ، فقد دان أمراء السلاجقة بالطاعة والولاء لسلطانهم وليس أدل على ذلك حينما دان أمراء السلاجقة للسلطان طغرلبك بالطاعة والولاء ، على الرغم من صغر سنه عن أخيه داود [٥] .

وكان من حق السلطان السلجوقى تعيين ، وتوزيع ولايات الدولة على أفراد البيت السلجوقى ، وتلقيب كل منهم بلقب ملك ، فجغرى بيك داود أكبر أخوته كان حاكما على مرو، واختص بأكثر خراسان وكان يحمل لقب ملك ، وموسى كان حاكما على بست وهراة وسجستان وحمل لقب ملك وقاورد أكبر أولاد جغرى بيك كان حاكما على ولاية الطبسين وكرمان ولقب بملك هو الآخر [٦] ، وذلك لضمان وحدتهم مع الإذن لهم بفتح ما يشاءون من البلاد المجاورة ، وضمها إلى ولايته [٧] .

---

(١) نظام الملك : سياسة نامة ص ٢٩٧ .

(٢) نظام الملك : نفسه ، ص ٢٩٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٩٨ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ .

(٥) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٥ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٩٣ .

وكان اختيار لقب ملك لهم يعنى أنهم تابعين للسلطان الذى له الكلمة النافذة فى جميع الدولة [١] ، ولم يعمل طغرلبك على إقامة حكم فردى مركزى ينحصر فى شخصه ، بل ترك الحكم مشاركة مع حكام الولايات التابعة له[٢] ، كما تمتع ألب أرسلان وملك شاه ، بنفس الحقوق ، فقادوا جيوشهم بأنفسهم فى معاركهم حتى ضد معارضيهم من الأسرة السلجوقية نفسها[٣] .

كما كان من حق السلطان السلجوقى العفو عن الخارجين عليه من أفراد أسرته ، أو قتلهم، فعندما تمرد إبراهيم ينال على أخيه طغرلبك سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م فى همذان ، وإقليم الجبل[٤]، عفا عنه وأكرمه هذه المرة ، ولكن فى الانشقاق الثانى الذى حدث سنة ٤٥٠هـ/١٠٤٩م ، لم يرحم طغرلبك أخاه ذا الشخصية التواقة إلى الاستقلال وعدم التبعية ، فأمر بقتله هذه المرة[٥] ، ويمكن التماس العذر لطغرلبك هذه المرة لأن انشقاق أخيه هدد وحدة البيت السلجوقى ، وهدد الخلافة نفسها لتعاون ينال مع البساسيرى[٦] .

وكما فعل ألب أرسلان مع أخيه سليمان الطفل ، فبعد هزيمته اتخذه وليا لعهده[٧] ، ثم أقاله وعين نجله ملكشاه وليا لعهده[٨] ، ولكنه استخدم أسلوب القتل مع عمه شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل ، عندما تمرد عليه فى المحرم سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م[١٠] ، واتخذ ملكشاه نفس الأسلوب مع عمه قاورد حينما تمرد عليه فى كرمان وهمذان فأمر بقتله دون تردد[١١] .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٢) الحسينى : أخبار ، ص ١٧ ، عبد الرحمن العبد الغنى : موقف البيزنطيين ص ٣٤ - ٣٦ .

(٣) أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ص ١٠ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ص ٩٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٩ ، ص ١٥٦ ، الخالدى : نظم ، ص ١٧٦ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ١٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ص ٢٤٣ .

(٦) الشيزارى : السيرة المؤيدية ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤.

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٩٧ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٤ .

(٩) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(١٠) أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠ وما بعدها .

مراسم الاستقبال وتبادل الهدايا وإرسال الرسل :

استقبل القصر السلجوقى ، الكثير من الرسل القادمين من الأطراف المجاورة لهم ، وفى نفس الوقت خرجت منه الكثير من الرسائل السلجوقية إلى حكام الدول المجاورة .

وقد سار سلاطين السلاجقة على نظام معين فى استقبال هؤلاء الرسل ، فقد وضعوا عيونا وحراسا وسعاة على الطرق المعروفة ، وعلى حدود الدولة يستقبلون الرسل القادمين إليهم ، وخصصوا لهم رواتب شهرية ، وعينوا لهم نقباء لمراقبتهم والإشراف عليهم[١] .

وكانت مهمة هؤلاء الحراس إلى جانب استقبال الرسل أن يعرفوا كل شئ ، ولا يعرفونه أى شئ وفى الوقت نفسه يبعثون فارسا إلى السلطان السلجوقى يسبق الرسول يخبرون السلطان عمن يكون القادم ؟ ومن أين أقبل ؟ وكم معه من الفرسان المشاة ؟ ومعداته وخدمه وحشمه ؟ وصفة تجملهم ؟ وآلاتهم ، وفيم إقبالهم[٢] ؟ حتى يكون السلطان على دراية تامة بهذا الرسول قبيل قدومه إليه[٣] .

وكانوا يبعثون مع الرسول القادم فارسًا أو خيالا يبلغ به ، ويمن معه مدينة معلومة ، ومن تلك المدينة يصحبهم فارس آخر يمضى بهم إلى مدينة أخرى ، وهكذا دواليك حتى يصل إلى القصر[٤] . كما كان من رسومهم حسن استقبال الرسول ، وكرم ضيافته ، وحسن وفادته ، وتقديم أحسن ماعندهم من طعام ، حتى يرحل الرسل فرحين فى ذهابهم وإيابهم ، بعد ملاقاة السلطان السلجوقى[٥] .

وقد سار السلاجقة على هذا الرسم حتى فى الوقت الذى كانت تنشب فيه الخلافات ، ويستفحل الخطر بين الملوك ، كان الرسل يغدون ويروحون ، فيؤدون الرسائل على النحو الذى كلفوا به دون أن يمسهم ضراً ويقل الاحتفاء بهم كما جرت العادة ، لأن (وما على الرسول إلا البلاغ)[٦] .

---

(١) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٣٢ ، حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) نظام الملك : نفسه ، ص ١٣٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٣٣ .

(٥) نظام الملك : نفس المصدر والصفحة .

(٦) سورة النور : آية ٥٤ .

وكان للسلاجقة نظام معين فى استقبال الرسل ، فيدخلونهم أولا على الوزراء فى أى وقت ليخاطبونهم فيما يكون لديهم من مراد وملتمس ، وهى الرسائل الشفهية ، مثلما حدث حينما أرسل الخليفة العباسى إلى طغرلبك بستنجد به ضد البساسيرى ، فدخل رسول على الوزير أبى نصر الكندرى أولا[١] .

أما الرسائل المكتوبة فترسل للسلطان مباشرة ، مثل رسالة الخليفة التى حملها الماوردى إلى طغرلبك [٢] وفيما يتعلق بالرسائل الشفهية ينقلها الوزير للسلطان السلجوقى ، مثلما نقل الكندرى رسالة الخليفة القائم إلى طغرلبك بعد مقتل الملك الرحيم البويهى[٣] .

وللرسول أهمية كبيرة فى معرفة أحوال السلطنة ، فيذكر نظام الملك [٤] ، أنه كان يلعب الشطرنج وجاء أحد الرسل ، وهو رسول خان سمرقند[٥] ، وكان نظام الملك قد فاز على خصمه، فأخذ خاتمة رهينة ورفع نظام الملك الشطرنج ، ودخل الرسول ، ولما فرغ الرسول من المقابلة ، عاد إلى سمر قند وبصحبته رسول السلطان السلجوقى ألب أرسلان ليأتيه بالجواب ، فسأله الخان ، كيف ألفيت السلطان؟ وكم عدد جيشه ؟ ومعداته ؟ وأسلحته ، ورسائله ، وكيف وجدت ترتيب القصر والبلاط والديوان وقاعة المملكة ؟ فرد الرسول ، وأحسن فى حق السلطان، ولكنه قال (إن وزيره رافقى) لأنه رأى نظام الملك ينقل الخاتم من اليد اليمنى إلى اليسرى ، فظنه رافقى ؟ لأن من يعتنق المذهب الإسماعيلى يلبس خاتما من طين أبيض يكتب عليه اسم الإمام الإسماعيلى[٦] ، واعتقد أن نظام الملك عندما كان يغير الخاتم من يده ،

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ، البغدادى : تاريخ بغداد جـ٩ ص ٤٠٤ ، المقريزى : اتعاظ جـ٢ ص ٢٥٦ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٧٠ .

(٤) سياسة نامة : ص ١٣٤ - ١٣٦ .

(٥) خان سمرقند : هو ناصر الدين أبو الحسن شمس الملك نصر بن طمغاج خان ابراهيم ، كان أميرا على سمرقند وبلاد ما وراء النهر ، وكان تابعا للغزنويين ثم السلاجقة ، ولى الإمارة فى أيام ألب أرسلان ، وتوفى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م وجه إلى ألب أرسلان جيشا بقيادة نظام الملك لتأديبه ، لكنه أى ألب لقى مصرعه قبل أن يلتحم الجيشان ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٢٥ ، نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٣٤ .

(٦) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، (بيروت ، ١٩٦٥م) ص ١٣ ، ١٨٢ ، ٢٨٢ ، برنلرد لويس : أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية ، راجعه خليل أحمد خليل (بيروت ١٩٨٠م) ، ص ٧٨ ، ٧٨

أرادأن يريه اسم الإمام الإسماعيلى المكتوب على الخاتم[١] ، وهذا دليل على قوة ملاحظة الرسول الذى كان عليه أن يعرف أحوال المملكة معرفة تامة بل سرها كبيره وصغيره .

ولذلك سوف ينتقى السلاجقة رسلهم ، وأنشأوا نظام الاستطلاع ، حيث عهدها لرسلهم بمعرفة المسالك والطرق ، وأحوال الملوك فى قصورهم ، ومعرفة أرباب الوظائف وخصائصهم ، وحياة الملوك الخاصة والعامة ، ومعرفة عدد جيوشهم ، وما يملكون من آلات وعدد ، واستطلاع خوان الملك ، ومجلسه ، وترتيب قصره ، وبلاطه ، وكيفية مجالسته ومعاشرته، ومنادمته ، وصيده ولعبه ، سيرته ، وهباته ، وكرمه وسعيه ، ومظهره وأعماله ، أظالم أم أعادل ؟ أعجوز أم شاب ؟ أعامرة ولايته أم خربة ؟ أراضى جيشه أم متظلم ؟ أغنية رعيته أم فقيرة ؟ أشحيح أم بخيل ؟ ما يحب وما يكره ؟ أمتين فى أمور الدين أم ضعيف جاهل ؟ أيرغب فى الغلمان أكثر أم فى النساء ؟ ليكونوا على بينة من أمر الملك ويسهل عليهم لقاؤهم فيما بعد[٢] ، مثلما فعل السلطان ألب أرسلان ، فقد أرسل رسولا إلى ملك الروم ، وحمله بعض الأسئلة ، وكان يخفى غرضه الأساسى ، وهو كشف سرهم ومعرفة أحوالهم[٣] .

وهكذا استخدم السلاجقة وبذكاء الرسل كجواسيس لهم على جيرانهم ، بل أنهم بثوا العيون فى كل الأطراف ، فى زى تجار ، وسياح ، ومتصوفة ، وبائعى أدوية ، لنقل كل ما يسمعون من أخبار ، حتى لا يظل أى شئ خافيا ، وكانوا يقفون على مآرب الولاة ، والعمال ، وأى عدو قادم لمحاربة السلطان ، كما كانوا يبلغونه بأخبار الرعية خيرها وشرها[٤] .

ولذلك دقق السلاجقة فى اختيار رسلهم ، فاختاروهم من الشجعان ، وممن خدموا الملوك سابقا وممن سافروا كثيرا وطوفوا فى البلدان[٥] ، ومن الفقهاء والشيوخ ، مثل رسالتهم الأولى إلى الخليفة العباسى ، والتى حملها أبو إسحاق الفقاعى[٦] ، وكانوا يفضلون كبير السن، ويذكر نظام الملك[٧] أن نديم السلطان فى الرسل أفضل .

---

(١) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٣٣ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٣٤ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٢ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ص ١١١ .

(٥) نظام الملك : نفسه ص ١٣٦ ، حسن انورى : اصطلاحات ديوانى ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٧) سياسة نامة : ص ١٣٦ .

وفضل على كل هؤلاء الرسول الشجاع الشهم المبارز ، العارف بآداب السلاح والفروسية ، وذلك راجع إلى طبيعتهم البدوية القبلية ، التى تقوم على تقدير هذا النوع من الرجال ، مثلما فعل السلطان ملكشاه ، حينما اختار (سعد الدولة كوهرائين) شحنة بغداد ، ليأخذ العهد لملكشاه من الخليفة العباسى القائم بأمر الله (١) .

وقد أفاد هذا الاختيار للرسل سلاطين السلاجقة كثيرا ، فقد كان الحكام المجاورون عندما يرون رسول السلطان السلجوقى على هذا النحو من الشجاعة والفروسية ، يبدو لهم أن قوة للجميع على شاكلته ، وإذا كان الرسول من الأشراف زادوا فى إجلاله واحترامه لشرف نسبه(٢). واستبعد السلاجقة معاقرى الخمر ، والمقامرين ، والثرثارين ، والمغمورين من رسلهم(٣) ، وكان الشيخ العالم مثل القاضى يفضله السلاجقة فى إرساله إلى دار الخلافة العباسية توقيراً واحتراماً ، فهم يستمدون من الخليفة الحقوق الروحية والدينية بل والشرعية لحكم البلاد التى تحت سلطانهم ، مثلما فعل طغرلبك حينما أرسل القاضى الرئيس محمد بن عبد الرحمن النسوى (٤). إلى دار الخلافة العباسية (٥) .

وكان للسلاجقة طريقة فى التعامل استقبال رسول كل دولة يتعاملون معها سواء أكانت عدوة أو صديقة على النحو الآتى :

استقبال رسوم الغزنويين والهدايا المتبادلة بينهما :

بدأت العلاقات السلجوقية الغزنوية عدائية ، واستمر هذا العداء حتى سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م ، وهى السنة التى أنهى فيها السلاجقة قوة الغزنويين فى داندنقان (٦) ،

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٩ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٣٧ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٣) نظام الملك : نفس المصدر والصفحة .

(٤) النسوى : نسبة إلى نسا من بلاد خراسان ، وهو من شيوخ الشافعية فى بغداد ، ابن هداية : أبى بكر ابن هداية الله الحسينى ، طبقات الشافعية ، حققه عادل نويهض جـ٣ (بيروت ، ١٩٨٢م) ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٥) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ص ٧٤ .

(٦) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٤ ومابعدها ، الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٤ ، اليزدى : العراضة ص ٣٥ .

ولكن هذه العلاقات العدائية لم تخلو من أوقات تخللتها بعض المفاوضات ، وكان إرسال الرسل من كلا هو أسلوب ذلك التفاوض .

ففي أعقاب الهزيمة التي أوقعها السلاجقة بالجيش الغزنوي في نسا سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م[١] ، أرسل السلاجقة كتبهم إلى السلطان مسعود الغزنوي ، يعرضون إرسال رسول من قبلهم يعتذر للسلطان وهو شيخ من علماء بخاري ، وقد تقدم هذا الشيخ برسالة إلى الوزير الغزنوي[٢] ، تعرب عن ندم السلاجقة ، وتنم عن تواضع شديد ، وقد جاء فيها (ومعاذ الله ماكنا نجرؤ على امتشاق الحسام في وجه الجيش المنصور ، لولا أنهم انقضوا على دورنا كما تنقض الذئاب على الحملان ، واعتدوا على نسائنا وأطفالنا ، مع أنا كنا حاصلين على الأمان ، فلم نجد بدا من أن ندافع عن أنفسنا والنفس عزيزة) [٣] .

كما طلب السلاجقة في رسالتهم من الوزير الغزنوي أن يرسل لهم أحد ثقاته مع رسولهم ، ليسمع أقوالهم ويتأكد من عبوديتهم وإخلاصهم وبأنهم لايبغون غير السلم[٤] . وقـــرر السلطان مسعود إيفاد القاضي أبي نصر الصيني[٥] مع الفقيه البخاري (رسول السلاجقة) كي يستمع عن كثب لما يقول أعيان التركمان ، وحتى يتثبت من صدق نياتهم ، ومن ثم يمكن أن تبدأ المفاوضات بين الطرفين [٦] .

واهتم الغزنويون برسولهم ، مثلما اهتموا برسول السلاجقة الذي قدموا له بعض الصلات والهدايا حيث استقبل السلطان مسعود القاضي أبو نصر الصيني قبل رحيله إلى السلاجقة ،

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ١٦٤ ، سهيل زكار : المدخل ص ٤٨ .

(٢) يقصد به الوزير " أحمد بن عبد الصمد "أشهر وزراء الدولة الغزنوية في عهد السلطان مسعود الغزنوي : أنظر ، البيهقي : تاريخ ص ٥١٨ - ٥٦٠ ، العتبي : تاريخ اليمني جـ١ ص ٣٤ -٨٤ .

(٣) البيهقي تاريخ ، ص ٥٢٤-٥٢٥ .

(٤) البيهقي : تاريخ ، ص ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٥) أبو نصر الصيني : كان رجلا شجاعا فصيحا من خلصاء السلطان مسعود ، وقائدا عظيما حقا تمرس على الأعمال ، وخدم في بلاط مسعود الذي أطلع على جرأته وكفايته فعهد إليه بشؤون العرب خيرها وشرها ، البيهقي تاريخ ص ٦٤١ .

(٦) دائرة المعارف الإسلامية : مجلد ٢ ص ١٩٤ .

وتحدث إليه بشأن سفارته ، وحذره منهم[1] ، وفى نسا استقبل أمراء السلاجقة القاضى الصينى أحسن أستقبال وأكرموا وفادته[2] ، وقد عاد الصينى بصحبة ثلاثة رسل من قبل أمراء السلاجقة ، واستقر الرأى على أن تعطى بيغو وطغرلبك وداود ولايات نسا وفراوة ودهستان[3] .

وبعد قيام دولة السلاجقة فى نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، وقبل موقعة داندنقان الشهيرة ، حاول السلطان مسعود الغزنوى إرضاء السلاجقة أو التفاوض معهم ، فأرسل وزيره (أحمد بن عبد الصمد) رسولا منه ٤٣٠هـ/١٠٣٨م (أبو الحاكم أبو نصر المطوعى الزوزونى) ، الذى وصل إلى السلاجقة فى نيسابور ، فاستقبله طغرلبك أحسن استقبال ، وبجله ، وأنزلوه منزلا لائقا ، وبعثوا معه الهدايا للوزير والسلطان[4] ، كما بعثوا معه أيضا رسولا من قبلهم إلى الوزير الغزنوى ، ثم عاد الزوزونى ثانية إلى السلاجقة يحمل رد الوزير فاستقبلوه أحسن استقبال ، وكان رجلا ذكيًا حيث يلمس ما تنطوى عليه نفوس قواد السلاجقة ، وإصرارهم على تكوين دولتهم[5] .

ويبدو أن السلاجقة نظرا لكثرة انتصاراتهم على الغزنويين ، كانوا يستقبلون رسولهم بوجه، وحينما يختلون بأنفسهم يضمرون وجها آخر ، فقد ذكر الصينى بعد رجوعه للوزير "وجدت القوم فى رحلتى هذه فى غاية الغرور والخيلاء ، ومع أنهم عقدوا الميثاق إلا أنى لا أثق بما عاهدونى عليه ، فقد سمعت أنهم كانوا يسخرون منا إذا خلو إلى أنفسهم ، ويدوسون القلنسوات ذات الركنين[6] بأقدامهم[7] .

---

(١) البيهقى : تاريخ ص ٥٢٧ .

(٢) البيهقى ، نفسه ص ٥٢٨ ، فامبرى : تاريخ بخارى ص ١٣٢ .

(٣) أبو الفداء : تاريخ ص ٦٤١ ، ٦٤٢ ، الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٣٣ .

(٤) البيهقى : تاريخ ص ١٤٦ ، ٦٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٥ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٢ .

(٦) القلنسوة ذات الركنين : كانت إحدى الرتب الغزنوية التى أهداها الغزنويين للسلاجقة فى محاولة لتهدئة الأحوال بينهم ، وهى خلعة من الخلع السلطانية فى البلاط الغزنوى ، فقد أعطى مسعود الغزنوى أمراء السلاجقة طغرلبك وداود والبيغو ثلاث خلع وهى قلنسوة ذات ركنين ولواء ، وحلة مطرزة برسم الدولة الغزنوية، وجوادا وسرج وكمر من ذهب ، وثلاثين ثوبا مخيطا بكل واحد منهم ، إلى جانب المخاطبة بلقب دهقان ، والموافقة على توزيع دهستان ونسا ، وفراوه عليهم ، البيهقى : تاريخ ص ٥٢٨ ، الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص ٨١٧ ، الحسينى : أخبار ص ٥ ، عباس إقبال : الوزارة ص ٣٢ ، أحمد حلمى : السلاجقة ص ٢٣ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٧ ، البيهقى : تاريخ ، ص ٥٢٨ .

وبعد أن تمزقت وحدة الدولة الغزنوية بعد داندنقان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م ، وسارت الحروب مع السلاجقة تتوالى [١] ، فكر السلطان إبراهيم بن مسعود (٤٥١-٤٨١هـ/ ١٠٥٩-١٠٨٨م) الذى أعاد للدولة الغزنوية بعض هيبتها ونظم أمورها[٢] فكر وأدرك أن الحرب مع السلاجقة غير مجدية لعدم تفوق أحد الطرفين ، فعقد صلحا مع جغرى بيك داود[٣] .

وفى عهد السلطان ملكشاه استقبل قصره رسولا غزنويا يطلب ابنته لابن السلطان الغزنوى (إبراهيم بن مسعود) مما زاد المودة بينهما[٤] .

علاقة السلطان السلجوقى بالخليفة العباسى واستقبال رسوله والهدايا المتبادلة بينهما :

يسجل عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م أول اتصال بين السلاجقة ، والخلافة العباسية ، فبعد إعلان قيام دولتهم فى نيسابور ، كانوا فى حاجة إلى الاعتراف الشرعى بها ، حتى ولو كان اعترافا شكليا يرضى عنه الناس ، فيروى ابن الأثير[٥] ، أن طغرلبك وداود والبيغو ، استقبلوا وفادة أرسلها الخليفة من بغداد مع رسالة ينهاهم فيها عن النهب والقتل والتخريب ، وكان رسول الخليفة إليهم هو "أبو بكر الطوسى " الذى عظمه السلاجقة وأكرموه وفادته ، وخلعوا عليه ثلاث عشر خلعه ، وتباهوا برسالة الخليفة ، وازداد بها قوة ورفعة .

وفى سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م حمل العميد أبو اسحاق الفقاعى رسالة من السلاجقة إلى الخليفة العباسى ، يطلبون فيها اعترافه بقيام دولتهم ، ويعلنون فيها أنهم عبيد أمير المؤمنين[٦] ، وسر الخليفة بهذه الرسالة كثيرا[٧] ، وأظهر رغبته فى التقرب إليهم ، فأنفذ سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م قاضى القضاة أبا الحسن الماوردى محملا برسالة تتضمن رغبة الخليفة

---

(١) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، جـ١٠ ص ٢ ، عصام عبد الرؤف : تاريخ الإسلام فى جنوب غرب آسيا ، ص ١٣٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢١٨ .

(٤) خواندمير : حبيب السير ، جـ١ ص ٩٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٥٦ ، ط. بيروت .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ١٥٨ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩ ، الروانذى : راحة الصدور ، ص ١٦٦ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٦ ، البندارى : آل سلجوق ص ٩ .

فى عقد الصلح بين السلاجقة وبين الملك الرحيم البويهى ، وحسن معاملة الرعية[١] ، ومــع الماوردى أرسل الخليفة الخلع السلطانية التى منحها لطغرلبك ، مع كتاب التفويض بحكم البلاد[٢] .

ولقد رسم طغرلبك لمن جاء بعده من سلاطين السلاجقة مراسم استقبال رسل الخليفة العباسى، الذى بجله وأكرمه ، فعندما علم أن رسول الخليفة فى طريقه إلى خرج لاستقباله إجلالا لرسالة الخليفة ، وجلس جلوسا عاما ، شهده جميع أمراء دولته في قصره بالرى ، وظل الماوردى فى ضيافة طغرلبك عاما كاملا ، عاد بعدها إلى بغداد[٣] ، محملا بالهدايا التى استنها طغرلبك كرد على رسائل الخليفة ، وكانت عشرين ألف دينار للخليفة ، وعشرة آلاف أخرى للحاشية ، وألف دينار لرئيس الرؤساء ابن المسلمة[٤] .

وهكذا توطدت العلاقات بين طغرلبك والخليفة العباسى القائم ، ومما زاد فى توثقها أن السلاجقة كانوا يعتنقون المذهب السنى ، مذهب الخلافة العباسية ، كما كانوا ينظرون إلى الخليفة على أنه الرئيس الأعلى للمسلمين[٥] .

وليس أدل على توثق هذه العلاقات من تبادل الرسل والهدايا بينهما ، فقد ذكر ابن الأثير[٦] أن طغرلبك أنفذ سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م ، رسالة إلى الخليفة القائم يشكره فيها على ما أنعم عليه من الخلع والألقاب ، كما أرسل إليه مع رسله عشرة آلاف دينار عينا وأعلاقا نفيسة من الجواهر والثياب والطيب ، وخمسة آلاف دينار للحاشية ، وألفى دينار لرئيس الرؤساء ، وقد أكرم الخليفة رسل طغرلبك وأمر بإكرام وفادتهم .

---

(١) الراوندى راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٦٦ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج(٩ ، ص ٢١٧ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ص ٤٤٠ .

(٥) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٤١ ، أبو الفداء : المختصر جـ٢ ، ص ١٧١ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٦٧ .

وفى سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م خرجت العلاقات بين طغرلبك ، والخليفة العباسى عن نطاق تبادل الهدايا والرسائل فما فما لبثت أن تطورت حتى فكر الخليفة فى الاستعانة به ، وبقوته لحماية الخلافة العباسية من خطر النفوذ الفاطمى ، وأبى الحارث البساسيرى[١] ، فأرسل الخليفة رسولا إلى طغرلبك وهو بالرى وبصحبته أحد خواصه وهو (هبة الله بن محمد المأمون) وأمره أن يتودد إلى السلطان السلجوقى ، ويستميله حتى يأتى إلى دار الخلافة ، ووعده طغرلبك بالمسير إلى العراق إن أمكن ذلك[٢] .

وقد دخل طغرلبك العراق فعلا سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م ، وقد رحب الخليفة العباسى بقدومه ، ويتجلى ذلك فى الاستقبال الرائع الذى حظى به السلطان السلجوقى فى حاضرة الخلافة ، فعندما وصل إلى النهروان أرسل إلى الخليفة يستأذنه فى دخول بغداد ، فأذن له ، وخرج الوزير ابن المسلمة إلى لقائه فى موكب عظيم من القضاة والنقباء والأشراف ، والشهود ، وأعيان الدولة ، وصحبة أعيان الأمراء من عسكر الملك الرحيم البويهى ودخل بغداد يوم ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م ، ونزل بباب الشماسية[٣] .

على أن هذه العلاقات التى بدأت قوية وحسنة قبل قدوم السلاجقة إلى العراق ، ما لبث أن تبدلت على أثر دخول طغرلبك بغداد ، فقد قبض طغرلبك على الملك الرحيم البويهى ، وعلى كبار جنده ، وقد عد الخليفة هذا الإجراء خرقا لحرمة العهود بينهما ، فقد استخلف وزير الخليفة السلطان السلجوقى للخليفة وللملك الرحيم والأمراء والأجناد من قبل[٤] ، وهدد الخليفة السلطان بمفارقة بغداد ، إذا لم يطلق سراح الملك الرحيم ورفض طغرلبك ، وصادر جميع إقطاعات عسكر الملك الرحيم ، وأموال الأتراك البغداديين[٥] .

---

(١) البغدادى : تاريخ بغداد جـ٩ ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ، سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ص ١٠ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ص ٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ١٨٥ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ١٦٤ ، باب الشماسية : أحد أبواب بغداد الخارجية من بناء المنصور ، صالح العلى : بغداد ، ص ١٣٢ ، ١٤١ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، أبو الفداء : المختصر جـ٢ ص ١٧٣ .

(٥) ابن الأثير : الباهر ص ٩١ ، ٩٢ ، الكامل جـ٩ ص ٢١٨ ، القزوينى : تاريخ كزيده ، ص ٤٣٨ ، ابن خلدون : العبر جـ٣ ص ٤٦٠ .

وهكذا رسم طغرلبك سياسة السلاجقة مع خلفاء بنى العباس ، فعلى الرغم من احترام طغرلبك للخليفة ، إلا أنه قد استغل ضعف الخليفة الذى لم يعد له سوى ذكر اسمه فى الخطبة، ونقش اسمه على العملة ، وبعض الأرزاق ، والإقطاعات التى يقررها سلطان السلاجقة أسوة بما كان عليه فى العهد البويهى[١] .

ولم يكتف طغرلبك بما صادره من أموال ، بل عمد إلى أخذ أموال أخرى من الخليفة . ففى غمرة أحزان الخليفة بوفاة ابنه وولى عهده (محمد بن القائم) ، أرسل وزيره الكندرى إلى الخليفة وهو فى مجلس العزاء يطلب منه أموالا ، وحين استعظم الخليفة مقدار ما يطلبه السلطان ، أشاروا عليه بأن يطلق يده فى أموال الحريم فعظم ذلك على الخليفة ، وأجاب على رسل السلطان بأن "مال الحريم مازال مصونا ، وقد جرى فيه ما رأينا مكافأته فى ولدنا"[٢] .

وعلى الرغم من زواج الخليفة العباسى القائم ابنة أخى طغرلبك سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[٣] ، إلا أن العلاقات بينهما لم تتحسن ، فقد بقى السلطان السلجوقى أكثر من ثلاثة عشر شهرا ، دون أن يلقى الخليفة[٤] . ولكن الأحداث التى استجدت سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، والتى عرضت الخلافة للخطر ، كانت سببا فى حدوث تقارب بين الخليفة والسلطان ، حيث دخل البساسيرى الموصل ، فطلب الخليفة من طغرلبك إعادتها[٥] ، فسار طغرلبك إليها ، وحارب البساسيرى ، وأعاد الخطبة للقائم بأمر الله بالموصل[٦] .

وسر الخليفة سرورا كبيرا بالنصر الذى أحرزه طغرلبك ، وتأهب للاحتفاء بقدومه ، وخرج رئيس الرؤساء نائبا عن الخليفة لاستقباله ، وأبلغه سلام الخليفة ، فقبل طغرلبك الأرض ،

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ ،

Lestrang : Baghdad during the Abasside Caliphate, p. 323 .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ، ص ١٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ٩ ، ص ٢٦١ ، الحسينى : أخبار ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٦١ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٨١ – ١٨٣ .

ثم قدم له رئيس الرؤساء الهدايا والخلع التى جاء بها معه من عند الخليفة العباسى ، وكانت جاما[١] من ذهب فيه جواهر وفرجية[٢] .

وفى سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م ، قابل طغرلبك الخليفة لأول مرة ، وجلس الخليفة جلوسا عاما حضره وجوه العسكر وأعيان بغداد[٣] ، ونظرا لحسن استقبال الخليفة لطغرلبك أرسل إليه خمسين غلاما تركيا ، وعشرين رأسا من الخيل ، وخمسين ألف دينار ، وخمسين قطعة ثياب[٤] ، كما منح رئيس الرؤساء خمسمائة ألف دينار وخمسين لباسا ، لشكره على المنح التى أعطاها له الخليفة[٥] .

ولما ثار البساسيرى ببغداد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، وأخرج الخليفة العباسى منها ، وأقام الخطبة للمستنصر الفاطمى ، وتوالت استغاثات الخليفة العباسى لطغرلبك لإنقاذه ، واستجاب طغرلبك ، وقضى على البساسيرى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م ، وأعاد الخليفة إلى مقر عرشه ، وطمأنه وهدأه [٦] .

---

(١) الجام : إناء من فضة معناه القدح أو الكأس ، وتستعمل بمعنى الطبق ، النرشخى : تاريخ بخارى ص ٨٥ .

(٢) الفرجية : نوع من الثياب يلبس فوق سائر الثياب وله طوق ، يلبسه العلماء وتكون صناعته من الجوخ وله أكمام واسعة ، تتعدى أطراف الأصابع ، وهى غير مفتوحة أو مثقوبة ، ويسميها البعض فراجية ، وتكون أحيانا مفرجة من الأمام ، من أعلاها إلى أسفلها ومزوورة بالأزرار ، وتوضع على الكتفين ، وكانت الخلع العظيمة لاتخلو منها ، وهى تخلع دائما على الأمراء والسلاطين ، والقواد ، والعلماء ، والقضاة وغيرهم، انظر : دوزى : المعجم ، ص ٢٦٣ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦٥ حاشية (٤) ، الخالدى : الحياة السياسية ص ١٨١ هامش ٢ .

(٣) أنظر : ص ٩٠ ، ٩٤ من الرسالة عن مقابلة الخليفة لطغرلبك .

(٤) Altay : Tugru:bey, p. 133 .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٨١ - ١٨٣ .

(٦) البغدادى : تاريخ جـ٩ ص ٣٩٩-٤٠٤ ، الراوندى : راحة ، ص ١٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

وزاد نفوذ طغرلبك فى ببغداد ، بعد القضاء على البساسيرى ، وبسط سلطته على العراق، وضعف شأن الخليفة العباسى ، ولم يعد له دور يذكر فى سياسة دولته ، فانزوى فى قصره ، وفوض الأمور إلى السلطان[١] وأصبح لا يستطيع التصرف حتى فى أملاكه الخاصة ، بل صار يعيش من إقطاعات مقررة يستولى على دخلها لسد نفقاته .

واستبد طغرلبك بالخليفة ، فأمر أن تحمل موارد العراق المالية إلى خزانته الخاصة بدلا من خزانة الخليفة[٢] وقبل أن يرحل عن بغداد أناب عنه موظفا سلجوقيا يعرف بالعميد [٣] ، وآخر لحفظ الأمن فى بغداد يعرف بالشحنة[٤] ، ووضع تحت تصرفهما حامية الجند السلجوقى[٥] .

على أن أخطر مافعله طغرلبك فى حق الخليفة ، هو طلبه الزواج من ابنته ، فتخطى بعمله هذا تقاليد الخلافة العباسية ، إذ لم يسبق لأمير أعجمى أن تقدم لمصاهرة البيت العباسى[٦] .

وكانت العلاقات قد ساءت بين الخليفة والسلطان قبل زواج طغرلبك ابنة الخليفة ، فقد أرسل طغرلبك عدة رسائل إلى كبار موظفى السلاجقة فى بغداد والبصرة وواسط يأمرهم بمصادرة أملاك الخليفة ، وحاشيته ، ووضع اليد عليها ، على أن يترك للخليفة العباسى ما كان باسم الخليفة القادر بالله العباسى ٣٨١-٤٢٢هـ/ ٩٩١-١٠٣٠م[٧] .

ولقد زال هنا الخلاف بعد أن وافق الخليفة على الزواج ، فأمر طغرلبك برفع الحجز عن الخليفة وحاشيته ، كما أنفذ إليه طغرلبك أموالا وهدايا كثيرة ، فأرسل ثلاثين غلاما وجارية

---

(١) حمد الله القزوينى : تاريخ كزيدة ص ٤٣٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٣ ، ٤ .

(٣) انظر : من الرسالة .

(٤) انظر : من الرسالة .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢١٦ ، ابن دحية : النبراس ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ ، اليزدى : العراضة ، ص ٤٤ ، فتحى أبو سيف : المصاهرات ، ص ٨٧ وما بعدها .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

من الأتراك على ثلاثين فرس ، وخادمين وفرسا بمركب ذهب ، وسرجا مرصعا بالجواهر الثمينة، وعشرة آلاف دينار باسم عروسه ، وهو ما كان لخاتون المتوفاة "زوجة طغرلبك" بالعراق، وعقدوا فيه ثلاثون حبة كل لؤلؤة بها مثقال ، وبرسم الأمير عدة الدين خمسة آلاف دينار ، وبرسم السيدة والدة الخليفة ثلاثة آلاف دينار[١] .

علاقة السلطان ألب أرسلان بالخليفة العباسى والهدايا والرسل المتبادلة بينهما :

كان زواج طغرلبك ابنة الخليفة العباسى ، والذى لم يتم ؟ فجيعة بالنسبة للخلافة العباسية، ولذلك آثر السلطان ألب أرسلان عقب توليه عرش السلاجقة أن يوطد علاقته بالخليفة العباسى فهو يعلم أن زواج عمه ابنة البيت الهاشمى تم على غير رضا الخليفة [٢] ، فبادر ألب أرسلان فى سبيل توطيد علاقتة بالخليفة وكسب رضاه إلى إرسال السيدة (ابنة القائم) إلى بغداد بعد أن منحها خمسة آلاف دينار لتستعين بها فى العودة [٣] ، كما أمر أن يكون بصحبتها قاضى الرى أبو عمر محمد بن عبد الرحمن ، وزوده برسالتين إحداهما للخليفة، والأخرى لوزيره فخر الدولة ابن جهير[٤] .

وقد سر الخليفة العباسى القائم بأمر الله سرورا كبيرا ، ورحب برسول السلطان ، وأمر أن يخطب للسلطان السلجوقى فى مساجد بغداد ، ولقبه[٥] ، ورد ألب أرسلان على إنعام الخليفة عليه بإنفاذ عشرة آلاف دينار وزنًا ، ومائتى ثوب أبريسمية [٦] أنواعا ، وحوالة على الناظر ببغداد بعشرة آلاف دينار أخرى ، وعشرة أفراس ، وعشرة بغلات[٧] .

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٣ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٢٦ ، شذور العقود : ورقة ١٣٦ . Altay : Tugrulbey, p. 134 .

(٢) البندارى : آل سلجوق ص ١٩ -٢٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٨ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ، ص ٣٢١ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٨٥-١٨٨ .

(٦) ابريسمية : الأبرسيم نوع من الحرير ، أجوده النقى الحسن اللون السالم من الاختلاط ، والأوساخ الملبسه لبعض خيوطه ، وأن تكون خيوطه شكلا واحدا ليس فيها ما بعضه غليظ وبعضه رقيق ، أنظر : الدمشقى : الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشرى الشوربجى ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

ولم يحدث خلال الفترة التى حكمها ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م) ما يكدر صفو العلاقات العباسية ، السلجوقية ، بل كان السلطان السلجوقى يؤثر أن تبقى علاقته بالخليفة طيبة ، وليس أدل على ذلك من أن ألب أرسلان كان يستجيب إلى كل ما يرغب الخليفة فى تنفيذه ، ففى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، أرسل الإمبراطور البيزنطى رومانوس الرابع رسالة إلى القائم بأمر الله يطلب إليه توسطه فى عقد هدنه بينه وبين السلاجقة[١] وأجاب ألب أرسلان بقبوله وساطة الخليفة ودعوته إلى الصلح[٢] ، ولكن إمبراطور الروم نقض الهدنة وهاجم السلاجقة فهزمهم ألب أرسلان فى ملاذكرد ، فأرسل الخليفة رسالة إلى السلطان ألب أرسلان يهنئه وينعته بأفضل وأفخم الألقاب[٣] .

وفى سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، استجاب السلطان إلى طلب الخليفة بعزل شحنة بغداد آيتكين السليمانى ، وكان السلطان ووزيره نظام الملك قد أوفداه إلى بغداد ، وإلى دار الخلافة ، وسأل الخليفة العفو عنه ، فلم يجب طلبه واضطر السلطان إلى أن يرسل سعد الدولة كوهرائيين بدلا منه[٤] .

وليس أدل على حسن العلاقات بينهما من تبادل الرسائل والهدايا ، وذلك تعبيرا عن توثق العلاقات الدوية بينهما ، كما أن السلطان أرسل إلى القائم بأمر الله يستطلع رأيه فى جعل ولده ملكشاه ولى عهده فوافق الخليفة على تعيينه ، وأرسل وزيره ابن جهير إلى الرى يحمل للسلطان السلجوقى ولولده ملكشاه الخلع والعهد[٥] .

وليس أدل على احترام "ألب أرسلان" للقائم إلا الحفاوة البالغة التى لقيها عميد الدولة ابن جهير من السلطان السلجوقى ، ومن وزيره نظام الملك حين أنفذه الخليفة إلى نيسابور ليخطب ابنة السلطان لولى العهد (المقتدى بأمر الله) ، ولما تم الزواج ، أمر السلطان أن يبالغ

---

(١) البندارى : آل سلجوق ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) ابن الجوزى : آل سلجوق ، جـ٨ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦٣ .

(٣) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٣ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ٤٢ ، ٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٩ .

فى إكرام الوزير السلجوقى ، وذلك بمسيرة فى مدينة أصفهان وهو فى طريق عودته إلى بغداد[١] .

وعلى الرغم من الاحترام الذى أظهره السلطان ألب أرسلان للخليفة فى كثير من المناسبات، فإنه حاول سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، أن يتدخل فى تعيين أحد الوزراء ، فقد اختار السلطان "أبا العلاء محمد بن الحسين" وهو أحد أفراد حاشيته ، وخلع عليه الخلع ، ولقبه بوزير الوزراء ، وأقطعه النصف من إقطاع الوزير ابن جهير ثم أرسله إلى بغداد ليكون وزيرا للقائم بأمر الله بدلا من ابن جهير ، وقد عد الخليفة هذا العمل من جانب السلطان تدخلا فى أمور الخلافة وخصائصها ، فلما وصل وزير الوزراء أبا العلاء - إلى بغداد ، أمر الخليفة بعدم الاحتفاء به ، كما امتنع عن مقابلته ، فجاء الوزير إلى باب النوبى وقبل الأرض ، وأقام أياما ثم رحل[٢] .

ولم يكتف الخليفة بهذا ، بل عبر عن غضبه من تصرف السلطان أكثر بطرد حاجبه أبى المعالى - وهو أخو وزير الوزراء أبى العلاء - المخلوع - من دار الخلافة ، فأصبح محجوبا بعيدا بعد أن كان حاجبا قريبا[٣] .

وعلى الرغم من هذا كله ، والذى كان إهانة بالغة للسلطان السلجوقى ، فإنه لم يغضب ، ولم يضغط ويهدد بتعيين الوزير الذى اختاره ، وان دل ذلك على شئ فإنما يدل على التقدير الذى يكنه السلطان ألب أرسلان للخليفة القائم رمز السلطة الدينية والشرعية[٤] .

علاقة السلطان ملكشاه بالخليفة العباسى ، والرسل والهدايا المتبادلة بينهما :

بدأت العلاقات بين السلطان ملكشاه ، والخليفة القائم ودية ، فحينما توطدت سلطة ملكشاه بعث سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، إلى الخليفة يطلب إليه تفويضا لحكم البلاد ، فجلس الخليفة جلوسا عاما ، وأعطاه له[٥] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٩ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٣ وما بعدها .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٢٩ .

(٤) الخالدى : الحياة السياسية ، ص ١٩١ .

(٥) الحسينى : أخبار ، ص ٥٤ ، الروانذى : راحة الصدور ص ١٩١ ، ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص٢٧ .

واستمرت العلاقات بين الخليفة العباسى ، والسلطان ملكشاه يسودها الود ، إلى أن توفى الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م ، وبويع حفيده المقتدى بأمر الله[١] ، الذى أرسل إلى ملكشاه يطلب منه البيعه فأعطاها له عن طريق وزيره ابن جهير الذى استمر فى ضيافة ملكشاه لمدة عام كامل[٢] .

وقد مرت العلاقات السلجوقية العباسية فى عهد ملكشاه بمرحلتين :

الأولـــى : تبودلت فيها الرسل والهدايا بين الخليفة ، والسلطان واستمرت حتى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م .

الثانية : تأزمت فيها العلاقات بينهما ، ويرجع السبب فى ذلك إلى تدخل ملكشاه فى شئون الخلافة فقد أنفذ رسالة إلى المقتدى بأمر الله سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م ، يطلب إليه فيها عزل فخر الدولة بن جهير من الوزارة . كما تضمنت عدم إرسال رسول من دار الخلافة إلى خراسان مقر حكم السلاجقة[٣] .

ولم يستجيب الخليفة إلى طلب السلطان ، فأرسل ملكشاه شحنة بغداد سعد الدولة كوهرائين ، وأمره بعزل الوزير ، فجاء كوهرائين إلى دار الخلافة ومعه الجند ، وطلب من الخليفة عزل الوزير[٤] ، فاشتكى الخليفة للسلطان شحنته عن طريق رسول ، فاعتدى كوهرائين على رسول الخليفة ونهبوا ما كان معه واستطاع كوهرائين بتهديده للخليفة أن يعزل الوزير بن جهير[٥] ، وهذا يدل على ضعف الخلافة ، وقوة السلطان وموظفوه ، سواء أكانوا شحنة ، أو وزراء حيث يرجع أن ذلك كله كان من تدبير نظام الملك[٦].

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٦١ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين جـ١ ص ٢٨٥ . القلقشندى : مآثر الأنافة ، جـ٢ ص ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٩٤ ، البندارى : آل سلجوق ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣١٧ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣١٧ ، ٣١٩ ، القلقشندى : مآثر الإنافة جـ٢ ص ٣ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

ولقد استاء الخليفة من تصرف السلطان وشحنته ووزيره ، ورفض طلبهم ، ولم يعين وزيرهم المفروض عليه (عميد الدولة) وأمره بعدم مبارحة داره على أثر وصوله إلى بغداد[١] ، وعين بدلا منه الوزير أبى شجاع محمد ابن الحسين ، على أن يكون نائبا له فى الديوان[٢] ، وأمام إصرار السلاجقة استسلم الخليفة لضغوطهم وأعاد ابن جهير ثانية إلى الوزارة سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م ، بعدما تصالح مع نظام الملك[٣] .

على أن سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م ، شهدت تحسنا طفيفا فى العلاقات بين ملكشاه ، والخليفة المقتدى بأمر الله فقد صاهر الخليفة ، السلطان السلجوقى بخطبة ابنته له[٤] ، وكان لهذه المصاهرة أثر كبير فى تحسن العلاقات بينهما ، فبعدها أرسل ملكشاه إلى الخليفة رسالة تتضمن "الدعاء" له للمواقف المقدسة ، والاعتذار عن تأخره"[٥] .

ولما قدم السلطان إلى الموصل بعد فتح بلاد الشام ، أرسل الخليفة لاستقباله النقيبين العباسى والعلوى[٦] فى موكب عظيم ، ويذكر ابن الجوزى[٧] أن السلطان ملكشاه قام وقبل الأرض حين أبلغ بتهنئة المقتدى بأمر الله بسلامة وصوله ، وبعد أن فرغ السلطان عن زياراته ، جلس له الخليفة جلوسا عاما ، فدخل ملكشاه وأمره الخليفة بالجلوس "فامتنع وتواضع حتى ارتفع ، ثم أقسم عليه حتى جلس"[٨] ، وكان نظام الملك يأتى بأمير أمير إلى اتجاه السدة الشريفة ويقول للأمير : هذا أمير الأمير ، ويقول للخليفة هذا فلان ، وعسكره فلان ، وولايته كذا .. وبعد أن فرغ الخليفة من استقبال كبار القواد خلع على ملكشاه الخلع السلطانية ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٣٤ - ٤٥ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣١٧ - ٣١٩ .

(٣) البندارى : آل سجلوق ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٤٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٢١٦ - ٢١٨ ، ط. بيروت .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٢٢٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ط. بيروت.

(٧) المنتظم : جـ١٦ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ط. بيروت .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

وفوضه أمر البلاد والعباد ، وأمره بالعدل فيهم[١] ، وطلب السلطان أن يقبل يد الخليفة فرفض، فسأل أن يقبل خاتمه فأعطاه أياه فقبله ووضعه على عينيه ، وأمر الخليفة بالعودة إلى دياره ، وخلع على نظام الملك[٢] . وفى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م أرسل ملكشاه إلى الخليفة يطلب منه أن يجعل من ولده "أحمد" وليا لعهده ، فأذن له الخليفة ، وأمر خطباء المساجد فى بغداد بذكر اسمه على المنابر بعد اسم أبيه ، ونثرت الدنانير على الخطباء احتفاء بهذه المناسبة[٣] .

ولكن هذه العلاقات الودية سرعان ما تبدلت ، وخاصة فى أواخر أيام الخليفة المقتدى بأمر الله الذى ظهر أمام السلطان ضعيفا متخاذلا حتى لم يبق له من الأمر شئ "وصار لايتعدى حكمه بابه ، ولايتجاوز جنابه[٤] " ، ويرجع السبب الرئيسى فى سوء العلاقات إلى عزم السلطان على جعل الأمير جعفر ابن الخليفة من ابنته وليا لعهد المقتدى بدلا من المستظهر بالله الذى بايعه والده لولاية العهد من بعده[٥] ، وقد قصد ملكشاه من وراء ذلك نقل الخلافة العباسية من الفرع الهاشمى إلى التركي ، كما حاول طغرلبك من قبل ولم ينجح .

رفض الخليفة المقتدى طلب ملكشاه بجعل حفيده الأمير جعفر وليا لعهده ، وخاصة حينما عرف نيات السلطان السيئة نحوه ، ومما يؤيد ذلك ما ذكره الراوندى[٦] من أن أخت[٧] السلطان كانت تنادى على الأمير جعفر فى حضور أبيه المقتدى بعبارة : يا أمير المؤمنين ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٨ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٤) ابن دحية : النبراس ص ١٤٤ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ص ١٦٤ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ، جـ١ ص ١٩٧ - ١٩٩ .

(٦) راحة الصدور ، ص ٢٠٨ ، ص ٢١٦ .

(٧) تذكر معظم المصادر على انها ابنة السلطان التى تزوجها الخليفة المقتدى ، وكان اسمها "مهلك خاتون" وليست أخته كما ذكر الراوندى فى ص ٢١٦ ، لمزيد من التفاصيل راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ٨، ص ٤٥٢ ، ٤٥٢ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين جـ١ ص ٢٨٣ ، القلقشندى : مآثر الأنافة ، جـ٢ ، ص٣.

وكان العزم قبل وفاة ملكشاه أن يبنوا دارا للخلافة وحرما ملحقا بها فى أصفهان .. وأن يقيموا الأمير جعفرا فيها ، ولكن الخليفة أحس بهذا الأمر[١] .

وفى سنة ٤٨٥/١٠٩٢م ، عزم ملكشاه فعلا على عزل الخليفة المقتدى ، فقدم بغداد وأرسل للخليفة رسالة يقول له "تخرج من بغداد ، وتمكن أى بلد شئت[٢] ، فانزعج المقتدى ، وطلب إليه أن يمهله شهرا ، فقال ملكشاه : ولا ساعة واحدة ، وترددت الرسل بينهما ، ثم استقرت الحالة بواسطة تاج الملك أبى الغنائم وزير ملكشاه ، على أن يؤخر عشرة أيام ، فوافق السلطان على ذلك[٣]، وفى خلال هذه الفترة مرض السلطان ، ثم توفى فجأة فى شوال سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٤] ، وبذلك أنقذ القدر الخليفة المقتدى من شر كاد يطيح به من كرسى الخلافة.

استقبال رسوم البيزنطيين والهدايا المتبادلة بينهما :

ورث السلاجقة العداء الإسلامى البيزنطى ، وقد ظهر السلاجقة فى وقت ضعفت فيه القسطنطينية ، ولذلك أعلن طغرلبك أن هدفه الثانى بعد دخول بغداد ، وتأمين طريق مكة ، هو تأمين الطريق نحو أرمينية ، فممتلكات بيزنطة فى آسيا الصغرى ثم ممتلكات الفاطميين فى مصر والشام[٥] .

وبمعاونة قواده هاجم طغرلبك الإمارات الكرجية ، والأرمينية والبيزنطية ، وكان إبراهيم ينال ساعده الأيمن فى هذه المعارك ، حيث شن سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م حملة على أرمينية اكتسح فيها وادى باسيان وكارين ، وتمكن من إلحاق هزيمة منكرة بالجيش البيزنطى فى معركة بوترو (إحدى قلاع سهل باسيان) ، وكان يساند الجيش البيزنطى فى هذه المعركة حكام أرمينية ، وأمير الكرج (الأبخاز) - ليباريت - الذى وقع فى أسر السلاجقة ، ولم يجد الإمبراطور

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٦ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٦ ، ابن دحية : النبراس : ص ٣١٢ .

(٣) ابن العبرى : المختصر ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ابن طباطا : الفخرى ، ص ٢١٦ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ص ٤٨١ - ٤٨٥ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٨٠ القلقشندى : مآثر الأنافة ، جـ٢ ص ٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٦ .

(٥) سهيل زكار : المدخل ، ص ٦١ .

قسطنطين التاسع مونا ماخوس (١٠٤٢-١٠٥٥م/٤٣٤-٤٤٧هـ) حلا لإطلاق سراحه ، سوى الدخول فى مفاوضات مع طغرلبك[١] . وظلت هجمات السلاجقة على أملاك بيزنطة ، حتى حاصر طغرلبك ملاذكرد[٢] ، وفتح الكثير من المدن البيزنطية[٣] ، وكان رد فعل البيزنطيين لاحتواء خطر السلاجقة هو إرسال الرسل ، وتبادل الهدايا والسفارات بين الطرفين [٤] ، فكانت هناك سفارتين فى عهد طغرلبك :

السفارة الأولى : تمت سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م ، بين طغرلبك والإمبراطور قسطنطين التاسع مونا موخاس بعد تعرض قواته ، وقوات حلفائه من الأبخاز والأرمن إلى هزيمة ساحقة فى إقليم باسيان كما أسلفنا ، وكان الهدف منها عقد هدنة بين الجانبين مدتها أربع سنوات ، وإقامة علاقات ودية بينهما ، وإطلاق سراح الأمير الكرجى (ليباريت) ، وكان رسول البيزنطيين إلى طغرلبك هو شيخ الإسلام (أبا عبد الله بن مروان) موفدا من قبل نصر الدولة بن مروان حاكم ديار بكر ، والوسيط بين البيزنطيين والسلاجقة[٥] .

وقد استجاب طغرلبك لهذه الرسالة والسفارة ، فأطلق سراح ملك الأبخاز دون فداء ، فسر الإمبراطور سرورا كبيرا بذلك ، فأرسل الهدايا إلى السلطان وكانت عبارة عن ألف لباس حريرى ، وخمسمائة لباس متنوع ، وخمسمائة حصان ، وثلاثمائة من دواب النقل الإجمالى ، وثلاثمائة حمار مصرى ، وألف من الماعز ومائتى دينار من الذهب الخالص [٦] ، إلى جانب إقامة الخطبة للعباسيين ولطغرلبك فى مسجد القسطنطينية بدلا من الفاطميين[٧] ، فكان أول سلطان سلجوقى تركى يرتفع اسمه فى سماء القسطنطينية المسيحية .

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ١٨٨ ، المقريزى : السلوك ، جـ١ ص ٥٢ ، حسانين ربيع : الدولة البيزنطية ص ١٨٢ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص ٥٢ .

(٣) فايز اسكندر : أرمينية ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) عبد الرحمن العبد الغنى : موقف البيزنطيين ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، المقريزى : السلوك ، جـ١ ص ٥٢ .

(٦) Altay : Tugrulbey, p. 334 ، الرشيد بن الزبير : كتاب الذخائر والتحف ١ ، حققه د/ محمد حمد الله (الكويت ١٩٥٩م) جـ١ ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٧) المقريزى : السلوك جـ١ ص ٥٢ ، فايز اسكندر : أرمينية ، ص ٢٤٢ .

السفارة الثانية : تمت بين طغرلبك، والإمبراطورة ثيودورا ٤٤٧-٤٤٨هـ/١٠٥٥-١٠٥٦م، حيث بعثت الإمبراطورة ، بهدايا وسفارة إلى طغرلبك وهو فى بغداد ، ووصلت هذه السفارة عبر آراضى الأمير المروانى نصر الدولة ، وكانت هدايا الإمبراطورة الى السلطان طغرلبك عبارة عن خيول وبغال بيضاء ، وخاتم سليمان وفى وسطه خط دقيق من الياقوت الأحمر يزن ٤٥ مثقالا ، ومائة وخمسين وعاء صينيا ، وخمسمائة لباس منهم مائتا لباس سقلاطون[١] ، ومائتا لباس عتابى[٢] ، وكافور ، وعود بقيمة ألفين وأربعمائة دينار ، وخمسون ألف دينار نقدا ، وكثير من الملابس الأرجوانية[٣] ، وقد رغبت الإمبراطورة فى إقامة علاقات ودية بين الجانبين[٤] . وكاد رد السلطان طغرلبك إيجابيا ، حيث أرسل سفارة تحمل بعض الهدايا طالبا فيها إعادة بعض مدن الحدود الإسلامية مثل ملاذكرد ، والرها ، وأنطاكية ، ودفع جزية سنوية له ، وإقامة الخطبة له وللخليفة العباسى على منابر القسطنطينية[٥] .

---

(١) سقلاطون : نوع من الثياب بمعنى سقلط أو سقلطة ، وينبغى أن يكون خماسيا لرفع النون وجرها مع الواو ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ٣ ، ص ١٠٤٢ . وهو ما يعرف بالمصمت أى الذى لا يخالط لونه أو هو الذى جميعه (حرير) لا يخالطه قطن ولا غيره ، وهو نسيج رقيق وهو ثياب من الحرير موشى بالذهب ويكون فيها صور منقوشة عليها ، الدمشقى : الإشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٢٦ .

(٢) عتابى : نوع من الملابس ، وتنسب الملابس العتابية إلى صحابى جليل هو عتاب بن أسيد ، وانتشرت صناعتة فى بغداد واشتهرت به إحدى ملاحتها ، وهى ثياب مخططة تصنع من خيوط القطن والحرير من مختلف الألوان وانتقلت صناعته إلى خارج بغداد ، كأصبهان ، وصارت له شهرة عالمية حتى وصل إلى أوربا ، حيث قلد الأندلسيون صناعته ، وصدوره من هناك إلى فرنسا وإيطاليا ، وصار يعرف فى فرنسا باسم "تابى - Tabi)محرفا ، انظر : ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٢ ، الدمشقى : كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٢٤ ، ٢٦ ، حسين مؤنس : عالم الإسلام ، (دار المعارف بمصر ١٩٧٣م) ص ٢٤٧ .

(٣) الأرجوانية : هى ملابس الإمبراطور البيزنطى ، وتصنع من الحرير الخالص ، وكانت تستوردها بيزنطة من بلاد الهند ، انظر : هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا ، (الهيئة المصرية للكتاب ، سنة ١٩٩٤م) جـ٤ ، ص ١٧٩ - ١٨١ .

(٤) . Altay : Tugrulbey, p. 334 ، بورفيروجنيتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية للإمبراطور قسطنطين السابع ، عرض وتحليل وتعليق سعيد عمران ، (دار النهضة العربية ، ١٩٨٠) ، ص ٢٧ .

(٥) المقريزى : السلوك ، جـ١ ص ٥٢ ، حسانين : إيران ، ص ١٨٤ .

وقد ورث ألب أرسلان سياسة عمه العدائية والسلمية مع بيزنطة فواصل حروبه معها ، وهاجم الثغور البرية مثل ملطية[١] ، واجتاحت قواته كباد وكيا[٢] ، وكانت ملاذكرد وهزيمة رومانس الرابع هى قمة المأساة فى العلاقات البيزنطية السلجوقية .

وقبل ملاذكرد ، وفى أثنائها تبودلت الرسائل والسفارات والرسل بين الإمبراطور البيزنطى والسلطان السلجوقى ألب أرسلان عبر الخليفة العباسى وغيره ، فيذكر البندارى[٣] وابن الأثير ، أن السلطان أرسل رسولا إلى الإمبراطور البيزنطى أثناء المعركة يطلب إليه الهدنة ويكشف سره ، ويقف على حقيقة عدد جيشه ، ولكن الإمبراطور رفض وتكبر ، وقال (لا هدنة إلا بالرى) ، ويقصد بذلك أنه سيحارب حتى يصل إلى عاصمة ألب أرسلان (الرى) ، مما أثار حفيظة السلطان فكانت الهزيمة للبيزنطيين والنصر للسلاجقة[٤] .

وبعد النصر ، وأسر الإمبراطور ، وقبول الفدية منه ، عقد ألب أرسلان معاهدة لمدة خمسين سنة ، اشترط فيها تحرير أسرى المسلمين ، وأن تكون جيوش الإمبراطور مستعدة لمساعدة ألب أرسلان عند الطلب الذى يكفيه وفى الوقت الذى يحتاج إليه ، وخصص له سرادقا كبيرا ، وأعطاه خمسة عشر ألفا دينار ليصرف منها ، وخلع عليه خلعة شريفة ، وبعث معه كتيبة سلجوقية لحراسته[٥] ، ولكن فى عهد ملكشاه استمرت الحروب ، والانتصارات حتى أقام السلاجقة لهم دولة فى آسيا الصغرى عرفت باسم سلاجقة الروم[٦] .

---

(١) عليه عبد السميع الجنزورى : الثغور البرية الإسلامية (الأنجلو المصرية) ١٩٧٩ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

وملطية : بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء ، بلدة من بلاد الروم تتاخم بلاد الشام بناها الإسكندر المقدونى، ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ١٩٢ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٨١ .

(٣) آل سلجوق : ص ٤١ ، ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ط. بيروت .

(٤) سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ١ ص ٨١ .

(٥) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٢٣ ، فايز اسكندر : موقعة ملاذكرد ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص ٩٦ ، ٩٧ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص ٨٩ ، ٩٠.

ثانيا : ولى العهد :

اختيار السلطان السلجوقى لولى عهده :

لم يضع السلطان طغرلبك نظاما معينا لاختيار ولى العهد السلجوقى ، يلتزم به أفراد البيت السلجوقى من بعده[١] ، وذلك يرجع إلى أنه كان عقيما لم ينجب[٢] . إلى جانب أنه كان ذا طبيعة بدوية قائمة على النظام القبلى السائد آنذاك لدى السلاجقة حيث يتولى القيادة أقواهم، وأشجعهم ، والكل يدين له بالولاء والطاعة ، مثلما حدث عندما تولى هو عرش السلاجقة[٣]، إلى جانب انشغاله الدائم فى حروب مستمرة على كل الأطراف .

ولكنه فى أواخر حياته قد عهد بالسلطنة من بعده لابن أخيه (سليمان بن دواد) وكان طفلا صغيرا[٤] وكانت أمه بعد زواجها طغرلبك قد أوعزت إليه بجعل ابنها هذا وليا لعهده[٥] ، ومن هنا برزت مشكلة التنازع والتنافس على عرش السلاجقة بعد وفاة طغرلبك ، فعندما علم ألب أرسلان حاكم خراسان ، والأخ الأكبر غير الشقيق لسليمان بولايته ، وأخذ الكندرى وزير طغرلبك البيعة له فى الرى ، وقرئت الخطبة باسمه متجاهلا أخاه ألب أرسلان ، سار ألب أرسلان ووزيره نظام الملك إلى الرى بجيوش قوية ، وأجبر سليمان على التنازل عن العرش لألب أرسلان ، وأقيمت له الخطبة فى الرى على أن يكون سليمان وليا لعهده[٦] . ولكن ولايته للعهد لم تستمر .

ثم سار السلاجقة بعد طغرلبك على رسم معين فى اختيار وتولية ولى العهد ، فكان السلطان السلجوقى يعين أكبر أولاده وليا لعهده قبل وفاته ، وإذا لم يكن للسلطان ابن فيولى أخوه وليا لعهده ، ويشترط أن يكون ذا شخصية قوية فضلا عن تمتعه بمكانة سامية بين أفراد

---

(١) حسانين : إيران ، ص ٥٣ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٩ ، البندارى : آل سلجوق ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٢ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٠ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٤ ص ٦٤ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٦٠ .

البيت السلجوقى[1] وأول من ولى ابنه العهد من بعده فى حياته من سلاطين السلاجقة ، السلطان ألب أرسلان الذى عهد لابنه ملكشاه بولاية العهد[2] .

وفى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ولى ملكشاه العهد لابنه "أبى شجاع أحمد" وكان أكبر أولاده ، ولقبه (بملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين ، وأرسل إلى الخليفة المقتدى ليخطب له ببغداد ، فخطب له ، ولكنه مات بعد سنة[3] ، فصارت ولاية العهد لأخيه بركياروق[4] .

رسوم تعيين ولى العهد :

١- كانت أولى الخطوات التى سار عليها السلاجقة فى تعيين ولى العهد تمتعه بالشجاعة، والقوة ، والتأييد من أمراء البيت السلجوقى ، وموافقتهم عليه سلطانا فيما بعد[5] ، وهذه هى سمات المجتمع التركى الذى كان السلاجقة جزءا منه .

٢- موافقة الخليفة العباسى ومن رسوم تعيين ولى العهد ، موافقة الخليفة العباسى ، حتى يتمتع ولى العهد بحقوقه الشرعية التى يستمدها من الخليفة العباسى بحكم البلاد التى تحت يده عندما يتولى السلطنة .

فلما قتل ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ/١٠٦٣م ، وكان قد عهد لابنه ملك شاه بولاية العهد من بعده[6] ، أرسل ملكشاه إلى الخليفة العباسى يطلب الاعتراف بولايته للعهد فوافق الخليفة[7] .

---

(١) إدريس : رسوم ، ص ٧٧ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٦٠ ، الرواندى : راحة الصدور ص ٢١٥ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٧٥ .

(٥) إدريس : رسوم ، ص ٧٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٧٦ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

ولما ولى ملكشاه ابنه أبو شجاع أحمد ولاية العهد سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ، أرسل إلى الخليفة المقتدى ليخطب له فى بغداد ، ويأخذ موافقته على تعيينه[١] ، وعندما قتل ملك شاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، وكان قد عهد بالسلطنة لابنه بركياروق من بعده[٢] ، أرسلت زوجته تركان خاتون إلى الخليفة المقتدى بأمر الله تطلب الموافقة على سلطنة ولدها محمود الذى لم يتجاوز الرابعة وشهور ، فأجابها إلى ما طلبت[٣] .

٣- موافقة الجند السلجوقى :

جعل السلاجقة موافقة الجند على تعيين ولى العهد من الشروط الواجب توافرها عند اختياره ، فطغرلبك عندما أراد تعيين سليمان الطفل وليا لعهده ، بعث إلى وزيره الكندرى ، وطلب إليه أخذ البيعة لسليمان من الجند والأمراء ، بل أصدر أمرا بذلك ، ومنح جنوده بهذه المناسبة سبعمائة ألف ديناره وستة عشر ألف ثوب من ديباج وسقلاطون ، وسلاحا[٤] .

وسار ألب أرسلان على هذه النهج حينما أمر وزيره نظام الملك سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، بجمع العساكر وأمراء دولته ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق لابنه ملكشاه ، وقال لهم (أعهد إليكم أن تسمعوا لولدى ملكشاه وتطيعوه ، وتقيموه مقامى ، وتملكوه عليكم ، فقد وقفت هذا الأمر عليه ، ورددته إليه) ، فأجابوه بالدعاء والسمع والطاعة[٥] بل أمرهم بأن يخطب له على منابر بلادهم ، وبهذه المناسبة أقطعهم البلاد[٦] .

وهكذا كانت موافقة الجند السلجوقى على تعيين ولى العهد عاملا مهما لتدعيم السلطنة بعد وفاة السلطان ، فحينما قتل ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ/١٠٦٣م ، استخلف نظام الملك جميع العساكر والأمراء بالبيعة لولى العهد ملكشاه فحلفوا له[٧] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٥٢ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٤٨٤ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٨١ ، الروندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٨ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٦٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٧٦ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٩٤ .

٤- موافقة الوزير السلجوقى :

وكان من رسوم تعيين ولى العهد ، موافقة الوزير السلجوقى ، فعندما أراد طغرلبك تعيين سليمان وليا لعهده ، بعث إلى وزيره عميد الملك الكندرى ، وأخذ منه البيعة لسليمان واستصدر منه أمرا بذلك[١] .

وحينما رأى الكندرى غلبة ألب أرسلان ، أعلن أنه تابع له ، وتخلى عن سليمان الذى وافق على أن يكون وليا لعهد أخيه[٢] ، وكان نظام الملك الطوسى هو الذى أوحى إلى ألب أرسلان بتعيين ملكشاه وليا لعهده[٣]، وكان هذا إيذانا بمبايعته له بولاية العهد ، ولما مات ملكشاه كان نظام الملك يبايع بركياروق ولده الأكبر بولاية العهد ، ودخل فى نزاع من تركان خاتون زوجة السلطان وأم ولده محمود من أجل ذلك[٤] .

٥- اقامة الخطبة :

وكان من رسوم تعيين ولى العهد إقامة الخطبة له على منابر بغداد ، وعلى منابر كل بلاد دولة السلاجقة التى يحكمها أبوه[٥] ، وخلع عليه الخلع ، ففى سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، بعث الخليفة العباسى القائم بأمر الله السلطان ألب أرسلان خلعه ، كما بعث بخلعه أخرى لولى عهده ملكشاه ، وسيرت الخلع مع عميد الدولة بن جهير[٦] ، كما كانت تنثر الدنانير بهذه المناسبة وتهدى للجنود الهدايا وتقع لهم الإقطاعات بحكم البلاد[٧] .

وكان ولى العهد يشترك مع والده السلطان فى حروبه ، فقد أشرك السلطان طغرلبك ألب أرسلان فى حروبه[٨] ، وقد ظن البعض أن هذا إيذان منه بولاية العهد من بعده .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣١ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ص ١٢٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٧٦ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٣٧٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٣٦ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٣٧٦ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٧٧ .

وكان السلطان ألب أرسلان يصحب معه ابنه ملكشاه فى كل حروبه ، بل أرسله وهو شاب ومعه نظام الملك إلى وادى الرس ، وبلاد الكرج لمحاربة البيزنطيين والأرمن[١] ، وشهد ملكشاه معركة ملاذكرد مع والده ألب أرسلان ، وأبلى معه بلاءا حسنا فيها ، وحينما قتل والده فى سمرقند كان ملكشاه بصحبته ، وأخذت له البيعة بالسلطنة من بعده[٢] .

وكانت ولاية العهد مثار نزاع وفتن ومشكلات طوال العهد السلجوقى ، وليس أدل على ذلك مما حدث عقب وفاة طغرلبك ، وملكشاه ، والتى حسمها بركياروق لنفسه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وأرسل إلى دار الخلافة للاعتراف به[٣] .

ثالثا : الوزارة [٤]

تطور منصب الوزير :

منصب الوزير قديم قدم الحضارات القديمة ، فلابد للحاكم من الاستعانة بأبناء جنسه لأنه ضعيف يحمل أمرا ثقيلا[٥] ، وقد عرفت الحضارة المصرية القديمة منصب الوزير[٦] ، وعرفها الفرس وبنو إسرائيل فهى ليست من مستحدثات الإسلام[٧] .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٤٨٥ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٤) يقرر علماء اللغة أن لفظ الوزراة مشتق من ثلاثة أوجه : (١) مشتق من الوزر بمعنى الثقل ، لأن الوزير يحمل عن الملك أو الإمام أثقاله(٢) مشتق من الوزير وهو الملجأ ومنه قوله تعالى (كلا لاوزر) أى لا ملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأى الوزير ومعونته ، (٣) مشتق من الأزر وهو الظهر ، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر ، انظر : الماوردى : أبو الحسن بن على (قوانين الوزارة ، تحقيق صلاح الدين بسيونى ، (القاهرة ١٩٨٦م) ، ص ٣٩ ، ٥١ ، الأحكام السلطانية : ص ٢٣ ، وقد عرفها ابن خلدون بقوله هى أم الخطط السلطانية والرتب السلوكية ، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة ، المقدمة ص ٢١١ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٣٦ .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ص ٦٠١ .

(٦) ول ديورانت : قصة الحضارة ، جـ٢ ، المجلد الأول ص ٩٢ .

(٧) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٣٧ .

ومما يؤكد ذلك قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام (واجعل لى وزيرا من أهلى ، هارون أخى ، أشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى)[١] ، وفى قوله تعالى : (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا)[٢] وموسى كان فى مصر القديمة ، ولايمكن أن تستخدم هذه الكلمة إلا ولها وجود فى العصر الذى يعيش فيه .

وقد وجد منصب الوزير فى صدر الإسلام بالمعنى وليس باللفظ ، فيروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (إنه لم يكن قبلى نبى إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وأنى أعطيت أربعة عشر)[٣] ، وهذا يثبت أن النبى عليه السلام استخدم هذه الكلمة على الرغم من عدم تعيينهم وزراء ، بل كانت مهمتهم استشارية فقط .

واستخدم المسلمون الأوائل هذه الكلمة فى سقيفة بنى ساعده حينما قال المهاجرون (نحن الأمراء وأنتم الوزراء) [٤] ، وكان أبو بكر الصديق بمنزلة وزير لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان عمر بن الخطاب بمنزلة وزير لأبى بكر الصديق (رضى الله عنهما) ، وكان عثمان وعلى وزيران لعمر ، كما كان مروان بن الحكم وزيرا لعثمان بن عفان[٥] .

وفى العصر الأموى ٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م ، استخدم الأمويون من يقومون بعمل الوزراء وسموا بالكتاب مثل عبد الحميد الكاتب الذى كان بمنزلة وزير لمروان بن محمد ١٢٨-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م آخر خلفاء بنى أمية[٦] ، كما سمى مشيرا[٧] .

---

(١) سورة طه : آية ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٣٥ .

(٣) ابن حنبل : الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط٤ ، (القاهرة ١٩٥٤م) ، جـ٢ ، ص ١٢٦٤ .

(٤) الطبرى : تاريخ ، جـ٣ ص ٢٢٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٧٠ ، أحمد الشامى : الحضارة ص ٣٧ ، ٣٨ ، الخلفاء الراشدون ، ط٢ ، (النهضة المصرية ١٩٨٢م) ، ص ١٦ - ٢٠ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١١ ، ومابعدها .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١١ ومابعدها ، أحمد أمين : ضحى الإسلام (القاهرة ١٩٤٦م) ص ١٧١ .

(٧) احمد الشامى : الحضارة ، ص ٣٨ .

ويتفق رأى المؤرخين على أن منصب الوزارة ولقب الوزير لم يظهرا رسميا إلا فى العصر العباسى ، حينما لقب أبو عبد الله السفاح وزيره أبا سلمة الخلال (بوزير آل محمد)[١] .

وهكذا فإن فكرة الوزارة لم تكن غريبة عن الفكر الإدارى الإسلامى [٢] ، وهذا ينفى فارسية اللقب[٣] . وقد أطنب الكتاب والمؤرخون فى الحديث عن وزارة الدولة الإسلامية بعصورها المختلفة ، وانصب اهتمامهم على قلب الدولة الإسلامية دون أن تحظى بقية أطراف الدولة أو بعض الدويلات المستقلة بنفس القدر من الاهتمام ، بل وظهر مؤلفون[٤] دارت كتابتهم حول الدول الإسلامية نفسها دون غيرها .

وطوال العصر العباسى الأول ١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م ، كانت الخلافة قوية ومسيطرة ، الأمر الذى جعل الوزير شخصا مطيعا ، فكثيرا ما نكب الخليفة بوزرائه[٥] .

أما فى العصر العباسى الثانى ٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٦-٩٤٦م ، والذى عرف بعصر نفوذ الأتراك ، أخذ نفوذ الخلفاء فى الضعف ، وبالتالى ضعف منصب الوزارة[٦] ، وفى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م دخل البويهيون بغداد على عهد الخليفة المستكفى بالله العباسى ٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٦م ، واستبد البويهيون بالحكم دون خلفاء بنى العباس وزال نفوذ الوزراء لأن الوزارة صارت من جهة البويهيين [٧]، وأصبح للخليفة كاتب يدير شؤونه[٨] .

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ١٦٣ ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ١٧٢ .

(٢) محمد عبد الله الشيبانى : نظم الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية (القاهرة ، ١٩٧٩م) ، ص ٩٢.

(٣) حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، (القاهرة ١٩٣٩م) ، ص ٣٦ .

(٤) ابن الصيرفى : تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، حققه أيمن فؤاد سيد ، ط١ (الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٠م) ص ١١-٣٨ ، الجهشيارى : أبى عبد الله بن محمد ابن عبدوس ، الوزارة والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، (القاهرة ، ١٩٣٨م) ، والصابى : تحفة الوزراء أو تاريخ الوزراء (القاهرة ١٩٥٨م) .

(٥) عن ذلك أنظر : ابن طباطبا : الفخري ، ص ٤٠٩ ، ابن خلدون : العبر جـ٣ ص ٢٢٩ ومابعدها ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة برمك ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ١٢٠ - ١٣١ .

(٦) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٣ .

(٧) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٥ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٩٥ ، الزهرانى : الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى ، (بيروت ، ١٩٨٦م) ص ٧ ، نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية ، بيروت ، ١٩٨٢م) ص ٣٨ .

وفى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، دخل السلاجقة بغداد ، فعاد نظام الوزارة ، وأخذ الخليفة فى تعيين وزيراً له[١] إلى جانب وزير السلطان الذى كان من أهم المناصب الإدارية ، لأن الوزير كان يرأس جميع رجال الديوان ، ويشرف على جميع أعمال الدولة ، ويرأس جميع موظفيها ، ويستطيع أن يوجه سياستها فى الداخل والخارج[٢] .

ويقصد بالوزارة فى العصر السلجوقى مجموعة الإدارات التى تختص كل إدارة منها بشأن شؤون الديوان وتعرف باسم الصدارة ، ويطلق على القائم بأعمالها اسم (خواجة بزرك) أو الصدر أو الدستور أو الوزير وكانت تشكل أكبر المناصب الحكومية[٣] ، فعرف الوزير السلجوقى (بالصدر الأعظم أو السيد الأعظم) وكان منصبه يساوى منصب رئيس الوزارة فى العصور الحديثة ، وكان يرأس جميع الدواوين التى تقابل الوزارات فى نظم الحكم الحديثة[٤] .

وكام من الطبيعى أن يلجأ سلاطين السلاجقة الأوائل ، وهم غير مثقفين إلى استخدام عدد كبير من الموظفين الإداريين لاستعمالهم فى المهام المختلفة[٥] ، وكان هذا هو العامل الوحيد الذى عجل بإنجاز حوائجهم ومكن سلاطينهم من المحافظة على بلادهم ، فوجود طبقة الكتاب وعمال الدواوين الإيرانيين ممن أمضوا عمرهم فى خدمة السامانيين ، والغزنويين والخلفاء كانوا على دراية تامة بدقائق أعمالهم ، وبذلك كان ديوان السلاجقة هو نفسه ديوان الغزنويين والسامانيين من قبلهم ، وكان أول من تولى لهم فى خدمة الفرس والغزنويين[٦] .

وإذا طبقنا تقسيم الماوردى للوزارة إلى وزارة تفويض ، والتى تجمع بين كفايتى السيف والقلم ، وهى أسس الوزارة [٧] ، لأن الوزير فيها إلى جانب تنفيذ أوامر الملك يفوض فى أمور

---

(١) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٢ .

(٢) عبد النعيم حسانين : إيران ، ص ١٦٢ .

(٣) أقبال : الوزارة ، ص ٤٣ .

(٤) حسانين : إيران ، ص ١٦٢ .

(٥) سعاد ماهر : أثر الماوردى فى الفن السلجوقى ، مقال بمجلة المؤرخ (بغداد سنة ١٩٦٨م) ص ٤٥ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٣٨ .

(٧) الماوردى : قوانين الوزارة ، ص ٥٢ .

لا يرجع للملك فيها[١] بل ويقود الجيوش بنفسه ، ثم وزارة تنفيذ لأن الوزير فيها ينفذ أوامر الملك فقط ، ويكون سفيرا بين الملك وأهل مملكته[٢] .

وإذا طبقنا هذا التقسيم على العصر السلجوقى ، وخاصة وزراء السلاطين العظام ، سنجد أن التقسيم كان موجودا منذ اتخاذ طغرلبك الوزراء ، فكان هناك وزير تنفيذ ، ووزير تفويض، فإذا كان وزراء طغرلبك بما فيهم أشهرهم وهو "أبو نصر الكندرى" ، وزراء تنفيذ عليهم فقط تنفيذ ما يملى عليهم من دار السلطنة السلجوقية[٣] ، فإن نظام الملك وزير ألب أرسلان وملكشاه ، وأشهر وزراء السلاجقة على الإطلاق ، قد جمع بين الوزارتين ولذلك لقب "بتاج الحضرتين"[٤] ، فكان وزير تنفيذ ، ووزير تفويض لأن السلطان فوضه تفويضا تاما فى إدارة الممالك السلجوقية[٥] حتى أنه أصبح حاكما بأمره فى الدولة السلجوقية زمن ملكشاه لمدة عشرين عاما كاملة [٦] .

وسوف يتضح كل ذلك من خلال عرضنا لأشهر وزراء طغرلبك وألب أرسلان ، وملكشاه ، وطريقة اختيارهم ، ومهامهم ، ومناصبهم .

وزراء السلطان طغرلبك :

يعتبر السلطان طغرلبك أول سلطان سلجوقى استن اتخاذ وزير للخليفة العباسى[٧] ، ووزيرا للسلطان السلجوقى يقيم معه فى حاضرة السلطنة السلجوقية ببلاد المشرق ويقوم بمساعدة السلطان فى سفره وحضره[٨] ، ويساعده فى مهامه السياسية والإدارية والمالية

---

(١) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٣٩ .

(٢) الماوردى : قوانين الوزارة ، ص ٩٤-٩٨ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٥٦ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٥ .

(٤) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠ ، أبو شامة : الروضتين جـ١ ص ٢٦ .

(٦) يحيى الخشاب : نظام نظام الملك ، ص ٥٥٧ .

(٧) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٥ .

(٨) عباس إقبال : الوزارة ، ص ٤٤ .

والعسكرية ، وهو من أهم المناصب فى سلك الوظائف السلجوقية ، لاتساع نفوذه وسلطانه وكونه المنصب التالى بعد منصب السلطان فى الدولة السلجوقية بمختلف أقاليمها (١) .

ولم يتخذ السلطان طغرلبك وزيرا له منذ أن اعتلى عرش مسعود الغزنوى فى نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م مباشرة ولكن بعد أن استقر حكمه ونقل حاضرته إلى الرى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م (٢) ، بدا فى اتخاذ وزير يساعده فى مهامه .

اتخذ السلطان طغرلبك خمسة وزراء ، إلا أن الفترة التى قضاها كل وزير غير معروفة على وجه التحديد (٣) وهم :

١- أبو الفتح الرازى :

تولى الوزارة سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م ، ويعتبر أول وزير لأول سلطان سلجوقى (٤)، وكان يعمل فى بداية أمره فى خدمة الملك علاء الدولة بن كاكويه ، ت ٤٣٣/١٠٤١م ، حاكم أصفهان ، ومؤسس دولة الأكراد الكاكوية فى فارس (٥) ، ثم لازم ولده فرامرز الذى أرسله برسالة إلى طغرلبك فلما وقع بصره عليه ، وقع منه موقع القبول ، وأمره بالبقاء فى بلاطه ، فأبدى هو الآخر رغبته فى ذلك ، فخلع عليه صفركبك ، وأسند إليه منصب الوزارة ، وأغضب ذلك فرامرز الكاكوى ، فأمر بنهب قصر أبى الفتح ، ومصادرة أملاكه (٦) .

وبعد مدة حاصر طغرلبك مدينة أصفهان ، وكان بها فرامرز (٧) ، وانتهى الأمر بعقد صلح بينهما واشترط طغرلبك فيه أن يدفع له فرامرز مائة ألف دينار ، وعاد طغرلبك إلى طبرستان، وأرسل أبا الفتح الرازى إلى أصفهان ليتسلم المال من فرامرز ، ولما عاد أبو الفتح من مهمته ،

---

(١) حسانين : ايران ، ص ١٦٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، عصام الفقى : الدول الإسلامية ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٣) هند وشاه بن سنجر : تجارب السلف ، طهران ، ١٣٤٤هـ - ش) ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، إقبال : الوزارة ص ٦٠ .

(٤) تجارب السلف : ص ٢٦٠، ٢٦١ .

(٥) عصام عبد الرءوف : الدول المستقلة ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٦) تجارب السلف : ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٧٦ .

وأوصل المال لخزانة السلطان سر غاية السرور ، ونعته بالأمين ، وقال : لو أنه أخذ المال ولجأ إلى بعض القلاع وتحصن بها لصعب علينا الوصول إليه[١] .

وفجأة طلب أبو الفتح الاستقالة من منصبه ، فوافق طغرلبك ، فتوجه أبو الفتح إلى الملك أبى كاليجار البويهى ٤٣٥هـ-٤٤٠هـ/١٠٤٧-١٠٤٨م ، وتولى منصب الوزارة لديه ، ولم يستمر طويلا فيها حيث عزله الملك البويهى ، وقبض عليه فى شعبان سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م[٢] .

وفى عام ٤٣٤هـ/١٠٤٢م هاجم جيش طغرلبك مدينة أصفهان ، وقد توجه اليها من الرى، لكن أبا منصور فرامرز بن علاء الدولة كاكويه ٤٣٣-٤٥٥هـ/١٠٤٢-١٠٦٣م ، فاوضه طلبا للصالح وتمكن بأمواله من صرفه عن السيطرة على تلك المدينة ، ثم توجه طغرلبك إلى جرجان وطبرستان بعد أن استولى على همذان فتكون وزارته لطغرلبك ، بناء على ذلك - واقعة فى الفترة ما بين إحضار رسالة فرامرز وتوجه طغرلبك إلى أصفهان أى أنها بدأت سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م[٣] ، ولكن مدتها غير معلومة .

ولم يرد ذكر أبى الفتح الرازى كوزير لطغرلبك فى أى كتاب من كتب ومصادر التاريخ[٤]، ويتضح مما أورد صاحب تجارب السلف[٥] من أخبار حول وزارته لأبى كاليجار البويهى ، والقاء القبض عليه ، يتضح بما لايقبل الشك أن المقصود هوذو السعادات محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس الذى تولى منصب الوزارة سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م عند دخول الملك أبى كاليجار بغداد ، فيذكر ابن الأثير[٦] "أن أبا كاليجار دخل بغداد فى رمضان سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م ، ومعه وزيره ذو السعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس".

---

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦١ .

(٢) تجارب السلف : ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٦٢ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٦٢ .

(٥) ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٦) الكامل : جـ٨ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وقبض الملك أبو كاليجار البويهى على ذى السعادات سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م ، وظل سجينا إلى أن مات فى شهر رمضان سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م فى سجنه ، أو قتل بأمر من أبى كاليجار نفسه ، وكان عمره آنذاك إحدى وخمسين سنة[1] ، ولاندرى ماهى الأسباب التى دعت أبا كاليجار إلى سجن وقتل وزيره إلا أن كانت مكيدة من كمال الملك أبا المعالى بن عبد الرحيم الذى وزره من بعده[2] .

وكان ذو السعادات كاتبا ناجحا ، وشاعرا تفيض أشعاره بالعذوبة ، فقد كتب وهو فى سجنه :

أودعكـم وانى ذو اكتئاب	وأرحل عنكم والقلـب آبـى
وان فراقكم فى كـل حـال	لأوجع من مفارقـة الشبـاب
أسير وما ذممت لكم جـوارا	ولا ملـت منازكـم ركابـى
لكم منى المودة فى اغتراب	وأنتم ألف نفس فى اقترابى[3]

وكما أورد صاحب تجارب السلف أن لقب هذا الشخص هو أبو الفتح[4] ، ويلقبه ابن الأثير[5] تارة بأبى الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس ، وتارة بمحمد بن جعفر بن أبى الفرج ، ويحتمل أن يكون هناك خطأ فى متن أحد الكتابين فيما يتعلق بهذا الأمر[6] .

ولما كان ذو السعادات قد تولى منصب الوزارة لطغرلبك سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م ، ولأبى كاليجار سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م ، وكان أبى كاليجار قد أصبح سلطانا بدلا من جلال الدولة قبل هذا التاريخ بعام واحد ، فان هذا يعنى أن وزارته لطغرلبك لم تدم طويلا ، فيبدو أنه

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٢٨٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٢٨٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٢٨٠ ، عباس إقبال : الوزارة ص ٦٣ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٦٣ ، تجارب السلف ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٥) الكامل : جـ٨ ص ٢٦٧ ، ٢٨٠ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٦٣ .

منذ جلوس أبى كاليجار على العرش فى شعبان سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م قد التحق ذو السعادات بخدمته ، والذى كان ينافس أبا منصور فرامرز مخدوم ذى السعادات الأول [١] .

٢- أبو القاسم عبد الله الجوينى (الكوبانى) :

أول وزير لطغرلبك فى نظر ابن الأثير[٢] ، ولعل ذلك يرجع إلى عدم وجود معلومات لدى ابن الأثير تتعلق بوزارة ذى السعادات "أبى الفتح الرازى" فى جهاز طغرلبك الإدارى ، أو لعل المدة القصيرة التى قضاها فى الوزارة ، واقتصار وزارة البويهيين عليه[٣] ، قد تسبب فى أن يكون موضوع وزارته أمرا لايستحق الذكر فى نظر ابن الأثير[٤] .

وتولى الجوينى الوزارة لطغرلبك سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م كما ذكر ابن الأثير[٥] ، وبناء على ذلك يكون قد تولى الوزارة بعد أن ترك ذو السعادات الوزارة لطغرلبك[٦] .

والجوينى نفسه هو "أبو القاسم الكوبانى" الذى ذكره مؤلف راحة الصدور[٧] ، ضمن من تولوا الوزارة لطغرلبك قبل عميد الملك الكندرى ، وضبط (الكوبانى) - كما ورد فى راحة الصدور ، ضبط غير صحيح ، وصحة الاسم (الكوبانى) .. و(كويان) أو (كوين) هو الشكل الفارسى لكلمة (جوين)[٨]، ومعناها المتكلم أو المتحدث[٩] .

وأبو القاسم الجوينى هو نفس الشخص الملقب (سالاربوزكان) ، ومعناها بالفارسية "رئيس الديوان"[١٠] وكان يشغل منصب الرئاسة فى نيسابور قبل مجئ السلاجقة إلى خراسان ،

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص ٨٣ - ٨٦ ، إقبال : الوزارة ، ص ٦٣ .

(٢) الكامل : جـ ٩ ، ص ١٨١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٢٨٠ ، ط. بيروت .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٨١ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٧) الراوندى : ص ١٥٩ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٩) حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٥٨٠ .

(١٠) حسانين : نفسه ، ص ٣٤٥ ، البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٤ ، أحمد معوض : تاريخ ، ص ٨٨ .

ولما قدم طغرلبك إلى نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، ساعده فى دخولها والتحق بخدمته[١]، وبلغ منصب الوزارة سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م . فلما عزل عاد إلى رئاسة الديوان مرة أخرى ، وعمل جابيا لأملاك طغرلبك (دهقانا) وظل على هذا الوضع حتى نهاية عمره[٢] .

ويبدو أن أهل ذلك العصر لم يكونوا راضين عن كبار رجال الجهاز الإدارى لطغرلبك ، فيقول أبو ناصر القايد المهلبى أحد شعراء العصر هاجيا كبار رجال الدولة :

إن المقابح والفضائح كلها ... مستجمعات فى ابن عبد الله

كلب تصدر للوزارة وهو عن ... أم العزيز وخالتيه تباهى

أضحت أمور الملك واهية به ... وكذلك إن بقيت عليه كما هى[٣]

ويقصد بابن عبد الله - الشيخ أبو القاسم على بن عبد الله الجوينى[٤] ، ويمكن تصديق هذا الشاعر لأن سالار بوزكان هذا قد تغير ولاءه من الغزنويين إلى السلاجقة بسبب عدائه لسورى بن المعتز حاكم خراسان فى عهد الغزنويين[٥] .

٣- رئيس الرؤساء أبو عبد الله الحسين بن على بن ميكائيل[٦] أو ابن ميكال الغزنوى[٧] :

يبدو أن وزارته لطغرلبك ونهايتها أمر غير معلوم[٨] ، فلم يحدد ابن الأثير وغيره من المؤرخين متى تولى ابن ميكائيل الوزارة لطغرلبك ، ومتى تركها ، ثم تولى ابن ميكال منصب رئاسة ديوان الرسائل والإنشاء لطغرلبك فى عهد وزارة عميد الملك الكندرى[٩] .

---

(١) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٤ .

(٢) الباخرزى : على بن الحسن بن أبى الطيب ، دمية القصر ، جـ١ (بغداد ، ١٩٧١م) ، ص ٦٣ .

(٣) الباخرزى : نفسه ، جـ١ ، ص ٦٣ ، إقبال : الوزارة ص ٦٥ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٦٥ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ١٨١ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ ، خواندمير : دستور الوزارة ، ص ٢٢٨ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٩) الباخرزى : دمية القصر ، جـ١ ص ٦٣ .

٤- أبو الحسن الدهستانى :

هو الصاحب حسين الميكالى الذى كان من أسرة مرموقة فى نيسابور ، قدمت العديد من العلماء الدينيين الذين خدموا المذهب الحنفى ، فضلا عن الكثير من الإداريين والموظفين وكان يعمل فى خدمة الغزنويين من قبل عندما أسرة السلاجقة ثم ألحقوه بخدمتهم[١] ، وقد تولى الوزارة لطغرلبك بعد (رئيس الرؤساء ميكائيل) .

وأبو محمد الدهستانى هذا هو نفسه "نظام الملك أبو محمد حسن بن محمد الدهستانى" الذى ذكره ابن الأثير[٢] وأنه أول من تلقب بنظام الملك[٣] .

وبالنسبة لما جاء فى راحة الصدور[٤] بخصوص وزارة "أبى أحمد الدهستانى عمروك" فإنه يبدو أن "واوا" ، كانت بين كلمتى (دهستانى) و(عمروك) ، وأنها سقطت من النسخة ، وأن العبارة كانت (أبا أحمد الدهستانى وعمروك) ، وأبو أحمد بالصورة الواردة فى راحة الصدور هكذا أخطأ وتحريف لأبى محمد الدهستانى كما ذكره ابن الأثير[٥] ودمية القصر .

وعمروك أو عمرك هو "عمرك رباط قصار "المستوفى فى عهد طغرلبك ، ويبدو أن الدهستانى وعمروك أو "عمرك" كانا يقومان برئاسة بقية الدواوين أبان صدارة أبى القاسم الجوينى ، ومع أن رئيس الديوان كان يعنى الوزير إلا أنهما لم يحصلا على الصدارة[٦] .

ويبدو أن الدهستانى قد اشتهر بالجور والظلم ، وملأ جوره وظلمه خراسان والعراق ، ولقد شكاه أحد الشعراء عصره بقوله :

لله در عصابـــة نادمتهـم	كانوا عصارة هذه الأعصــار
فبليت بعدهـم بكـل مؤاجـر	ما بين قصـار إلـى عصــار[٧]

---

(١) أحمد معوض : أضواء على تاريخ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) الكامل : جـ٩ ، ص ١٨١ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٤) الراوندى : ص ١٥٩ .

(٥) الكامل : جـ٨ ، ص ١٨١ ، دمية القصر للباخرزى ، جـ٢ ، ص ٦٤ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٦٥ .

(٧) الباخرزى : دمية القصر ، جـ٢ .

وهو يقصد بقصار .. عمرك الرباطى الذى كان يشغل منصب المستوفى فى عصر طغرلبك، ويقصد بعصار أبا محمد الدهستانى[١] .

٥- عميد الملك الكندرى :

اشهر وزراء طغرلبك ، وساعده الأيمن ، هو أبو منصور بن محمد بن نصر أبو نصر الكندري، وقيل محمد ابن منصور[٢] الكندرى من بنى شيبان ، ولد بناحية كنور من قرى نيسابور سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م ، وقرأ الأدب ، وكان معروفا بالذكاء والفروسية[٣] ، وقد اشتهر عنه أنه كان عالما بالعربية والفارسية[٤] ، ومن أجل ذلك قدمه الإمام (الموفق النيسابورى) إلى طغرلبك الذى ألحقه بخدمته وجعل كاتبا له حيث أن طغرلبك كان يبحث عن رجل يجيد اللغتين[٥] ، وقد خدم الكندرى طغرلبك خدمات جليلة وعظيمة ، فقد كان رجلا فاضلا حازما مدبراً عاقلا حكيما[٦] .

وقد بدأ الكندرى حياته العلمية بدراسة الفقه ، حتى وصل فيه إلى درجة عالية ، فاستفاض فيه على يد الشيخ "الواثق أبو محمد الشافعي" أحد أعلام الشافعية فى هراة[٧] ،

---

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٥ ، ٦٦ :

(٢) يكتب محمد بن منصور فى ابن خلكان وشذرات الذهب لأبن العماد الحنبلى ، وتاريخ آل سلجوق للبندارى ، ومرآة الزمان لسبط بن الجوزى ، وتجارب السلف لهند وشاه ، ويـ نيف صاحب تجارب السلف ص ٢٦١ ، أن نسبه هو محمد ابن منصور الكندرى الجراحى ، وينتسب الجراحون إلى بنى شيبان تلك القبيلة العربية التى نزحت من شبه الجزيرة العربية إلى هراة ، بينما يذكره العينى فى عقد الجمان ، وابن الجوزى فى المنتظم ، وابن الأثير فى الكامل ، وابن كثير فى البداية والنهاية يكتب (منصور بن محمد) .

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٤٤) ، ويضيف صاحب دستور الوزراء أنه كان يتمتع بوفور العقل وصنوف الفضل والكياسة ، وله صنعة فى الإنشاء والفصاحة وفن الاستيفاء ، وله يد بيضاء فى إحياء مراسم السلاجقة ، أنظر : غياث الدين همام : دستور الوزراء ، تصحيح سعيد نفيسى (طهران ، ١٣٤٧ هـ.س) ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ١ ص ٢٥٦ ، سبط بن الجوزى : حوادث سنة ٤٥٦هـ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٠ ، العينى : عقد الجمان : حوادث سنة ٤٥٧هـ ، براون : تاريخ الأدب ، ص٢١٨ ، إقبال : الوزارة ص ٦٧ .

(٦) هند وشاه : تجارب السلف ، ص ٢٦١ . ابن تغرى بردى : النجوم : جـ٥ ص ٧٦ .

(٧) تجارب السلف ص ٢٦١ .

فصار موضع اهتمامه ، وفوض الشافعى إليه إدارة أمواله وأملاكه ، ولم تمض بعد ذلك إلا فترة قصيرة حتى فوض إليه نيابته فى بلاط طغرل بيك فلفت نظر السلطان إليه ، فقربه وجعله من مشيريه ، ثم أعطاه حكومة خوارزم ، إلا أن عميد الملك حاول التمرد على السلطان فى خوارزم ، فما كان منه إلا أن تحرك بجيشه إلى هناك ، وقبض عليه ، وأمر بخصيه[١].

أما البندارى ، وابن الأثير ، وابن الجوزى[٢] وغيرهم من المؤرخين فلهم رأى آخر فى مسألة خصى الكندرى فيقال إن طغرلبك فى مبدأ أمره ، قد بعث الكندرى إلى خوارزم ليخطب له امرأة وهو فى ريعان شبابه ، فعصى طغرلبك ، وخطبها لنفسه ، وتزوجها ، ولما ظفر به طغرلبك بعد ثلاث سنوات أقره على خدمته بعد أن خصاه ، واستبقاه فى خدمته ، احتياجا إلى كفاءته[٣] ، وقيل إن أعداءه أشاعوا عنه أنه تزوجها ، فخصى نفسه بعد أن حلق لحيته ، لخوفه من السلطان[٤] .

ويمكن تصديق الرأى الأول فى مسألة خصى الوزير الكندرى ، والتى يبدو أنها كانت إحدى العقوبات فى العصر السلجوقى بدليل قول الباخرزى[٥] .

قالوا محا السلطان عنه تعزة ... سمة الفحول وكان قرما صائلا

قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة ... لما اعتدى عن أنثيه عاطلا

فالفحل بأنف أن يسمى بعضه ... أنثى لذلك جذه مستأصلا[٦]

---

(١) تجارب السلف ، ص ٢٦١ ، رقبال : الوزارة ص ٦٨ .

(٢) آل سلجوق : ص٣١ ، المنتظم جـ٨ ، ص ٢٣٩ ، الكامل جـ١٠ ص ١١ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٤ ،

ابن طباطا : الفخرى ص ٦٨ ، ٦٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ٧٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣٩ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٣١ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ٣١ ، ومابعدها ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٥) الباخرزى : على بن الحسن الباخرزى : هو أبو الحسن على بن الحسن ابن أبى الطيب الباخرزى ، الشاعر المشهور ولد بناحية باخرز من نواحى نيسابور ، وله العديد من المؤلفات منها (دمية القصر) ت سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م قتيلا أنظر ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ ، ص ٣٨٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١١ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٤ ، على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة فى شعر عصرهم مقال نشر بمجلة المجمع العلمى العراقى. المجلد السابع (بغداد ، ١٩٦٠م) ص ١٩٧ ، وعندما دخل الكندرى بغداد مدحة أبو الجوائز الواسطى وقال أنه كان لطغرلبك ما كان الصحابة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ، الباخرزى : دمية القصر ، ص ١٢٠ ، على جواد الطاهر : نفسه ، ص ١٩٧ .

ويعتبر عميد الملك الكندرى أول وزير سلجوقى مشهور ، ففى فترة وزارته التى بلغت ثمانية أعوام وثمانية شهور وثمانية أيام [١] ، على حسب قول صاحب تجارب السلف[٢] ، وإن كان من الممكن أن نقول إنه أمضى منذ قربه طغرلبك إليه وجعله مشيرا له قرابة عشرين عاما[٣] .

ومما لاشك فيه ، أن التحاق الكندرى بخدمة طغرلبك لا يمكن أن يكون قد تم فى العام الذى دخل فيه طغرلبك نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م للمرة الأولى ، لأن عميد الملك كان وقتها فى الرابعة عشر أو الخامسة عشرة من عمره ولابد أنه التحق بخدمة طغرلبك بعدة سنوات[٤] ، وخلال فترة وزارته هذه بلغت الدولة السلجوقية أقصى ومنتهى اتساعها[٥] ، ودخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وكان الكندرى معه ، وتقابل مع وزير الخليفة ابن المسلمة نائبا عن السلطان طغرلبك[٦] ، شارك طغرلبك فى كل تحركاته ، حيث شاركه فى القضاء على فتنة البساسيرى وقتله[٧] ، وهو الذى خطب له ابنه الخليفة القائم بأمر الله العباسى ، وتوسط لدى الخليفة وللسلطان فى إنهاء مراسيم الزواج ، مما أثار حفيظة الخليفة العباسى عليه[٨] .

ومما يؤخذ على الكندرى أنه كان شديد التعصب على الشافعية وخاصة الأشاعرة ، حتى أنه أمر بلعنهم مع (الرافضة) الشيعة على منابر خراسان ، بعدما سمع سيده طغرلبك يذمهم[٩] ، لأن الكندرى كان حنفيا متشددا ولأن سيده طغرلبك قد اعتنق الإسلام على

---

(١) البندارى : آل سلجوق ص ٣١ . إقبال : الوزارة ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) هندو شاه : تجارب السلف ، ص ٢٦١ ، أى أنه تولى الوزارة لطغرلبك سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وأنها تلت وزارة نظام الملك الدهستانى ، إقبال : الوزارة ص ٦٨ .

(٣) معوض : أضواء ص ٩٠ ، وهذا يعنى أن طغرلبك قد قربه منذ سنة ٤٣٥هـ/وعمره عشرون عاما فقط .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٦٧ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ١٢ ، إقبال : الوزارة ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٦) البندارى : آل سجلوق ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٧) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ٩ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٤ .

(٨) لمزيد من التفاصيل راجع صـ ٣٨٢ من الرسالة .

(٩) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٥٦ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٨ .

المذهب الحنفى فتعصب له[١] . وروى أنه أمر بلعن جميع المذاهب يوم الجمعة على المنابر فشق ذلك على المسلمين[٢] ، مما اضطر علماء البلاد المرموقين أمثال القشيرى وأبى المعالى الجوينى[٣] إلى الهرب من البلاد ، والتوجه إلى الحجاز عاكفين فيها ، مجاورين لبيت الله الحرام حتى سمى الجوينى إمام الحرمين[٤] ، وإن كان الكندرى قد عدل عن التعصب لمذهبه فيما بعد ، ليؤلف بين الحنفية والشافعية ، والجمع بينهما كما ذكر البندارى[٥] .

وعندما مات طغرلبك ، كان الكندرى بعيدا عن الرى ، وكان طغرلبك قد بعث إليه قبل موته ، فحضر قبل أن يدفن وأخذ البيعه لسليمان بن داود ، لأن طغرلبك كان قد نص عليه[٦]، مما أثار عليه حفيظة ألب أرسلان ونظام الملك فقتلاه سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٠م[٧] .

وزراء ألب أرسلان وملكشاه :

١- نظام الملك الطوسى

أعظم وزراء السلاجقة على الإطلاق ، وواحد من أكبر الوزراء فى تاريخ المشرق الإسلامى ، جمع فى يديه كل مهام ممالك الدولة السلجوقية فى الفترة ما بين أواخر عمر جغرى بيك داود سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م[٨] وقبل شهر واحد من من وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٩] ، وهى فترة تتجاوز الثلاثين عاما[١٠] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٦ .

(٢) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٨ .

(٣) أنظر الفصل الثانى .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ص .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، البندارى : آل سلجوق ص ٢٧ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ص ١١ ، ١٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١١ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٥ ، الراوندى راحة الصدور ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ولمزيد من التفاصيل حول مقتل الكندرى راجع : التنافس وزارة بين الكندرى ونظام الملك فى الفصل الثانى .

(٨) البندارى : آل سلجوق ص ٣١ .

(٩) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٨١ .

(١٠) إقبال : الوزارة ص ٦٩ ، ٧٠ .

ويحسبنا أن نقول أنه كان الوزير القدير لألب أرسلان وملكشاه ٤٥٥-٤٨٥هـ/ ١٠٦٣-١٠٩٢م وإنه وسع آفاق دولة إيران توسعة لم ير لها فى إيران نظير فى هذه الألف والأربعمائة سنة من تاريخ الإسلام ، وإنه لم يكن فى شتى أنحاء كاشغر ، وبلا ساغون ، وما وراء النهر ، وخوارزم ، وخراسان ، وسجستان ، وكرمان ، وعراق العجم والعرب ، وأرمينية ، وآران ، والشام ، وبيت المقدس ، وأنطاكية من يتأخر فى تنفيذ أوامره وتطبيقها[١] ، حتى أن أعظم سلاطين السلاجقة ألب أرسلان وملكشاه كانا يطيعان أوامره ويقران تصرفاته حتى أنه أصبح الحاكم بأمره[٢] .

ولم يكن خلفاء بنى العباس دائما ، يميلون عن رغبته وإرادته ، حتى أن أباطرة بيزنطة ، وحكام غزنيين عاشوا فى ظل خدمته ، أما ملوك الأطراف وبعض ملوك العرب ، فكانوا يضعون كتبه ورسائله على رؤوسهم وأعينهم ويعدون ارتداء خلعته شرفا لهم[٣] ، ويرجع إليه الفضل فى إرساء دعائم الدولة السلجوقية وتثبيت أركانها ودوامها واستمرارها ، وكان أحرى وأجدى بمدح المعزى[٤] أمير الشعراء فى قوله :

أنت الوزير السعيد الذى بفضل كفاءتك

رفعت دولة السلاجقة رأسها إلى عليين .. واستقر

أنت المشير الممدوح الذى صار قلمك ..

قرين سيف الملك فى الفتوح والظفر

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات درإيران ص ٢ (طهران ١٣٣٦ ش) ص ٩٠٥ ، هند وشاه : تجارب السلف ص ٢٧٨ ، خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٤٥ .

(٢) يحيى الخشاب : نظام الملك والمدرسة النظامية ، ص ٥٥٧ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ، المقدمة ص ١٣ ، ١٤ .

(٤) المعزى : أمير الشعراء عبد الله محمد بن عبد الملك البرهانى ، من كبار الشعراء فى العصر السلجوقى ، كان أبوه عبد الملك شاعر بلاط ألب أرسلان ، توفى أوائل سلطنة ملكشاه فى قزوين وهو فى سفره ، ولم يظفر المعزى بالقرب من السلطان ملكشاه إلا بعد أن توسط له الأمير على فرامرز من أقرباء السلطان وأطلق عليه لقبه أمير الشعراء ، وبعد مدة صار فى خدمة سنجر من ملكشاه فأصبح من أشهر شعراء عصره . أنظر : ذبيح الله : تاريخ أدبيات جـ٢ ص ٨٣٤ ، رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسى ، ترجمة موسى هنداوى ، (دار الفكر العربى ١٩٤٧م) ص ٨٩ - ٩٤ .

والحديث حول حياة نظام الملك ، ونشأته وتعليمه وتدرجه فى الوظائف ، مدون ومفصل فى كثير من كتب التراث الإسلامى باللغات العربية والفارسية والتركية ، إلى جانب كثير من اللغات الأجنبية ولذلك ليس هدفنا تقصى أخبار حياته ، فقد أفسحت هذه المصادر لذلك مجالا واسعا ، وما سوف يقال عن حياته هو تكرار ، فلنتجاوز ذلك ، ونكتفى فقط ببعض نقاط أساسية تتصل به وبوزرائه .

ولد "الحسن بن على بن اكم نظام الملك " سنة ٤٠٨هـ/١٠١٨م[١] ، فى (نوقان) إحدى قرى الراذكان بطوس[٢] فى أسرة من الدهاقين ، وماتت أمه قبل فطامه ، وأصيب أبوه بعد ذلك بكثير من الأزمات المالية[٣] ولكنه على الرغم من ذلك استطاع أن ينال قسطا من التعليم ، فتعلم وقرأ القرآن الكريم فى طوس ، وفيها تعلم اللغة العربية ، وفقه الشافعية ، والحديث فى مدن خراسان الأخرى مثل مرو ، ونيسابور[٤] ، وفى ذكائه وطفولته وصباه ومهارته أحاديث كثيرة لاداعى لذكرها ، فقد أفاضت المصادر التاريخية وكتب الأدب الفارسية[٥] فى ذكر أفضاله ، بل لقد مدحه الشعراء منذ طفولته حتى وفاته[٦] .

---

(١) يرى أغلب كتاب السير أن اسمه (الحسن بن على) ، ويرى بعضهم الآخر أن اسمه (الحسين بن على) وممن يرون الرأى الأخير اليافعى المكى : صاحب مرآة الزمان وعبرة اليقظان (ط حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٧هـ) جـ٣ ص ١٣٥ ، واختلفوا أيضا فى نسبه ، ومكان ولادته وتاريخه ، فيرى البعض أنه ولد سنة ٤١٠هـ/١٠٢٠م مثل ابن خلدون : العبر جـ٥ ص ١٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ٢٦٤-٢٦٧ ، الذهبى : تاريخ الإسلام ، مخطوط رقم ٩٨ تاريخ ، جـ٢ ، ورقة ٩ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٢٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٥ ص ١٣٦ ، إقبال : الوزارة ، ص ٧٩ ، ٧٠ .

(٢) طوس : مدينة بخراسان ، تشتمل على بلدانيين يقال لإحداهما الطابران ، وللأخرى نوقان فتحت أيام عثمان ابن عفان (رضى الله عنه) وبها قبر هارون الرشيد ، وعلى بن موسى الرضا ، ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٩ .

(٤) نظام الملك : مقدمة سياسه نامه ص ١٥ .

(٥) انظر على سبيل المثال : البنداري : آل سلجوق ص ٥٧ - ٦١ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٧٨ ومابعدها ، ابن الجوزى : المنتظم جـ١٦ ص ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٦ - ٧١ ، خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٤٥-٢٥٩ ، هند وشاه : تجارب السلف ص ٢٦٦ ، وما بعدها ، دبيح الله : تاريخ أدبيات جـ٢ ص ٩٠٥ ، إقبال : الوزارة ص ٦٩ -٨٧ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٦) أنظر : إقبال : الوزارة ص ٦٩-٨٧ ، على الطاهر : وزراء السلاجقة فى شعر عصرهم ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

وقد تتلمذ نظام الملك على يد عالم عظيم واسع الشهرة هو (هبة الله الموفق النيسابورى) ، الذى قدم الكندرى لطغرلبك من قبل[١] ، ولما بلغ العشرين من عمره ، فرت أسرته إلى غزنة خوفا من السلاجقة وكان ذلك سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م ، وهناك ألحقه أبوه بوظيفة فى البلاد الغزنوى ، ولما سيطر السلاجقة وأقاموا دولتهم ، وضعف شأن الغزنويين ، ولحق بهم الموفق نفسه وانتظم فى خدمتهم ، عمل نظام الملك بعد انتقاله إلى (بلخ) كاتبا لواليها السلجوقى من قبل جغرى بيك داود - العميد على بن شادان[٢] - وكان ابن شادان كلما جمع النظام شيئا من المال أخذه منه ، فكره العمل معه ، وهرب إلى مرو[٣] ، واتصل بجغرى بيك داود حاكمها ، فأعجب به ووزره[٤] .

ولما أدركت جغرى بيك الوفاة أرسل نظام الملك برسالة إلى ابنه ألب أرسلان يقول فيها "عليك أن تعين هذا الشخص كاتبا ومستشارا لك ، ومسئولا عن تدبير أمورك"[٥] ، ونفذ ألب أرسلان الوصية فأصبح نظام الملك وزيرا له وهو أمير ، ومسئولا عن خراسان وأعمالها ، إلى أن آل العرش السلجوقى إلى ألب أرسلان سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[٦] ، فاتخذه وزيرا ، ووكل إليه تدبير الأمور فى مملكته الواسعة العريضة[٧] ، ولكنه بدأ وزارته ، وبدأ اسمه فى الظهور على صفحات التاريخ بفعلة شنعاء ، وهى قتل الكندرى وزير طغرلبك[٨] ولذلك يعيب

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٠ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٦ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، براون : تاريخ الأدب ص ٢١٨ ، وأبو على بن أحمد بن شادان هو أحد عظماء خاوران من أعمال خراسان ، وزر لبنى سامان ، وطال عمره ، فوزر للآباء والأبناء ، وكان يحكم من قبل جغرى بيك فى بلخ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٣٠٢ ، خواندمير : دستور للوزارة ، ص ٢٤٥ .

(٤) خواندمير : دستور الوزارة ص ٢٤٥ ، عبد الهادى محبوبه : الوزارة ونظام الملك الوزير السلجوقى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٣٠٢ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ ، يحيى الخشاب : نظام الملك والمدارس النظامية ص ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

(٧) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٨ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧ .

(٨) براون : نفسه ، ص ٢١٨ .

عليه كثير من المؤرخين أن يبدأ حياته الوزارية بمثل هذا التصرف المخالف للشريعة الإسلامية ، والذى أصبح سنة علمت سلاطين السلاجقة قتل وزرائهم ، وذاقها نظام الملك نفسه حيث قتل قتلة شنيعة دامية[١] . ولكن العصر السلجوقى كان يبيح كثيرا مما نحظره اليوم[٢] .

وتورز البندارى لألب أرسلان وملكشاه فعرف بتاج الحضرتين لأنه وزر لسلطانيين[٣] ، وقد بلغت الدولة السلجوقية فى عهده أقصى درجاتها ، فقد أدار المملكة والسلطنة السلجوقية فى ترتيب ونظام دقيقين يشهدان بما كان يتمتع به من دراية وحنكة وتدبير ، وقد عاونه فى إنجازاته عمال متمرسون وكتاب مهرة[٤] ، وسانده أبناؤه الأكفاء الاثنا عشر ، والذين ظفروا وأحفاده فيما بعد بمنصب الوزارة[٥] .

ويذكر البندارى [٦] أن جميع ما وصلت إليه الدولة السلجوقية من رخاء وتوسع وانتصارات ومجد كان بفضل نظام الملك وحسن تدبيره ، فكان نافذ الكلمة ، يقضى بأمره فى جميع الشئون ، ويلتف حوله الجند ، ويقود الجيوش[٧] ويخشى السلطان نفسه أن يعزله [٨] . وكان لنظام الملك وأولاده الفضل على سلاطين السلاجقة ، ويكفى القول إن إجلاس ألب أرسلان على العرش كان صنيعة نظام الملك"[٩] ، وكان استقرار الأمور لملك شاه ، والقضاء على منافسيه العديدين كله بفضل النظام وكفاءته[١٠] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٤٧٨ ، عقيلى : آثار الوزارة ، ص ٢٠٧ .

(٢) يحيى الخشاب : نظام الملك ، ص ٥٥٣ .

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥ - ٢٦٥ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧ - ٢١١ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٠ - ٧٢ ، إقبال : الوزارة ص ٣٩ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ ، البدارى : آل سلجوق ص ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٢ .

(٦) آل سلجوق ، ص ٥٧ - ٦١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٣٨١ .

(٨) حسانين : ايران ، ص ١٦٥ .

(٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ٩ ، ١٠ ، إقبال : الوزارة ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(١٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص ٢٨٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٣٥.

حقيقة أن السلطان ألب أرسلان كان معتدا بنفسه ، وكانت الفترة التى حكم فيها خراسان نيابة عن والده ثم بالإضافة بعد وفاته ، كافية لأن يتقن فنون الحكم ، إلا أنه كان يترك كثيرا من أمور الدولة إلى وزيره نظام الملك وقد وجه الوزير القدير سياسة السلطان الخارجية نحو الفتح والغزو ، وقاد معه بنفسه المعارك فى المشرق الإسلامى وحلب ومكة والمدينة ، وجورجيا ، وملاذكرد[١] ، فعهد إليه بتربية ولده ملكشاه ولقبه - الأتابك (الأمير الوالد المربى) وهو لقب خاص بالأمراء السلاجقة[٢] .

ومع ما كان لنظام الملك من النفوذ أيام ألب أرسلان ، فقد زاد نفوذه وهيبته ، وعلت منزلته فى عهد ملكشاه والذى فوضه تفويضا تاما فى إدارة دولته ، فأصبح لايجرى أمرا دونه، أو عن طريق أولاده الذين نصب كل واحد منهم على عمل أو ولاية[٣] .

كان نظام الملك مسموع الكلمة ، تفوق قوته وسلطته - فى بعض المواقف - قوة السلطان السلجوقى ، وسلطته كما كان يتمتع بشعبية عارمة بين العامة[٤] ، وكان يزن الأمور بمقياس العقل والتروى مما جعله موضع ثقة السلطان ملكشاه ومحل تقديره ، فيرى أنه لما آلت السلطنة إلى ملك شاه ، وثار عليه عمه قاورد بك ، حاكم كرمان[٥] ، وحاربه ملك شاه وأسره ، وأحضر بين يديه ، أخبره قاورد بأن أمراء أى أمراء ملكشاه هم الذين كاتبوه ، وحرضوه على

---

(١) لمزيد من التفصايل حول دور نظام الملك فى حروب السلطان ألب أرسلان ، راجع ص ٤٢ - ٤٥ من الرسالة وفى ذلك يقول الشاعر : رمى بنواحيها الفـرات فأقبلت مغيبـة الأعطاف تلـع المناكـب

وخاض بها جيحان يلطم موجـه ملاطمة الخصـم الألد المشاغـب

خميس أقاصى الشرق ترزم تحته وترتج منه أخريـات المغـارب

يلفهم بالرعب قبـل طرادهـم ويهزمهم بالكتب قبل الكتائـب

انظر : على جواد الطاهر : شعر وزراء السلاجقة ، ص ١٩٨ .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٤ ص ١٠٣ ، أحمد الشامى : صلاح الدين ، ص ٣٧ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ص ٢٨٤ ، ابو المحاسن : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٣٥ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٣٩ .

(٥) أفضل الدين : تاريخ كرمان ، ص ١٠-١٢ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٧ .

الثورة وقدم لملكشاه الرسائل التى وصلت إليه منهم ، فأخذها ملك شاه ، وناولها نظام الملك ، فأخذها وأحرقها فورا ، فأطمأن الأمراء الذين حرضوا قاورد بك على الثورة ، ودانو للسلطان بالطاعة[١] .

وكان نظام الملك يولى عناية كبيرة لكل جزئية من جزئيات الجيش السلجوقى ، ويهتم بكل شأن من شئون البلاد[٢] ، ويعطينا ابن الأثير[٣] مثالا آخر على بعد نظر نظام الملك وحسن تدبيره ، فيذكر أن السلطان ملكشاه استعرض جيشه سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ، وأسقط منه سبعة آلاف جندى ، لم يعجبه حالهم ، فاعترض نظام الملك على ذلك الإجراء ، وقال للسلطان "إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ، ولا خياط ، ولا من له صنعة غير الجندية ، فإذا أسقطوا لا نأمن من أن يقيموا منهم رجلا ، ويقولوا هذا هو السلطان ، فيكون لنا منهم شغل ، ويخرج عن أيدينا أضعاف ما لهم ، فلم يقبل السلطان ملكشاه قوله ، فسار أولئك الجند إلى تتش أخو السلطان ببوشنج[٤] فقوى بهم .

ولم يكن النظام بارعا فى السياسة ، وصاحب قلم بارع فحسب ، إنما كان فضلا عن ذلك كله ذا خبرة واطلاع على أكثر العلوم[٥] ، وكان سلطان السلاجقة من أقصاه إلى أقصاه تحت نفوذه وسيطرته ، وكان أمره نافذا فى كل مكان ، يسانده أبناءه وغلمانه الذين يعرفون بالنظامية والذين كانوا بمنزلة جنوده ، المخلصين الذين يفتدونه بأرواحهم إذا لزم الأمر[٦] .

وكان يتمتع بنفوذ واحترام كبير فى الأوساط الدينية ، بما كان يتحلى به من روح دينية مذهبية ، وباحترامه للزهاد والعلماء ، والشيوخ ، فيذكر ابن الجوزى[٧] أنه كان إذا دخل

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص ٢٨٤ ، أبو المحاسن : النجوم جـ٥ ص ١٣٥ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٣٩-١٤١ .

(٣) الكامل : جـ١٠ ص ١١٨-١١٩ .

(٤) بوشنج : بلدة حصينة بين هراة وخراسان ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص ٥٠٨ ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ص ٩٥ .

(٥) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥ - ٢٦٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٨٥ ، إقبال : الوزارة ، ص ٣٩ .

(٧) جـ١٦ ، ص ٣٠٣ .

عليه أبو القاسم القشيرى وأبو المعالى الجوينى يقوم لهما ويجلسهما فى مكانه ، إلى جانب عطفه على الفقراء والمعوزين حتى قيل إنه كان قد أخرج لهم ذات مرة ثمانين ألف دينار[١] .

وأحب نظام الملك الصوفية ، وكانوا محط أنظاره ، ومورد عنايته ، حتى قيل أنه لم يكن يعير اهتمامه لغير الأئمة والمتصوفة[٢] ، وكان ينفق عليهم ويؤمن لهم نفقاتهم سنويا ، ويهتم بإيجاد (خانقاهاتهم)[٣] ، ويعتقد فى شيوخهم ، حتى عُد مريدا لأبى سعيد بن أبى الخير[٤] ، ومن البديهى أن تزيد هذه العوامل من أهميته لدى المسلمين .

أما أشهر أعمال نظام الملك على الإطلاق ، فهو تأسيس المدارس النظامية[٥] ، صحيح أن تأسيس المدارس فى ديار الإسلام كان سابقا عليه ، وأنه لم يكن مبتكر له ، ولكنه وفى نظر الجميع كان أول من سن نظاما جديدا فى حق التربية والتعليم ، وهو تعيين رواتب ، وتخصيص مساكن لطلاب العلم ، وتأمين سكن ونفقات للمدرسين ، لقد كانت المدارس النظامية فى بغداد ونيسابور وغيرها من المدارس المجهزة ليل نهار[٦] .

لقد انشغل نظام الملك فى السنوات العشر التى وزر فيها لألب أرسلان ، والعشرين سنة التى عمل فيها مع ملكشاه بتنفيذ مبدئين :

أولهما : العمل على جعل المذهب السنى مذهبا عاما للمسلمين ، ومحاربة الشيعة عامة ، والباطنية خاصة[٧] حربا لاهوادة فيها ، وإقامة الوحدة الإسلامية على هذا الأساس .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٣٠٣ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٦ .

(٢) العروضى السمرقندى : جهار مقالة ص ٦٧ ، ٦٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص ٣٩١ .

(٣) الخانقاه : مكان يجتمع فيه الصوفية للذكر والعبادة ويعرف بالتكية فارسى الأصل ، عبد المنعم حسانين ، قاموس الفارسية ص ٢١٣ .

(٤) انظر ترجمته ص ٤٦٧ من الرسالة .

(٥) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٨ - ٦١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٧٩ ، إقبال الوزارة ص ٦٩ - ٧٩ ، يحيى الخشاب : نظام الملك ، ص ٥٥٧ .

(٦) نظام الملك : مقدمة سياسة نامه ص ١٧ ، يحيى الخشاب : نفسه ص ٥٥٨ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامة ص ٢٠٣ ، ومابعدها .

ثانيهما : إنشاء المدارس النظامية ، وجعل نظامية بغداد جامعة تضاهى أزهر الفاطميين ، وتقوم بنشر الدعوة للمذهب السنى ، وترد على الباطنية[١] .

أما ثانى أروع أعمال نظام الملك ، فهو ذاك الأثر-الأدبى الرائع كتاب (سياسة نامه) وهو أهم الكتب القيمة التى كتبت نثرا بالفارسية ، لأنه يشتمل على قدر كبير من الأخبار ، والروايات التاريخية ، ولأنه من ناحية أخرى يشتمل على الأراء السياسية التى كان يراها ، واحد من أنبغ الوزراء فى المشرق الإسلامى ، والذين بلغوا مبلغا من القوة والحكمة ، لانستطيع تقدير مداه إلا بالنظر إلى الفوضى المتصلة ، والحروب الداخلية المستمرة التى أعقبت وفاته[٢] ، وقد أهدى كتابه العظيم إلى السلطان ملكشاه ، والذى قال عنه (لقد اتخذت هذا الكتاب إماما لى وعليه سأسير"[٣] .

وكان نظام الملك دائم الحث للسلطان على محاربة الباطنية ، وقتالهم[٤] ، حيث كانت الفكرة السائدة فى العصر السلجوقى أن السلطان التركى يحمى الإسلام ، يذكر الراوندى[٥] أن أبا حنيفة (رضى الله عنه) فى آخر حجة له دعا إليه أن ينصر مذهبه إن كان حقا ، فأجابه هاتف من الكعبة بأن مذهبه حق وأنه باق ما بقى السيف فى يد الترك ، وسواء صحت هذه الراوية أم لم تصح فقد اعتقد فيها السلاجقة جميعا فأصبحوا أشد المدافعين عن المذهب السنى وخاصة الحنفى .

وعلى الرغم من الدسائس التى حيكت لمناهضة ومقاومة نظام الملك من قبل عمال الديوان ، فإنه ظل شامخا كالجبل ، راسخ القدم فى منصبه ، حتى بعد أن تقدمت به السن ، واعتلت

---

(١) يحيى الخشاب : نظام الملك ، ص ٥٥٧ ، عبد الكريم عرابيه ، العرب والأتراك ، (ط. دمشق ١٩٦١م) ص ٩٨ .

(٢) أنظر ، ترجمة الكتاب ، ط. ١٩٧٩ ، ط. الدوحة قطر تحقيق يوسف حسين بكار ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢٥٩ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ص ٢٠٣ - ٢٠٨ .

(٥) راحة الصدور : ص ٥٦ .

صحته ، وسئم ملكشاه طول بقائه فى الوزارة ، وساءته سيطرته وأولاده على الممالك ، وساءه تحكم أبنائه وأصهاره ، وخدمه فى أطراف البلاد وأكنافها[١] .

وساءت العلاقات بين السلطان ووزيره البارع القدير بفعل الدسائس والفتن التى لايخلو منها عصر ، وتبودلت الرسائل بينهما[٢] ، والتى توضح مدى نفوذ الوزير العظيم، ومقدار تحكمه وتهديده للسلطان ، وتعددت أسباب العداء بين السلطان ونظام الملك ودخل الواشون والمفسدون بينهما[٣] ، وشاء القدر أن يقتل النظام على يد ألد أعدائه وأبغضهم إلى قلبه وهم الباطنية[٤] ، واتهم ملكشاه بقتله[٥] ، وقد رثاه الشعراء ومدحوه ، فقال فيه الحكيم الأنورى[٦] :

لقد رحل حامى العالم من ظلم الأفلاك .

ورحل وحيد عصره وفريد زمانه .

---

(١) خواندمير : دستور الوزارة ص ٢٥٦ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ .

(٢) انظر نص الرسائل من الكتاب .

(٣) خواندمير : دستور الوزارة ، ص ٢٠٦ ، الروانذى : راحة الصدور ، ص ٢٠٨ .

(٤) الحسينى : أخبار ص ٦٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٧٦ ، إقبال : تاريخ إيران ص ٢٥٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٧٦ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٦) الحكيم الأنورى : هو الأنورى الخاورانى شاعر السلطان سنجر السلجوقى ، ولد فى قرية (مهنة) من قرى (أبيورد) فى صحراء (خاوران) ، وتاريخ ميلاده غير معروف حتى الآن بالتحديد ، كذلك تاريخ وفاته غير معروف بشكل قاطع ، والأرجح أن وفاته قد حدثت فى عام ٥٨١هـ/١١٨٥م ، أو بين سنتى ٥٨٥-٥٨٧هـ/١١٨٩-١١٩١م) ، وقد التحق ببلاط السلطان سنجر السلجوقى وأصبح من كبار شعرائه ، ويعتبر الإيرانيون الأنورى واحدا من ثلاثة شعراء كبار يعتبرون أكبرهم وعلى رأسهم الفردوسى ثم الأنورى واحدا من ثلاثة شعراء كبار ، والسعدى . وكان له إلمام بعلوم الفلك والهندسة ، والمنطق ، والموسيقى والإلهيات والأحكام ، بل أنه برز فى كل علم نظرى أو عملى يعرفه واحد من معاصريه ، وهو أعظم شعراء القصيدة فى إيران . لمزيد من التفاصيل راجع : رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسى ، ص ٨٩-٩٢ ، براون : تاريخ الأدب ص ٤٦٢ - ٤٩٤ ، إدريس : سلطان السلاجقة الأعظم (السلطان سنجر) ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

ورحـــل منظـم ومدبـــر العالـــم .

ورحل برحيله السرور والصفاء على العالم .

وقد مدحه الطغرائى [١] ، والباخرزى ، وابن الهبارية[٢] ، وشبل الدولة[٣] ،وغيرهم ولانكاد نعرف من مراثيه غير قول (ختنه) شبل الدولة مقاتل :

كان الوزير نظام الملك لؤلـؤه نفيسة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف[٤]

---

(١) الطغرائى : أبو اسماعيل الحسين بن على بن محمد بن عبد الصمد ، يعرف بألقاب عده هى العميد ، الأستاذ ، المنشئ ، الأصفهانى ، مؤيد الدين ، ولكن الطغرائى هو الاسم الغالب عليه ، ولد سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م ، فى جى من أعمال أصفهان ، فى عائلة شريفة مجيدة ، وهو أحد شعراء العصر السلجوقى المجيدين ، وله ديوان عرف باسمه ، عنه انظر : على أكبرد هخدا ، لفت نامه (تهران ، ١٣٣٥ ، شمس) جـ٣٣ ص ٢٥٧ ، على جواد الطاهر : الطغرائى حياته - شعره - لاميته ، (بغداد سنة ١٩٦٣) ص ٨-١٨ ، ٢٨ -٦٩ .

والطغرائى نسبة إلى صاحب الطغراء وهى الطرة التى تكتب فى أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك الذى صدر الكتاب عنه ، وقيل إنها لفظة أعجمية محرفة من الطرة ، وقيل إنها علامة تكتب على التوقيعات ، وهى تركية الأصل ، أنظر : ابن خلكان ، وفيات ، جـ١ ، ص ٢٨٤ ، ياقوت: معجم البلدان ، جـ١ ص ٥٧ ، دائرة المعارف الإيرانية مادة طغرا .

(٢) ابن الهبارية : هو محمد بن محمد بن صالح بن حمزة ، الشريف أبو يعلى نظام الدين المعروف بابن الهبارية الشاعر المشهور ، والهبارية أم أحد آبائه من ولد هبار بن الأسود بن عبد المطلب ، كان شاعرا بارعا بليغا ، من شعراء نظام الملك ، وكان ملازما له ، ولكنه هجا نظام الملك بأمر من عدوه اللدود تاج الملك أبى الغنائم حينما أغراه على ذلك ، فشفع فيه أحد خواص نظام الملك ورحل إلى كرمان بعد ما عفا عنه نظام الملك بعد أن سبه وشتمه فى شعره ثم عاد ومدحه ، وله عدة كتب منها (نتاج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة) وديوانه كبير يدخل فى أربع مجلدات ، للمزيد ، أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ ، ص ٤٥٣-٤٥٧ ، اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ص ١٩٨ .

(٣) شبل الدولة : هو أبو الهيجاء مقاتل بن عطيه بن مقاتل البكرى ختن نظام الملك ، لأن نظام الملك كان قد زوجة ابنته ، أنظر ابن خلكان جـ٢ ص ١٣٠ ، الحسينى أخبار الدولة السلجوقية ص ٧١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص ٢٥٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٤٧٩ ، على جواد الطاهر ، وزارة السلاجقة ، ص ٢٠٠ .

ومن الناس من فرح لموت الوزير ، فرد عليهم سديد الملك المفضل بن عبد الرازق (العارض فى أيام ملكشاه)[١] .

قتل الوزير فكلهم جذلان ... لاتشمتوا فوراءه الحدثان

الملك بعد أبى على لعبة ... يلهو بها النسوان والصبيان[٢]

وقد نقل جثمانه إلى أصفهان ، ودفن فى مكان يليق به[٣] .

٢- تاج الملك أبو الغنائم الشيرازى :

هو الرئيس ابن الغنائم جمال الدين تاج الملك مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازى[٤] ، ولد فى فارس سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م من أب كان يشغل منصب الوزارة ، وعن والده تعلم تاج الملك آداب الكتابة ، وصناعة الوزارة وفنونها[٥].

وفى بداية حكم السرهنك[٦] "قطب الدين عماد الدولة ساوتكين ، لكرمان وفارس والعراق سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م ، وهو العام الأول من بداية حكم السلطان ملكشاه ، التحق أبو الغنائم مرزبان بخدمة الأمير السلجوقى وحظى باهتمامه ورعايته ، وظل يزاول عمله إلى أن قدمه ساوتكين إلى السلطان ملكشاه على أنه كفء لأعمال الديوان ، فقبله فى جهازه الإدارى ، ووكل إليه بعض أولاده[٧] ، والذين أصبح بعضهم سلطانا فيما بعد[٨] .

---

(١) إقبال : الوزارة ص ١٠٥ .

(٢) الباخزرى : الخريدة ، جـ١ ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٨ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٤ ، إقبال : الوزارة ، ص ١٤٤ .

(٥) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٦ ، إقبال : الوزارة ، ص ١٤٤ .

(٦) السرهنك : تعنى القائد ، ورتبة فى الجيش بدرجة مقدم ، حسن أنورى : إصلاحات ديوانى ص ١٣٣.

(٧) هو الأمير أبو شجاع أحمد الملقب بملك الملوك عضد الدولة تاج الملة عدة أمير المؤمنين ، ابن ملكشاه الذى كان قد اختاره وليا لعهده سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ، لكنه مات ٤٨١/١٠٨٨م ، وهو فى الحادية عشرة من عمره ويغلب على الظن أن تاج الملك كان وزيره ، ويؤيد ذلك أن لقب تاج الملك مأخوذ من تاج الملة ، وهو أحد ألقاب أبى شجاع أحمد . ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٥٦ ، إقبال : الوزارة ص ١٥١ هامش(٢) .

(٨) إقبال : الوزارة ص ١٤٤ .

ووثق ملك شاه فى تاج الملك فأودع بين يديه خزائنه الخاصة ، وبيوته السلطانية فأصبح مشرفا على شئون الملابس السلطانية[١] ، كما كلفه بالاتصالات ، والمهام العسكرية ، وجعل له ديوان الإنشاء والطغراء[٢].

وكان تاج الملك رجلاً فصيحًا ماهراً سخيا شهما[٣] ، لكن حبه للجاه ، ورغبته فى نيل منصب الوزارة جعلاه متلونا ، متقلبا ، فهو يوقر الخواجه نظام الملك ، ويعظمه غاية التعظيم ، بينما يشوه صورته لدى السلطان ملكشاه ، الذى ساءت العلاقات بينه وبين وزيره المسن فى أواخر أيامهما[٤] .

وقد تآمر تاج الملك مع بعض خواص السلطان ، وعلى رأسهم مخدومته "تركان خاتون" زوجة ملكشاه العدوة التقليدية لنظام الملك[٥] ، واشترك معهما فى المؤامرة ضد "النظام" مجد الدولة القمى المستوفى بديل شرف الملك أبى سعد[٦] ، وسديد الملك أبو المعالى العارض ، بديل كمال الدين أبى الرضا العارض[٧] ، وكانا من أشد أعداء نظام الملك .

وقد اجتهدت هذه الجماعة وعلى رأسها - تاج الملك - فى إبعاد الخواجة نظام الملك عن الوزارة وأفلحت فى ذلك ، وأمسك تاج الملك ، ومجد الملك ، وسديد الملك ، بزمام أمور الديوان كما سبق ، واستولوا على أموال الدولة ، وأعمال المملكة ، وباتوا يصرفون شئونها كيفما شاءوا[٨] ، وهم الذين أبلغوا السلطان رسالة وزيره المسن الخشنة القاسية[٩] ووأغروا صدره عليه .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٧ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٦٤ ، الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٧ .

(٤) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٦ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٩ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ص ٢١٠ .

(٧) الراوندى: نفسه ، ص ٢١٠ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٥ .

(٩) أنظر نص الرسالة فى الفصل الثانى .

وقد تآمر تاج الملك أبو الغنائم على قتل الوزير الحسن ، ويقال إنه هو الذى حرض أبا طاهر الأوابى [١] أحد فدائى الإسماعيلية على قتل نظام الملك[٢] ، ويبدو أن ملكشاه كانت له يد فى هذه المؤامرة رغبة فى التخلص من سيطرة وزيره ، وسطوة أبنائه الاثنى عشر وأتباعه ، خاصة بعد أن أوغرت تركان خاتون صدره على النظام بقولها "إن لنظام الملك اثنى عشر ولداً فهم بمنزلة الأئمة الاثنى عشر وهذا جعله محبوبا فى نظر الناس ، وقد قسم حكومات الولايات عليهم"[٣] .

وكان مقتل نظام الملك قد عجل بتولى تاج الملك الوزارة لملكشاه ، والتى كان قد رشح لها حتى أن الجميع كانوا يقولون إنه الوزير بدلا من الخواجة نظام الملك[٤] ، ولكن لم يهنأ تاج الملك بوزارته لملكشاه ، ففى اليوم الذى اختاره المنجمون لملكشاه للجلوس وتفويض تاج الملك بالوزارة وهو يوم الجمعة منتصف شوال سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، خرج ملكشاه يوم الأربعاء للصيد ، فأصيب بالحمى[٥] ، وفى يوم الجمعة الذى وقع عليه الاختيار لتنصيب أبو الغنائم وزيرا .. مات ملكشاه[٦] .

ومن نفس الكأس الذى أذاقه نظام الملك للكندرى وزير طغرلبك ، والتى أذاقها أياه تاج الملك ، تجرع تاج الملك الكأس ، فبعد وفاة ملكشاه مباشرة . نادى تاج الملك - الذى كان يشغل أيضا منصب الوزارة لتركان خاتون ، نادى بابن مخدومته (واسمه محمود) سلطانا على السلاجقة ، وأطلق عليه لقب ناصر الدنيا والدين ، وكان عمره يتجاوز الرابعة ببضعة أشهر[٧] .

---

(١) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٧٨ .

(٣) خواندمير : دستور الوزارة ، ص ٢٥٦ ، الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٦ .

(٤) هندوشاه : تجارب السلف ، ص ٢٨١ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٥ ، الحسينى : أخبار ص ٧١ ، وانظر تفاصيل موت ملكشاه ، ص ٥٣ هامش ١ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، دهخدا : لغت نامه جـ١٤ ص ٩١ ، ٩٢ .

(٧) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٤٨٤ .

وأخفى تاج الملك وتركان خاتون موت السلطان ، وأرسلا شخصا إلى أصفهان العاصمة السلجوقية ، للقبض على ولى العهد بركياروق الابن الأكبر لملكشاه ، وقاما بحبسه[١] ، وثار النظامية (جند نظام الملك وأتباعه) والذين كانوا قد حنقوا عليه لتيقنهم بأنه قاتل سيدهم[٢] ، وانضموا إلى بركياروق وخلصوه من سجنه ، ونقلوه من أصفهان إلى الرى ، وجهزوا أنفسهم لمقابلة تركان خاتون وتاج الملك ، والتقوا فى بروجرد[٣] فى أواخر ذى الحجة سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٤] .

وانتصر بركياروق ، وفرض حصارا حول بروجرد ، فتقدم إليه تاج الملك مظهرا تلونه ، وخضوعه وطاعته له ، وكان قد فر من موقعة بروجرد ، وألقى القبض عليه بعد فراره بمدة قصيرة[٥] ، وأراد بركياروق - بادئ الأمر - أن يقلده الوزارة ، وكان تاج الملك مستعدا لدفع مائتى ألف دينار بصفة تعويض لبركياروق والنظامية [٦] ، لكن النظامية الذين كانوا يكنون له حقدا شديدا ، ويرغبون فى أن تظل الوزارة محصورة فى أسرة الخواجة ، ثاروا عليه وأخبروا بركياروق بأنهم لايقنعون إلا برأس تاج الملك[٧] .

وانتهى الأمر بهجومهم عليه فى الثانى عشر من محرم ٤٨٦هـ/١٠٩٣م ، ومزقوا جسده إربا ، ووزعوا أجزاء منه على ولايات السلاجقة التى يحكمها أبناء نظام الملك ، حتى حمل إلى بغداد أحد أصابعه[٨] .

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٨١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٢) إقبال : الوزارة ص ١٤٧ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢١١ .

(٣) بروجرد : بالفتح ثم الضم ثم السكون ، وكسر الجيم ، بلدة بين همذان وبين الكرج ، وهى مدينة حصينة كثيرة الخيرات تحمل فواكهها إلى الكرج ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص ٤٠٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٨٥ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٨٥ .

(٦) ابن الأثير : نفسه ، جـ٨ ص ٤٨٥ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٧ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢١١ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٤٨٥ ، دهخدا : لغت نامه ، جـ١٤ ، ص ٩١ ، ٩٢ .

وكان تاج الملك - كسائر أعيان بلاط ملكشاه - ممدوح كبار شعراء عصره ، وقد امتدحه المعزى بقوله :

فى كل ساعة يزداد لدى السلطان جاهك .

فلا عجب أن يزداد قدرك فى المملكة والدولة وعن أبنائها لا يغيب.

فأنت المتصرف فى بيت الملك المحروس .

وأنت الوزير الشهير لابنه العزيز الحبيب .

لقد صار رأيك فى الشرق والغرب بطل ملكه .

وصار حكمك فى البحر والبر - ترجمان سيفه المظفر(١) .

بينما أطلق بعض الباحثين ألسنتهم فى هجائه ونسبوا إليه افتعال التدين والتصوف والزهد واتباع الرياء ، مستندين إلى أنه بعد أن أثر عنه أنه كان يصوم يميل إلى التدين والتصوف ، ويجمع الكثير من الفقراء عند الإفطار ، هجر كل ذلك بعد أن احتل منصب الوزارة ، وفى هذا الصدد يقول ابن الهبارية :

قد كان صور الدهر يجمعنا	فالآن فرق بيننا الدهر
وتمكنت منهم مكيدته	فمضى النفاق وأمكن الجهر(٢)

وقال عنه الطغرائى فى ديوانه ص ١٥١ :

يقولون تاج الملك بعد خمولة	تعزز واستولى على الأمر والنهى
فقلت لهم لاتحسدوه وأبصروا	عواقب ما تأتى به نوائب الدهر(٣)

وتحققت نبوءة الطغرائى ، فقد قتل تاج الملك بعد قليل من وزارته وهو فى السابعة والأربعين من عمره(٤) ، ومن أهم أعماله بناؤه تربة الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وبناء المدرسة التى إلى جانبها ورتب لها شيوخها ومدرسيها(٥) ، أسوة بنظام الملك .

---

(١) إقبال : الوزارة ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة ، ص ٢٠١ .

(٢) هند وشاه : تجارب السلطان ، ص ٢٨١ ، على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة ، ص ٢٠١ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٥٠ ، على جواد الطاهر ، نفسه ، ص ٢٠٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٤٨٥ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٤٨٥ .

التنافس على الوزارة السلجوقية :

أولا : النزاع بين عميد الملك الكندرى ونظام الملك الطوسى ومصرع الكندرى : عندما علم ألب أرسلان بجلوس أخيه الطفل سليمان سلطانا على السلاجقة فى الرى عقب وفاة طغرلبك ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، على يد عميد الملك الكندرى(١) ، تحرك يشاركه وزيره الخواجه نظام الملك الطوسى بجيش جرار نحو الرى ، للقضاء على الكندرى ، والطفل سليمان .

وبالفعل تم لألب أرسلان ، ووزيره نظام الملك ما أرادا ، ونصب ألب أرسلان سلطانا ، وأصبح أخوه سليمان وليا لعهده(٢) ، والأدهش أن الكندرى قد رضى بذلك ، وبدأ يتقرب إلى السلطان الجديد بالهدايا وحاول كسب رضاه بالقول والعمل ، أملا فى الاحتفاظ بالوزارة(٣) .

ولكن نظام الملك استطاع بدهائه أن يغير مشاعر السلطان ألب أرسلان تجاه الكندرى ، ودفعه إلى الشك فى نواياه ، وإلقاء القبض عليه واعتقاله فى مرو الروز(٤) ، خاصة بعدما رأى نظام الملك بنفسه حب جنود السلطان طغرلبك ، لعميد الملك الكندرى ، والتفافهم حوله ، فحينما ذهب نظام الملك فى زيارة إيناس واعتذر إلى نظام الملك ، وقدم بين يديه منديلا به خمسمائة دينار ، اعتذر نظام الملك ، وانصرف الكندرى من عنده ، فسار أكثر العسكر فى خدمته ، فخوف النظام - السلطان ألب أرسلان - من غائلة ذلك وعاقبته(٥).

وهنا أصدر ألب أرسلان أمره بالقبض على الوزير القدير عميد الملك الكندرى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، واعتقاله حيث بقى فى الأسر سنة كاملة ، وكان محبوسا فى دار عميد خراسان ، ثم نقل إلى مرو الروز ، وحبس فى دار فيها فى حجرة ضيقة(٦).

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣١ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ .

(٣) حسانين : إيران ، ص ٥٦ .

(٤) مرو الروز : المرو ، الحجارة البيض تقتدح بها النار ، والروذ بالفارسية النهر ، فكأنه مرو النهر ، وهى مدينة قريبة من مرو الشاهجان وهى نهر عظيم بفارس ، مات بها المهلب بى أبى صفرة ، أنظر : ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٠ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٥ ، ويقول الراوندى ص ١٧٧ ، أنه سجن فى مدينة بنيسابور .

وقد قال وهو فى محبسه :

الموت مـر ولكنـى إذا ظمئـت نفسى إلى العـز مستحل لمشربه

وزارة باض فى رأس وساوسها تدور فيـه وأخشـى أن تـدور به

وقال أيضا :

إن كان بالناس ضيق من منافستتى فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت المقبـور يتبعنـى كل لكأس المنايا شارب حاسى[١]

ولكن نظام الملك لم يقنع بإيداع الكندرى السجن ، بل ظل يحرض السلطان ، ويخوفه من بقائه على قيد الحياة حتى أمر السلطان بقتله سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م ، حين سير إليه السلطان غلامين فدخلا عليه ، وأخبراه بأن قتله أمر محتوم[٢] .

وعندما علم الكندرى بخبر موته ، أذعن لقضاء الله ، فدخل الحجرة ، وأخرج كفنه ، وودع ابنته الوحيدة وأغلق باب الحجرة ، واغتسل وصلى ركعتين ، وأعطى الذى هم بقتله مائة دينار ، وقال له : حقى عليك أن تكفنى فى هذا الثوب الذى غسلته من ماء زمزم ، وذلك يوم الأحد السادس عشر من ذى الحجة سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م[٣] .

ودخل عليه الغلامان ، وضرباه بالسيف ، وأخذا رأسه وحملاه إلى السلطان بكرمان ، وأما جثته فقد لفت فى خرقة ودفن فى قبر أبيه بكندر ، عن عمر يناهز الأربعين عاما[٤] ، ومن المشهور والعجيب عنه ، أنهم خصوه فى صباه فى خوارزم حيث دفنوا ذكره بها ، ثم قتلوه فى مرو الروز ، فأخذوا جسده إلى موطنه كندر فدفنوه بها ، وأخذوا رأسه ماعدا قحف جمجمته إلى نيسابور فدفنت بها ، ونقل قحف جمجمته إلى كرمان حيث يوجد نظام الملك والسلطان[٥].

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٩ ، ٣٠ ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١١ ، الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٥ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ص ٣١ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٠ ، ١١ ، براون : تاريخ الأدب ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

وقبل تنفيذ حكم الإعدام فى الكندرى والذى طلبه بحد السيف ، وليس بالشنق[١] ، نبه إلى خطورة هذه السنة السيئة ، فالتمس من قاتله أن يحمل رسالتين ، واحدة للسلطان ، وأخرى للوزير ، أما رسالته إلى السلطان ففيها يقول : "قل للسلطان لقد خدمتنى خدمة جليلة، وأن هذه أجل خدمة أديتها لى ، فقد أعطانى عمك ملك العالم الدنيوى لأتصرف فيه ، فلما أمرت بقتلى أعطيتنى ملك العالم الآخر جزاء لاستشهادى وبذلك تم على يديكما امتلاك ملك الدارين الفانية والباقية ، فقد منحنى عمك الدنيا لأحكمها ، ومنحتنى أنت الشهادة ، وظفرت بأجر الشهداء[٢] .

أما رسالته إلى الوزير نظام الملك "وقل لنظام الملك إنك قد سننت سنة سيئة بقتل الوزراء بئسما عودت الأتراك - يقصد السلاجقة - قتل الوزراء ، وأصحاب الديوان ، ومن حفر قليبا وقع فيه ، ومن سن سنة سيئة فله وزرها ، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأنى أدعو الله أن يصيبك ويصيب ذريتك ما أصابنى[٣] .

ولقد استجاب الله تعالى دعوة الكندرى ، فقد قتل نظام الملك ، ومات أغلب أولاده بهذه الميتة السيئة التى استنها ، والتى من المحزن حقا أن رجلا كبيرا ووزيرا عظيما "كنظام الملك" ،

---

(١) براون : تاريخ الأدب ، ص ٢٣٨ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٧ .

(٣) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٥ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٧ ، وقد صدقت نبوءة عميد الملك الكندرى واستجاب الله لدعوته ، فقد وردت الأخبار إلى بغداد بوفاة جمال الملك ابن الوزير نظام الملك ، وكان يتولى بلخ وأعمالها ، وقد قيل فى سبب موته أن جعفرك أحد مضحكى السلطان ملكشاه كان يسخر من الوزير نظام الملك فى خلواته مع السلطان ، ولما بلغ جمال الملك ابنه ، طوى المراحل إلى والده وإلى السلطان وهما بأصبهان ، فاستقبله أخواه فخر الملك ومؤيد الملك ، فأغلظ لهما القول لإغماضهما عما بلغهما من سخرية جعفرك بأبيهم ، ولما مثل جمال الملك بين يدى السلطان رأى هذا المضحك يساره ، فانتهره ، فلما خرج جعفرك أمر جمال الملك بإخراج لسانه من فمه ، وقطعه فمات ، ثم سار مع السلطان ومع أبيه إلى خراسان ، وأقاموا بنيسابور مدة ثم أرادوا العودة إلى أصفهان ، وتقدمهم الوزير ، وقد أوعز السلطان إلى أحد خدم جمال الملك بقتله ، فدس له السم فى إناء ، فمات ثم لحق بوزيره وعزاه فى ابنه ، ابن الأثير الكامل جـ ١٠ ص٤٥ .

لايبدأ اسمه فى الظهور على صفحات التاريخ ، إلا متصلا بهذه الفعلة الشنعاء التى أصابت الكندرى[١] .

وقد رثاه الشيخ على بن الحسن الباخرزى مخاطبا السلطان ألب أرسلان قائلا :

وعمك أدناه وأعلى محله ... وبوأه من ملكه كنفا رحبا

قضى على مولى منكما حق عبده ... فخوله الدنيا وخولته العقبى[٢]

ومدحه صردر[٣] بقوله :

عمت فواضله البرية فالتقى ... شكر الغنى ودعوة المسكين

ساس الأمور فليس تخلى رغبة ... من رهبة وبسالة من لين[٤]

ولم يستطع شعر العصر السلجوقى أن يفى بعض مكانة الكندرى ، وأن يحفظ لنا ما كان له من خطر وشأن ، وما كان عليه من عصامية [٥] ، فبالرغم من صلة الباخرزى الوثيقة بعميد الملك الكندرى ، والذى أثنى على معارفة وعلمه باللغات بما فيها التركية والفارسية ، والفقه والفلسفة وكان من المنتظر أن يرثيه ويبكى نهايته المؤلمة التى أذاقها أياها "النظام" وألب أرسلان ، ولكنه لم يحقق هذا الظن ، فقد كانت قصيدته هزيلة ، وأبياتها سخيفة تنبئ عن الذوق الذى استقبل به خبر مقتله[٦] .

---

(١) براون : تاريخ الأدب ص ٢١٨ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة ص ٢٥ ، ٢٦ ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٦٥ ، على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة ، ص ١٩٧ .

(٣) صردر : هو على بن الحسن بن على بن الفضل الرئيسى أبو منصور الكاتب المعروف بصردر ، الشاعر المشهور كان أحد نجباء الشعراء فى عصره ، توفى ٤٦٥هـ/١٠٧٢م ، ولقب بصردر لأن أباه كان يلقب بصربعر لشحه وبخله ، فلما نبغ ولده المذكور وأجاد الشعر ، قال له نظام الملك : أنت ابن صردر لا ابن صربعر، عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ص ٣٨٥ ، الذهبى : العبر ، جـ٣ ، ص ٢٥٩ ، ابن العماد الحنبلى : شذارات ، جـ٣ ، ص ٣٢٢ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٨١ ، ابن الأثير الكامل ، جـ١٠ ، ص ٨٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ص ٩٤ .

(٤) على جواد الطاهر : وزراء السلاجقة ص ١٩٧ .

(٥) على جواد الطاهر : نفسه ، ص ١٩٧ .

(٦) على جواد الطاهر : نفسه ، ص ١٩٧ .

ولكن ماهى الأسباب التى أدت إلى قتل الكندرى ؟ وما هى الدوافع التى دفعت نظام الملك وألب أرسلان على قتله ؟

أول هذه الأسباب كما قلنا أن الكندرى كان يناصر الطفل سليمان بن جغرى بيك ، وولى عهده طغرلبك ، وعلى الرغم من أن الكندرى قد أعلن ولاءه لألب أرسلان ، وأعلن الخطبة باسمه فى الرى إلا أن النفوس لم تهدأ ، فقد ظل الحقد وسوء الظن بالكندرى ، من قبل السلطان ووزيره قائما ، مما أدى إلى الدس له وعليه فأمر ألب أرسلان بقتله .

وهناك سبب آخر فى قتله ، وهو أن نظام الملك أراد ألا ينازعه أحد فى الوزارة ، فحرص على اعتقاله وقتله .

أما السبب الرئيسى فى مقتل الكندرى ، فهو موقف الكندرى من "الأشعرية" والذين أمر بلعنهم على منابر خراسان ، ومنهم الإمام أبو القاسم القشيرى و الإمام أبو المعالى الجوينى وغيرهما ، وكثر لعنهم على منابر المساجد والجوامع ، ففارقا خراسان ، وأقام الإمام الجوينى بمكة أربع سنوات يدرس هناك حتى لقب بإمام الحرمين ، ولم يعد إلا بعد مقتل الكندرى سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م[١] وكان هذا سببا رئيسيا فى التحريض على قتل الكندرى من نظام الملك ، والدليل على ذلك أنه بمجرد قتل الكندرى وبناء النظامية ، أمر الخطباء بالتوقف عن سب الأشعرية ، والاستمرار فى لعن الرافضة (الشيعة) فأرضى بذلك جماعة كبار الفقهاء الذين أكرمهم وأحسن إليهم[٢] .

وهناك سبب آخر قد يكون له مغزى فى قتل الكندرى ، فربما اتصل الخليفة القائم بأمر الله العباسى بنظام الملك أو بالسلطان ألب أرسلان ، وحرضهما على الكندرى ، وذلك بسبب موقف الكندرى وتأييده زواج سيده طغرلبك من ابنة الخليفة ، وإصراره على إتمام الزواج[٣] .

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية جـ٣ ، ص ٤٣٢ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ١٢٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢٥ .

(٢) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٤٧ ، براون : تاريخ الأدب ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٦ ، اليزدى : العراضة ، ص ٤٤ ، فتحى أبو سيف ، ص ٧٥ - ٨٢ .

وكان مقتل الكندرى على هذه الصورة البشعة ، قد وضع حدا للتنافس بين الوزراء فى بداية العصر السلجوقى ولكنه أصبح سنة طوال هذا العصر بين الوزراء .

ثانيا : النزاع بين نظام الملك الطوسى ، وتاج الملك أبى الغنائم الشيرازى :

كما سبق أن ذكرنا فقد ساءت العلاقات بين ملك شاه ، وبين وزيره القدير المسن نظام الملك فى أواخر حياتهما لأسباب عديدة ، أهمها وشاية تاج الملك أبى الغنائم وجماعته ضد النظام عند ملكشاه[١] ، وقد انتهت هذه الوشاية بتكليف تاج الملك بالوزارة ، وإبعاد نظام الملك عنها، ولكن القدر لم يمهله لتوليها لموت السلطان كما أسلفنا[٢] .

وفى أثناء الصراع بين نظام الملك ، وتاج الملك ، لقى نظام الملك الطوسى مصرعه مقتولا على يد أحد الإسماعيلية ، فحينما زاد حنق ملكشاه على وزيره ترك أصفهان إلى بغداد ، فلحقه نظام الملك ولما وصل إلى أحد مزارع القصب ، اعترضه أبو طاهر الأوابى ، وكان من بين فدائى الإسماعيلية ، وبتحريض من تاج الملك أبى الغنائم ، وكان مُتَوَشِّحًا زى المتصوفه ، وقدم للنظام ورقة ، ظنها مظلمة ، فانشغل بقراءتها ، وطعنه أبو طاهر طعنة قاتلة بخنجر أودت بحياته[٣] ، وهكذا ذاق نظام الملك نفس الكأس التى أذاقها لسلفه عميد الملك الكندرى، وسوف يشرب منها تاج الملك ، فقتل هو الآخر على يد الجند النظامية سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، كما أسلفنا[٤] .

---

(١) أنظر : الفصل الثانى .

(٢) أنظر : الفصل الثانى .

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٧ .

يجمع المؤرخون على أن مصرع نظام الملك كان فى غرب إيران بين همذان وكرمانشاهان عند حدود نهاوند وبروجود ، فى العاشر من رمضان ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، عن عمر يناهز ٧٥ أو ٧٧ سنة ، وحمل أصحابه جثته إلى أصفهان ودفنوه فى محلة كران فى موضع جميل رائع قرب مجرى مائى كبير ، ويطلق الأصفهانى على ضريحه اسم (ترتب نظام) ، إقبال : الوزارة ص ٧٤ ، ٧٥ ، وربما تكون جثته قد نقلت فيما بعد إلى نيسابور ودفنت فى مقابر الأسرة فى طوس ، إقبال : الوزارة ، ص ٧٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤٨٥ .

رسوم تعيين الوزير فى العصر السلجوقى :

يعتبر السلطان طغرلبك هو أول سلطان سلجوقى يضع رسما معينا لتعيين الوزير السلجوقى ، فقد كان اختيار الوزير يتم من السلطان شخصيا فعندما يقع نظر السلطان على شخص يتفق معه على تولية الوزارة ، ويسجل عقدا يوقعه كل من الطرفين المتفقين ، وتختلف صيغة العقد باختلاف درجة المنصب ، كأن يقال (تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب العالى ، الفلانى ، ضاعف الله نعمته .. الوزارة الشريفة بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى .. [١]).

فإذا ما وقع العقد بين الطرفين يبدأ الوزير فى اتخاذ شارة الوزارة ، وهى دواة يضعها أمامه كشارة لقيامه بمهام وظيفته[٢] ، وبذلك أصبحت الدواة من شارات الوزير السلجوقى ، ثم يصدر السلطان منشورا بحق وزيره ، وهو أشبه ما يعرف باصطلاح العصر الحاضر (المرسوم) يبلغ به الشخص المنتخب[٣] ، ويبدو أن الوزير هو الذى كان يضع صيغة المرسوم ويثبت الشروط التى يرد تحقيقها ، والتى جرى التفاوض بشأنها والاتفاق عليها[٤] .

فإذا ما تم اختيار الوزير سواء كان وزيرا للخليفة أو السلطان السلجوقى ، فعليه أن يركب من داره إلى دار الخلافة ، أو دار السلطنة السلجوقية فى لبس التشاريف ، وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان ، بعد أن يحمل إليه مرسوم التعيين أميران من أمراء الدولة[٥] ، ويأتى راكبا بغلة خاصة عليها قماش مطرز بالذهب ، وسرج من حرير ، وبوسطه جلد فهد ، يقودها الغلمان حتى وصوله إلى دار السلطنة ، ثم يحضر الأعيان والقضاة ، وأركان الدولة ، وينعقد الحفل ، ويتلو نص التقليد وبعد الانتهاء ، يقبل يد السلطان ويخدم ، ويقول "لقد قبلت وتقلدت" ، وربما يقلده الخليفة أو السلطان بسيف ، وعقد له لواء[٦] .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٢٧ .

(٣) حسين أمين: نظم الحكم ص ٢١٦ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٩٧ .

(٥) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٥٥ .

(٦) الصابى : تحف الوزراء ، الباب الرابع ، ورقة ١٣ ؛ حسين أمين : نظم الحكم ص ٢١٦ .

ثم يخلع السلطان على وزيره خلع الوزارة ، وهى القباء ، والسيف ، والمنطقة ، المحليين بالذهب ويخرج الوزير على فرس بموكب ذهب إلى داره ، ويرافقه الأمراء ، والحجاب ، والقواد ، وكبار رجال الدولة[١] ، فإذا وصل حضر الناس على طبقاتهم للسلام والتهنئة [٢] ، فإذا بدأ ممارسة سلطاته ، كتب للأمراء ، والعمال خارج بغداد إشعارا بتوليه الوزارة [٣] ، ويختتم الحفل بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ، وإنشاد ما نظمه الشعراء لهذه المناسبة من مدائح[٤].

ويرسل إلى الوزير المعين ، مال وثياب وطيب وطعام وأشربه[٥] ، وبعد ذلك يرسل الوزير - إنهاء - إلى دار السلطنة أو الخلافة يتضمن الدعاء ، والثناء على الخليفة والسلطان ، وإعلامه بتسلمه منصبه[٦].

ثم يحضر الوزير بعد صدور المرسوم بتعيينه إلى دار السلطنة مرة أخرى ، ومعه هدايا خاصة يقدمها للسلطان فى هذه المناسبة ، وكانت عبارة عن الآلات والتحف والخيام الجهرمية ، وهى الخاصة بالسلطان ، ومعه الطبول والأسلحة ، والدروع الجميلة ، فيقدمها هدية للسلطان ، ثم يتولى وزارته[٧] .

وكان من رسوم السلاجقة عند تعيين الوزراء ، التدقيق فى اختيارهم ، فقد كان المتبع أن يختار الوزير من المثقفين ثقافة أدبية وخاصة من طبقة الكتاب[٨] ، لخبرتهم الإدارية وتدرجهم فى المناصب وأعمال الدواوين المختلفة[٩] .

---

(١) مسكوية : تجارب ، جـ٢ ص ٢٤٠ ، الصابى : تاريخ الوزراء ص ٢٨ .

(٢) الصابى : تحفة الوزراء ، ص ٢٨ .

(٣) الصابى : نفسه ، ص ٣٦ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص ٢٣٣ .

(٥) آدم متز : جـ١ ص ١٤٦ .

(٦) ابن الدبيثى : محمد بن سعيد بن محمد ، تحقيق مصطفى جواد ، جـ٣ ، المختصر المحتاج إليه (بغداد سنة ١٩٧٧م) ، ص ٢٩ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٢٠ .

(٨) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ ، سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى المشرق ، ص ٣٨ .

(٩) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص ٣ ، ١٠٦ ، إدريس : رسوم ، ص ٤٧ .

كذلك كان السلطان السلجوقى يعتمد على خاصته فى اختيار وزيره ، ويسير وفق مشورتهم ، فأول سلطان سلجوقى أشار عليه كاتبه "هبة الله الموفق النيسابورى "فى اختيار الكندرى وزيرا له ثم قدم ناصر خسرو الكندرى إلىَ طغرلبك ، واتفقت وجهات نظره مع وجهة نظر كاتب السلطان هبة الله الموفق[١] .

وقد قدم هبة الله النيسابورى نظام الملك الطوسى أيضا إلى الملك جغرى بيك داود ، والذى قدمه بدوره إلى ابنه ألب أرسلان[٢] ، وقد أشار السرهنك ساوتكين على ملكشاه بتوزير تاج الملك أبى الغنائم[٣] .

مهام ومناصب وأعمال الوزير السلجوقى :

يعتبر منصب الوزير أو الصدر الأعظم أو (خواجة برزك)[٤] من أعلى المناصب فى الدولة السلجوقية ، ولذا تمتع وزراء الدولة السلجوقية ، وخاصة فى عصر سلاطينها العظام بنفوذ خاص ، كما قاموا بدور مهم فى وضع أسس قواعد هذه الدولة ، ولذلك أصبح منصب الوزير يلى السلطنة مباشرة ، فقد فوض سلاطين السلاجقة وزراءهم تفويضا تاما فى إدارة دولتهم ، كما حدث لنظام الملك الطوسى ، والذى فوضه السلطان ملك شاه تفويضا تاما ، فأصبح لايجرى أمر فى الدولة إلا عن طريقه ، وكان أمره نافذا ، لأن سلطان السلاجقة من أقصاه إلى أقصاه كان تحت سيطرته ونفوذه وقصة الحوالة المشهورة أى الكتابة إلى أنطاكية بالشام لدفع أجرة الملاحين بجيحون ، والتى وردت فى أغلب المصادر[٥] والتى أراد نظام الملك أن يعرض من ورائها سعة المملكة ، ونفاذ أمر السلطان ، أو نفاذ أمره هو - فى الحقيقة - نموذج آخر من نماذج أهميته ونفوذه .

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٤ ص ٣١٢ ، ناصر خسرو : سفرنامة ، ص-٣ ، ١٠٦ .

(٢) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٥ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٤) خواجه برزك : خواجة تعنى بالفارسية الوزير ، وبرزك : تعنى : العظيم أى الوزير العظيم ، حسانين: قاموس : ص ٢٢٢ .

(٥) هند وشاه : تجارب السلف ، ص ٢٦٧ ، خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٦ .

كان الوزير السلجوقى يرافق السلطان فى جميع الاحتفالات ، والمواكب والمجالس ، والزيارات التى يقوم بها السلطان فى شتى مدن العراق والمشرق والسلطنة ، وخاصة بغداد[١] كما كان يحضر مجلس السلطان العام[٢] ، فالكندرى وزير طغرلبك رافقه فى دخول بغداد لأول مرة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٣]، وكذلك حضر معه مجلس الخليفة فى أول مرة يقابل طغرلبك فيها الخليفة سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[٤] ، وقام بدور المترجم بين الخليفة والسلطان ، وكان ذلك من مهام الوزير السلجوقى . وعند زيارات ملك شاه لبغداد ، رافقه نظام الملك الطوسى سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٥] ، وقد بجل الخليفة نظام الملك كاحترامه للسلطان .

وكان الوزير السلجوقى كثيرا ما ينوب عن السلطان فى مقابلة الخليفة أو وزيره ، فقد تقابل الكندرى مع الوزير رئيس الرؤساء ، وزير القائم ثم الخليفة نيابة عن سيده السلطان طغرلبك سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٦] للتمهيد لدخول طغرلبك بغداد . وكان الوزير بمثابة المستشار الشخصى للسلطان ، وعليه تنفيذ وصية السلطان ، فقد أوصى طغرلبك وزيره عميد الملك الكندرى بأخذ البيعة لسليمان بن داود ، وتوزيع الهدايا على الجنود[٧] ، وقد نفذها الكندرى مما كانت سببا فى قتله فيما بعد . وأصبحت هذه الوصية سنة فى دولة السلاجقة ، ينفذها الوزير مباشرة ، ودليل ذلك أن نظام الملك نفذ وصية ألب أرسلان ، وجعل ابنه ملكشاه ولى عهده سلطانا من بعده[٨] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٤٨ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٥٦ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٥ ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

وكان الوزير السلجوقى كاتبًا لديوانه ، فقد اتخذ الكندرى شاعرا يدعى (دهخدا أبا البدز مظفر بن دهخدا أبا الحسن على بن محمد القصرى) كاتبا لديوانه [١] ، وكان تاج الملك أبو الغنائم كاتبا فى بداية حياته فى ديوان الصدارة لنظام الملك الطوسى[٢] .

وكان الوزير يشرف على جميع الدواوين السلجوقية[٣] ، وكان عليه تقديم النصح والمشورة للسلطان[٤] ، وتنفيذ رغبته ، وعليه أن يقوم بدور السفير بين الخليفة والسلطان ، مثلما حدث عند زواج طغرلبك ابنة الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، وكان الكندرى سفيرهما فى إتمام الـــزواج[٥] ، ومثلما حدث عند زواج ابنة ملكشاه بالخليفة المقتدى بأمر الله العباسى، وكان نظام الملك سفيرا بينهما[٦] .

وكان الوزير السلجوقى يشارك السلطان فى حروبه الخارجية ، فقد اشترك الكندرى مع طغرلبك فى هزيمة البساسيرى[٧] ، وتمرد ابراهيم ينال الأخير سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٩م[٨] ، ولعب نظام الملك دورا مهما فى معركة ما نزكرد مع السلطان ألب أرسلان[٩] ، بل قاد بنفسه يعاونه ملك شاه وهو أمير حملة على قلعة فضلون بفارس[١٠] .

---

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٨ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ص ٦٤ ، ٦٥ ، إقبال : الوزارة ص ١٤٤ ، ولقد بلغ نفوذ الكندرى حدا أنه كان يفصل فى الخلافات بين البلاطين العباسى والسلجوقى لصالح طغرلبك ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٤٠، ٢٤١ .

(٣) إقبال : الوزارة ص ٤٣ ، حسانين : سلاجقة ص ١٦٢ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧١ ، ٢٠٦ .

(٥) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٤٩ .

(٧) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٦١ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٧ ، الحسينى : أخبار ص ٤١ ، ٤٢ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٣٩٢ .

كما شارك ملك شاه وهو سلطان فى حروبه ضد خانات بلاد ماوراء النهر ، وبنى جنسه من السلاجقة[١] ، ولقد بلغ نفوذ الوزير السلجوقى حدا أدى إلى تدخله فى تعيين وزراء الخليفة نفسه ، فقد ترتب على وجود وزير للسلطان ، ووزير للخليفة حدوث احتكاك بينهما ، وكان وزير السلطان أكثر نفوذا وسلطة من وزير الخليفة العباسى ، لأنه كان يستمد نفوذه من قوة السلطان السلجوقى صاحب النفوذ الفعلى وقتذاك[٢] .

ولقد بلغ من نفوذ الوزير السلجوقى أن جاهر بعدائه لوزير الخليفة ، وأخذ يتدخل فى تعيينه وعزله بل كان أحيانا يقبض عليه ويرغمه على أداء بعض الأموال مقابل إطلاق سراحه ، وقد بدأ أول تدخل من الوزير السلجوقى فى عزل وزير الخليفة سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م حينما استدعى الخليفة القائم بأمر الله أبا الفتح بن دارست لتولى وزارته ، فلم علم عميد الملك الكندرى وزير طغرلبك ، كتب إلى الخليفة يخبره بعدم رغبة السلطان فى تعيين ابن دارست وزيرا له ، بحجة أنه غير كفء للوزارة[٣] .

وفى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م ، أجبر نظام الملك الخليفة المقتدى ، على عزل وزيره أبى نصر محمد بن جهير الملقب بفخر الدولة ، حيث اتهمه "النظام" بإثارة الحنابلة على الإمام القشيرى الذى قدم بغداد للتدريس فى النظامية ، وكان القشيرى على مذهب الأشعرية الشافعية الذى كان يعتنقه النظام ، فكتب إلى الخليفة بعزله[٤] ، كما كتب إلى شحنة بغداد (ابن كوهرائيين) يأمره بالقبض على ابن جهير وآله فلما علم ابن جهير ، سير إلى نظام الملك ولده (أبا منصور عميد الملك) ، وتمكن من إصلاح الفساد بينهما فكتب نظام الملك إلى الخليفة وشحنة بغداد يبدى موافقته مرة أخرى على إعادة "ابن جهير" إلى الوزارة[٥] ، إلى جانب أنه

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص ٢٦ ، البندارى : آل سلجوق ص ٧١ .

(٢) حسن محمود ، والشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ٥٨٠ ، الزهرانى : نظام الوزارة ص ١١٩ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ص ٢١ ، ٢٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ص ١٢٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ص ١١٩ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ٧١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ص ١٢٨ .

زوج عميد الملك ابن جهير من ابنته ، وعاد فخر الدولة إلى بغداد ليتولى وزارة المقتدى سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م[١] .

كما تدخل نظام الملك أيضا فى عزل الوزير أبا شجاع محمد بن الحسين الهمذانى الروذاروري سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م لعدة أسباب ، منها اختلاف الوزير أبى شجاع مع أبى سعد اليهودى ، وكيل السلطان ملكشاه ، ووزيره نظام الملك ، لأن أبا شجاع قد ألزم أهل الذمة بلبس الغيار[٢] ، وكذلك أنه سعى فى عزله لكى يولى أحد أبنائه وزارة الخليفة[٣] ، ولكن السبب الحقيقى فى عزل الوزير العباسى أبى شجاع هو عدم رغبة نظام الملك فى بقائه لما أظهره من كفاية عظيمة فى الوزارة[٤] ، ووقوفه بشدة فى وجه أطماع رجال الديوان ، وقادة الجيش السلجوقى[٥] ، وعلى رأسهم شحنة بغداد سعد الدولة كوهرائين الذى سار بنفسه إلى أصفهان شاكيا من أبى شجاع[٦] .

ويرجع الفضل إلى وزراء السلاجقة فى تثبيت أقدام السلاطين على العرش ، ويكفى ما فعله نظام الملك وأولاده من أجل سلاطين السلاجقة فكان الاستقرار الذى نعمت به الدولة السلجوقية يعزى إلى كفاءة هذا الرجل وبنيه ، فقد كانت الأسرة السلجوقية والدولة كلها رهن تصرف أسرة آل آسحق أى نظام الملك ، وأبناء إخوته وأبناء أعمامه ، وأولاده ، وأصهاره[٧] .

ألقاب الوزراء :

تلقب الوزير فى العصر السلجوقى بألقاب فخرية جديدة ، مضافة إلى أسمائهم[٨]، ويرجع السبب فى تعدد الألقاب فى هذا العصر سواء أكان لوزراء السلاطين ، أو وزراء الخلفاء

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣١٧ ، ٣١٩ ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٥١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ص ٤٧٥ .

(٣) ابن تغرى برد ى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٣٢ .

(٤) الزهرانى : نظام الوزارة ، ص ١٢١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٥٦ .

(٦)ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٨٦ ، ابن خلدون : جـ٣ ص ٤٧٦ .

(٧) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ ، ٢٨٠ ، إقبال : الوزارة ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٨) حسن الباشا : الألقاب ، ص ٦٤ .

إلى عاملين أولهما : أن بعض الوزراء كان يحمل لقبًا قبل أن يلى الوزراء ، فلما ولى المنصب لقبه الخليفة لقبا ثانيا كالمتبع فى تقليد الوزراء[١] .

ثانيهما : حرص الخلفاء والسلاطين على منح الوزراء الذين يبذلون جهدا كبيرا فى خدمة الدولة ألقابا خاصة تقديرا لكفاءتهم ، وقد ظهر تعدد ألقاب وزراء الخلافة العباسية بشكل واضح خاصة فى أثناء نزاع الخلافة مع السلطنة السلجوقية للتخلص من نفوذها[٢] .

وتجلت فى الألقاب ظاهرة بالإضافة إلى الدين ، بالنسبة لوزراء الخلفاء العباسيين ، كظهير الدين ، وجلال الدين ، وعون الدين[٣] ، أما بالنسبة ، لوزراء السلاطين السلاجقة فكان يضاف إلى ألقابهم (الملك) مثل عميد الملك ، ونظام الملك ، وفخر الملك ، ومؤيد الملك ، وتاج الملك[٤] .

ويعتبر السلطان طغرلبك أول من أضفى لقب الملك إلى وزيره ، مثل نظام الملك الدهستانى أول من لقب بنظام الملك [٥] وعميد الملك الكندرى ، الذى زاد فى ألقابه بـ (سيد الوزراء) مضافا إلى عميد الملك عندما قضى على فتنة البساسيرى[٦] .

ويعتبر نظام الملك الطوسى أول وزير سلجوقى ، يتلقب بأكثر من لقب فى العهد السلجوقى، ويرجع هذا إلى إخلاصه فى عمله ، ومكافأة له على جهوده ، فقد كان فى عهد ألب أرسلان يلقب بنظام الملك (خواجه برزك) - أى الوزير العظيم - ثم زاد الخليفة القائم فى تكريمه فلقبه بـ (قوام الدين والدولة رضى أمير المؤمنين) [٧] ، ولما ولى ملكشاه السلطنة زاد فى ألقابه نظام الملك . أتابك الجيوش[٨] .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١١ ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) الزهرانى : نظام الوزارة ، ص ١٣١ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٥ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ ، حسن الباشا : الألقاب ص ٦٤ .

(٤) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤-٢٦٤ ، إقبال : الوزارة ، ص ٦٩ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٠ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٨٠ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٣ ، وما بعدها ، نظام الملك : المقدمة سياسة نامه ص ١٥ .

(٨) نظام الملك : المقدمة ، سياسة نامة ، ص ١٥ ، خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٤ - ٢٥٦ ، ابن الأثير ، الكامل جـ١٠ ص ٨٠ .

ولقب أيضا بتاج الحضرتين لأنه وزر لسلطانين ، فى حين أن الخلفاء لم يمنحوا لقبا لأى وزير سلجوقى غيره[١] ومدحه الشعراء بهذا اللقب فقال أحدهم : أى نظام الملك المحمود ياشمس العصر وزين الدنيا والدين وزينته الناس يهتفون (رضى أمير المؤمنين) بحر إذا تحرك، طود إذا سكن[٢] .

كما لقب أيضا من قبل سلاطين السلاجقة بلقب (قوام الدين) وصدر الإسلام ، وسيد الوزراء والخواجة الكبير ، الصدر الأجل ، خليفة السلطان ، غياث دولة السلطان ، وزير ملك بلاد السلاجقة غياث الدولة ، والصدر الأجل ، قوام الدين[٣] ، وظل بعض هذه الألقاب كقوام الدين يلقب به وأولاده ، وأحفاده ، ممن شغلوا منصب الوزارة لسلاطين السلاجقة[٤] .

علامات (شارات) الوزير :

للوزير السلجوقى علامة خاصة به فى التوقيع أسوة بالسلطان ، فالوزير السلجوقى العظيم نظام الملك كانت علامته فى التوقيع (الحمد لله على نعمة) [٥] ، وظلت هذه الشارة سارية طوال عهد أسرة نظام الملك شأنها شأن علامة السلطان السلجوقى والتى تعبر عن شكر الله على نعمة ، وكانت الدواة من شارات الوزارة السلجوقية أيضا[٦] . إلى جانب القلم والسيف.

العلاقة بين الوزير والسلطان :

كانت العلاقة بين السلطان السلجوقى ، ووزيره قويه ، فهو الذى اختاره ، ووزره ، وهو ساعده الأيمن ، والأعلم بسره ، بل هو الذى فوضه بالسلطة فقد قال ملك شاه لنظام الملك : "قد رددت إليك الأمور كبيرها وصغيرها ، قليلها وكثيرها ، وما منى اعتراض عليك ، ولا رد لما يكون منك ، وأنت الوالد[٧] ، وحلف له ، وأقطعه طوس بلده ، وتقدم بإضافة

---

(١) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

(٢) نظام الملك : المقدمة ، سياسة نامة ص ١٥ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٧١ - ٧٥ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢١١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٥٠٣ ومابعدها .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٧٩ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٥ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٧٨ .

الخلع عليه ، وأعطاه دواة وعليها ألف مثقال ، ومدرجة[١] محلاة بألف مثقال ، ومائة ثوب ديباج ، وعشرين ألف دينار ، ولقبه أتابك ، ومعناه الأمير الوالد[٢] .

وإذا لاحظ السلطان خطأ فى تصرفات وزيره ، استدعاه إلى حضرة السلطنة ، وحذره من عاقبة تكراره ويرى نظام الملك[٣] أن ذلك أفضل من معاقبته جهرا لأن ذلك يفيض ماء وجهه، ولا يدانى مقامه الأول مهما حسنت أحواله بعد ذلك .

وإذا نشأ خلاف بين الوزير وبين بعض أرباب الوظائف العليا ، تدخل السلطان حتى لاتسوء العلاقة بين الوزير ، وموظفى الدولة ، ففى سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م أرسل خمارتكين شحنة بغداد إلى السلطان طغرلبك يشكو وزيره عميد الملك الكندرى ، فورد كتاب من السلطان لوزيره يأمره بالرفق ، وأن لا يخاطب فى هذا الأمر إلا بالجميل[٤] .

وجرى الوزير السلجوقى على رسم خاص عند لقائه بالسلطان ، وهو تقبيل الأرض بين يديه، فعندما زار ملك شاه دار نظام الملك - وكان معه اثنان شاكيان خرج نظام الملك مسرعا وقبل الأرض بين يديه ، وعرض السلطان عليه الشكوى ، فقبل الأرض ، وسار فى خدمته ثم عاد[٥].

ولم يحدث طوال عهد طغرلبك ما يعكر الصفو بينه وبين وزيره الشهير الكندرى ، ولا فى أثناء تولى ألب أرسلان ووزيره نظام الملك ، ولكن العلاقات ساءت بين ملكشاه ونظام الملك فى أواخر حياتهما وتبادل الاثنان الرسائل إلى تنم عن الكراهية التى تولدت بينهما ، وانتهت بمقتل "الخواجه برزك" ، والذى اتهم ملكشاه بقتله[٦] .

---

(١) مدرجة : نوع من الثياب .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) سياسة نامة ص ١٦٢ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٢٠ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٧٣ .

(٦) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

راتب الوزير :

كان من الطبيعى أن يتقاضى الوزير فى العصر السلجوقى راتبا منتظما سواء أكان وزيرا للخليفه ، أو وزيرا للسلطان السلجوقى ، على اعتبار أنه يتقلد منصبا من أهم مناصب الدولة[١] .

ولكن يجب أن نقرر من البداية أن بعض من تولوا منصب الوزارة فى العصر السلجوقى كانوا من الأثرياء ولم يكن الراتب الشهرى دافعا لهم للتطلع للوزارة ، فالوزير أبو الفتح بن دارست ، وزير القائم كان من كبار التجار ولم يتقاضى راتبا أثناء وزارته للخليفة[٢] ، وكان الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذاروى يملك حين تولى الوزارة سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م مبلغا مقدارة ستمائة ألف دينار[٣] .

وكان نظام الملك أشهر وزراء السلاجقة ينفق كل سنة على الفقهاء ، والقراء والمتصوفة ، ستمائة ألف دينار[٤] ، وقيل سبعمائة ألف[٥] ، حتى قيل - "لو جيش بها جيش لغزا باب القسطنطينية"[٦] . وكانت سببا فى العداوة بينه وبين تاج الملك أبى الغنائم .

كذلك كان أولاد الوزير نظام الملك الذين تعاقبوا فى وزارات السلاجقة أثرياء ، ولم يهمهم أن يتقاضوا مرتبات من خزينة الدولة بقدر حرصهم على الوزارة ، ويذكر الراوندى[٧] أن (فخر الملك بن نظام الملك قدم للسلطان بركياروق عند توليه الوزارة هدية عظيمة من التحف والآلات والخيام والطبول والأسلحة ، والأدوات المرصعة بالجواهر والخيول العربية الفارهة ، والصقور المدربة على الصيد والدروع الجميلة" .

---

(١) الزهرانى : نظام الوزارة ، ص ١٢٨ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ ص ٩٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ ورقه ٢٢٣ ، ابن كثير : البداية جـ١٢ ص ١٥٠ .

(٤) العروض السمرقندى : جهار مقالة ص ٨٣ .

(٥) الحسينى : أخبار الدولة ص ٦٧ .

(٦) الحسينى : نفسه ص ٦٧ .

(٧) راحة الصدور ص ٢٢٠ .

وكان راتب الوزير السلجوقى مقداره عشر ما تحصل عليه الدولة من إيرادات الإقطاعات[١]، ويعتبر نظام الملك هو أول من ابتكر هذا النظام[٢] ، وقد صرف هذا الراتب لمن جاء بعده من الوزراء أسوة به[٣] ، هذا فضلا عن الإقطاعات التى كان يقطعها سلاطين السلاجقة لوزرائهم ، فقد أقطع ملك شاه وزيره نظام الملك سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م إقطاعات جديدة كان من جملتها مدينة طوس مسقط رأس وزيره[٤] .

وكان لفخر الملك ابن نظام الملك إقطاعات فى فارس أقطعها والده له[٥] ، وإلى جانب ذلك وجدت دخول أخرى لوزراء السلاجقة ، مثل اشتغالهم بالتجارة ، فقد عمل فخر الملك ابن نظام الملك بالتجارة ، أثناء وزارته للأمير ملكشاه عندما فوضت إليه مملكة فارس سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، نيابة عن والده ألب أرسلان[٦] .

وقد تأثر خلفاء بنى العباس بسلاطين السلاجقة ، خاصة حينما منحوا وزراءهم رواتبهم عن طريق الهبات والإقطاعات فقد منح الخليفة المقتدى بأمر الله العباسى وزيره أبا شجاع الروذاروى سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م ، إقطاعا ببضعة عشر ألف دينار[٧] .

وظل منح الوزير اقطاعات كراتب له معمولا به فى الدولة السلجوقية ، والعباسية ، وغيرها من الدول الإسلامية التى عاصرتهم وأعقبتهم[٨] ، وكان الوزراء يوكلون إدارتها

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٣١ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤١٢ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ١٩٣ ، نظم الحكم ص ٢١٦ ، حسن محمود : العالم الإسلامى ص ٥٨٠-٥٨١ ، محمود اسماعيل : الإقطاع الإسلامى منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن العاشر الهجرى ، حوليات كلية الآداب (الكويت ١٩٨٩م) الحولية ١١ ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) سياسة نامة ص ١٧٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٣١ .

(٣) الزهرانى : نظام الوزارة ص ١٢٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٨٠ .

(٥) عبد الهادى محبوبة : من رسائل الملك ، مقال منشور بمجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد ٢ ، القاهرة مايو ١٩٦١م) ص ٣٠ ، ٣١ .

(٦) عبد الهادى محبوبة : نفسه ص ٢٠ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ٩٠٩ .

(٨) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٤٨ ، ٥٠ .

إلى وكلاء عنهم[١] ، أما أقصى ما حصل عليه وزير عباسي في هذا العهد فكان ألف دينار سنويا[٢] .

وزير الخليفة ووزير السلطان :

عندما دخل السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م تنفس الخليفة العباسي الصعداء وسمحوا له باتخاذ وزيرا[٣] له ، وكانت سلطة الوزير السلجوقي قوية يستمدها من قوة سلطانة[٤] فكثيرا ما تدخل الوزير السلجوقي في أمر وزير الخليفة[٥] وكثيراً ما جاهر الوزير السلجوقي بعدائه للخليفه ووزيره ، وأخذ يتدخل في تعيينه[٦] .

وحاول بعض سلاطين السلاجقة ، تعيين وزير للخليفة ليكون عينا له على الخليفة ، ففي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م حاول السلطان ألب أرسلان أن يعين أحد خواصه وهو أبو العلاء بن الحسين وزيرا للخليفة القائم ، غير أن الخليفة رفض تعيينه[٧] .

وتدخل نظام الملك أشهر وزراء السلاجقة بدرجة كبيرة في تعيين الوزراء العباسيين ، ففي سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م عزل الوزير فخر الدولة بن جهير[٨] كما سبق القول ، ولكن فخر الدولة أزال هذا الجفاء بينه وبين النظام بل زوج ابنه من نظام الملك فأعاده إلى الوزارة ، فقال الشاعر

---

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر في عيون التاريخ والسير ، جـ٩ (بغداد ، ١٩٣٤م) ، ص ٢٧ ، ٢٩٣ ، بدري محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، (بغداد ١٩٧٣م) ص ٣٢٩ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٩٠ ، ابن كثير : البداية ، جـ١٢ ، ص ١٥٠ .

(٣) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٥٠ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٤ .

(٥) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٤ .

(٦) البنداري : آل سلجوق ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٧) البنداري : آل سلجوق ، ص ٣٦ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٥٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٤٤ ، ٤٥ .

ابن الهبارية فى ذلك :

قل للوزير ولا ترهبك هيبتــه

وإن تجبــر واستعلـــى بمرتبـــة

لولا صفية ما استوزرت ثانية

فاشكر حراً صرت مولانا الوزير به

وصفية التى يقصدها الشاعر هى ابنة نظام الملك التى تزوجها ابن الوزير ابن جهير(١) .

وفى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م أرسل الخليفة المقتدى وزيره فخر الدولة بن جهير إلى السلطان ملك شاه ليخطب له ابنته ، فنجح الوزير فى مسعاه ، وعقدت المصاهرة بمعاونة الوزير نظام الملك(٢) ، وهكذا كان يقوم الوزير العباسى بدور السفير بين السلطان والخليفة .

وكان السلطان السلجوقى يتدخل فى قرارات الخليفة بالنسبة لوزيره ، فحينما غضب الخليفة المقتدى على عميد الدولة ابن جهير سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م ، وعزله من الوزارة طلب السلطان ملكشاه ، إلى الخليفة أن يسمح لبنى جهير بالتوجه إليه ، فسار بنو جهير إلى ملكشاه الذى أنعم على فخر الدولة وولاه ديار بكر ، وسير معه العساكر للاستيلاء عليها ، كما سمح له أن يقيم الخطبة لنفسه ويضرب السكة باسمه(٣) .

وفى سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م طلب نظام الملك إلى الخليفة المقتدى عزل وزيره أبى شجاع بن الحسين الهمدانى الذى وزر له عدة مرات ، وعين نائبا فى الوزارة ، وأمره أن يستوزر عميد الملك بن جهير فأجابه إلى ذلك ، وخرج الهمذانى من الوزارة(٤) ، وقد تعرض الهمدانى أكثر من مرة لغضب السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك ، حتى عزل نهائيا من الوزارة سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، فانصرف إلى داره ، وهو ينشد تولاها وليس له عدو .. وفارقها وليس له صديق(٥) .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٤٩ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ص ١١٦ - ١٣٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٨ .

والوزير العباسى فى العصر السلجوقى كان ينظر فى أمر الأموال والأجناد ، ويسوسها على مايليق به ، وعليه النظر فى جميع الدواوين ، ويستعرض حساباتها وأعمالها ويقوم معوجهم ويصلح فاسدهم(١) .-

ولقب وزراء بنى العباس فى العصر السلجوقى بألقاب جديدة وكثيرة ، مضافة إلى أسمائهم ، ولم يكن من قبل قد ألفوا هذه الظاهرة ، فمعظم الوزراء العباسيين كانوا يعرفون بأسمائهم دون لقب إلا الوزير الأول فى الدولة العباسية الذى لقب بوزير آل محمد ، وهو أبو سلمة الخلال(٢) ، ولكن فى العصر السلجوقى أصبح لهم ألقاب كثيرة ، فأول وزير عباسى فى هذا العهد ، وهو أبو القاسم بن المسلمة تلقب بأكثر من لقب ، منها رئيس الرؤساء ، جمال الورى ، شرف الوزراء(٣) ، ولقب ابن جهير بلقب فخر الدولة(٤) ، كما لقب ابنه المنصور بلقب عميد الدولة(٥) ، كما تلقب الوزير أبو الفتح بن المظفر بلقب زعيم الرؤساء(٦) ، ولقب الوزير أبو شجاع الهمدانى بلقب ظهير الدين(٧) .

ومن أشهر وزراء بن العباس عصر السلاطين العظام :

١- أبو القاسم على بن الحسن بن المسلمة : الملقب برئيس الرؤساء ، الذى وزره الخليفة القائم بأمر الله بعد أن اتخذه كاتبا له(٨) ، وقام بدور كبير فى فتنة البساسيرى ، وقتل على يديه(٩) .

---

(١) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٤ .

(٢) أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ٤١ - ٤٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٤) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٨ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣١٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٥٢ .

(٧) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ص ٢٢٧ .

(٨) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٥ .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٣٩٩ ، ٤٠٣ .

٢- أبو الفتح بن دارست : الذى وزر للقائم وعزل سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م[١] .

٣- محمد بن محمد بن جهير : الملقب بفخر الدولة ، وزر للقائم سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م ، وهو الذى أخذ البيعة للمقتدى بالله سنة ٤٦٨هـ/١٠٦٥م بعد وفاة جده القائم ، وتولى وزارته، وظل وزيرا حتى عزل سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م بناء على أمر نظام الملك ، ثم عاد لها ثانية سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م[٢] .

٤- أبو شجاع محمد بن الحسين الهمدانى : الذى عزل بناء على أمر ملكشاه سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[٣] .

٥- أبو الفتح بن المظفر : الملقب بزعيم الرؤساء وعزل سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م[٤] .

منصب نائب الوزير :

لم يكن منصب نائب الوزير من مبتكرات العصر السلجوقى ، ولكنه ظهر بشكل واضح فى هذا العصر ، حتى ألف الناس وجوده ، وأصبح مظهرا من مظاهر تطور الوزارة[٥] ، فقد ظهر هذا المنصب فى بعض فترات العصر العباسى ففى سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م استوزر الخليفة الراضى بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م) أبا لفتح بن جعفر بن الفرات عامل الخراج بمصر والشام ، فأناب أبو الفتح عنه فى وزارة الخليفة ببغداد أبا بكر بن على النقرى[٦] ، وفى أوائل العصر البويهى كان أبو محمد الحسن بن المهلبى ينوب فى الوزارة للأمير معز الدولة البويهى ٣٢٠-٣٥٦هـ/٩٣٢-٩٦٧م ، أثناء غياب وزيره أبى جعفر الصعيدى عن بغداد[٧] .

ولكن نيابة الوزارة هذه ، لم تكن منصبا ثابتا ضمن وظائف الدولة الكبرى ، كمنصب الوزير ، وكاتب الإنشاء وقاضى القضاة مثلا ، بل أنه كان منصبا مؤقتا ، وكان الخليفة

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٥ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٥٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٥٢ .

(٥) الزهرانى : نظام الوزارة ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٦) ابن مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ص ٣٦٨ ، ٤٠٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٣٥٥ .

(٧) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٤٨٥ .

العباسى أو السلطان السلجوقى يعين نائب للوزير خاصة فى الفترات التى تلى عزل أحد الوزارة حتى لاتتعطل أعمال الديوان الإدارية والمالية فإذا ما تم اختيار وزير جديد سرعان ما يعزل نائب الوزير(١).

وكان الوزير فى بعض الأحيان يعين نائبا عنه فى الوزارة ، إما لغيابه عن حاضرة الخلافة أو لانشغاله فى قيادة الجيوش لمحاربة أعداء الدولة ، وقد يلجأ الوزير إلى تعيين نائب له إذا أيقن أنه لايستطيع بمفرده القيام بأعمال الوزارة ، ففى سنة ٤٨١هـ/١٠٨١م سار الوزير ظهير الدين بن الحسين إلى الحج ، وأناب عنه ابنه "ربيب الدولة" ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى(٢) .

وكان يراعى فيمن يلى نيابة الوزارة ، أن يكون من كبار موظفى الديوان ، ككاتب الإنشاء، أو قاضى القضاة أو نقيب النقباء ، وذلك إضافة إلى أعمالهم الأساسية ، حيث كانت نيابة الوزارة عملا مؤقتا دعت الحاجة إليه ولهذا لم يكن لعزل نائب الوزير تأثير فى وظيفته الأساسية(٣) . وكان ذلك أيضا من رسوم السلاجقة ، حيث كان هناك نائب للوزير السلجوقى يتولى شئون الوزارة إذا غاب الوزير فى حرب أو حج(٤).

محاسبة الوزير وعزله :

إذا لاحظ السلطان السلجوتى خطأ فى تصرفات وزيره يستدعيه إلى دار السلطنة ويحذره من عاقبة تكراره(٥) .

أما عزل الوزير ، فقد جرت العادة أن يصدر توقيع من السلطان السلجوقى بعزله ففى سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م خرج توقيع فى شهر صفر إلى الوزير عميد الملك بن جهير بعزله وجاء فى هذا

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢١٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٣٠ ، ١٣٦ ، ٣١٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٦٨ .

(٣) الزهرانى : نظام الوزارة ، ص ١٣٧ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٦٢ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ١٠٤ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٦٢ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٢٠ .

التوقيع : "انصرف من الديوان إلى دارك ، وخل ما أنت منوط به"[١] فخرج والده وأهله ، من غير استئذان الخليفة ، وهذا يدل على سعة نفوذ وقوة السلطان السلجوقى .

وزير زوجة السلطان :

كان لزوجة السلطان السلجوقى وزير يدير شئونها خاصة عندما قويت الدولة السلجوقية ، فتركان خاتون بنت طمغاخ خان ، زوجة ملك شاه ، وأم ولده محمود[٢] كان لها وزير خاص بها وهو "تاج الملك أبو الغنائم[٣]" وكان يعهد لوزير زوجة السلطان بشئون الملابس السلطانية ، وبذلك يكون هذا الوزير مختصا بالشئون الخاصة بالسلطان السلجوقى - إلى جانب إدارته لشئون زوجة السلطان - الإدارية والمالية والحربية[٤] .

وزراء أمراء الأقاليم :

كان لكل وال من ولاة الأقاليم وزير ، يخضع للأمير مباشرة ، فهو الذى يعينه ويصرفه ، فأبو على شادان كان وزيرا لجغرى بيك داود فى أثناء ولايته على مرو[٥] ، وعمل نظام الملك بمنزلة وزير لألب أرسلان فى أثناء ولايته على مرو قبل سلطنته[٦] .

وقد أورد عباس إقبال مرسوما بتعيين وزير ، يتضح منه رسوم السلاجقة فى تعيين وزرائهم، كما يبين مهام الوزير ، والشروط الواجب توافرها فيه ونصه .

ثالثا : الكتابة :

تطور منصب الكتابة : قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم "الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم"[٧] وقال سبحانه "ولايضار كاتب ولاشهيد[٨]" وقال تعالى "وإن كنتم

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٢٢٧ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٤ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(٥) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٦٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٠ ، إقبال : الوزارة ص ٦٠ .

(٧) سورة العلق ، آية ٤ ، ٥ .

(٨) سورة البقرة ، آية ٢٨٢ .

على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة[١] " ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" قيدوا العلم بالكتابة"[٢] ، وفى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب كتابا ، أن رحمتي سبقت غضبى"[٣].

وقيل أن لوطا (عليه السلام) كان كاتبا لابراهيم (عليه السلام) ، وكتب يوسف للعزيز ، ويحيى بن زكريا لعيسى (عليهما السلام) ، ويوشع وهارون لموسى (عليهم السلام) ، وكان على بن أبى طالب (رضى الله عنه) يكتب العهود للرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وكان الزبير بن العوام يكتب له أموال الصدقات ، وكتب له حذيفة بن اليمان رضى الله عنه المعاملات ، وكتب عثمان بن عفان وغيرهم رسائله إلى الملوك والأمراء[٤] ، وقيل إن كتّابه (صلى الله عليه وسلم) ، كانوا نيفا وثلاثون كاتبا ، وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه كاتبا لأبى بكر الصديق (رضى الله عنه) وكتب مروان بن الحكم لعثمان بن عفان لما ولى الخلافة ، وكان عمرو بن سعيد بن العاصى كاتب ديوان المدينة فى العصر الأموى[٥] .

وهكذا كانت صنعة الكتابة لايستغنى عنها ، فشأنها شأن اللسان العربى[٦] ، وسار عليها الخلفاء الراشدون ومن بعدهم بنو أمية الذين اهتموا بكتابهم ، فاتخذوهم من صفوة المثقفين ، وتعدد الكتاب فى عهدهم فصاروا خمسة الأول اختص بكتابة الرسائل ومخاطبة الملوك والأمراء وعمال الولايات والأمصار ، والثانى بتدوين الحساب للخراج والثالث يقيد أسماء الجند وأعطياتهم ، والرابع للشرطة ، والخامس للقضاء[٧] ، وكان أعلاهم مركزا هو كاتب ديوان الرسائل [٨] .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٨٣ .

(٢) صحيح مسلم ، جـ٤ ، ص ١٨٣١ .

(٣) صحيح البخارى ، جـ٢ ص ٤٥١ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ٩٢ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٤٥ .

(٥) أسعد بن مماتى : قوانين الدواوين ، حققه عزيز سوريال عطيه (القاهرة ١٩٤٣م) ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٤٦ .

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ٩٢ .

(٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ١ ص ٤٥٢ .

الشروط الواجب توافرها فى الكاتب :

يعتبر عبد الحميد بن يحيى بن سعيد كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ١٢٧-١٣٢هـ/٨٤٤-٧٥٠م من أشهر الكُتّاب فى العصر الأموى وغيره ، وقد بعث رسالة إلى زملاء المهنة قائلا فيها "يجب أن يكون الكاتب حليما فى موضع الحلم ، مقداما فى موضع الأقدام ، محجما فى موضع الإحجام ، كتوما للأسرار ، عالما بالنوازل كما نهى الكتاب عن المطامع ، وسفاف الأمور ، وأن يتجنب الكبر والسخف والعظمة[١] ، وكان الكاتب فى العصر الأموى هو الوزير فى العصور التالية .

وينبغى أن يكون الكاتب كريم الأصل ، شريف العرض ، دقيق النظر ، عميق الفكر ، حرا مسلما صادقا ، أديبًا فقيها ، عالما بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) شديد الأنفة ، كريم الأخلاق ، عالما بالعربية وغيرها ، وبأشعار العرب ، وأيامهم وأحاديثهم وسيرهم، وعليه أن يكتب إلى كل إنسان بما يلائم أصله ونسبه وملته ، وأن يوجز فى الكتابة لأن فصحاء العرب قالوا "خير الكلام ما قل ودل"[٢].

وبعد أن استقر الحكم لبنى العباس سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م ، اتخذوا الكتاب والوزراء ، وغلب الفرس على دواوينهم منذ وقت مبكر[٣] ، وزاد اهتمام بنى العباس بالكتابة ، فأصبح لكل ديوان كاتب ، كان أعلاهم كاتب ديوان الرسائل لقربه من الخليفة[٤] ، وقد ذخر العصر العباسى بطائفة من الكتاب لم يجود الدهر بمثلهم[٥] وقد أوردت أسماؤهم وصفاتهم كتب الأدب .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، العروضى السمرقندى : جهار مقالة ، ص ١٠١ هامش (١٠) .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٦-٢٥١ ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٦٥ ، ٦٦ ، العروضى : جهار مقالة ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ١٠٣ .

(٤) القلقشندى : نفسه ص ١٠٣ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة الإسلامية ، ص ٦٠ .

(٥) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ، ص ٣٣٢ .

وإذا ما انتقلنا إلى العصر السلجوقى ، وجب أن نقرر أن السلاجقة كانوا بداة لا خبرة لهم بشئون الوظائف الإدارية ، والدواوين ، ولا علم لديهم بأخبار الملوك السابقين ، وكانوا غير مثقفين ، فاضطرهم ذلك إلى استخدام عدد كبير من الموظفين فى الدواوين المختلفة(١) .

ومن ثم برزت طبقة الموظفين من العرب والفرس والترك ، وازداد نفوذ بعضهم ، وخاصة طبقة الوزراء والحجاب والكتاب ، حتى أنهم استطاعوا فى بعض الأحيان السيطرة على سلاطين السلاجقة وتوجيههم وفق إرادتهم(٢) .

ولقد تعددت الدواوين فى العصر السلجوقى (٣) ، فكثر عدد الموظفين العاملين فيها ، وخاصة الكتاب الذين اهتم بهم سلاطين السلاجقة ، وقد أدى تعدد الدواوين إلى تعيين عدد كبير من كبار الموظفين للإشراف عليها ، وكان كل واحد يسمى (الكتاب) وكان أشهرهم كاتب ديوان الرسائل ، وكاتب ديوان الخراج ، وكاتب ديوان الجند(٤).

وكان كاتب ديوان الرسائل من أهم هؤلاء الموظفين فى البلاط السلجوقى ، نظرا لأن مهمته كانت تحرير الرسائل السياسية ، والأوامر السلطانية بعد اعتمادها من السلطان ، ومراجعة الرسائل الرسمية ، ووضعها فى صيغتها النهائية ، ثم ختمها بخاتم السلطان ، وكان يجلس السلطان فى مجلسه ، يتولى مخاطبته مباشرة(٥) .

وحدد ابن الصيرفى ، وابن خلدون الصفات الواجب توافرها فى كاتب ديوان الرسائل ، فيجب أن يكون ذا دين وورع ، وأمانة ، فإنه بمنزلةكبيرة ورتبة خطيرة ، يتحكم فى أرواح الناس وأموالهم ، لأنه لو زاد كلمة أو حذف حرف ، أو كتم شيئا من علمه ، أو تأول لفظا بغير معناه أو حرفه عن جهته ، أدى ذلك إلى ضرر كبير ، ويجب أن يختار من أرفع طبقات الناس ، وأهل المروة ، وعارضة البلاغة ، ويجب أن يكون وقورا حليما ، كاتما للسر ..

---

(١) حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٦٧ .

(٢) سعاد ماهر : أثر الماوردى فى الفن السلجوقى ، ص ٤٥ .

(٣) انظر : ص ١٥٥ من الرسالة .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ص ٥٧ ، ٥٩ ، حسانين : سلاجقة إيران ص ١٦٧ .

(٥) قانون ديوان الرسائل ، ص ١٥-٢١ ، المقدمة ، ص ٢٤٦-٢٤٨ .

ولقد دقق سلاطين السلاجقة فى اختيار كتابهم ، لقربهم منهم واطلاعهم على أدق أسرارهم، فأول سلاطينهم طغرلبك اتخذ كاتبا يحرر له الرسائل التى كتبها ، ويعث بها إلى السلاطين والأمراء الغزنويين ، وأمراء الدول المجاورة ، والخليفة العباسى[١] .

ومن أشهر كتاب طغرلبك وزيره عميد الملك الكندرى فى بدايته والذى اتخذ (دهخد أبا البدر مظفر بن دهخدا أبا الحسن بن محمد القصرى) كاتبا لديوانه[٢] ، وشيخ الدولة أبا الحسن على بن محمد بن عيسى البركردزى[٣] ، والشيخ أبا بكر العبدى الذى يعتبر من أشهر وأكبر كتاب طغرلبك وشعرائه ، وكان كاتب ديوان الوزير أبو القاسم الجوينى[٤] ، وكذلك الشيخ أبو بكر بن المستعين شريك الشاعر الباخرزى فى ديوان الميكالى الوزير[٥] .

ومنهم أبو الفتح مسعود بن محمد بن سهل وزير الأمير بيغو ، وأبو نصر أحمد بن حسن الباخرزى وزير حسن ابن موسى بيغو فى هرات[٦] ، وقد عمل نظام الملك الطوسى فى بداية أمره كاتبا لجغرى بيك داود ثم لابنه ألب أرسلان فى خراسان ومرو[٧] .

ولقد اهتم ألب أرسلان وملكشاه بديوان الرسائل ، لأن رسائلهم التى صدرت من بلاطهم كانت كثيرة[٨] ، ومن أشهر كتابهم نظام الملك الطوسى فى بدايته ، وأبو الرضا فضل الله أبو نصر الزوزنى ، وكمال الملك الأديب أبو جعفر محمد بن مختار الزوزنى ، وأبو الغنائم تاج الملك المرزبان ، وعميد الملك جمشيد بن بهمنيار[٩] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص١٦٦-١٦٨ ، البندارى : آل سلجوق ص٧ ، ٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ٢٢٦ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ص ١٢ ، إقبال : الوزارة ص ٦٨ .

(٣) إقبال : الوزارة ص ٦٦ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٦٦ .

(٥) إقبال : الوزارة ص ٦٦ ، وكان ابن حسول أحد كتاب طغرلبك.. الروانى : راحة الصدور ١٧٣-١٧٤ .

(٦) إقبال : الوزارة ص ٦٦ .

(٧) خواندمير : دستور الوزراء ص ٢٥٤ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٠٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، الخالدى : النظم فى العراق ص ١٨٧ .

(٩) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٤٨٥ ، إقبال ، الوزارة ص ١٠٥ - ١٠٨ .

ولقد خط هؤلاء الكتاب الرسائل المهمة إلى الملوك والأمراء ، وخلفاء بنى العباس ، وأباطرة بيزنطة[١] . كما عرف العصر السلجوقى كتابا آخرين للدواوين المختلفة ، فكان هناك كاتب لديوان الخراج ، وآخر لديوان عرض الجيش ، وكاتب لديوان الأشراف ، وكاتب ديوان الاستيفاء ، ويختار لها أشخاص عرفوا بالتدين وحسن الخلق والنزاهة والكتمان ، ويفضل من كان ذا خط حسن جميل[٢] .

على أن أشهر هؤلاء كان كاتب ديوان الرسائل ، لأنه كان يخالط السلطان ويلازمه ، ويتصل به اتصالا مباشرا فأطلع على أدق تفاصيل وأسرار السلطنة السلجوقية ، مما جعل الكتابة بهذا الديوان من المناصب المهمة ، والتى يكثر التنافس حولها[٣] .

ومثلما اتخذ سلاطين السلاجقة كتابا لهم ، اتخذ خلفاء بنى العباس المعاصرون لهم كتابا أيضا فى دواوينهم[٤] ، وكان كاتب ديوان الرسائل من أشهر الكتاب فى العصرين السلجوقى والعباسى .

ألقاب الكاتب :

نظرا لأهمية الكتاب وأهميتهم السياسية والاجتماعية فى البلاط السلجوقى ، فقد منحهم السلاطين ألقابا خاصا بهم ، فأبو القاسم الجوينى (الكويانى) الذى كتب رسالة طغرلبك إلى الخليفة العباسى سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م كان يلقب بـ (سلار بوزكان) أى قائد ورئيس ومقدم القوم[٥] .

وقد أفاض ألب أرسلان وملكشاه على كتابهم الكثير من الألقاب مثل نظام الملك ، وعماد الدين ، وكمال الدولة وكمال الملك ، وناصر الدين ، وجمال الدين ، وتاج الملك[٦] ، مما يدل على أهمية الكاتب .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٠ ، ٤٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ١٠٤-١٠٦ .

(٣) حسين أمين : النظم ص ٢١٩ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ١٠٤-١٠٦ .

(٥) حسانين : قاموس الفارسية ص ٤٨٢ ، إقبال : الوزارة ص ٦٤ .

(٦) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ٢٣٢ ، إقبال : الوزارة ص ٨٨ ، ١١٦ ، ١٤٤ ، ١٣٥ ، ١٥٦ ، حسين أمين : النظم ، ص ٢١٩ .

رابعا : الحجابة :

تطور منصب الحاجب : يقصد بالحاجب الشخصى الذى يقف بباب الخليفة ليحجبه عن الناس ، ويغلق بابه دونهم أو ينظم دخولهم عليه مراعيا فى ذلك مكانتهم وأهمية أعمالهم[١]، ولم يمنع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا الخلفاء الراشدون أحدا من الدخول عليهم ، بل كانوا يخاطبون الناس دون حجاب[٢] ، كما يتضح من كلام ابن خلدون[٣] "وأما مدافعة ذوى الحاجات عن أبوابهم فكان محظورا بالشريعة فلم يفعلوه" .

ولكن بعد حادثة الخوارج ، وعمليات الاغتيالات التى تعرض لها على ومعاوية وعمرو بن العاص سنة ٤٠هـ/٦٥٩م ، وانتقال الخلافة من الشورى إلى الملكية على يد معاوية بن أبى سفيان ، حتمت هذه الظروف ضرورة الاهتمام بباب الخليفة ، وسده دون الجمهور ، فاتخذ معاوية حاجبا له ، وسار سنة من بعده[٤] .

وتوخى بنو أمية الدقة فى اختيار حجابهم ولذلك قال عبد الملك بن مروان ٦٥-٨٦هـ/٧٠٥-٧١٥م لحاجبه عندما خلع عليه المنصب "وليتك حجابة بابى إلا عن ثلاثة : المؤذن للصلاة ، فإنه داعى الله تعالى ، وصاحب البريد فأمر هام جاء به ، وصاحب الطعام لئلا يفسد"[٥] .

وقد اقتدى خلفاء بنى العباس ببنى أمية ، فاتخذوا الحاجب الذى اقتصر عمله فى أول الأمر على حفظ باب الخليفة ، والاستئذان للداخلين عليه ، ثم سرعان ما استبد بالأمر ، وصار يمنع الناس عن مقابلة الخليفة إلا فى الأمور الهامة ، وهذا مايسميه ابن خلدون [٦]

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٠ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : النظم الإسلامية ص ١٨٤ - ١٨٦ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٥٣ .

(٣) المقدمة : ص ١٩١ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٠ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، (دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٠م) ص ٦١ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٠ .

(٦) المقدمة : ص ٢٩١ .

"الحجاب الثانى" ، وصار بباب الخليفة العباسى دارين ، دار الخاصة ، ودار العامة ، وكان الخليفة يقابل كل طائفة فى مكان معين على مايراه الحاجب[١] .

وبذلك ارتفعت منزلة الحاجب فى الدولة العباسية ، وأصبح الخليفة يستشيره فى كثير من مهام الخلافة ، مما جعله يستبد فى بعض الأحيان بالنفوذ دون الوزير ، وهذا ما يطلق عليه ابن خلدون[٢] بالحجاب الثالث وهو أشد من الأولين ، الأمر الذى أدى إلى نشوب الخلاف بين الوزير والحاجب وكان سببا فى خروج أحدهما من عمله[٣] .

الحاجب برزك :

واستمر نظام الحجابة فى كل الدول الإسلامية فى المشرق الإسلامى ، وقد ورثه السلاجقة وأصبحت وظيفة الحاجب من الوظائف المهمة فى العصر السلجوقى ، فقد استخدم سلاطين السلاجقة الحجاب بالدركاه (باب السلطنة السلجوقية) ، وأطلقوا على صاحبها "حاجب برزك" أى الأمير الحاجب الكبير أو الحاجب العظيم ، لأنه كان من أهم اختصاصاته الاتصال بين الناس والسلطان السلجوقى ، أى أنه حلقة الوصل بين السلطان والوزير ، وكان يتلقى أوامره من السلطان مباشرة ، فهو وحده الذى يتلقى أوامر السلطان الشفهية[٤] ، ويبلغها للوزير وعلى الوزير تنفيذها[٥] ، مما جعل وظيفته حساسة ، وجعل منصبه من أهم المناصب فى الدولة لشدة قربه من السلطان ، فكان من أهم رجال البلاط السلجوقى[٦] .

ويدل أيضا على مدى حرص سلاطين السلاجقة على أسرارهم وأنفسهم ، أن جعلوا الحاجب ولأول مرة هو همزة الوصل بين السلطان والوزير على الرغم من قرب الوزير من السلطان ، وهكذا أصبح كلام الحاجب هو كلام السلطان وعلى الوزير وغيره من موظفى الدولة تنفيذ أقواله [٧] .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٩١ .

(٢) المقدمة ، ص ٢٩١.

(٣) حسين أمين : تاريخ العراق ص ١٨٣ ، ١٨٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٠٧ ، حسانين : إيران ، ص ١٦٤ .

(٥) عباس إقبال : الوزارة ، ص ٣٢ .

(٦) حسانين : إيران ، ص ١٦٤ .

(٧) إقبال : الوزارة ص ٣٢ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ١٨٣ ، ١٨٥ .

رسوم تعيين الحاجب السلجوقى (حاجب برزك) :

من رسوم السلاجقة فى تعيين الحاجب أنهم جعلوا تعيينه من اختصاص السلطان نفسه[١]، فإذا رضى السلطان عن أحد من خواصه رفعه إلى درجة الحجابة .

ولقد ورث السلاجقة الكثير من النظم السياسية والإدارية عن الغزنويين الذين احتكوا بهم قبل دخولهم العراق وفارس ، فتعيين الحاجب الكبير كان يتم عن طريق السلطان فى كلا العصرين ، فإذا ما أسند المنصب إلى شخص ما ، فإنه يؤمر له بخلعة فاخرة ، ثم يدخل على السلطان مرتديا خلعة الحجابة ، وتتكون من قباء أسود اللون ، وقلنسوة ذات ركنين ، ثم يبارك السلطان له بها ، إلى جانب منطقة من ذهب ، والكؤوس والرايات العريضة والشارات والغلمان وأكياس النقود والكسوة [٢] .

وقد سار سلاطين السلاجقة على أن يكون لهم حاجب برزك أى عظيم واحد فقط ، بعكس الغزنويين الذين تعدد حجابهم للسلطان الواحد[٣] ، وإن كان وزراء السلاجقة وأمراء الأقاليم قد قلدوا وزراء الغزنويين وأمراء أقاليمهم فى اتخاذ حجاب لهم[٤] .

اختصاصات ومهام الحاجب الكبير :

يختص الحاجب الكبير بنقل أوامر السلطان إلى كبار رجال الدولة ، وطلبات ورغبات الوزير وكبار الموظفين إلى السلطان ، كما يقوم بالإشراف التام على مقر السلطان ومجلسه وشئونه الخاصة ، ويستشيره السلطان فى كل مهام الدولة صغيرها وكبيرها ، وكان يسند إليه مهمة قيادة الحملات الحربية ، ويعرض على السلطان الأمور المهمة التى يجب على السلطان بحثها ، وإبداء الرأى فيها[٥].

ومن مهام الحاجب تنظيم "الدركاه" فيعين مكان وقوف العبيد والخدم والأصاغر ، فيقف خاصة الملك من حملة السلاح ، والسقاه ، وأضرابهم بالقرب من سرير الملك ، ويلتفون حوله ، فإذا ما أراد شخص أن يندس بينهم أبعده حاجب البلاط [٦] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٦٧ ، ادريس : رسوم ص ٩٣ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٤٩ ، ١٧٠ .

(٣) البيهقى : نفسه ص ١٤٦ ، ١٦٥ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٢٤ .

(٥) البيهقى : تاريخ ص ٥٢ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٨٣ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٦٢ .

ومن أهم وظائف الحاجب المحافظة على شخص السلطان من الثورات الداخلية ، فيعمل على إخمادها[١] ، وهو المشرف على سير الأمور فى الدولة فى بلاط السلطان ، وله نائب يعاونه ، وهو نفسه "حاجب سلار" الذى كان فى عهد الغزنويين[٢] . وكان السلطان السلجوقى يعهد إلى حاجبه الكبير بقيادة الجيوش لمحاربة أعداء السلطنة خارج حاضرة السلطنة السلجوقية ، مثلما كان الحال فى العصر الغزنوى[٣] .

وكان الحاجب الأعظم (حاجب برزك) يشرف على الأمور فى البلاط ، وكان نفوذه يصل - أحيانا - إلى درجة التدخل فى شئون الدولة المختلفة ، وفى تعيين حكام الأقاليم وكثيرا ما استبد الحجاب بهذه الشئون دون الوزراء ، فكان أصحاب الدواوين يرجعون إليهم فى المسائل المتعلقة بدواوينهم ، ولايفصلون فيها إلا بعد الرجوع إليهم ، وكثيرا ما كان الحاجب يصبح هدفا لدسائس الوزير إذا زاد نفوذه ، وعظم استبداده بأمور الدولة لدرجة مخالفته لأوامر السلطان السلجوقى[٤] .

وكان منصب الحجابة مصدر ثراء لمن يتولاها[٥] ، مما أدى إلى زيادة التنافس حول هذا المنصب . ويعاون الحاجب نائب له يعاونه فى تصريف أمور الدولة[٦] ، وعليه تبليغ ما يريده الحاجب وتنفيذ أوامره ، وتصريف أعماله[٧] . وعندما يريد شخص مقابلة السلطان السلجوقى يسمح له بالدخول دون حجاب إذا كان للشخص مظلمة ، ويحدث السلطان مشافهة ، ويطلب إليه إنصافه[٨] ، وكان السلطان ملك شاه من أحرص سلاطين السلاجقة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٢٦٧ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٠٥ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، البيهقى : تاريخ ص ٥٠٢ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص ٣٣٧-٣٣٨ ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٢٦٧ ، حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٦٦ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٠ ص ١٥٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٥٩ .

(٧) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٨٣ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٥ .

على السماح للمظلومين بالدخول دون حجاب ، حتى قيل أنه لم يوجد على عهده شخص له مظلمة[١] ، ومن اختصاصات الحاجب أيضا الاتصال بالسلاطين والملوك ، وأمراء الدول المجاورة ، وعرض وجهات نظر السلطان الذى يقوم الحاجب بخدمته[٢] .

ولم يتخذ الحاجب من قصر السلطان مقرا دائما له ، بل كان يساهم مع السلطان فى حروبه خارج عاصمته[٣] وكان الحاجب يصحب السلطان السلجوقى فى مواكبه ورحلاته داخل وخارج حدود الدولة السلجوقية ، ففى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، لما خرج طغرلبك قاصدا بغداد خرج رئيس الرؤساء ابن المسلمة لتلقى السلطان فلقيه الحاجب ، وقدم رئيس الرؤساء إلى السلطان طغرلبك ، وأمر حاجب السلطان رئيس الرؤساء بالنزول عن بغلته ، وأن يركب فرسا من مراكب السلطان الخاصة[٤] .

حجاب طغرلبك :

يعتبر السلطان طغرلبك أول السلاجقة الذين اتخذوا حجاباً لهم ، فكان أول حجابه الحاجب (عبد الرحمن اليزن الأغاجى)[٥] والذى كانت مهمته توصيل الأحكام والفرامين السلطانية إلى الأمراء ورؤساء الجيش الوزراء ، وقد ساعد الأغاجى طغرلبك فى حروبه ضد أخيه ابراهيم ينال بالمشاركة مع السيدة خاتون زوجة طغرلبك الأولى[٦] .

ولذلك حظى الأغاجى بالنجاح والتقدير لدى طغرلبك فأطلق عليه الألقاب ، التى تبين اختصاصاته ومهامه ، مثل لقب الآغاجى أى الرئيس أو القائد ، والذى يدل على أنه الواسطة

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٥ ، البندارى : آل سلجوق ص ٧٠ .

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق ص ١٨٣ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ١٩٠ ، ١٩١ ، البغدادى : تاريخ بغداد ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ، ص ١٦٤ .

(٥) الأغاجى : أغا كلمة تركية المصدر (أغمق) بمعنى الكبر وتقدم السن ، وأغاجى كلمة تركية معناها الحاجب أو الخادم للسلاطين ، وهو الواسطة فى إبلاغ المطالب والرسائل يحملها من السلطان يبلغها إلى أعيان الدولة وتطلق فى التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة ، وعلى الخادم الخاص الذى يؤذن له بالدخول على النساء : الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٠ ، النظام العروضى : جهاز مقاله ص ١٣٠ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ٣٣٤ ، أحمد السعيد ، تأصيل ص ١٧ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

فى إبلاغ المطالب والرسائل التى يحملها من السلطان ليبلغها إلى أعيان الدول أو العكس[١]، كما لقبه بحاجب برزك أى الحاجب العظيم .

ثم تولى الحاجب "قماج" الحجابة للسلطان طغرلبك[٢] .

حجاب ألب أرسلان وملكشاه :

استمر الحاجب قماج حاجبا لألب أرسلان[٣] ثم تولى مكانه الحاجب (بكرك) ثم الحاجب عبد الرحمن الآغاجى مرة أخرى[٤] ، ثم أعاد ملك شاه الحاجب :قماج" مرة أخرى [٥] .

ملابس الحاجب وألقابه :

كان لباس الحاجب قباء أسود ، وعمامة سوداء ، وسيفا ، ومنطقة من ذهب[٦] ، وكـــان يلقب ببعض الألقاب التى تدل على اختصاصاته مثلما طغرلبك حاجبه (عبد الرحمن أليزن)

الفصل الثالث

النظم الإدارية والقضائية

أولا : النظام الإدارى : التقسيمات الإدارية - أقاليم الدولة - الولاة - امراء الأقاليم - مراسم تعيين الوالى - العلاقة بين السلطان السلجوقى وولاة الأقاليم - الدواوين : ديوان الصدارة (الوزارة) ، ديوان الطغراء (الرسائل) ، ديوان الاستيفاء ، ديوان عرض الجيش .

أرباب الوظائف الأخرى : وكيلدار السلطان (وكيل الباب) - الطغرائى ، نائب الطغرائى - المستوفى ، نائب المستوفى - المشرف ، نائب المشرف - عارض الجيش - العميد - الشحنة - الأسفهسلار - صاحب الشرطة .

النظام القضائى : تطور منصب القضاء - اقضى القضاة فى عهد السلاجقة - أشهر من تقلد منصب القضاء زمن السلاطين العظام .

(أبو عبد الله الدامغانى * أبو بكر أبى المظفر السمعانى الشافعى)

- تشكيلات القضاء فى السلطنة السلجوقية (ثقافة القضاة ونزاهتهم - مجالس القضاء - مذاهب القضاة - إيرادات القضاة (رواتبهم) .

ديوان القاضى وأعوانه ، الوكلاء - المحامون ، تلاميذ القاضى ، مهابة القضاة عند سلاطين السلاجقة ، ملابس القضاة ، ديوان المظالم (قضاء المظالم) .

النظام الإدارى :

كان لشجاعة السلاجقة ومهارتهم ، وقوتهم ، وكثرتهم العددية أثرها فى صيرورتهم قوة إسلامية كبيرة لها وزنها فى مشرق العالم الإسلامى ، وأدرك سلاطين السلاجقة العظام أن الواجب يحتم عليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم للمحافظة على مكاسبهم ، والإبقاء على الصرح

الذى شيدوه ، فرأوا أنهم فى حاجة إلى إقرار نظم إدارية ، وإلى تعيين موظفين وعمال ينجزون حوائجهم ، ويحققون متطلباتهم ، ويساعدونهم على الاحتفاظ بممالكهم الفسيحة[١] .

- وكما أسلفنا فالسلاجقة كانوا مجموعة من القبائل التركمانية البدوية ، لا خبرة ولا دراية لهم بمجال الإدارة ، والقوانين الإدارية ، على الرغم من مهارة رؤسائهم ، ولكن العامل الوحيد الذى عجل بقضاء حوائجهم ، ومكن السلاطين العظام من المحافظةعلى ممالكهم الواسعة ، هو طبقة الكتاب وعمال الدواوين ممن أمضوا عمرهم فى خدمة السامانيين الغزنويين الديالمة الفرس، وخلفاء بنى العباس والذين تمرسوا فى الأعمال الإدارية ، واكتسبوا فيها الخبرة والدراية ، ولأنهم - أى السلاجقة لاخبرة لديهم قط عن كيفية إدارة الممالك ، فقد أبقوا على هذه الطبقة من الموظفين بنفس تشكيلاتها ونظمها الإدارية فى العهود السابقة ، مما كان سببا فى أن ديوان السلاجقة هو نفسه ديوان الغزنويين والسامانيين باستثناء بعض المصطلحات والتغييرات البسيطة التى اقتضاها العصر السلجوقى[٢] .

أولا : التقسيمات الإدارية (أقاليم الدولة) :

نتيجة لاتساع الدولة السلجوقية فى عهد السلاطين العظام ، فقد تألفت من عدد من الأقاليم الإدارية ، وكانت أشهر الأقاليم الإدارية التى شملتها الدولة فى أوج قوتها فى عصر السلاطين العظام ، خراسان ، وما وراء النهر وبست وهراة وسجستان وكرمان ، والرى ، وهمذان ، وأبهر رزنجان ، وأذربيجان ، وأصفهان ، ومرو ، وبلاد فارس وبلاد الشام ، وآسيا الصغرى[٣] وبعض أجزاء من أرمينية إلى جانب العراق .

وقد خضعت التقسيمات الإدارية فى دولة السلاجقة العظام لعوامل سياسية ومالية نتج عنها قيام أقاليم جديدة أو إدماج أقاليم فى أخرى[٤] ، وكان من أثر اختيار السلاطين عواصم لهم بدلا من بغداد كالرى ونيسابور فى عهد طغرلبك ، ومرو فى عهد ألب أرسلان ، والذى

---

(١) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢٠٨ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٣٨ .

(٣) حسانين : سلاجقة ، ص ١٦٩ .

(٤) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٠ .

تحاشى أن ينزل بغداد حتى لايتورط فى المجادلات المزعجة مع الخليفة وعرب العراق ، تلك المجادلات التى عقدت الأمور فى السنوات الأخيرة من حكم طغرلبك الذى فرض فى العراق حقوق السلطنة بلا تهاون ، ولم يرى ما نعا من استمرار بقاء الإمارات المستقلة القائمة على حدوده مثل بنى عقيل فى الموصل(٢) وبنى شداد فى آران (٣) واتخذ ملك شاه أصفهان عاصمة له ، فكان من أثر ذلك أن أصبح العراق إقليما كغيرة من أقاليم الدولة ، غير أنه كان يلى حكمه حاكم مدنى يعرف بعميد العراق(٤) ، يساعده حاكم عسكرى يعرف بالشحنة(٥) ، مما أدى إلى تلاشى سلطة الخليفة العباسى الإدارية ، كما تلاشت من قبل سلطته السياسية(٦) .

ثانيا : الولاة أو أمراء الأقاليم :

اتبع سلاطين السلاجقة العظام نظام اللامركزية فى إدارة الولايات فعينوا أميرا على رأس كل ولاية من أفراد البيت السلجوقى(٧) .. وقد قسم فقهاء المسلمون أنواع الولاية على البلدان إلى نوعين عامة وخاصة(٨) ، وقسمت العامة إلى قسمين :

١- إمارة استكفاء :

وهى التى تنعقد بعقد عن اختيار السلطان أو الخليفة ، وتشتمل على عمل محدود ، ونظر معهود ، والتقليد فيها أن يفوض الخليفة أو السلطان إمارة بلد أو إقليم إلى الأمير ولاية على جميع أهله ..

---

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٤ ، ص ١٦٨ .

(٣) آران : بالفتح وتشديد الراء وألف ونون ، اسم لولاية واسعة وبلاد كثيرة ، من أصقاع أرمينية ، وهو أيضا اسم لحرات ، البلد المشهور من ديار مصر ، كان يعمل بها الخز قديما ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ١٤٦ .

(٤) انظر : الفصل الثالث ص ٢٨٠ - ٢٨٥ .

(٥) أنظر : الفصل الثالث ص ٢٨٥ - ٢٨٩ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٤ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨١ .

(٨) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٠ .

٢- إمارة استيلاء :

بعقد عن اضطرار بمعنى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة أو السلطان إمارتها ، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير مستبدا بالسياسة والتدبير(١) .

أما الإمارة الخاصة :

فهى أن يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية ، وحماية البيضة والذب عن الحريم ، وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام وجباية الخراج والصدقات(٢) .

وإذا طبقنا هذا التقسيم على إمارات وولايات السلاجقة عصر السلاطين العظام ، فسنجد أن إمارتى الاستكفاء ، والإمارة الخاصة فقد كانتا موجودتين ، طوال عصر طغرلبك وألب أرسلان ، وملك شاه ، ولا وجود لإمارة الاستيلاء ، باستثناء بعض الفترات البسيطة التى كان يستولى فيها أمير على إمارته ، وسرعان ما كان يؤدبه السلطان .

فقد استطاع السلاطين العظام بحكم تقاليدهم البدوية أن يضموا إليهم جميع إخوتهم وبنى عمومتهم ، وأبناء جلدتهم من السلاجقة ، وأخذوا منهم الطاعة والولاء بالرضا تارة ، وبالقهر تارة أخرى ، وقد استطاع أول سلاطينهم أن يكسب ولاء وطاعة جميع أفراد البيت السلجوقى(٣) ، وبهم بلغت الدولة فى عهده أوج قوتها ، وأقصى اتساعها وضمت إليها مناطق جديدة(٤) .

وإلى طغرلبك يرجع الفضل فى وضع نظام اللامركزية فى الحكم ، فقد عين أمراء البيت السلجوقى كلا على ناحية من نواحى الدولة الوليدة ، ولقب كل واحد منهم بلقب ملك ، جفرى بك أكبر إخوته سنا كان حاكما على مرو ، واختص بمعظم خراسان ، وكان يحمل لقب ملك ، وموسى بيغوكلان "أكبر السلاجقة سنا حاكما على بست وهراة وسيستان ، وما يجاورها من الجهات التى يستطيع فتحها ، ولقب بلقب ملك أيضا ، كما أصبح قاورد بك أكبر أولاد

---

(١) الماوردى : نفسه ، ص ٣١ - ٣٣ .

(٢) الماوردى : نفسه ، ص ٣٢ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٨ .

(٤) حسانين : السلاجقة ، ص ١٦٩ .

جغرى بيك حاكما على ولاية الطبسين وكرمان ولقب بلقب ملك ، وكان ابراهيم ينال حاكما على قهستان وجرجان [١] أما الأمير ألب أرسلان فقد لزم خدمة عمه طغرلبك ، وبقى معه ليدبر أموره[٢] .

وتعاهد هؤلاء الأمراء على الاتحاد والتعاون فيما بينهم ، وبذل طاعتهم لطغرلبك ، وقال لهم طغرلبك "فإذا نشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم ، وتغلب علينا الأعداء ، وذهب الملك من أيدينا"[٣] .

وبعد أن استتب الأمر للسلطان ألب أرسلان فى مرو بايعه أمراء دولته ، وأقطع البلاد لهم، فأقطع مازندران[٤] للأمير أينانج بيغو ، وبلخ لأخيه سليمان بن دواد ، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغون ، ومرو لابنه أرسلان شاه ، وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس ، وولاية بقشور[٥] ، ونواحيها للأمير مسعود بن ارتاش بن عمه ، وولاية اسفيزار[٦] لمودود بن ارتاش سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م [٧] ، وبلاد فارس إلى ابنه جلال الدولة ملكشاه ، وأسند وزارته إلى نظام الدين فخر الملك ابن نظام الملك سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٢م [٨] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، يلمازا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٣ .

(٣) الحسينى : نفسه ، ص ٢٣ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ .

(٤) مازندران : بعد الزاى نون ساكنه ، ودال مهملة ، وراء ، وآخره نون ، اسم لولاية طبرستان .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ص ٤١ ، وهى طبرستان كلها وطبرستان تعنى الجبل ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، صض ٤٠٩ .

(٥) بقشور : تقع على طرف بحر الديلم ، وتشتمل على قرى واسعة ، وهى وسط جبال وعرة المسالك ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٢٣١ ، وهى مدينة بين هراة ومرو الروز ، القزوينى : آثار البلاد ص٣٢٩.

(٦) اسفيزار : بالفتح ثم السكون ، وكسر الفاء وياء ساكنة ، اسم ولاية على طرف بحر الديلم ، وتشتمل على قرى واسعة ، أرضها جبال وعرة ومسالكها ضيقة ، ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ١٨٠ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٥٨ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٦ ، ص ١٢٨ ، عبد الهادى محبوبة : من رسائل نظام الملك ، ص ٢٨ - ٣٥ .

واتبع ملك شاه نفس النهج ، بل زادت الدولة اتساعا فى عهده فبلغت أقصى اتساعها ، فعين على كل ولاية أميرا ، فكان سليمان شاه بن قاورد على كرمان ، وأسند ولاية فارس إلى الأمير ركن الدين قتلغ تكين ، وولى أخاه شهاب الدولة قتلمش على بلغ وطخارستان إلى جانب بلاد الشام ، وعين بورى برس بن دواد على هراة ونواحيها (١) ، وجمال الملك بن نظام الملك بلخ وأعمالها (٢) ، والأمير العميد أبا طاهر عميد خوارزم على سمرقند (٣) وعين قيم الدولة أقسنقر على ديار بكر وما يجاورها (٤) ، وسليمان بن قتلمش على آسيا الصغرى (٥)، والأمير أرتق على بيت المقدس ، والأمير بوزان على الرها (٦) ، وعين نظام الملك أولاده الاثنى عشر كل على ولاية من ولايات الدولة الواسعة (٧) .

وعرف حاكم الإقليم أو الولاية بالأمير أو الوالى ، ورُوعى فى اختياره أن يكون أحد أفراد البيت السلجوقى أولا (٨) ، وأن يكون من كبار القادة العسكريين ، وبذلك اتسمت إدارة الولايات بالطابع العسكرى الذى يتفق مع روح السلاجقة (٩) ، ومرد ذلك إلى إرضاء قادة السلاجقة وللوقوف فى وجه الطامعين فى الخروج عن السلطان ، ولرد أى عدوان خارجى من الدول المجاورة أو لمعاونة السلطان السلجوقى فى حروبه الخارجية ، حيث اختص كل أمير بتجهيز جيش كبير على أن يكون هو وجنوده فى خدمة السلطان ووزيره ، ويسارع إلى تلبية

---

(١) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٩ ، عباس إقبال : أخبار الدولة ص ٥٧ .

(٢) ابن الأثير ، جـ٨ ، ٤٢٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٢١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٤٨ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٦) ابن القلانسى : ذيل ، ص ١١٩ .

(٧) خوندامير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٤ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ .

(٨) حسانين : سلاجقة ، ص ١٦٩ .

(٩) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٢ .

النداء إذا ما طلب إليه ذلك ، مثلما فعل إبراهيم ينال مع طغرلبك[1] ، وشهاب الدولة قتلمش، وتاج الدولة تتش مع ملك شاه[2] . ولقد حققت هذه السياسة قدرا كبيرا من الأمن للسلطة السلجوقية ، وابقت عليها حينا من الدهر .

وسمح سلاطين السلاجقة لحكام الولايات (نوابهم) بفتح ما يشاءون من البلاد المجاورة لولاياتهم وضمها إليهم[3] ، فكان من حق أمراء الولايات التوسع بشرط ألا يكون هذا التوسع على حساب أبناء جنسهم ، بل على حساب الولايات غير الخاضعة للسلطان السلجوقي ، وليست على دين الإسلام ، مثلما فعل سليمان بن قتلمش في آسيا الصغرى[4].

وترك سلاطين السلاجقة العظام إدارة الأقاليم في يد أمرائها الحاكمين من قبلهم ، دون تدخل من جانبهم في تنظيم الإقليم ، وتصرف أموره الداخلية ، فكان حاكم كل إقليم مستقلا استقلالا تاما في إدارة إقليمه ، مع إعلانه الطاعة والولاء للسلطان[5] .

كما سمح السلاطين لحكام الولايات باتخاذ الوزراء مما يدل على حريتهم في تصريف أمور أقاليم ، فاتخذ جغرى بيك داود أبا على بن شادان - وزيرا له [6] كما اتخذ الأمير موسى بيغو- أبا الفتح مسعود بن محمد ابن سهل وزيرا له[7] واتخذ حسن بن موسى بيغو حاكم هراة - أبا نصر محمد بن حسن الباخرزى وزيرا له[8] ، وزر نظام الملك لألب أرسلان

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢١-٢٢٣ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٧٢ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٦٨ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ٩٦ ، ٩٧ . ابن القلانسي : ذيل ، ص ١١٩ .

(٥) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، إقبال : الوزارة ص ٦٠ .

(٦) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٢١ ، إقبال : الوزارة ، ص ٦٠ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

فى أثناء ولايته على خراسان[١] ، ووزر نظام الدين فخر الملك من نظام الملك لملكشاه فى أثناء ولايتـه على فـارس[٢] ، واتخذ قاورد بك - ناصر الدين أبا عبد الله بن العلاء مجير الدولة وزيرا لـه ، كمـا اتخذ الأمير ركن الدين قتلغ تكين أميـر فارس فى عهد ملك شاه - عـميـد الدولة جمشيد بن بهمنيار وزيرا له[٣] .

واستـعـان كل وال وأمير من أمراء الأقاليـم بعـدد من الموظفين بعدد من الموظفين الذين اتصفوا بالسيـرة الحسنة[٤] يساعدونه فى تسيير أمور دولته ، وسمح لهم باتخاذ الجند ، وتكوين الجـيـوش الخاصـة بهم[٥] ، فاستـعـاونوا بالقبائل السلجوقيـة التركيـة فى تكوين جيوشهم، كما استعانوا بمجموعة كبيرة من موظفى الدواوين التى كانت على غرار الدولة الأم كديوان الرسائل ، والخراج ، والطغراء ، وغيـره[٦] ، بل سمح لهم باتخاذ الحجاب ، والكتاب الخاصين بهم[٧] .

ألقاب حكام الأقاليم : لقب حاكم الإقاليم فى العصر السلجوقى بلقب الوالى أو الأمير ، كما لقبوا بلقب "شاه" أى ملك[٨] ، لأن هذا اللقب تابع للسلطان الذى كانت له السلطة العليا فى الدولة ، كما أضيف إليهم لقب دهقان[٩] .

نائب الوالى : وكان يسمح لوالى الولاية بتعيين نائب عنه فى ولاية أخرى ، إذا ما أسندت إليه ولايتان ، ويشترط فى ذلك موافقة السلطان السلجوقى نفسه[١٠] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ١٣٥ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٥٦ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٦٠ .

(٥) حسانين : سلاجقة ، ص ١٦٩ .

(٦) انظر : ترجمتها ص٢٦٣ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٩) البيهقى : تاريخ ، ص ٤٤١ .

(١٠) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، البيهقى ص ٢٦٧ ، ٣٧٦ .

مراسم تعيين الوالى : عند تعيين والى الولاية أو أميرها تجرى مراسيم التعيين المتبعة لذلك فيعد له (الخلعة) أو الزى الخاص به ، وتكون فاخرة للغاية ، وتشتمل غالبا على منطقة من الذهب وقبعة ذات ركنين ، وسرج ذهبى بألف مثقال ، وعدد من الغلمان ، يتفاوت بحسب منزلة الوالى وأهميته ، ومقدار كبير من المال لا يقل عن مائة ألف درهم ، وعدد من الملابس والأفيال والكوسات[١] ، والراية[٢] ، ويقوم الوزير عادة بإعداد وثيقة التولية ، وكتاب العهد، وتقرأ أمام السلطان فى المجلس ، ويشهد عليها الحضور ، ثم يقسم الأمير على الوفاء، ويباركه السلطان[٣].

ويمارس الوالى كافة السلطات المدنية ، ويعين بدوره صاحب الشرطة والشحنة بكل مدينة أو ناحية فى ولايته ، وتسند إليه القيادة العامة للشئون العسكرية فى الولاية ، وهو بذلك يجمع بين السلطات المدنية والعسكرية عدا القضاء الذى كان من اختصاص الخليفة والسلطان[٤].

وعلى الولاة وجميع حكام الأقاليم اقامة الخطبة للسلطان السلجوقى فى ولاياتهم ، وضرب العملة باسمه فلما تولى جغرى بيك داود حكم مرو وخراسان ، ذكر طغرلبك فى الخطبة[٥] ، وفى سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م سار طغرلبك إلى تبريز قاعدة أذربيجان ، وإطاعة أميرها أبو منصور فرامرز البويهى ، وأعلن الخطبة له فيها[٦] ، كما أقام ألب أرسلان الخطبة لعمه طغرلبك فى مرو وخراسان كلها بعد وفاة والده جغرى بيك[٧] وأجبر ألب أرسلان أخاه قاورد على إقامة الخطبة له فى كرمان سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م[٨] ، كما أجبر عمه بيغو على إقامة

---

(١) الكوسات : جمع كوست وهى الطبل الكبير ، البيهقى : تاريخ ، ص ٨٠٤ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٩١ ، ٤١٣ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٩٦ .

(٤) بدر عبد الرحمن : رسوم ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٧ .

(٧) البنداري : آل سلجوق ، ص ٣٠ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ .

الخطبة له فى هراة سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م[١] ، وأقام سليمان بن قاورد الخطبة لملك شاه فى كرمان سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م[٢] ، كما أقيمت له الخطبة فى البلاد الواقعة بين كاشغر شرقا ، وأنطاكية غربا ومن بحيرة خوارزم شمالا حتى حدود اليمن جنوبا[٣] .

العلاقة بين السلطان السلجوقى وولاة الأقاليم :

دان أغلب ملوك وأمراء السلاجقة بالطاعة والولاء لسلطانهم ، وأعلنوا تبعيتهم له ، وخطبوا باسمه على على منابر ولاياتهم ، ورضوا بلقب الملك وهو لقب تابع السلطان[٤] ، ولقد مثل الملك جغرى بيك داود الأخ الأكبر لطغرلبك قمة الإخلاص فى الطاعة والتبعية لأخيه على الرغم من كبر سنه[٥] ، ففى الوقت الذى كان طغرلبك مشغولا بالتوسع غربا وفى قمع الثورات التى يعلنها قادة التركمان ضده ، كان جغرى بيك مستقرا فى حكم المنطقة التى منحها إياه طغرلبك وهى خراسان ومرو ، وكافة الأراضى الواقعة شمال نهر جيحون مما قد يفتحها وكانت مرو عاصمته ، ومركزا لإدارة الجانب الشرقى من السلطنة السلجوقية[٦] .

ولم يفكر جغرى بيك داود مطلقا أن يستقل بحكم هذه المناطق عن طغرلبك ، أو أن يقود ضده ثورة والذى كان بإمكانه أن يتوسع على حساب الغزنويين وغيرهم ، ولكنه آثر أن يكون حاكما للجانب الشرقى من الدولة حتى وفاته سنة٤٥١هـ/١٠٥٩م[٧] ، على الرغم من أنه جعل ابنه وخليفته ألب أرسلان يشاركانه فى تصريف الأمور بقدر ظل يتزايد فى السنوات الأخيرة من حياته[٨] .

---

(١) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٧٧ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٣ .

(٢) أفضل الدين : تاريخ كرمان ، ص ١٠ .

(٣) الذهبى : دول الإسلام ، جـ٢ ، ص ١٠ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٧ .

(٦) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٩ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٣٠ .

(٨) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٩ .

ونتساءل الآن لماذا وقف جغرى بيك هذا الموقف من طغرلبك ؟ ولماذا لم يقد حركات التمرد ضده مثلما قادها - قادة - التركمان الآخرون ؟ والإجابة هى : يرى بعض الباحثين أن شخصية جغرى بيك لم تكن مرموقة فعالة ، وأنه آثر السلامة والحفاظ على الجانب الشرقى المخصص له من الدولة السلجوقية ، ولم يحاول أن يناطح طغرلبك أو ينافسه[١] . قانعا بما تحت يده من إمارات ليحكمها .

ولعل السبب فى هذا الحكم هو أن المعلومات التى ذكرتها المصادر الأصلية عنه ، وعن أسلوب حكمه فى بلاده ليست بالوفيرة ، ولكن التفكير المنطقى يبرر تصرف جغرى بيك ، وقناعته بالسلطة الواسعة التى كانت له فى المشرق ، صحيح أنه لم يفكر فى التمرد على شقيقه طغرلبك ، ولكن ما الداعى لهذا التمرد ، وهو يعلم أن طغرلبك ، ليس له أولاد يرثون ملكه من بعده ؟ ويعنى هذا أن أحد أبناء جغرى بيك نفسه هو الذى سوف يعقب طغرلبك على أملاك السلاجقة الشاسعة ، وهذا ما حدث بالفعل بعد وفاة طغرلبك ، فتقلد ألب أرسلان أكبر أولاده السلطنة السلجوقية[٢] .

كذلك كان أبناء جغرى بيك خير عون لطغرلبك طوال حياته ، فقد ساندوه وآزروه ، فعاونه ألب أرسلان كثيرا خاصة فى أثناء تمرد إبراهيم ينال سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، عندما استدعاه طغرلبك فجهز جيشا كبيرا ساند به عمه فى القضاء على الفتنة[٣] ، ومكث إلى جوار عمه يساند فى كل المواقف[٤]. واستعان خراسان من السلطان مودود الغزنوى سنة ٤٣٥هـ/٤٣-١٠٤٤م[٥] .

ويضاف إلى ماسبق أن مهمة جغرى بيك وأعباءه ومسئولياته ، ليست باليسيرة فى المشرق فقد كان عليه أن يدافع عن منطقة الحدود الواقعة خلف نهر أترك[٦] ، ونهر جيحون ودهستان

---

(١) كاهن : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة جغرى بيك ، ص .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٨ ، أحمد معوض : أضواء ص ٨١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢١-٢٢٣ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص .

(٦) نهر أترك : أحد أنهار جرجان أوكركان فى جنوب شرقى بحر قزوين وهو يسقى السهول العريضة والأودية فى إقليم جرجان ، ومخرجه من سهول خراسان بين نسا وجنوشان قرب منابع نهر المشهد ، =

وخوارزم من غارات القنجاق ، وما قد يتجدد من نشاط معاد للسلاجقة من جانب القراخانيين[١] .

كذلك كان الشغل الشاغل لجفرى بيك هو تأمين العلاقة مع الغزنونيين الذين استمروا بضعة عقود ، يحلمون باستعادة الأقاليم الخراسانية ، فيذكر ابن الأثير[٢] أن إبراهيم بن مسعود ٤٥١-٤٩٢هـ/١٠٥٩-١٠٩٩م ، كان يتباكى على أراضى الغزنونيين السليبة ، ويعلن أسفه على أنه لا يستطيع استرجاعها ، وقد اعتاد أن يقول : إنه لو كان مكان أبيه مسعود ، بعد وفاة جده محمود ، لما كانت أراضى الدولة الغزنوية قد تداعت .. ولكنه ضعيف لا يستطيع أن يستعيد ما أخذه ملوك أقوياء[٣] .

واستمر الصراع الغزنوى السلجوقى ، الذى لعب فيه جفرى بيك دورا هائلا ، يسانده أمراء الأقاليم الآخرون ، ففى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م قام أبو الفضل سنجر ، وارتاش أخو ابراهيم ينال بالهجوم على بست ، إلا أن السلطان مودود الغزنوى ٤٣٢-٤٤١هـ/١٠٤٠-١٠٤٨م أحبط هذا الهجوم[٤] وهاجم السلطان عبد الرشيد بن محمد الغزنوى ٤٤١-٤٤٤هـ/١٠٤٩-١٠٥٢م أراضى السلاجقة وطرد حاكم سيستان أبو الفضل سنجر وموسى بيغو السلجوقى من الإقليم ، واضطره إلى الهرب إلى هراة ، وهزم السلاجقة ، واضطرهم إلى الانسحاب لفترة من كرمان وسجستان[٥] .

= ونهر أترك عميق الغور ومعظمه صعب العبور ويصب فى بحر قزوين ، وطول مجراه حوالى ٧٢٠كم ، ويقال ان اسم أترك ترك وسمى نهر أترك بهذا لأن الأتراك يعيشون فى زمن ما على ضفافه ، ولم يعثر على اسمه فى كتب البلدانيين العرب الأوائل وذكره المستوفى فى نزهة النفوس فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلاد باسمه نهر أترك ، وهى التسمية التى يعرف بها للآن ، انظر : المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٥٤ ، ٣٦٧ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

(١) أحمد معوض : أضواء ص ٨١ .

(٢) الكامل : جـ١٠ ص ١١١ .

(٣) أحمد معوض : أضواء ، ص ٨١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦٨ .

(٥) تاريخ سيستان لمؤلف مجهول ، نشر ملك الشعراء محمد تقى بهار ، (طهران ١٣١٤/١٩٣٦م) ص ٣٧٩ ، ٣٨٢ الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٨-٢٩ ، أحمد الحولى : سجستان ، (القاهرة ، بدون) ، ص٩.

وهنا تحرك جغرى بيك ، ليعيد الحكم السلجوقى إلى سجستان من جديد ، وجعلها جغرى بيك هذه المرة تابعة له ، وأكد سيطرته عليها ، بعد أن أرسل فى أول الأمر ابنه ياقوتى ، ثم جاء نفسه إلى رزنك عاصمة سيستان سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م-١٠٥٧م ، وفيها سك العملات باسمه[١].

وأراد جغرى بيك بوصفه حاكم خراسان والمشرق ، أن يرد موسى بيغوا إليها على أن يكون تابعا له ، وأن تكون سجستان مقاطعة تابعة لخراسان ، إلا أن موسى بيغو لجأ إلى طغرلبك بوصفه رأس الأسرة السلجوقية ، فأرسل إليه تقليدا بولاية سجستان وأمر أن تكون الخطبة والسكة باسم موسى بيغو ، كما كانت من قبل ، دون مناقشة أو مراجعة[٢] . وظلت سجستان بعد موسى بيغو لابنه قرا أرسلان بيرى ، الذى تمتع بنفس حقوق أبيه فى سجستان ، وإن استمرت الإدارة المحلية فى أيدى أبى الفضل سنجر الصنارى حتى حتى وفاته سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م ، ثم ابنه بهاء الدولة والدين طاهر من بعده[٣] .

وحاول جغرى بيك حصار غزنة واحتلالها ، إلا أن فرخ زاد بن مسعود الغزنوى رده عنها وأسر العديد من قادة السلاجقة المعروفين ، إلا أن ألب أرسلان قد سارع بالقيام بعملية إنقاذ هزم فيها فرخ زاد وحرر أسر والده ومن معه[٤] .

وهكذا كان جغرى بيك مهموما بدولة السلاجقة ، وحروبها المستمرة مع الغزنويين فلم يفكر مطلقا فى التمرد على أخيه طغرلبك ، بل كان ساعداً أيمن له .

ولكن نتيجة للتناقض بين الأساليب البدوية المتأصلة فى نفوس السلاجقة ، وبين الأساليب الإيرانية التى تؤله الحاكم ، وتجعل كلمته هى العليا[٥] ، تمرد بعض أمراء البيت السلجوقى، وأعلنوا انشقاقهم ، وخروجهم على السلطان بل قادوا الثورات ضده ، فقد تمرد موسى بيغو أكبر أفراد الأسرة السلجوقية سنا على طغرلبك فى هراة وسجستان وبست ، ورفض أن

---

(١) تاريخ سيستان : ص ٣٦٨ - ٣٧١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٨٨-١٩٨ ، الحسينى : أخبار ، ص ٢٨-٢٩ .

(٣) تاريخ سيستان : ص ٣٦٨-٣٧١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٩٨ .

(٥) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٧ .

يدين له بالطاعة والولاء ، فقد كان ينظر إلى طغرلبك هو وأمراء التركمان ، على أنه عديل لهم وقرين، وليس رئيسا مطلق الكلمة والأمر ، تجب طاعته فورا[١] ، فقد كان موسى بيغو، وابراهيم ينال ، وقتلمش بن إسرائيل - وهم أشهر من قادوا الثورات وحركات التمرد ضد طغرلبك ، كانوا يعدون أنفسهم أشبه بمجلس رئاسة للدولة ، يكون فيه السلطان هو المتحدث الرسمى أو المقرر حسب المفاهيم المعاصرة الآن[٢] . ولكن الموظفين الإداريين الإيرانيين الذين التفوا حول السلطان السلجوقى ، والذين اعتادوا تأليه الحاكم وتقديسه ، ووضعه فى مرتبه أعلى ممن عداه[٣] ، نجحوا فى فترة وجيزة فى أن يغيروا من طبيعة السلطان وفى أن يدخلوا فى نفسه العجب والتيه والغرور ، لدرجة أن طغرلبك عندما احتل نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م بلغ من السرور مبلغا ، ووصل التيه والعجب بنفسه حدا ، جعله يتصرف تصرف الحاكم المطلق الإقليم خراسان ، فاتخذ لنفسه قصر السلطان مسعود الغزنوى فى ضاحية الشادياخ[٤] ، وجلس على عرش مسعود ، ولم تمض فترة قصيرة على هذا الحدث ، وعاد مسعود إلى نيسابور ، فاستشاط غضبا وغيظا ، وكان أول ما فعله أن حطم ذلك العرش الذى دنسه طغرلبك وانتهك حرمته[٥] .

ولكن كانت أخطر الثورات فى عهد طغرلبك ، هى ثورة أخيه غير الشقيق إبراهيم ينال ، والذى انشق مرتين الاولى من سنة ٤٤١هـ/١٠٥٠م[٦] ، والثانية وهى الأخطر سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٧] ، حيث كانت بغداد تحت سيطرة البساسيرى ، والذى سعى لضم إبراهيم ينال إليه[٨] ، وقد زاد من خطورة إبراهيم ينال هذه المرة أن انضمت إليه معظم القوات

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٥ ، أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٧ .

(٢) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٧ .

(٣) أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ٧١ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٤-٦٠٥ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٤٧ ، بارتولد : التركستان ، ص ٤٤٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٣١ ، خواندمير : حبيب السير ، جـ٢ ص ٤ ، ابن خلدون : العبر، جـ٤ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٠٥ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ١ ، ص ١٧٧ .

(٨) المؤيد الشيرازى : السيرة المؤيدية ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ص ٣٩٩ - ٤٠١ .

التركمانية التى كانت متبرمة من طغرلبك لطول مقامة فى بغدادوالعراق ، ولقلة ما يصل إلى أيديهم من الغنائم بسبب هذا المقام ، وسبب ضرب طغرلبك على أيديهم بعد أن عقوا بالعامة فى بغداد ، وأغضبوا الخليفة العباسى نفسه[١] .

وقد أحسن إبراهيم ينال بالغيرة ، والمهانة لأن طغرلبك لم يعامله معاملة أخوية ، ولم يلقبه بلقب ملك مثل بقية أفراد البيت السلجوقى المساعد له فى الحكم[٢] ، ومن ثم ثارت مطامعه بصورة لم يكن من الممكن تهدئتها إلا بقتله[٣] .

إلى جانب أن إبراهيم ينال ، وموسى بيغو ، وقتلمش بن إسرائيل كانوا قوادا من قواد السلاجقة ، وكان لكل منهم دوره فى وصول السلاجقة إلى السلطة فى إيران[٤] ، ومن ثم فإنهم لم يستطيعوا قط أن يفهموا أن يتغير وضعهم فجأة من قادة مساوين لطغرلبك ، وأن يصبحوا بين عيشة وضحاها تابعين له تبعية مطلقة ، وكان هذا سببا رئيسيا فى تمردهم ، وثوراتهم[٥].

فإلى جانب كبر سن موسى بيغو الذى لم يهدأ له غبار حتى عهد ألب أرسلان ، فإن قتلمش بن إسرائيل شعر بأنه أحق ، لأن حقه وحق والده إسرائيل الذى أطلق عليه شهيد السلاجقة[٦] قد أهدر وضاع وأنه لم يكافأ على ما بذله هو ووالده من جهد كبير فى توطيد أركان الدولة السلجوقية[٧] .

وسببت هذه الثورات حرجا شديدا لطغرلبك ، فعندما ثار إبراهيم ينال سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ومعه ابنا أخيه ارتاش ، شعر طغرلبك بالحرج وهو يسعى لإنقاذ بغداد من البساسيرى[٨] ،

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٦٠ ، أحمد معوض ، أضواء : ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص ٧٦ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٦ ، ١٥٢ .

(٥) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٨ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٣ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٣ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٩١ .

فاستنجد بابن أخيه ألب أرسلان الذى حضر بجيش ومعه أخواه ، قاورد وياقوتى انضم به إلى قوات عمه واستطاعت هذه الجموع أن تخمد ثورة إبراهيم ينال ، والذى عثر عليه مشنوقا بوتر قوس أخيه[١] .

ويعلق ابن الجوزى[٢] ، على هذا الوضع بين التركمان بعد هذه الحادثة ، بأن طغرلبك قد حطم كل ثقة لدى أقرانه من الترك فيه ، ونزع كل إخلاص فى قلوبهم له ، ولابد أن يقمع الآخرين ، ويخضعهم لإرادته ، ويمحو من صفحة الوجود من لا يقبل سلطته حتى ولو كان أقرب الناس اليه . هذا هو ما حدث بين أفراد الأسرة السلجوقية نفسها ، فقد كان الأمر أشد وأخطر .

أما ما حدث بالنسبة لرؤساء الترك وقبائل التركمان ، وعامة الأفراد ، فأشد وأخطره ، حيث كان طغرلبك بالنسبة لهم رئيس قبيلة ، له عليهم حقوق بمقتضى هذه الرئاسة التى فرضوها إليه[٣] ، ولهم عليه حقوق تفرضها رئاسته لهم ، أما بعد أن انتقلوا من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية ، فقدها لهم هذا الفارق الكبير فى الوضع الجديد بين طغرلبك كسلطان وبينهم كرعية ، ومن هنا كانت سبل التفاهم موصدة بين الطرفين فصاروا مصدر إزعاج للسلطان ، خاصة مع وصول عناصر قبلية جديدة من وسط آسيا اجتذبهم الغرب لما رأوه من وجاهه طرأت على أقرانهم ، وبنى جلدتهم من السلاجقة[٤] .

ولم يسلم ألب أرسلان وملكشاه من بعده ، من قيام حركات تمرد ، وثورات ضدهما من قادة وأمراء ونوابهم من البيت السلجوقى وغيره ، ففى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، قاد شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل مرة أخرى ثورة ضد ألب أرسلان ، وأعلن أنه أحق بالسلطنة منه لكبر سنه ، وأنه ابن شهيد السلاجقة[٥] وأعلن التمرد فى الرى ، ولم يستجب لرسائل ألب

---

(١) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٤٠١-٤٠٣ ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٢٢٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٠٥ .

(٢) المنظم : جـ٨ ص ٢٠٢ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٤ ، ١٥٦ .

(٤) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٩ .

(٥) الروانديى : راحة الصدور ، ص ١٥٣ .

أرسلان الودية ، فسار إليه بجيش كبير ومعه وزيره نظام الملك الطوسى ، وحاربه ، وقتله ، وأسر عددا كبيرا من جيشه[١] .

ومرة أخرى يقود موسى بيغو ثورة ضده حفيده ألب أرسلان ، فى هراة وبست وسجستان ، وعز عليه مرة ثانية أن يصير تابعا لابن أخيه الأصغر منه سنا ، وحاول الاستقلال بالمناطق التى تحت يده ، ولكن ألب أرسلان حاربه سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م ، وانتصر عليه فى هراة وتعهد البيغو بالطاعة والولاء والتبعية لألب أرسلان[٢] .

وفى سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م ، قاد - قاورد بك - شقيق ألب أرسلان تمردا عليه ، فقد استولى على كرمان زمن عمه طغرلبك سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، ونصبه ملكا عليها[٣] ، وبسط سلطانه على شيراز سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م وأعلن أحقيته بعرش السلاجقة ، ولكن ألب أرسلان حاربه ، وأجبره على تبعيته وإعلان الولاء له[٤] - وإذا كان هؤلاء المتمردون من الأسرة السلجوقية نفسها ، فإن هناك حكاما آخرين لأقاليم السلاجقة من غير السلاجقة ، قد خرجوا أيضا عن طاعتهم ، وأعلنوا عدم اعترافهم بالسلطنة ، ففى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، تحصن أمير ختلان وصغانيان[٥] ، واسلمه موسى بغلق بلاده وأعلن تمرده ، فسار إليه ألب أرسلان وقاتله ، وتسلم القلعة ، وخضعت له هذه المناطق ، وعين عليها واليا سلجوقيا[٦] .

ولم تكن نهاية ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م ، إلا على يد قائد أحد الولاة المتمردين عليه فيما وراء النهر حينما حاول شمس الدين نصر بن طمغاج خان أن يستقل بما وراء النهر ، فخرج ألب أرسلان على رأس جيش كبير لمحاربة الخارجين عليه ، ولكنه قتل[٧] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٢ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٤) أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠ ، ١١ .

(٥) ختلان وصغانيان : ختلان كورة بما وراء النهر ، تقع وراء بلخ ، أبو الفداء ، تقديم البلدان ص ٥٠٢ ، صغانيان : كورة من كور ما وراء النهر وراء نهر جيحون ، ويقال لها بالأعجمية جغانيان ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٥٠٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١١-١٣ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ، ص٢٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥ ، الرواندى : راحة الصدور : ص ١٨٨ ، براون : تاريخ ، ص ٢٢٤ .

ولم يهدأ أمراء السلاجقة ، وحكام الأقاليم ، خاصة فى فترات انتقال السلطة من سلطان إلى آخر ، فبعد مبايعة الجند والأمراء لملكشاه بالسلطنة[١] ، قاد عمه قاورد بك والى كرمان مؤامرة ضده ، بعدما أيقن أن حلمه القديم قد أصبح ممكنا بعد وفاة شقيقه ألب أرسلان ، فأعد جيشا كبيرا سار به من كرمان لمحاربة ملك شاه ، وكان جزاؤه قتله بسبب تمرده الدائم[٢] ، وأبقى ملك شاه كرمان بيد سليمان شاه بن قاورد بك وتوارثها أبناؤه إلى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وأسسوا بها دولة سلاجقة كرمان[٣] .

ونـاد أمراء وولاة الأقاليم من غير السلاجقة ثورات ضد ملك شاه هو الاخر ، ففى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م استغل ولاة بلاد ماوراء النهر فترة عدم الاستقرار التى أعقبت وفاة ألب أرسلان وتمردوا على ملك شاه ، وكان والى بلخ (الخاقان شمس الملك) خو أول الخارجين ، فحاربه ملك شاه وقضى على تمرده[٤] .

وفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ، استقل والى خوارزم بها ، ولكن ملك شاه أجبره على الدخول فى طاعته ، ثم أجبر والى كاشغر على إقامة الخطبة له ، وضرب العملة باسمه[٥] وفى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م تمرد أمير فرغانة ، ومعه قبائل من الأتراك بالقرب من سمرقند ، بحجة أن مرتباتهم لم تصل إليهم فأخمد ملك شاه ثورتهم ، واستقرت له أحوال بلاد ماوراء النهر[٦] .

وكان على ملك شاه أن يرضى أسرة شهيد السلاجقة إسرائيل بن سلجوق فعهد إلى حفيده سليمان بن قتلمش بولاية آسيا الصغرى ، والذى بسط نفوذه على قونية ، وأنطاكية ، وكون ما يعرف فى التاريخ بدولة سلاجقة الروم[٧] .

وكان ملك شاه قويا صارما حتى مع اخوته ، وهى سياسة ورثها عن جده طغرلبك ، ووالده ألب أرسلان ، فحينما زاد نفوذ أخيه تتش فى الشام ، خاف ملك شاه من اتساع نفوذه ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٨٩ ، أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠ .

(٣) أفضل كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠ - ٢٤ ، زامباور : معجم الدول والأسرات ، ص ١٣٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص ٣٩٨ ، مواهب عبد الفتاح :" الحياة السياسية ، ص ٢٨ .

(٥) إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٧) ابن خلدون : العبر ، جـ٥ ، ص ٩ - ١١ .

ولذلك لم يتركه ينعم بالشام منفردا ، فأمر معه أمراء آخرين عليها[١] ، وحصر نفوذه فى دمشق وفلسطين ، مما آثار حفيظته ضد ملك شاه ، فسار إليه سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م وهو ببغداد يستأذنه فى التوسع فى بلاد الشام على حساب الفاطميين فأذن له السلطان[٢] .

والسؤال الآن ؟ لماذا قاد حكام الأقاليم كل هذه الثورات ضد سلاطينهم السلاجقة العظام على الرغم من قوتهم وشدتهم ، وصرامة سيوفهم ؟ والجواب أن السلاجقة كانوا مجموعة من العشائر البدوية ، التى ألفت حياة الترحال ، واستخدمت النهب والسلب طريقة للحصول على مأكلها ومشربها ، ومن الصعب السيطرة على البدوى ، وضعه تحت سيطرة سلطة مركزية ، أرضمن أنظمة معينة ، فهو لم يألف هذه الحياة ن قبل ، ولذلك عمل سلاطين السلاجقة العظام على القضاء على هذه الصفات فى نفوس قبائلهم ، وحرصوا على تركهم فتوحا خارجية فى بلدان غير إسلامية ، أو بلدان لاتدين بالإسلام السنى ، ولقد كانت أرمينية وبيزنطة هى البلد الكافر ، وكانت الجزيرة والشام البلد الذى لايدين بالسنة [٣] . وهكذا استفاد سلاطين السلاجقة من بداتهم لمد رقعة دولتهم أولا ، ثم مد رقعة ديار الإسلام إلى حدود بيزنطة ثانيا ، والتخلص منهم ثالثا .

والسبب الثانى هو التنظيم القبلى السلجوقى ، الذى لم ينساه السلاجقة طوال حياتهم ، فقد عز عليهم أن يخضعوا لسلطان أقل منهم سنا ، أو مقاما ، مثلما فعل موسى بيغو مع طغرلبك وألب أرسلان ، وقاد انقلابا ضد الاثنين انتهى بفشله ، ومثلما فعل قاورد بك مع ملك شاه ، ولم يقنع أمراء البيت السلجوقى بأن يكونوا تابعين لأمير مثلهم ، مهما كان شأنه ومهما كان أبوه . وما من شك فى أن ثورات التركمان ضد سلاطين السلاجقة العظام إنما كانت تدل على أن رؤساء القبائل ورجالها لم يستطيعوا أن يتقبلوا ذلك التحول الذى وقع لقادة السلاجقة ، وارتفاعهم من رؤساء قبائل بدوية مثلهم إلى حكام مسموعى الكلمة ، مطلقى السلطة ، على الطريقة الإيرانية الموروثة من عصور ما قبل الإسلام ، ومع ذلك فإنه فى كل مرة استطاع فيها السلاطين العظام إخماد ثورة قامت ضدهم ، وتعاملوا مع قائدها ومحركها

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١٠٤، ١٠٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٤٥ .

(٣) سهيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

تارة بكسب وده ، وأخرى بقتله ، كانت فى كل مرة تخمد فيها ثورة ، تشتعل فيه أخرى ضدهم[١] .

وعلى الرغم مما سببه نظام الإمارات من عداوات وحروب ، فقد ساعد هذا النظام وتقسيم الحكم إلى ولايات على رقى المدن وازدياد مراكز الحضارة ، فكان كل أمير يجمع فى قصره العلماء والشعراء مجتهدا فى ترقية حضارة مدينته ، ولقد انتقلت الحياة الحضارية بفضل هذا النظام رويدا من مراكزها القديمة فى البصرة وبغداد ونيسابور ، وغيرها ، إلى المدن الجديدة أمثال الرى وأصفهان وخوارزم وشيراز ، وجمع فيها الأمراء كتبًا وأنشأ مكتبات كبيرة[٢] .

كما ساعد هذا النظام على ظهور أهمية المدن والثغور ، وازدادت هذه الأهمية بمرور الزمن ، حتى صارت لبعضها شخصية واضحة مميزة لها قوامها كالرى ومرو وتبريز وغيرها ، كما أصبحت الثغور تؤدى واجبا دينيا مقدسا ، هو صد أعداء الإسلام عن الديار الإسلامية ، مما أضفى عليها وعلى حكامها أهمية كبيرة ، وجعل ولاة الثغور موضع تقدير المسلمين ، ومدح الشعراء والكتاب[٣] .

وهكذا وكما رأينا فطوال عصر السلاطين العظام لم يستقل أمير واحد بإمارة على الرغم من خروج العديد منهم ولكن بعد وفاة ملك شاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، وانفراط عقد الدولة السلجوقية ، قل ولاء أمراء الأقاليم للسلطان السلجوقى ، وانعدم الانسجام والترابط بين أجزاء الدولة ، ولم يعد هناك نظام معين لحكام الأقاليم ، فسرعان ما تمردوا على السلطنة وانفصلوا بأقاليمهم مكونين فيها دويلات مستقلة[٤] .

الدواوين :

تشكل الدواوين الأجهزة الإدارية المنفذة ، التى تقوم على تنفيذ أوامر الخليفة أو السلطان أو الملك وحكام الأقاليم ، ولقد نمت هذه الدواوين وترعرعت بنمو الدولة الإسلامية واتساعها

---

(١) أحمد معوض : أضواء ، ص ٧٩ .

(٢) بارتولد : تاريخ الحضارة ، ص ٧٣ .

(٣) نظام الكنجوى : شاعر الفضيلة الإيرانى ، ط. القاهرة (١٩٤٥) ص ٥٨ ، حسانين : سلاجقة ، ص ١٦٩ .

(٤) عن هذه الدول السلجوقية المستقلة انظر : الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، أفضل الدين الكرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠-٢١ ، حسانين : سلاجقة إيران ، ص ٨٣-١٠٣ .

ولقد بدأ نموها خلال عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فهو أول من دون الدواوين فى الإسلام[١] فأنشأ ديوان العطاء ، وديوان للجند ، وآخر للخراج ، ثم توسعت الدواوين بعد ذلك فأصبح هناك جهاز إدارى كامل يشمل عددا كبيرا من الدواوين فى العصرين الأموى والعباسى[٢] .

ويقصد بالدواوين فى العصر السلجوقى مجموعة الإدارات التى تختص كل إدارة منها بشأن من شئون الديوان ، شأنها شأن الوزارات الحديثة ، ومع أن تشبيهها بالوزارات الحديثة من ناحية تشكيلها أمر بعيد عن الصواب كلية ، إلا أنها تتشابه معها من جهة الاختصاص الموكولة لكل منها [٣]. وكانت الحاجة ماسة فى العصر السلجوقى إلى نشأة الداوين لأن دولة السلاجقة كانت قوية ، تضم ولايات كثيرة ، مما جعل كل ولاية فى حاجة إلى موظفين وديوان يشرف على إدارة الأمور فيها[٤] .

ويجب أن تقرر من البداية أن ديوان السلاجقة مقتبس من ديوان الغزنويين والسامانيين والبويهيين والعباسيين ، فقد كان لكل منهم دواوينهم[٥] ، فمثلا كان للخليفة العباسى عند دخول السلاجقة بغداد ديوانه[٦] ، وللبويهيين ديوانهم[٧] ، ولقد أبقى السلاجقة على ديوان الخليفة الذى كان يضم عددا كبيرا من الدواوين[٨] ، وكان يشرف عليه وزير الخليفة[٩] .

---

(١) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٤٩-٦٥ .

(٢) محمد عبد الله الشيبانى : نظم الحكم والإدارة فى الدولة العباسية ، (القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١١١).

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٤٣ .

(٤) حسانين : سلاجقة ، ص ١٧٠ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٤٣ .

(٦) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٦ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٧) مسكويه : نفسه ، جـ٦ ، ص ٨٧ ، ٨٩ ، ١٢١ .

(٨) من أهم هذه الدواوين : ديوان السواد ، وديوان الرسائل ، وديوان الجيش ، وديوان الشرطه ، وديوان البريد وديوان الجهبذ ، وديوان بيت المال العام ، وديوان بيت المال الخاص ، وديوان المعونه ، وديوان الزمام ، وديوان النفقات وغيرها : أنظر : هلال الصابى . تحفة الأمراء ، ص ١٣٠-٣٣٢ ، الخالدى : الحياة السياسية، ص ٢٥٨ - ٢٦٣ .

(٩) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٩ ، الخالدى : الحياة السياسية ، ص ٢٥٩ .

وكان لبداوة السلاجقة تأثير كبير على سير أمور دولتهم الإدارية ، فلم يفطنوا إلى دقائق النظم الإداريـة فنجدهم ينشئون دواوين جديدة ، كديوان الإشراف الذى هو فى حقيقة أمره جزء مكمل لديوان الاستيفاء والزمام ، ويدمجون دواوين فى أخرى كديوان الرسائل والإنشاء الذى جعلوه جزءا من ديوان الطغراء على الرغم من أهميته فى كل العصور[١] .

وكانت شئون السلطة الإدارية فى عهد السلاطين العظام فى يد خمسة أشخاص ، لكل منهم الرئاسة على أحد الدواوين ، ولأهمية منصب كل واحد منهم ، لم يكن أحدهم يتدخل فى شئون الآخر ، حيث كان لكل منهم منزلته ورتبته[٢] .

وترتب الدواوين الخمسة حسب أهميتها على النحو الآتى :

١- ديوان الصدارة أو الوزارة :

يطلق على القائم بأعمالها "خواجة برزك" ، أو الصدر الأعظم الدستور ، أو الوزير ، وكانت تشكل أكبر المناصب الحكرمية السلجوقية[٣] ، لأنه يشرف على جميع مرافق ودواوين الدولة، يأتنس السلطان برأيه ويصحبه دائما ، ويتعامل معه مباشرة دون سائر رؤساء الدواوين [٤] ، وكان هذا الديوان لأهميته وخطورته محل نزاع وتنافس[٥]، لأن الصدر الأعظم أو الوزير يشغل أرفع المناصب فى الدولة بعد السلطان .

٢- ديوان الاستيفاء :

هو أشبه ما يكون بوزارة المالية فى العصر الحديث ، ويسمى أيضا ديوان الزمام ، فلصاحب هذا الديوان والذى يعرف "بالمستوفى" النظر فى الأمور المالية ، والإشراف على حسابات الدولة، وتدقيقها ، وكثيرا ما كان يقوم بجولات تفتيشية لأجل ذلك ، وتلى منزلته منزلة الوزير السلجوقى[٦] لأن عمله مرتبط بالشئون المالية والحسابات فهو الذى يقوم بضبط أموال الجيش والدولة ، ويتكفل بإدارة جميع أموال الديوان والمنصرف وضبط الحسابات[٧] .

---

(١) البندارى : آل سلجوق ص ٧٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٤٣ ، ٤٦ .

(٢) إقبال ، الوزارة ص ٤٣ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٤٣ .

(٤) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١٠ .

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٢٥٥ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٤٤ .

(٧) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، تاريخ العراق ، ص ١٩٧ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ١٥٦-١١٣ .

٣- ديوان الطغراء والرسائل والإنشاء :

الطغراء كلمة تركية استعملها أهل الديوان منذ استيلاء السلاجقة على إيران وهى تعنى الخط المقوس الذى كان يرسم فى صدر الفرمانات والمنشورات ، كما كان يحدث بالنسبة لعلاقة كل سلطة ، وبالنسبة للفظ الجلالة (بسم الله) ، وكان من يعهد إليه برسم هذا الخط يسمى بالعربية طغرائى - وبالفارسية طغراكش[١] .

والطغراء كلمة تركية من طغراج أى الختم ، وقد جاء به الأتراك الغز من غرب آسيا حيث راج بعد ذلك فى بلاد السلاطين العثمانيين إلى عهد قريب ، وعرفته سائر الممالك بدورها[٢] .

ويسمى رئيس هذا الديوان باسم الطغرائى ، وكان يتعامل مع السلطان والوزير مباشرة لأن مهمته كانت توصيل الرسائل والفرمانات والمنشورات إلى السلطان ويمهرها باسمه[٣] ، وهو الذى يصدر عنه الأوامر الموقعة بتوقيعه ، والمهورة باسمه وخاتمة والمذيلة بشعاره ، وهو الذى يصاحب السلطان عند خروجة للصيد إذا لم يخرج معه الوزير ، ويحل محله إذا غاب [٤] .

ويعد هذا الديوان همزة الوصل بين السلطان وموظفى الدولة ، فالطغرائى يحمل الأختام ، وعن طريقة تصلهم الأوامر السلطانية موقعة ، وموشحة بالشعار السلطان[٥] .

ويشمل هذا الديوان فروعا وشعبا تدخل كلها فى تقسيمين هما ديوان الطغراء ، وديوان الرسائل والإنشاء[٦] الذى يرأسه شخص اسمه الرئيس أو الوزير أو صاحب ديوان الرسائل ، وهو فى الواقع رئيس دار الإنشاء السلطانية ، يأتمر بأمره عدد كبير من الموظفين والمحررين المنشئين بأسماء كتاب الرسائل وأضرابهم مما ينعمون بثقة الدولة ويحفظون أسرارها[٧] .

---

(١) حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٤٤٢ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص ٢٨٨ ، اقبال : الوزارة ص ٥٢ ، بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١١٩ .

(٣) إقبال : الوزارة ص ٥٣ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٦-١٨٣ .

(٤) إقبال : الوزارة ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٤ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٣ ، إقبال : الوزارة ، ص ٥٢ ، ٥٣ حسانين : سلاجقة ، ص ١٧٠ .

(٧) إقبال : الوزارة ص ٥٣ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٦٠-١٨٣ .

وكان يشترط فى كاتب ديوان الرسائل أن يكون قد تمرس فى الكتابة ، وألم باللغة والأدب وعرف القوانين[١] . وأن يكون ذا دين وورع ، لأنه يتحكم فى أرواح الناس وأموالهم[٢] ، ماهراً فى كتابة وقراءة الخطوط الدقيقة وحسن عرض الموضوعات ، وصواب الرأى والمقدرة ، فقد حبس نظام الملك الشيخ مسعود ناصر بن عبد الله ، الذى عرف بحسن الخط فى بيهق ، ثم نقله إلى طوس للاستفادة منه[٣] .

ويشرف ديوان الرسائل أو الإنشاء على جميع المكاتبات الرسمية ، والمراسيم والبراءات ، وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم السلطان بعد اعتمادها منه ، كما كان يحضر المجالس العامة التى يعقدها السلطان لسماع المظالم ، والنظر فى شكاوى الناس ، ويقوم بتسجيل ما يعن للسلطان من ملاحظات والتماسات[٤] وينظم علاقة الدولة بالداخل والخارج ، يعاونه فريق من الكتاب الذين تتوافر فيهم نفس المزايا ويقسم هؤلاء الكتاب إلى طوائف تختص كل طائفة منهم بمكاتبة طبقة معينة من الناس ، فمنهم من يتولى مكاتبة الملوك ، وهؤلاء يشترط فيهم الإلمام بلغات حكام الدول المعاصرة ، ويعرفون بأمناء الأسرار ويختارون من الثقاة الذين يعرفون خفايا الملك ويحللون جميع المراسلات حتى يقفوا على معانى الكلمات ودقائق الألفاظ[٥] . لأنهم يوفدون من قبل البلاط السلطانى إلى شتى أنحاء البلاد ، يحملون الرسائل ويقومون بالوساطات وينجزون المهام الرسمية والسياسية[٦] .

وهناك فريق داخل ديوان الرسائل يعرف بالمراجعين مهمتهم قراءة وتصفيح كل ما يكتب بهذا الديوان قبل رفعه إلى السلطان[٧] ، ومن الوظائف المهمة أيضا فى ديوان الرسائل

---

(١) ابن الصيرفى : القانون فى ديوان الرسائل ، ص ٧ ، ٨ .

(٢) ابن الصيرفى : نفسه ، ص ٨ ، ٩ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ١٣ ، ٤٠ .

(٤) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٦٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ، ص ٤٤ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٤٦ ، حسانين : سلاجقة، ص ١٧٠ .

(٦) إقبال : الوزارة ص ٥٣ .

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ٤٤ ، ٤٥ ، جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ١ ص ٢٥٧ .

وظيفة الخازن ، ويختص شاغلها بحفظ أصول المكاتبات التى ترد إلى الديوان مع إشارة موجزة حول ما تم بشأنها[١] .

لقد كانت المهمة الرئيسية لديوان الرسائل هى تحرير الكتب الغراميين ، والرسائل السلطانية ، ولذلك دقق سلاطين السلاجقة العظام فى اختيار رؤساء ديوان الرسائل ، وتحرر الدقة فى تعيينهم ، فأولهم وهو طغرلبك اتخذ رؤساء لديوان رسائله منهم أبو القاسم الكوبانى والدهستانى ، وعميد الملك الكندرى[٢] .

وكان أبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة أبى نصر الزوزونى رئيسا لديوان الإنشاء فى عهد طغرلبك وألب أرسلان ، وتوفى سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م[٣] وكان السلطان ملك شاه من أكثر سلاطين السلاجقة تحريا ودقا فى اختيار رؤساء ديوان الرسائل [٤] . فضم عصره كتابا فضلاء كبراء[٥] . وكانوا موضع رقابة مشددة حتى لايستخدم أحدهم توقيع السلطان فى غرض له[٦] . لأن من مهام هذا الديوان كتابة العهود بالوظائف ، وللسلطان خاتم خاص يوقع به على تولية العهود والوظائف الكبرى[٧] .

٤- ديوان الإشراف :

يختص هذا الديوان بضبط المحاسبات ، والصادرات ، والواردات ، والموازنة بينهما ، وهو فى الواقع مكمل لديوان الاستيفاء[٨] فى إدارة أموال الديوان وضبط الحسابات ، وإثبات الدخل والمنصرف[٩] .

---

(١) ابن الصيرفى : القانون ، ص ١٥-٢٥ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٦٣-٦٧ ، أنورى .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ .

(٤) إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٠٣ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٨٠ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٦ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٩) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٥٠-١٥٨ .

وترجع أهمية هذا الديوان إلى ما يقوم به من أعمال مالية ، ويرأسه رجل يعرف بالمشرف الذى يعد مسئولا عن كل ما يدخل أو يخرج من الدركاه (قصر السلطان) حتى يتمكن من تحقيق التوازن بينهما[١] ، وكانت تسجل المعاملات المالية فى وثائق تحفظ بالديوان وتخضع للمحاسبة[٢] ، وهو يشبه الجهاز المركزى للمحاسبات فى الوقت الحالى ، لأن مهمة الاشراف كانت تستلزم ما يسمى "بالتقرير" الآن ، ولذلك فإنها لم تكن موضع الاحترام فى نظر طغرلبك، فلقد شغل عميد الملك الكندرى هذا المنصب فى البداية قبل تولية الوزارة ، ولما كان طغرلبك يرى أن الجاسوسية أمر لا يناسبه فقد عينه واليا على خوارزم[٣] .

٥- ديوان عرض الجيش :

كان يعرف بديوان "العارض" ومن يرأسه يعرف بالعارض[٤] ، أى عارض الجيش ، وكان يقوم بمهمة ضبط نفقات الجيش ومرتباته ، وتنظيم تغذيته ، وتفقد مظهر المجندين ورجال الجيش ، وكان له بدوره نائب يقيم دائما فى المدن ، ويسير دفة إدارة هذا الديوان فى حالة غياب العارض الذى كان يقيم معظم الوقت فى المعسكرات الخارجية المهمة[٥] .

وكان هذا الديوان أيضا يشرف على تسليح الجيش واعداده وتموينه[٦] ، ومن الطبيعى أن يهتم السلاجقة بالجيش لأنه مصدر حياتهم ، ومع قوة قواد الجيش السلجوقى أيام السلاطين العظام ، فإن عارض الجيش لم يكن له نفوذ قوى يذكر[٧] ، حيث اقتصرت مهمته على المهام المنوطة به فقط . وهذا الديوان مسؤول أيضا عن توفير العطاء للجنود غير الدائمين (المرتزقة) الذين لا إقطاع لهم ، وقد حرصت الدولة كل الحرص على ألا يكون عطاء هؤلاء الجند قليلا حتى لاينفروا من الخدمة ، وألا يكون كبيرا بالدرجة التى تجعلهم يستغنون به عن العمل

---

(١) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٧ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، حسين أمين : العراق ، ص ١٩٩ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٥٦ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ١٥٠-١٥٨ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١١ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ .

(٦) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢١ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١١ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١١٦-١٤٧ .

فى الجندية ، كما فرضت عليهم رقابة شديدة فإذا تبين أن أحدهم قصر فى أداء مهامه عزل من الخدمة[١] ، وبهذه الصرامة والجدية سار العمل فى ديوان الجيش على أحسن ما يكون[٢] .

وكان سلطان السلاجقة يشرف على إدارة هذه الدواوين الخمسة ، فى أوقات قوة الدولة وتماسكها بمساعدة وزيره ، ورؤساء الدواوين التابعين له ، ولكن نظرا البداوة السلاجقة وتأثرهم بالنظام القبلى فلم يلتزموا بتطبيق نظم إدارية معينة فى تصريف الدواوين التى كثر فيها الموظفون فأصبحت من الأعمال التى يتنافس الناس على الظفر بها[٣] . وكان لكل صاحب ديوان من هذه الدواوين نائب يتولى مهام منصبه فى أثناء غيابه ، كما كان يعمل بكل ديوان عدد من الكتاب والموظفين يشترط فيه حسن السمعة والنزاهة والكتمان وسعة الثقافة وجمال الخط[٤] .

وإلى جانب هذه الدواوين الخمسة ، والتى تعتبر من أهم الدواوين السلجوقية ، وجدت بطبيعة الحال دواوين أخرى كالتى كانت موجودة فى البلاط العباسى والغزنوى والسامانى ، مثل ديوان الزمام الذى هو نفسه ديوان الاستيفاء ، وديوان الخراج ، وديوان الشرطة ، وديوان المظالم الذى اهتم به سلاطين السلاجقة كغيرهم وكان مقره الدركّاه (قصر السلطان) فكان كل من له مظلمة يذهب إلى باب السلطان السلجوقى ، ويحدثه مشافهة دون حجاب ، ويطلب إليه إنصافه ، ولا يبرح باب السلطان إلا إذا أجيب إلى طلبه[٥] ، وكان سلاطين السلاجقة العظام يحرصون على إقامة العدل والحدود ، كما كانوا لا يقبلون شفاعة فى إطلاق ظالم حتى ولو كان الشافع الخليفة نفسه[٦] ، وغلب على السلطان ملك شاه لفظ العادل ، حتى قيل إنه لم توجد فى عهد مظلمة[٧] ، ودخلت الطمأنينة قلوب الناس وكان الباعة يطوفون بالتبن والدجاج وسط العسكر لا يخافون بطشهم ولا يبيعون إلا بما يريدون[٨] .

---

(١) الطرطوشى : سراج الملوك ، ص ٩٩ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢١ .

(٢) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٢ .

(٣) حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٧١ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٢٠٣ - ٢٠٧ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١١ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٢٩٩ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٤ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٨٠ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

أرباب الوظائف الأخرى :

وإلى جانب الدواوين الخمسة ، كانت هناك عدة مناصب إدارية لها وزنها وخطورتها فى الجهاز الإدارى السلجوقى ، يعين أصحابها من قبل السلطان وهى :

١- وكيلدار السلطان (وكيل البلاط) (وكيل الباب) :

هى وظيفة تشبه وظيفة (الحاجب برزك) ، ومنزلة هذا الموظف أخص من منزلة الحاجب الكبير[١] ، لأن صاحبه يكون ملتصقا بالسلطان ليعرف أخلاقه ومزاجه ، ويقف على ما يرضيه وما يغضبه ، حتى لا يحدثه فى أمر دون اختيار الوقت المناسب للحديث[٢] ، وكان مؤهلات هذه الوظيفة ، "أن يكون بليغا فى المنطق ، مستقلا بإقامة الحجة عند الحاجة ، متجنبا للسماجة ، عارفا بأخلاق السلطان فى أوقات رضاء وسخطه ، وقبضه وبسطه ، فإذا وجده منقبضا تلطف فى تنشيطه مما يتفق عليه من الحديث الرائق ، حتى إذا رأى منه القبول ، حدثه بمقصوده ، وإلا جرى فى الإمساك بمعهوده ، لأن السلطان لا يثبت خلقه على حالة ، ولابد له من ضجر وملالة[٣] ، فكان عليه أن يختار الوقت المناسب للحديث مع السلطان لكى يقنعه[٤] ، لأنه يحدث السلطان مشافهة ، وهو غير وكيل البلاط الغزنوى الذى كان يوفد من قبل حكام الأقاليم إلى بلاط السلطان لإنهاء ما يخصم من أعمال ويأخذ راتبه من الوالى[٥] بعكس وكيلدار السلطان السلجوقى الذى كان يقيم فى القصر السلجوقى ، ويأخذ راتبه من السلطان السلجوقى نفسه ، ويعين من قبل الوزير لأنه من أهم وظائفه أن يتردد فى المهمات بين الوزير والسلطان ، ويأتيه بجواب المؤامرات والرسالات[٦] ، ويقال له فى بلاد العجم وكيدار أى وكيل الباب[٧] .

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩١ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٨٦ ، أحمد حلبى : السلاجقة ص ٢١٢ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩١ .

(٤) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١٢ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٣٣٥-٣٣٦ هامش ٦١ .

Osborn, Islam Under the Khalifs of Baghded, London, 1978; p. 312-315 .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩١ .

(٧) البندارى : نفسه ، ص ٩١ ، حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٧٩٠ .

٢- الطغرائى : (رئيس ديوان الطغراء والإنشاء) :

من أهم الموظفين فى جهاز السلاجقة الإدارى ، لأنه يتعامل مع السلطان والوزير مباشرة[١]، والمقصود به رئيس الديوان (البلاط السلطانى) أى رئيس ديوان الطغراء والإنشاء[٢] ، وكانت وظيفته من الوظائف الخصوصية للسلاجقة[٣] ، فاختاروا الطغرائى من خواصهم ، ولذلك كان اختياره يتم عن طريق السلطان أو وزيره نظرا لأهمية الوظيفة التى يشغلها[٤]، ومن الامتيازات التى كانت لهذا الموظف أنه يتمتع بصلاحيات الوزير ، حينما يكون الوزير السلجوقى خارج دار السلطنة مع السلطان فى حرب أو صيد مثلا ، وكثيرا ما كان يعهد للطغرائى نيابة الوزارة[٥] وبذلك يمكن أن نطلق على الطغرائى نائب الوزير[٦] .

لذلك اختار نظام الملك[٧] لهذا المنصب أحد الثقاة الذين تتوفر فيهم مؤهلات معينة كقوة الشخصية وأصالة الرأى ، وعلو الثقافة ، وانتسابه إلى ذوى الجاه والمال والدهاء[٨] ، وله نائب يحل محله إذا لزم الأمر[٩].

وكان يعمل مع الطغرائى ، وينطوى تحت رئاسته كثير من الموظفين ، والكتاب العاملين بأسماء كتاب الرسائل والمنشئين وأضرابهم[١٠] ، مثل الشيخ أبى بكر العبدى كاتب ديوان أبى القاسم الجوينى فى عهد طغرلبك[١١] .

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٤ ، ١٩٤ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١٠ .

(٢) إقبال : الوزارة ص ٥٢ ، ٥٣ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٦٠-١٨٣ .

(٣) إدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٢-٩٤ ، أدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٥) إقبال : الوزارة ص ٥٣ ، ٥٤ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٦٠-١٨٣ .

(٦) أدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٧) سياسة نامه : ص ٨٣ ، إقبال : الوزارة ص ٥٣ ، حسين أمين : نظم الحكم ص ٢١٧ ، تاريخ العراق ص ١٩٥ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ ، ١٩٤ .

(٩) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ ، إقبال : الوزارة ، ص ٨٩ .

(١٠) حسين أمين : نظم الحكم ٢١٧ ، تاريخ العراق ، ص ١٩٥ .

(١١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

وشيخ الدولة أبى الحسن على بن على بن محمد بن عيسى البركردزى كاتب ديوان الأمير ابراهيم ينال[١] وأبى الفتح أحمد بن حسن الباخرزى كاتب ديوان حسن بن موسى بيغو[٢] ، والشيخ أبى بكر المستعين كاتب ديوان رئيس الرؤساء أبى عبد الله الميكالى[٣] ، والشاعر دهخدا أبا البدر مظفر بن دهخدا أبا الحسن على بن محمد القصرى كاتب ديوان عميد الملك الكندرى [٤] .

وكان سيد الرؤساء أبو المحاسن معين الملك محمد بن أبى نصر الزوزنى كاتبا فى ديوان الإنشاء أيام ألب أرسلان وملكشاه وكان أحد الكتاب المهرة فى فارس[٥] ، وقد اتهم مع والده كمال الدولة أبو الرضا رئيس ديوان الإنشاء بعدائهما للخواجه نظام الملك فسمل السلطان ملكشاه عينه[٦] سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م .

وكانت قوانين الدولة السلجوقية تلزم الصدور (الوزراء) والأمراء والرؤساء والأعيان والأكابر والوجوه والمشاهير وقادة الجند ، وجميع الحشم والخدم ، ومختلف طبقات الناس ، وكافة وعامة الشعب ، تلزمهم احترام الطغرائى[٧] ، على أساس أنه المنتخب من قبل السلطان السلجوقى للعمل بديوان الصغراء[٨] ، وعليهم أن يعرفوه ، ويشملوه بعنايتهم ، ويعاملونه بإجلال وإكرام وتوقير ، ويخاطب بهذا جميع الموظفين ، وعلى هذا فلينهجوا ويعملوا ويعتمدوا[٩] .

---

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

(٢) ابن فندق : أبو الحسن على بن زيد بيهقى : تاريخ بيهق ، جاب شاه طهران ، ٣١٧ اشمسيه / ص ٧٣ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٦٨ ، سيد على مؤيد ثابتى : تاريخ نيشابور ، (طهران ٢٥٣٥ ، شاهنشاهى) ص ٢٩٠-٢٩٥ ، حسنعلى مؤيدى : بقدرت رسيدن طغرل سلجوقى ، ص ٨٩-٩٢٢ .

(٥) إقبال : الوزارة ص٨٩ ، مجلة يادكار : وفيات سلطان ملكشاه سلجوق ص ٦٢ ، ٦٣ ،

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٣٥ ، إقبال : الوزارة ، ص ٨٩ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٨) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٧ .

(٩) إقبال : الوزارة ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

وظائف الطغرائى :

أهم وظائف الطغرائى هى حمل الرسائل والفرمانات والمنشورات إلى حضرة السلطان[١]، وأيضا من وظائفه فى الإدارة السلجوقية أنه حامل الأختام ، ويتولى استصدار الأوامر السلطانية وتبليغها إلى أنحاء الدولة بعد ختمها بخاتمة وتوقيعها بتوقيعه ، والممهورة بخاتمة ، والمذيلة بشعاره[٢] لأن للطغرائى شعارا خاصا يضعه على أوامر السلطان بجانب ختم السلطان السلجوقى[٣] . وبذلك يتم صحة الرسائل وقدسية الأوامر السلطانية .

كما كان يتولى توصيل وتسلم المراسلات والمكاتبات والكتب من وإلى السلطان ، أو وزيره[٤] فى ديوانه المعروف بديوان الطغراء أو الرسائل[٥] ، وينوب عن الوزير فى غيابه[٦] ، كما كان يتولى فى بعض الأحيان الوزارة نفسها ، مثلما تولى أبو الغنائم جمال الدين تاج الملك مرزبان فيروز الشيرازى رئيس ديوان الطغراء والإنشاء فى عهد السلطان ملكشاه [٧] ، تولى الوزارة بعد مقتل نظام الملك سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م [٨] ثم توزر لابنه السلطان الطفل محمود[٩]، كما كان الطغرائى يتولى فى بعض الأحيان وزارة زوجة السلطان السلجوقى ، وقد ولى تاج الملك مرزبان هذه الوزارة لتركان خاتون زوجة ملكشاه[١٠] . كما كان على الطغرائى تنظيم علاقة الدولة بالخارج[١١] ، وعليه أن يحدد وجوه الإنفاق ، وبعد مرتبات الحشم والخدم، ويهيئ أسباب الرفاهية للناس ، وبعد ترتيب السلطنة ، ويترتب ديوان الإنشاء الذى يرأسه

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٠٣ .

(٢) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١٠ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٥٣ ، إدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٧ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٥ .

(٦) إقبال : الوزارة ص ٥٣ .

(٧) مجلة يادكار : وفات سلطان ملكشاه سلجوقى ، ص ٦٢-٦٦ .

(٨) ابن فندق : تاريخ بيهق ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٩) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

(١٠) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(١١) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١١ .

كما أن عليه أن يدقق فى اختيار طبقات الكتاب الذين يدونون أسرار الممالك وخفاياها ، ويراجع دقائق ألفاظهم ومعانيهم ، ويعرف إمكانيتهم العقلية ، وعليه أن يرجع إلى السلطان فى كل مصالح الملك وشئون الدولة وألا يعترض على شئ يصدره السلطان، ولا يحيد عن طاعته[١] .

كما كان على الطغرائى أو رئيس ديوان الرسائل والإنشاء تحرير الكتب والفرامين والرسائل والتبليغات[٢] وكان كل ما يصدر عن هذا الديوان يوضع موضع التنفيذ ، وإذا تبين أن أحد استصغر شأن هذا التوقيع ، أو تباطأ فى تنفيذه مهما كان شأنه ، عوقب عقابا شديدا[٣]، وهذا يدل على اليقظة فى إدارة الدولة ، وارتفاع شأن السلطان فيها[٤] .

الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى منصب الطغراء :

تمتع الطغرائى بمكانة سامية بين أرباب الوظائف فى سائر أرجاء الدولة السلجوقية ، فهو مختار السلطان نفسه الذى يعنى به عناية شاملة[٥] ، ولذلك دقق السلطان فى اختياره ، فكان يختاره من العناصر المعروفة بالقوة والجد ، وممن تولوا مناصب إدارية سابقة حتى يتمرسوا فى الوظائف [٦] ، ويجب أن يكون أحد الثقاة ، ذا مؤهلات معينة ، كقوة الشخصية وأصالة الرأى ، وعلو الثقافة وانتسابه إلى ذوى الجاه والمال والدهاء[٧] حتى يستطيع أن يباشر عمله بثبات وثقة ويحظى بمكانة عالية لدى السلطان السلجوقى ، ولكى تتم له الإحاطة الكاملة باختصاصاته الدقيقة والتفرغ للعمل والمحافظة على كل المراسيم والشروط[٨] .

---

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٥٤ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ابن الصيرفى : قانون ديوان الرسائل ، ص ١٥-٢٥ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٠٣ .

(٤) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ص ٨٤ .

(٥) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٤ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٧ .

(٧) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٥٣ .

كما يشترط فيه أن يكون قد تمرس فى الكتابة ، وعلم اللغة ، والأدب ، وعرف القوانين[١] ، ذا خط جميل حسن[٢] ، لأنه العقل الإدارى والثقافى للسلطان السلجوقى[٣] . وليس أدل على أن منصب الطغرائى كان ذا أهمية بالغة فى البلاط السلجوقى من أن كان يؤهل صاحبه لرئاسة الوزارة[٤] .

رسوم تعيين الطغرائى :

بلغ من أهمية منصب الطغرائى لدى سلاطين السلاجقة ، أنهم استصدروا مراسيم بتعيين رؤساء الديوان السلطانى[٥] ، وكان من رسوم تعيين الطغرائى أن يكون قد سبق تعيينه فى وظيفة إدارية أخرى لكى يتمرس عليها ، وأن يكون قد مر فى سلك الوظائف التى تؤهله للعمل كطغرائى حتى يكون متمكنا إداريا بشئون عمله[٦] .

وكان من رسوم تعيينه أيضا إلزام الوزراء والأكابر والأمراء باحترامه ومعرفته[٧] ، وجلوس السلطان نفسه لاستصدار مرسوم تعيينه[٨] ، وإلباسه حلة التشريفة الفاخرة ، واصطحاب الوزير له إلى الديوان[٩] .

رؤساء ديوان الطغراء والرسائل عهد السلاطين العظام :

تولى رئيس الرؤساء أبو عبد الله حسين بن على بن ميكال الغزنوى[١٠] منصب رئاسة ديوان الرسائل والإنشاء للسلطان طغرلبك فى عهد عميد الملك الكندرى[١١] ،

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٦٦ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٢٦ ، ابن الصيرفى ، قانون ديوان الراسل ، ص ١٥-٢٥ .

(٣) إدريس : رسوم ، ص ٩٩ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، إقبال : الوزارة ص ١٤٤ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ١٩٦ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٥٣ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٩٨ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٨) أنظر مرسوم تعيين طغرائى فى الملاحق .

(٩) إقبال : الوزارة ، ص ١٣ .

(١٠) الثعالبى : يتيمة الدهر ، جـ٤ ، ص ٣٩٦ .

(١١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٦ .

وقد أثبت الباخرزى اسمه فى كتابه دمية القصر باعتباره أحد كتاب الرسائل فى ديوان طغرلبك[١] .

كما تولى أبو القاسم الجوينى (الكوبانى) ، منصب رئاسة الرسائل سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م فى بلاط طغرلبك بعد عزله من الوزارة[٢] ، وكان يشغل هذا المنصب فى بيشاور أيام الغزنويين[٣] ، كما كان أبو أحمد الدهستانى[٤] ، وعمرك أو عمروك ، اللذان توليا منصب الديوان أيام طغرلبك[٥]. كما عمل الكندرى كاتبا فى بدايته لطغرلبك ، ثم تولى منصب الوزارة[٦] .

وتولى أبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة بن أبى نصر بن القاضى أحمد الزوزنى ، منصب رئاسة الديوان فى عهد ألب أرسلان وملكشاه[٧] ، وكان أحد شعراء العصر السلجوقى وكتابه ، وظل يعمل فى ديوان الرسائل والإنشاء حتى عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م[٨] ، حيث اتهم بتدبير مقتل نظام الملك مع أبى سعد القمى ، وتاج الملك أبى الغنائم ، فغضب عليه السلطان وعزله من منصبه ، وأسنده إلى الخواجه شهاب الدين أبى بكر عبيد الله مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك[٩] .

---

(١) دمية القصر : جـ٢ ، ص ١١٥ ، ١٣٤ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٥٦ ، سيد على مؤيدى ثابتى : تاريخ نيشابور ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٦٥ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٥٧ ، مؤيدى ثابتى : تاريخ نيشابور ، ص ٢٩٠ - ٢٩٥ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٨٨-١٠٤ .

(٧) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥-٢٦٥ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٥٠ ، إقبال : الوزارة ص ٨٨ .

(٩) يعتبر شهاب الدين أبو بكر عبيد الله مؤيد الملك بن نظام الملك من أشهر وزراء الدولة السلجوقية بعد أبيه وأخيه الأكبر فخر الملك ، ولد مؤيد الملك سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م ، وكان ثانى أبناء نظام الملك ، حيث كان برفقة أبيه مع أخيه فخر الملك منذ التحق نظام الملك بخدمة الأمير باجر (بيجر) القائم بشئون بلخ ، وكان معه أيضا فى أثناء خدمته فى مرو للملك جغرى بيك داود ، وحينما قرر نظام الملك الالتحاق بخدمة =

ولم يستمر أبو بكر عبيد الله فى رئاسة ديوان الطغراء طويلا ، حيث عين فى نفس العام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م فى وظيفة قائد لأحد جيوش السلطان ملكشاه[١] ، وأسند منصب وزارة الرسائل لأحد الكتبة الشعراء المهرة المرؤوسين لكمال الدولة الزوزنى ، وهو الأديب أبو جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزنى[٢] . الذى لقب بعد حصوله على هذا المنصب بلقب كمال الملك[٣] ، والذى تمرس فى هذا الديوان منذ بدايته ، فكان يعمل نائبا لكمال الدولة أبى الرضا ، ثم نائبا لمؤيد الملك بن نظام الملك فى ديوان الرسائل ، إلى أن اشتغل برئاسته ، وظل يشغله حتى وفاته[٤] .

وكان أبو جعفر يتحلى بكل الصفات التى تؤهله لهذا المنصب المهم فى البلاط السلجوقى ، وكان يتميز بكمال العقل ، جيد النثر ، رائق النظم ، عذب اللفظ ، لطيف الخط ، وكان يشغل

= جفرى بيك داود أخفى ولديه فخر الملك ومؤيد الملك الذى كان طفلا آنذاك عن أعين جواسيس الغزنويين وحينما وزر نظام الملك لألب أرسلان ، أوفد مؤيد الملك سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م من قبل السلطان وأبيه إلى بغداد لإنجاز إحدى المهام ، وصادف وصوله إلى دار الخلافة فيضان دجلة وغرق بغداد ، ولهذا لم يتمكن الخليفة القائم ورجاله من استقباله ، مما أغضبه وجعله يتصور أن الخليفة قد تعمد الامتناع عن استقباله ، فاسترضاه الخليفة بخلع كثيرة ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح مؤيد الملك أحد المبرزين فى الدولة السلجوقية ، فأعد لنفسه مسكنا ببغداد ، وشغل منصب الرئاسة والإمارة ، وأدار شئون العراق والجزيرة مع سعد الدولة كوهرائيين شحنة بغداد ، وكان فى بلاط الخليفة العباسي بمنزلة الوزير ، وحين اعتلى المقتدى الخلافة سنة ٤٦٧هـ /١٠٧٤م كان مؤيد الملك ضمن مبايعيه شأنه شأن وزير الخليفة ونقيب النقباء وقاضى القضاة ، وشارك مع السلطان ووالده فى الحروب ، واستمر كذلك فى عهد السلطان ملكشاه الذى أسند إليه منصب رئاسة الديوان سنة ٤٧٦هـ /١٠٨٣م ، وبلغ من مكانته لدى الخليفة والسلطان أن الوزير العباسى كان يأمر بقرع الطبول أمام منزله وقت الصلاة من كل يوم ، ثم أوفد سنة ٤٧٧هـ/ فى مهمة إلى شرف الدولة مسلم بن قريش المروانى يدعوه لطاعة السلطان ، وحتى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م لم يرد ذكره لانشغاله فى المعارك ، ثم وزر للسلطان محمد بن ملكشاه ، وقتل أيضا سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م - لمزيد من التفاصيل أنظر : البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٥٠١-٥٢٤ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٣٥١ ، إقبال : الوزارة ، ص ١٨٧-٢١٨ .

(١) إقبال : الوزارة ، ص ١٨٧-٢١٨ .

(٢) المتوفى : القزوينى : تاريخ كزيده ، ص ٨٤ وما بعدها ، إقبال : الوزارة ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٠٥ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

منصب الكاتب عدة سنوات للسلطان ملكشاه الذى كان يعرفه تمام المعرفة[١] ، وهو الذى أمر مؤيد الملك ابن نظام الملك أن يوليه عملا فى ديوانه فعينه مضطرا وبأمر من السلطان كاتبا لديوان الرسائل ، فقبل الأديب أبو جعفر يد ملكشاه اليمنى ، وألبس حلة التشريفة الفاخرة طبقا لأمر السلطان ، واصطحب إلى الديوان ، وأجلس فى مكانه الجديد ، وهنأه الناس بما فيهم نظام الملك نفسه[٢] .

ثم تولى تاج الملك أبو الغنائم مرزبان خسرو فيروز الشيرازى ، رئاسة ديوان الرسائل والإنشاء حتى مصرعه سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[٣] .

نواب الطغرائى :

نظرا لأهمية منصب الطغرائى ، كان يعين له نائب ينوب عنه إذا غاب عن الدركاه والديوان السلطانى ، ويعاونه فى نفس الوقت فى إدارة هذا الكم الهائل من الأعمال داخل الديوان ، وممن شغلوا منصب نائب رئيس ديوان الطغراء والإنشاء أيام السلاطين العظام : أبو محمد الدهستانى ، وأبو القاسم الجوينى ، أيام طغرلبك[٤] ، وسيد الرؤساء أبو المحاسن معين الملك، ابن كمال الدولة أبو الرضا رئيس ديوان الإنشاء فى عهدى ألب أرسلان وملكشاه ، ونائبه فى نفس الوقت ، والذى اختاره السلطان ملكشاه بنفسه[٥] ، وصاهر نظام الملك الطوسى[٦]، وكان ووالده من مشجعى الشعراء والأدباء ، وخاصة الشاعر المعروف

---

(١) العوفى : لباب الألباب ، جـ٢ ، ص ٦٨ .

(٢) الباخرزى : الدمية ، جـ٢ ، ص ١٨٤ ، إقبال : الوزارة ص ١١٣ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٩١ ، ٤٩٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٩٠ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، الباخرزى : الدامية ، جـ٢ ، ص ١٨٤ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، وبلغ من مكانته أن عين لنفسه وزيرا هو عميد الدولة جمشيد بن بهمينار ، إقبال : الوزارة ص ١٥٦ .

(٦) إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ .

(المعزى) الذى كان مرتبطا بأبى المحاسن سيد الرؤساء ارتباطا كبيرا ، ومدحه كثيرا فى ديوانه[١] .

وكان سيد الرؤساء هذا أحد الكتبة المهرة فى فارس ، وكان أيضا من ندماء ملكشاه ، وأحد المقربين إليه وكان السلطان يأنس إليه كثيرا ، وكان نظام الملك يفخر بشرف مصاهرته[٢]، ولكن عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م ، اتهم مع والده كمال الدولة بعدائهما للخواجه نظام الملك ، فسمل السلطان عينى سيد الرؤساء ، وأبعد والده عن منصبه ، ولم نعد نعرف شيئا عن أحوال هذه الأسرة[٣] .

كما كان لكمال الدولة أبى الرضا نائب آخر فى ديوان الرسائل اسمه أبو الحسن على بن يحيى[٤] ، كما تولى أبو اسماعيل الطغرائى نائبا لأبى بكر عبيد الله مؤيد الملك ، ثم عزل ونصب مكانه الأديب أبو جعفر الزوزنى[٥] .

كما أناب تاج الملك أبا الغنائم عنه فى ديوان الرسائل مجير الدولة أبا الفتح على بن حسين الأردستانى ، فصار مجير الدولة كاتب رسائل الديوان الملكشاهى[٦] ، والذى وزر للأمير سنجر بن ملكشاه فى خراسان سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م[٧] فيما بعد .

---

(١) فمما قاله : أبو المحاسن ، معين ملك الملك ومجد دولته :

ومن يحاكى الشمس فى فعلها .. أو هو الزهرة تحلو للنظر

هو العظيم فخر الشعب وصاحب الكتاب . أنظر ديوان المعزى ص ١٤٥ ، إقبال : الوزارة ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ .

(٣) ولقد شبه أحد الشعراء الفرس وهو مؤيد الملك الطغرائى نكبة هذه الأسرة بنكبة البرامكة ، وخصص قسما من ديوانه لمدائح سيد الرؤساء ووالده كمال الدولة فقال :

فيا آل فضل الله الله هلا وقتكم ... أياديكم صرف الزمان المفجعا

أما لكم من آل برمك أسوة ... أناخ بهم ريب الزمان فجعجعا

وقد قصرت أيدى المكارم بعدكم ... وكنتم لها بوعا طويلا وأذرعا

أنظر : إقبال : الوزارة ص ١٠٣ .

(٤) الباخرزى : الدميه ، جـ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٩٠ .

(٦) ابن فندق : تاريخ بيهق ، ص ٧٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٤ ، ط. بيروت ، إقبال : الوزارة ، ص ٢٧٣ ومابعدها .

ألقاب الطغرائى :

بلغت منزلة الطغرائى درجة خطيرة كما رأينا فى الدولة السلجوقية ، ولذلك كان يلقب بألقاب ينعم بها عليه السلطان نفسه ، كالوزير السلجوقى ، فقد لقب ابن ميكال بلقب رئيس الرؤساء[١] ، ولقب أبو الرضا فضل الله بلقب كمال الدولة[٢] ، كما لقب ابنه أبو المحاسن بلقب سيد الرؤساء معين الملك محمد[٣] ، وتمتع أيضا بلقب مجد الدولة[٤]، كما لقب أبو بكر عبيد الله بن نظام الملك بلقب مؤيد الملك[٥]، ولقب الأديب أبو جعفر بلقب كمال الملك[٦]، وتمتع أبو الغنائم بلقب تاج الملك[٧]، ومنح نائبه أبو الفتح الأردستانى لقب مجير الدولة[٨] .

٣- المستوفى :

تأتى أهمية منصب الاستيفاء تالية لأهمية الصدارة فى ديوان السلاجقة ، ويعد مستوفى عام المملكة أو السلطنة صاحب أول وأكبر مقام بعد الخواجه العظيم[٩] لأنه المسئول عن الشئون المالية والحسابات[١٠] وضبط أموال الولاية ، ولأن مصالح الجند وقواعد الملك والرعية وأموال المملكة تحت مسئوليته[١١].

---

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٦٢ ، ومن ألقابه أيضا الأمير المؤيد انظر ديوان المعزى ، ص ١٤٥ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ .

(٤) المعزى : ديوان المعزى ، ص ١٤٥ .

(٥) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٥٦ ، ومابعدها ، إقبال : الوزارة ، ص ٩٠ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ١٠٥ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٢١ ، إقبال : الوزارة ، ص ٢٧٣ ، ومابعدها .

(٩) إقبال : الوزارة ، ص ٤٤ ، ٢٤٧ .

(١٠) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٧ .

(١١) إقبال : الوزارة ، ص ٤٨ .

فالاستيفاء وظيفة سامية فى الدولة السلجوقية لصاحبها النظر فى الأمور المالية ، فهو أشبه ما يكون بمقام وزير المالية فى نظمنا الحالية[١] .

اختصاصات ووظائف المستوفى :

أول عمل للمستوفى فى البلاط السلجوقى رئاسة ديوان الاستيفاء وكان يتكفل بإدارة جميع أموال الديوان ، والدخل والمنصرف ، وضبط الحسابات[٢] ، والإشراف على حسابات الدولة وتدقيقها ، وجمع الضرائب وتنظيم إيرادات الدولة ، ومصروفاتها ، وحفظ القوانين ، وتدبير الدواوين[٣]. وعليه أن يقوم بجولات تفتيشية لأجل ذلك فقد قام العميد شرف الملك أبو سعد المستوفى بزيارة العراق ، ودخل بغداد سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[٤] ، وفى أثناء تلك الجولة أمر ببناء مدرسة بجوار ضريح الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان[٥] ، ورتب لها مدرسا هو أبو طاهر الياس بن ناصر الديلمى الذى كان يتصف بالصلاح وحسن التفهم ودقة الفكر ، وتوفى سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م ، كما بنى قبة عالية عظيمة على قبر الإمام وأنفق عليها أموالا كثيرة وجعله مشهد كبير[٦] .

كما كان على المستوفى ضبط الأموال التى تتعلق بالجيش السلجوقى ، وضبط أموال المملكة والعمل على حفظها[٧] وعليه تعيين نوابه فى كل ولاية ومحاسبتهم إذا أخطأوا[٨] .

الشروط الوجب توافرها فيمن يتولى منصب الاستيفاء :

يجب أن يكون الشخص المختار لهذه الوظيفة معروفا بحسن السيرة والسداد فى الرأى ومن حيث التدين يجب أن يكون من المتفق على تقواه عارفا بأسرار المعاملات المالية وأساليبها

---

(١) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٧ .

(٤) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٦٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٤٥ .

(٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ورقة ١٠٩ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

لا يفوته ضبط الجزء من حساباتها ، موصوفا بأنواع من الكفاءات والخبرة التامة بالرسوم ، وأصولها وبآداب خدمة السلطان ، ذا قلم وحكم موصوفين بالعدل وشاهد صدق معروفا بحسن الفصل بين الحق والباطل وأهلا للقيام بإنجاز المصالح والأمور السلطانية ليناط به حفظ أموال الدولة[١] ، وله خبرة فى كافة أعمال الضرائب وغيرها ، ويفصل المحاسبات ويجليها ويراجعها عارفا بضبط الخراج والزيادات والعلاوات[٢] .

رسوم تعيين المستوفى :

كان من رسوم تعيين المستوفى ، أن اختياره يتم عن طريق السلطان السلجوقى أو وزيره ، وكان السلطان يصدر مرسوما بذلك[٣] ، ويخلع عليه الخلعة الشريفة ويجلس له مجلس عـام[٤]. وكان من رسوم تعيينه أيضا إلزام عمال الوزارة بتوقيره واحترامه ، ومراعاة قدرته واحتشامه وعليهم أن يدركوا أن منزلته أرفع المنازل وأن يرفعوا إليه فى كل شأن يتعلق بديوان الاستيفاء وأن يوقروا مرسومه ورسومه بأمر من السلطان نفسه[٥] لأنه هو الذى يقرر المعاملات ويحرر الحسابات ويثبت البراءات للسلطان .

نواب المستوفى :

كان مستوفى المملكة أو السلطنة العام هو نفسه رئيس ديوان الاستيفاء وكان له نواب أو وكلاء فى كل مدينة سلجوقية ، عرف شاغلها باسم وكيل المستوفى أو نائب المستوفى الذى كان يشترط فيه أن يكون كريسه مشهورا بحسن السيرة وكمال الديانة ، عليما بأسرار المعاملات ودقائق الحسابات ، وأن يكون قلمه حكم عدل وشاهد صدق ، ويكلف هذا الوكيل الذى كان يعرف بالمستوفى الصغير[٦] تمييزا له عن المستوفى الكبير ، بضبط أوراق الدخل

---

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٨ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ ، ٥١ وتبرز أهمية المستوفى عند قيام السلطان بعزل أحد ولاته فيأمر المستوفى بتقديم بيانات بالأموال المتوفرة ووجوه إدخالها وإخراجها ، أنظر : حسن أنورى : ديوان استيفاء درحكومت غزنويان وسلجوقيان ، مجلة بررس هاى تاريخى – العدد ٦ السنه بهمن اسفند ١٣٥٢ شمارة مسلسل ٤٩ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٤٩ – ٥١ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ١١٣ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٤٩ .

(٦) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

والمنصرف ، وضبط الخراج والضرائب والزيادات والعلاوات ، وإرسال نسخة منقحة ومهذبة إلى الديوان فى عاصمة السلطنة وعليه أن يوصل ما هو مقرر على الولايات التابعة له ، طبقا لما هو مسجل فى دفاتر ديوان الاستيفاء وبناء على ماهو وارد فى حجة الديوان[١] . وهم أشبه بوكلاء وزير المالية الآن .

كما كان المستوفى يعين موظفا من قبله فى العراق خاصة يعرف بجابى الأموال ، ومهمته جمع الأموال المتحصلة من الضمان[٢] والخراج والضرائب ، وحملها إلى خزانة السلطان السلجوقى بعد إنفاق جزء منها على المرافق العامة[٣] ، أى أن المستوفى مفوض من قبل السلطان بتلك الاختصاصات ونائب المستوفى مفوض من قبل المستوفى بتلك المهمة ، وكان له كاتب يعرف باسم كاتب ديوان الاستيفاء أو كاتب المستوفى[٤] .

وقد شهدت كبرى مدن المشرق الإسلامى تعيين مستوفى خاضع للمستوفى المقيم فى حاضرة السلطنة السلجوقية وقد أورد عباس إقبال مرسومين الأول بتعيين مستوفى لمدينة مرو وآخر لمدينة كرمان[٥] .

ويبدو أن لفظ المستوفى يتفق مع لقب الخازن ، أو الخزينة دار[٦] ، وكان يعمل تحت إمرته "الحساب" جمع حاسب أو محاسب[٧] ، ويبدو أن الإدارة التى كان يشغلها هذا الموظف تتفق مع "ديوان الخراج" وديوان الزمام عند العباسيين[٨] ، لأنه كان يشرف على خزائن الدولة[٩] .

---

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٥٠ .

(٢) أنظر : الناحية الأقتصادية .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ١٧١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٤٩ - ٥١ .

(٦) الكرديزى : زين الأخبار ، جـ٢ ، ص ١٠ .

(٧) بارتولد : التركستان ، ص ٣٥٨ .

(٨) الطبرى : تاريخ ، جـ٣ ، ص ١٥٥٠ .

(٩) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، بارتولد : التركستان ، ص ٣٥٨ .

أشهر من تولوا ديوان الاستيفاء عهد السلاطين العظام ونوابهم وألقابهم :

العميد شرف الملك أبو سعد المستوفى ت ٤٦١هـ/١٠٦٨م تولى ديوان الاستيفاء عهد طغرلبك وألب أرسلان[1] وهو نفسه عماد الدين أبو سعد شرف الملك محمد بن منصور بن محمد الخوارزمى ت ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م صاحب ديوان الاستيفاء عهد السلطان ألب أرسلان وملكشاه ، وكان مرؤوسا لنظام الملك ، ومن أشهر موظفى بلاط ألب أرسلان ، كان ذا ثروة عريضة حتى قيل انه كان يمتلك ثلاثمائة وستين رداء يلبس فى كل يوم أحدها بحيث يكون متناسبا مع الأيام وفصول السنة ، وإذا أهدى أحدا أو خلع عليه ، أعد خازنه بديلا لما أعطاه ووضع الجديد فى خزانة الثياب[2] .

ويمكن تصديق هذه الرواية لأن سلاطين السلاجقة تحروا الدقة فى اختيار المستوفى لأنه المسئول عن كل أموال الدولة ، لذا كان أمينا ثقة ذا ثروة .

وفى الثامن من صفر عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، أوفد ألب أرسلان شرف الملك المستوفى إلى الخليفة فى بغداد حيث أهدى له مصحفا شريفا نفيسا ، وياقوته حمراء ، وسلمه رسالة السلطان ، وبقى شرف الملك فى منصب الاستيفاء إلى ما بعد وفاة ألب أرسلان ، وكان مؤيدا لنظام الملك ومعينا له ، لكنه استقال من منصبه قبل مقتل النظام ، وموت السلطان ملكشاه ، ودفع مائة ألف دينار كى يعفيه السلطان من الخدمة ، وتوفى فى أصفهان سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م[3] .

وقد بنى إلى جانب قبر ومدرسة الإمام أبى حنيفة النعمان مدرسة أخرى للحنفيين فى مرو[4] ، وكان نائبه أبو غالب أسعد بن محمد بن موسى البراوستانى من أهل قم ، ثم النجيب الجرباذقانى ، ثم أبو الفضل أسعد البراوستانى القمى ، والذى لقب بمجد الملك وكان حجة فى الضبط والحفظ ، وتدبير الدواوين[5] .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٨٣ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٨٤ .

(٣) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ورقة ١٠٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٧٤ ، ط. بيروت .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٨٥ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

وكان شرف الملك المستوفى - ممدوح - أمير الشعراء المعزى ، وقد امتدحه مرارا فى ديوانه[١] ، كما مدحه أيضا الأبيوردى فى قصيدة غيداء فى ديوانه هو الآخر[٢] .

٤- المشرف :

هو رئيس ديوان الإشراف الذى كان مكملا لديوان الاستيفاء ، لأنه يختص بضبط المحاسبات والصادرات ، والواردات ، والموازنة بينهما[٣] ، وكان للمملكة أو السلطنة العامة مشرف يسمى مشرفا عاما يسمى بالفارسية مشرف كل مملكت[٤] .

الشروط الواجب توافرها فى المستوفى ورسوم تعيينه :

كان يراعى فى الشخص الذى يسند إليه هذا المنصب أن يكون ثقة ، عفيف اليد ، سديد الرأى لأنه مسئول عن كل مايدخل أو يخرج من الدركاه (قصر السلطان)[٥] ، وكان المشرفون يوضعون تحت المراقبة لأن الفائدة التى تحصلها الدولة من استقامتهم تعادل أضعاف ما يتقاضونه مشاهرة[٦] وبفضل أصحاب القلم الرفيع ، ويتعين عليه بموجب منصبه أن يجعل كل شئ تحت تصرفه وتحت سمعه وبصره ، وأن يقف على الدخل والمنصرف ، ولا يغرب عن باله مثقال ذرة [٧] .

---

(١) ديوان المعزى ص ١٤٧ حيث يقول :

عماد الدين الملك الذى بفضل شمائله

دائما ما يسطع دين محمد المختار

إنه سر السعادة أبو السعد ، الذى بفضل كفايته

يزداد مديحنا لملك الملوك الصيد الكبار

إنى أعيش فى جواره دون بقية الشعراء

فاكتب لى اللهم فى جواره السعيد العزة . لا الهوان والصغار . إقبال : الوزارة ، ص ٨٦ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) اقبال : الوزارة ، ص ٥٥ .

(٥) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٧ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٩٩ .

(٧) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ .

وكانت وظيفة المشرف كغيرها من الوظائف المهمة فى البلاط السلجوقى ، التى يفوضها السلطان بنفسه ، بمقتضى مرسوم يذكر فيه اختصاصات من يمارسها والشروط الواجب توافرها فيمن يتولى هذا المنصب[١] ، وكان من رسومه أيضا إلزاما العمال والموظفين فى ديوان الإشراف بإطاعة أوامره ، وعليهم عدم التصرف فى أمر من الأمور دون علمه ومعرفته ، وعلى نائب قصر الرئاسة ألا يجرى شيئا دون حضوره وأن يبلغ بما أتمه من أعمال وعلى المفوضين مراعاة حرمته ، وسماع شكايته وقبول شكره[٢] .

نواب المشرف :

كان المشرف العام للملكة يعين له نوابا يساعدونه يسمى كل منهم (نائب المشرف) [٣] وهو بمنزلة رئيس للتفتيش المالى[٤] ، ويشترط فى نائب المشرف أن يكون أمينا قويا فى كل ناحية ومدينة لمراقبة الأعمال ، والإشراف على تحصيل الخراج ، ومعرفة كل صغيرة وكبيرة هناك ، أولا يشغل نفسه بجمع المال ، ولذلك يحقق لهم كل ما يحتاجونه من بيت المال حتى لاتكون لهم حاجة لخيانة ورشوه[٥] ، وأن يكتبوا الدخل والمنصرف بالتفصيل ويرسلوا نسخة منه إلى ديوان الإشراف[٦] .

ويعرف بعض العلماء المشرف بأنه من يعينه السلطان جاسوس على رسول له لينقل إليه ما يجرى فى أثناء أداء الرسالة[٧] ، وهو ما يشبه كتابة التقرير اليوم ، ولذلك كرهها طغرلبك وعزل الكندرى عنها[٨] . ويريد ذلك قول بارتولد[٩] من أن المشرف يعنى حرفيا المراقبة من أعلى ، ولذا فإن مهمة "المشرف" أى المراقب وفقا لنظام الملك هى أن يعلم بما يدور فى البلاط ويطلع عليه المسئولين إذا ما احتاج الأمر إلى ذلك .

---

(١) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٩٩ ، النورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٥٤-١٥٥ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٩٩ .

(٦) إقبال : الوزارة ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٧) نظام الملك : سياسة ، ص ٩٩ ، هامش ١ .

(٨) إقبال : الوزارة ، ص ٥٦ .

(٩) التركستان ، ص ٣٦٠ .

وأهم من تولى الإشراف عصر السلاطين العظام : أبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة الزوزني ، رئيس ديوان الإنشاء والإشراف حتى سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م[١] ، ثم ابنه سيد الرؤساء أبو المحاسن[٢] ، وأبو المعالي عضد الدين سديد الملك مفضل بن عبد الرازق بن عمر الأصفهاني[٣] .

وكانت وظيفة الإشراف (المشرف) لها علاقة بوظيفة المستوفي ، إذ أن المستوفي بطبيعة وظيفته يكون مراقبا لديوان الإشراف ، حيث تسجل المعاملات المالية في وثائق وتحفظ بالديوان وتخضع للمحاسبة[٤] ، وكان للمشرف كاتب يعرف بكاتب ديوان الإشراف[٥] .

٥- عارض الجيش :

هو متولي ديوان عرض الجيش ، ووظيفته الإشراف على ديوان الجيش وتنظيم سجلات الجند ، وصرف مرتباتهم وتهيئة الجيوش وتسليحها وتموينها ، وتفقد مظهر المجندين ورجال الجيش[٦] ، وعليه تقسيم الجنود إلى فرق وفصائل حتى يسهل توزيع المهام عليهم وقت الحاجة، وينظر العارض أيضا في مخاصمات الجند ، وما يتعلق بأمور الإقطاعات ، وإذا كان لأحدهم حاجة أو مطلب يفصح عنها لرئيسه ، فإذا أمكن حلها كان هذا في صالح الدولة[٧] ، وكان عليه أيضا توفير الأسلحة والمعدات الحربية ، وتخزينها في القلاع إذا ما اقتضت الضرورة إليها[٨] .

---

(١) البنداري : آل سلجوق ، ص ٦٢ ، إقبال : الوزارة ، ص ٨٤ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٨٤ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ١٤٢ .

(٤) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ١٩٩ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٨٧ .

(٥) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢١٩ .

(٦) البيهقي : تاريخ ، ص ١٦٩ ، ٥٦٢-٥٦٥ ، إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ص ١٠٩ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٦٣ ، الكرديزي : زين الأخبار ، جـ٢ ، ص ٥ .

(٨) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٣٩ ، أنوري : اصطلاحات ديواني ، ص ١٢١-١٢٣ .

وكان للعارض نائب يقيم معه فى الحضر ، ويسير دفة إدارة الديوان فى حالة غياب العارض الذى كان يقيم فى معظم الأوقات فى المعسكرات الخارجية ، حيث كان عليه أن يصاحب السلطان أو الوزير فى حروبه الخارجية[١] .

وعند تولى العارض أو صاحب ديوان العرض مهام وظيفته ، يأمر له السلطان بخلعه فاخرة، تشتمل على منطقة بسبعمائة مثقال فى العادة ، ويصبح بذلك من ذوى الرتب الكبيرة فى الدولة ، ويستعين بمجموعة من الكتاب لعمل بيانات بمكافآت الجند وبيانات المصروفات وحفظها[٢] ، ويمكن تشبيه عمله بعمل رئيس أحد الجيوش العسكرية الآن .

ومن تولى هذا المنصب أبو المعالى عضد الدين سديد الملك مفضل بن عبد الرازق الأصفهانى ، الذى شغل منصب عارض الجيش أواخر عصر ملكشاه[٣] .

٦- العميد :

من المناصب التى استحدثها السلاجقة فى العراق ، وهو يعين من قبل السلطان السلجوقى وسلطاته على ما يبدو وكسلطان المدير أو الحافظ فى عصرنا هذا ، ووظيفته إدارية[٤] ، وقد عرف بعميد العراق[٥] ، لأن سلطاته أوسع من سلطات الشحنة ، فالعميد يشرف على العراق بأكمله ، بينما الشحنة يعين للإشراف على مدينة كبغداد ، أو البصرة أو غيرها من مدن العراق[٦] .

والعميد يعتبر نائبا عن السلطان السلجوقى ببغداد والعراق[٧] كله ، ويكون مقره بغداد لينوب عن السلطان فى حاضرة الخلافة ، لأنه كان من عادة سلاطين السلاجقة أن يرسلوا نوابا عنهم إلى الأقاليم التى تخضع لسلطانهم[٨] .

---

(١) إقبال : الوزارة ص ٥٧ ، بارتولد : التركستان ص ٣٥٠ .

(٢) البيهقى : تاريخ ص ٥٦٥ ، بارتولد : التركستان ص ٣٥٠ ، بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ، ص ١٠٩ .

(٣) إقبال : الوزارة ص ١٤٢ .

(٤) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ .

(٥) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٤٠٣ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٢٦ ، ص ١٠٩ .

(٦) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ ، إدريس : رسوم ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٧) ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ص ٤٨٣ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ .

(٨) ابن خلدون : نفسه ، ص ٤٨٣ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

ويعتبر السلطان طغرلبك أول من أنشأ هذه الوظيفة[١] ، والذى دفعه إلى ذلك هو ومن جاء بعده من سلاطين السلاجقة الذين حذوا حذوه ، أنهم لم يتخذوا بغداد مقرا لهم[٢] ، وذلـــك لوجود الخليفة فيها وعدم تعود السلاجقة على عادات أهل بغداد ، فيكفى ما كان يفعله الجند الأتراك الغز حينما ينزلون بغداد مع العامة[٣] ، كما أنهم كانوا يجهلون اللغة العربية ، وكانوا يجيدون اللغة الفارسية والتركية ، لذا نراهم يتخذون إيران بمدنها المختلفة كالرى ومرو وأصفهان[٤] ، حواضر لهم ، ينفردون بالزعامة فيها يتصرفون بها وفيها كيفما شاءوا ، بينما لو أرادوا اتخاذ العراق أو بغداد مستقرا لهم لوجودا الخليفة منافسا لهم ، وهذا ما جعلهم يكتفون بنيابة أحد موظفيهم فى العراق يدبر شؤونه ويرتب أموره[٥] . وهو العميد .

كما كان المسئولون السلاجقة كالسلطان أو الوزير أو المستوفى وغيرهم من كبار الموظفين السلاجقة كانوا كثيرا ما يترددون على العراق ، وبغداد بالذات[٦] ، للتعرف على أحوالها ومشاكلها ، أو لزيارة الأضرحة أو لدواعى الترف كان بهاء بغداد يستهويهم وخاصة فى الشتاء[٧] ، وتركوا دفة إدراتها للخليفة ووزيره العباسى ، ونائبهم العميد ومساعده الشحنة اللذين مارسا عملهما من المقر السابق لحكام بنى بويه ، والمعروف بقصر السلطان ويقع بالجهة العليا من شرف بغداد[٨] .

وكان أول عميد لبغداد والعراق هو (أبو نصر أحمد بن على) ، الذى عينه السلطان طغرلبك ، وقد قاوم البساسيرى ومعه شحنة بغداد ، فقتله البساسيرى مستغلا وجود طغرلبك فى الموصل[٩] سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وكان هذا العميد ذا شجاعه فهو الذى أشار على

---

(١) أبو نصر الكاشانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١١-١٣ .

(٢) Le strange : Baghadad during the Abbainde calphate, p. 33, Alay, Tygurlbey; p. 73.

(٣) أبو نصر الكاشانى : تاريخ آل سلجوق ، ص ٨ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٦ .

(٥) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢١ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١١٦ ، ص عقيلى : آثار الوزراء ص ٢٠٧-٢١١ .

(٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١٠٦ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢١ .

(٨) Le Strange; Baghdad, p. 23 .

(٩) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٥ . اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٢ ص ٦٦ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٢ ص ٦٨ .

رئيس الرؤساء ابن المسلمة بعدم مناجزة البساسيري إلا بعد وصول السلطان طغرلبك[١]، وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ في بغداد[٢] . وتولى بعده العميد أبو الفتح ابن أبي الليث[٣]. ولقد تدخل العميد نائبا عن طغرلبك ومعه الشحنة في شئون الخلافة ، حينما استعان بهم طغرلبك في تحقيق أغراضه ، عندما ساءت العلاقات بينه وبين الخليفة العباسي القائم بأمر الله، مثلما حدث عندما أمرهما بمصادرة أموال الخليفة ، وحاشيته ، وأن يترك ما كان باسم الخليفة القادر بالله من الأملاك ، فلجأ الخليفة إلى الرجاء بترك أمواله ، ويتضح ذلك من كتابه إلى طغرلبك الذي جاء فيه "مارجونا من ركن الدين ما منع وما توقعنا ما وقع ، وبين يديك الإقطاعات فأقطعها ، وقد ارتفعت الموانع فامنعها" [٤] .

ولقد تعاون الشحنة والعميد في إدارة الولاية ، وحاربا معا كما سلف ، وإذا حدث شئ يعكر صفو الأمن داخل بغداد ، ففي صفر من سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ثارت فتنة بين الشيعة والسنة في بغداد ، وقتل جماعة ، وكانت الواقعة بين جامع المنصور[٥] والقنطرة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٣ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ٨ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ٢٢٦ ، ورباط شيخ الشيوخ أو رباط الزوزني ، وهو ذلك الرباط الذي بني مقابل جامع المنصور ، وقد نسب إلى أبي الحسن على بن محمود بن إبراهيم الزوزني ٣٦٦-٤٥١هـ/٩٧٦-١٠٥٩م وهو من كبار صوفية بغداد ، ولم يكن الرباط ملتصقا بالجامع ، وإنما كانت بينهما فسحة كان من عادة الصوفية أن يقيموا فيها مأدبة للطعام إذا مات رجل منهم ، أنظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٧ ، ص ١١١ ، جـ٨ ، ص ٢١٤ ، السمعاني : الأنساب جـ٦ ص ٣٤٤ ط . الهند ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ، ورقة ١٨٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جـ٩، ص ٣٩١ ، صالح العلي : بغداد ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٤ .

(٤) أبو نصر الكاشاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٧ ، ١٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ٩ ص ٢٢٥ .

(٥) جامع المنصور : هو المسجد الجامع الذي بناه أبو جعفر المنصور عند بناء بغداد سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م ، وظل يسمى جامع المنصور أحيانا ، ويسمى جامع المدينة . انظر : الخطيب البغدادي جـ١ ص ٤٤٧ ، ٢٤٤ ، ٣١٥ ، ٣٥١ ، جـ٨ ، ص ١٩ ، ٢٤٩ ، ابن الدبيثي : المختصر المحتاج إليه جـ١ ص ١٢٦ ، ابن الجوزي : المنتظم : جـ١ ص ٢١٧ ، جـ٧ ، ص ١٧١ ، ٢٧٩ ، أحمد الشامي : الدولة الإسلامية ، ص ٨٠-٨٨ .

العتيقة[1]، فتولى قتال أهل السنة العميد والشحنة ، ثم حاصرا الطائفتين أياما ، فلم يقدر أحد أن يظهر ، فجبى لهما مال تولى جبايته النقيبان ، نقيب السنة ونقيب الشيعة ، فأمر الخليفة المقتدى بالقبض على النقيبين ، وأنكر مافعلا ، وألزم العميد والشحنة برد الأموال[2].

ويقوم العميد بمراقبة دواوين الدولة ، وعمل إصلاحات عمرانية ، ويراقب الخليفة وحاشيته[3] فهو عين السلطان فى بغداد ، وتوضع تحت تصرفه حامية من الجند السلجوقى ، يستعين بهم فى تحقيق أغراض سلاطين السلاجقة[4] . فقد قام العميد أبو الفتح بعمارة الكرخ[5] سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م[6] .

---

(١) القنطرة العتيقة : هى القنطرة التى بناها المنصور ، وتنتهى عند باب البصرة عليها سوق كبيرة فيها سائر التجارات ، وسميت بالعتيقة أو القديمة لأنها أول من بنى من قناطر على عهد المنصور ، وبنى بعدها قناطر أخرى حديثة وقد جددت عدة مرات الأولى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٨٠م ثم سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م ، بعد أن زادت الفرات فغرقت بغداد ، وسقطت القنطرة الجديدة والعتيقة ، وجددها عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢هـ . وقد جددت مرة أخرى على عهد ملكشاه السلجوقى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م ، وظلت قائمة حتى القرن السابع الهجرى على الرغم من أنها أصبحت فى غاية العتق كما ذكرها ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٤ ص ١٨٩ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ١٠ ص ٣٦٥ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ ص ٤٣ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ٢ ص ٤٠٦ ،. صالح العلى : بغداد ، ص ٤٩٣ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ . ص ٤٥٤ .

(٣) فقد كان العميد يتدخل أحيانا فى شئون الخليفة ، فتصطدم سلطته عندئذ بسلطة الخليفة ، ويقع الخلاف بينهما ففى سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م أرسل الخليفة المقتدى الإمام الشيخ أبا إسحاق الشيرازى برسالة إلى السلطان ملكشاه تتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح ابن أبى الليث ، انظر : البندارى : آل سلجوق ص ٦٩ ، السيوطى تاريخ الخلفاء ص ٧٠ وعزل العميد أبو الفتح عن منصبه ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٢٨.

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٤ ، أدريس : مرسوم ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥) الكرخ : أحد أحياء بغداد الشهيرة ، وهو الذى أسكن فيه المنصور التجار وجعل فيه الأسواق عند بناء بغداد واشتهر هذا الحى ومازال وسكنه الشيعة دوما ، لمزيد من التفاصيل انظر : البغدادى : تاريخ بغداد جـ١ ص ٣٦٥ صالح العلى : بغداد ، ص ٢٣٨ .

(٦) حيث قام العميد أبو الفتح بعمارة سوق الكرخ ، وتقدم إلى من بقى من أهلها بالرجوع إليها ، ونهاهم عن العبور إلى الحريم الطاهرى والعيش فيه ، وابتدأ العمارة ، فأعاد السوق إلى ما كان عليه أيام البويهيين ، انظر : الجوزى مرآة الزمان جـ٨ ، ورقة ١٧١ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٤ ، صالح العلى : بغداد ، ص ٦٧ .

وقد أوفد العميد فى كثير من الأعمال من قبل السلطان السلجوقى ، ففى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، أوفد العميد أبو الفتح المظفر بن الحسين الذى شغل المنصب بعد العميد أبى نصر أحمد بن على ، أوفد من قبل السلطان ألب أرسلان فى موكب رجوع ابنة الخليفة القائم بأمر الله وزوجة السلطان طغرلبك[١]، والتى أعادها السلطان ألب أرسلان إلى دار الخلافة ببغداد ، وكان معه الأمير ايتكين السليمانى شحنة بغداد ، ولكن أبا الفتح المظفر ابن الحسين مات فى الطريق[٢] .

وبلغ من سلطات العميد ببغداد أنه كان يجلس فى مجالس الخليفة ، ويأخذ منه الخلع للسلاطين ، ففى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م وبعد وفاة العميد أبى الفتح ابن الحسين ، تولى أبو الحسن العميد هذا المنصب ، وحينما جلس الخليفة القائم بأمر الله جلوسا عاما لإعطاء البيعة بالسلطنة لألب أرسلان ، كان ذلك بناء على طلب العميد أبى الحسن ، الذى جلس بحضرة الخليفة وتسلم منه الخلع ، ولقبه الخليفة بشيخ الدولة ، ثقة الحضرتين[٣] .

وفى سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ، تولى أبو العباس الخوافى فى منصب العميد ، فقد وصل إلى بغداد فى رجب من السنة المذكورة موفدا من قبل السلطان ألب أرسلان[٤] .

وظل الخوافى عميد للعراق ثمانى سنوات حتى عزل وأعيد أبو نصر أحمد بن على إلى عمله كعميد للعراق سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م فقد حضر . سعد الدولة كوهرائيين شحنة بغداد مع عسكر السلطان ألب أرسلان[٥] - الذى كان يرافق العميد والشحنة فى رحلاتهما إلى بغداد ، أو إلى دار السلطنة السلجوقية فى مرو وأصفهان[٦] .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٨٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٦٦ ط. بيروت .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٦٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ٨٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٨١ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٨١ ، ٢٨٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠١-٢٠٧ .

ولم يمكث أبو نصر أحمد بن على فى عمله طويلا ، فقد عزل وتولى مكانه أبو أحمد النهاوند عميداً للعراق[١] وكثيرا ماكان العميد يقوم بحملات عسكرية من قبل السلطان ، أو يوفد لتسلم مدن سلكها أهلها له ، ففى سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م أرسل السلطان ألب أرسلان العميد كمال الملك أبا الفتح الدهستانى إلى الأنبار ليتسلمها من بنى عقيل[٢] ثم أرسله سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م إلى مدينة هيت [٣] ، بجيش وحاصرها ، فأخذها صلحا[٤] .

وقد شارك عميد العراق كثيرا فى تهدئة الفتن التى كانت تحتدم بين الفرق الدينية ، ففى سنة ٤٨٢هـ/١٠٩٠م اشترك العميد كمال الملك الدهستانى فى إسكات فتنة بين أهل البصرة، وأهل الكرخ الشيعة[٥] ، وعزل كمال الملك سنة ٤٨٢هـ/١٠٩٠م ، وتولى مكانه أخوه أبو المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى ، الذى شارك هو الآخر فى رأب الصدع بين الحنابلة والأشعرية فى بغداد ، وظل عميداً إلى نهاية حكم ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٦] .

٧- الشحنة :

وهو من المناصب التى استحدثها السلاجقة أيضا فى بغداد[٧] ، ويعين صاحبها من قبل السلطان السلجوقى[٨] ويتمتع شاغلها بسلطات بوليسية ، وإدارية ، وحربية ، فهو المسئول

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤١٤ .

(٢) بنو عقيل هم : حكام الموصل ، والأنبار ، وكان ولاؤهم يتوزع بين السلاجقة تارة والفاطميين تارة ، أنظر الفصل الأول من الرسالة ، وسهيل زكار : المدخل ، ص ٨٩-٩٩ ، وأول من أسسها محمد بن المسيب العقيلى سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م .

(٣) هيت : بالكسر ، وآخره تاء مثناه ، وسميت هيت لأنها فى هوة من الأرض ، بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار ، وهيت أيضا من قرى حوران من أعمال دمشق ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٥٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٥٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٦٢ . البندارى : آل سلجوق ، ص ٨٧ - ٩٢ .

(٧) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ ، الخالدى : الحياة السياسية ، ص ٢٥٤ ، أحمد حلمى : السلاجقة ص ٢١٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ٣ ، إدريس : رسوم ص ١٠٩ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ٢٢٣-٢٢٢٥ .

عن إدارة المدينة ، والمحافظة على أمنها واستقرارها ؛ وملاحقة الخارجين على النظام ، ومعاقبة المسيئين[١] ، وهى بهذا تشبه وظيفة حكمدار المدينة أو مدير أمنها فى الوقت الحاضر .

وكان لكل مدينة سلجوقية شحنة ، خاصة مدن العراق[٢] ، وبصفة أخص بغداد لوجود الخليفة فيها ، فعند دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وبعد أن استتب الأمر لطغرلبك فيها ، ترك وزيره عميد الملك الكندرى فى بلاد الخلافة العباسية[٣] ، وعين شحنة لبغداد هو الأمير برسق[٤] ، الذى كان مقر إقامته فى دار الخلافة نفسها ببغداد بجوار الخليفة العباسى[٥] .

ولقد حدد نظام الملك[٦] الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى مسئولية الشحنة فقال "ليبحث فى كل مدينة عمن له شفقة فى الدين ، وعلى أمور الدين ، ويخاف الله تعالى ، وليس بصاحب غرض ثم يقال له إننا نضع هذه المدينة والناحية أمانة فى عنقك ، عليك أن تحيط بكل شئ ، وتتحرى كل صغيرة وكبيرة ، ثم تحيطنا علما بالحقيقة سرا وعلانية لكى تأمر باتخاذ التدابير اللازمة ، بل أنه أوجب على من يتوفر هذه الصفات أن يلزم بقبول الوظيفة ، وإلا أجبر على تحملها .

كما كان يشترط فى الشحنة الشجاعة والمقدرة العسكرية والإدارية ، والمقدرة على حفظ الأمن ومراقبة المفسدين والقبض على الجناة ، ومراقبة اللصوص ، وقطاع الطرق[٧] .

---

(١) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٠ ، العراق ، ١-٢ ، ٢٠٢ .

(٢) الخالدى : الحياة السياسية ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، فهناك شحنة لواسط ، وآخر للكوفة ، وآخر للبصرة ، وآخر للأنبار ، وغيرها وكانت هناك شحنة للمدن الأخرى كشحنة همدان والرى وغيرها ، ابن تغرى بردى : النجوم . جـ٥ ص ٧٣ .

(٣) أبو نصر الكاشانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٥-١٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٣ .

(٥) إدريس : رسوم ، ص ١٠٩ .

(٦) سياسة نامه ، ص ٨٣ .

(٧) الخالدى : الحياة السياسية ، ص ٢٥٥ .

ويعلل ابن خلدون [١] الأسباب التى دعت السلاجقة إلي تعيين شحنة بقوله "كثرة الفتن وانتشار الذعار والمفسدين فى بغداد .. هذه الفتن التى كانت بين أهل السنة والشيعة ، وبين الحنابلة والشافعية ، ولم يقدر بنو بويه ولا السلاجقة على حسم ذلك لبعد حواضرهم عن بغداد ، ورأى السلاجقة أن تكون بغداد شحنة تحسم ماخف من العلل" .

وقد شارك الشحنة فى أعمال حربية فى جيش السلطان ، أو للدفاع عنه ، فقد شارك شحنة بغداد سعد الدولة كوهرائيين فى الإعداد معركة مانزكرت مع السلطان ألب أرسلان ، وهو الذى أبقى الغلام الرومى الذى أسر الإمبراطور البيزنطى رومانس الرابع[٢] .

ولم تقتصر أعمال الشحنة على حفظ الأمن فى الداخل فقط ، بل تعدى اختصاصاته ، وقام بأعمال عسكرية واسعة كما فعل سعد الدولة كوهرائين فى عهد السلطان ألب أرسلان وملكشاه[٣] ، بل أنه هو الذى تسلم تقليد الخليفة القائم بالسلطنة للسلطان ملكشاه سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، وبلغ من نفوذه أن الخليفة جلس له ، ووقف على رأسه ولى العهد المقتدى بأمر الله[٤] .

وكان سعد الدولة كوهرائين قد عين شحنة لبغداد سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م حسب رواية ابن الأثير[٥] ، بعد أن ارتكب (ايتكين السليمانى) الشحنة السابق ، أفعالا أغضبت الخليفة القائم بأمرين ، حيث استخلف ابنه عند سيره إلى السلطان ، وجعله شحنة بغداد ، فقتل أحمد المماليك الدارية[٦] ، فغضب الخليفة ، وأصر على عزله من شحنكية بغداد على الرغم من معارضته نظام الملك الطوسى[٧] .

---

(١) العبر ، جـ٣ ص ٤٧٧ ، والذعار : لغويا شراسة الخلق ، وزعرور سئ الخلق وتدل على المفسدين وقطاع الطرق ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ٣ ، ص ٢٣٥١ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٥ ، ٢٤ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ ، وقد كان كوهرائيين مع ألب أرسلان فى حروبه ضد الخانيين التى قتل فيها ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩١ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ص ١٥٤ ، ط. بيروت .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٤ .

(٦) الدارية : من الفارسية دار بمعنى الصاحب والقيم ، حسانين : قاموس ، ص ٢٣٢ ، أحمد السعيد سليمان : تأصيل ص ١٠٩ ، أدريس : وسوم ، ص ١٠٩ هامش ٥٦ . ، أدى شير : الألفاظ ، ص ٩٠ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ١٣٨ ، ط. بيروت .

وبلغ من نفوذ سعد الدولة كوهرائين أنه عندما عين شحنة لبغداد ، جلس له الخليفة وخرج الناس لاستقباله[١] ، بل أنه شارك الخليفة المقتدى بأمر الله فأقر أن يضرب على بابه بالطبل ثلاث مرات فى أوقات الصلاة سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م مشاركا بذلك فى حقوق الخليفة العباسى، فاستاء الخليفة من ذلك ، لأنه لم تجر العادة بمثل ذلك من قبل[٢] .

وعلى الشحنة أن ينفذ أوامر السلطان ووزيره ، فهو تابع للوزير السلجوقى ، فمن حق الوزير عزل الشحنة إذا ما أظهر عدم كفاءة ، أو سوء تصرف ، مثلما عزل نظام الملك - السليمانى - كما سبق بأمر من الخليفة[٣] ويدل ذلك على أن الشحنة خاضع للوزير فهو الذى له حق عزله إذا ما أراد الخليفة ذلك[٤] .

وعلى الشحنة أيضا مراقبة الخليفة ووزيره ، ورفع التقارير عنهم إلى وزير السلطان ، والذى يبلغها بدوره إلى دار السلطنة ، فلما غضب الوزير السلجوقى نظام الملك على الوزير العباسى فخر الدولة بن جهير وزير المقتدى بأمر من الأمور ساءته ، وبعد تقارير شحنته فى بغداد سعد الدولة كوهرائين عنه ، أمر نظام الملك الشحنة سنة ٤٧١هـ/١٠٨٨م بإرغام الخليفة على عزل وزيره ، ولو أدى ذلك إلى مضايقة الخليفة نفسه[٥] . بل أن الشحنة كان يتولى محاربة المتمردين على السلطان ، ويكافأ بتقليده إمارة بعض الولايات[٦] وكان الخليفة العباسى يستشيره فى كثير من أمور السلطنة السلجوقية[٧] ، وللشحنة رئاسة عرفت بالشحنجية أى رئاسة الشحنة[٨] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٠٣ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٠ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤١٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ١٣٨ ط. بيروت ، فقد عزل كوهرائين سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م ، وعين بدلا منه نجم الدين خمارتكين الشرابى الطغرائى شحنة لبغداد ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٢٩.

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤١٧ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧-٢١٦ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، جـ٥ ، ص ٢٢ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢١٦ .

(٨) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٤٩٦ .

وكانت بغداد إقطاعا للشحنة من قبل السلطان كراتب له ، وعندما تسؤ العلاقة بين الشحنة والخليفة يأمر الشحنة بإبدال إقطاعه[١] ، وقد أضاف نظام الملك اقطاع تكريت إلى اقطاعات السليمانى شحنة بغداد ، فأمر الخليفة واليها بالتوقف عن تسليمها له[٢] . وكان للشحنة ديوان عرف بديوان الشحنة[٣] .

٨- الأصفهسالار :

أى قائد الجيش ، وقد تركزت قيادة الجيش فى الأسرة السلجوقية أول الأمر ، ثم أسند المنصب إلى الوزراء ، أو القواد الذين أطلق عليهم هذا اللقب الذى عرف بسبهسالارية الجيش[٤] أى قيادة الجيش ، وعرف أميره بالأمير الأصفهسالار[٥] وهو الذى يتقدم الجيش فى القتال[٦] ، وكان السلطان يعينه بنفسه من الأشخاص الذين تتوفر فيهم الصراحة ، والقوة والكفاءة العسكرية الناتجة عن وفرة التجارب[٧] فى الحروب ، ويختار أيضا من ذوى الشكيمة ومن المعروفين بالقوة والشدة وممن تفننوا فى الفروسية والمبارزة[٨] ، أمثال

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ٣ ص ٤٧٧ ، إبراهيم طرخان : النظم لإقطاعية ص ٤٩٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٤ .

وكان الشحنة يخرج فى مواكب عبارة عن دوريات تضم عددا كبيرا من رجاله بأسلحتهم وخيولهم ، وحملة المشاعل والنفاطين إظهارا للقوة ، وترويعا للصوص ، والمفسدين ، وردا لعَبثهم ، وتطمينا لنفوس الناس ، وكانت أكبر الدوريات والمواكب هى التى يرأسها صاحب الشحنة نفسه . انظر : خالد جاسم الجنابى : مقال بعنوان الجيش والشرطة فى العصر العباسى ، مستخلص من دورية حضارة العراق جـ٦ بغداد ١٩٨٤م ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٣) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٢٥ ، وكثيرا ما خالف الشحنة أوامر السلطان ففى سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، ثار أهل همدان على العميد والشحنة فقتلوهما مع سبعين رجل من أصحاب السلطان ، انظر : ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ٥ ، ص ٧٣ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٧٠ ، ٥٨١ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ٢٠٥ .

(٥) خالد الجنابى : الجيش والشرطة ، ص ٢٨٨ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٢ .

(٦) حسين أمين : العراق ، ص ٢٠٥ .

(٧) أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢١٣ .

(٨) حسين أمين : العراق ، ص ٢٠٥ .

إبراهيم ينال وجغرى بيك وألب أرسلان ، وتتش وارتاش ، وسليمان بن قتلمش أعظم قواد لجيش السلاجقة[١] .

٩- صاحب الشرطة :

يقصد بالشرطة الجند المكلفون بحفظ النظام وإقرار الأمن الداخلى فى البلاد ليل نهار ، وهى إما من كلمة شرط بفتح الشين والراء ، بمعنى العلامة ، لأنهم علموا أنفسهم بعلاقات يتميزون بها[٢] أو من كلمة شرط بالفتح وسكون الراء بمعنى أرذال المال لأن الشرطة يتحدثون عادة مع أرذال الناس وسفلتهم ممن لا مال لهم من اللصوص ونحوهم[٣] .

ويرأس هؤلاء الجند صاحب الشرطة الذى كانت منزلته تلى منزلة القاضى فى العصر العباسى ، وكان يشترط فيمن يتولى رئاسة الشرطة أن يكون حليما مهيبا دائم الصمت ، طويل الفكر ، غليظا على أهل الريب ، طاهر النزاهة ، غير متلفت إلى الشفاعات[٤] .

ويحدد القلقشندى [٥] بعض مهام صاحب الشرطة فى العصر العباسى حيث كان عليه أن يردع الأشرار والدعار وأن يضرب على أيديهم ، وأن يعاقبهم على الصغائر والكبائر ، وأن يقيم الحدود عليهم ، وعليه أن يقوم بإدارة السجون ويشرف على المحبوسين ويلزم أعوانه بملازمتهم وتفتيش الأطعمة وما يدخل إلى السجون ، ومراقبة المفرج عنهم ، ويأمر العامة ألا يجيروا على أحد ، ويقوم بتعمير سور المدينة وأبوابها ، ومعرفة الداخلين إليها ، كما كان يعهد إليه أمور الحسبة والمشاركة فى إطفاء الحرائق ، والمعاونة فى تحصيل الجزية وإصدار العملة[٦] ، وإصدار الأوامر المطابقة للشريعة الإسلامية[٧] .

---

(١) انظر الفصل الأول .

(٢) الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، مادة الشرطة ، جـ١ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٥٠ .

(٤) فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية (دار المعارف ، ١٩٨١م) ص ١٣٥ .

(٥) صبح الأعشى ، جـ١٠ ، ص ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة ، ص ١١٨ .

(٦) أنور الرفاعى : النظم الإسلامية (دمشق ، ١٩٧٣م) ص ١٠٣ ، فتحية النبراوى ، تاريخ النظم ، ص ١٣٥ حسن ابراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٢١٩ .

(٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥١ ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ١٧٦ .

وتشبه وظيفة صاحب الشرطة وظيفة الشحنة فى العصر السلجوقى ، وإن كان صاحب الشرطة ونائبه عليهما مساعدة الشحنة فى حفظ الأمن والنظام داخل المدينة التابعة له ، والفرق بين الشحنة ونائب الشرطة أن أتباع الشحنة من "الجند العسكر" ، وأتباع الشرطة من العامة ، وكان الشحنة يعتمد على السيف والتحقيق ، والثانى يعتمد على التحقيق والتجسس[١] .

وكان الشحنة وصاحب الشرطة بحكم وجودهما فى ببغداد ، وإذا جاز لنا القول أن الشحنة وظيفة سلجوقية مستحدثة وداخلة على صاحب الشرطة فهى وظيفة إسلامية عباسية قديمة[٢] ، كان الاثنان يتعاونان إذا ما حدث اضطراب داخل بغداد أو غيرها ، كما يتعاون اليوم الشرطة والجند العسكرى إذا وقع أى خلل فى الدولة[٣] .

وكان شحنة واسط مثلا يقوم بنفس الواجبات التى كان يقوم بها صاحب الشرطة نفسه ، حيث عهد إليه بحفظ الأمن ومراقبة المفسدين والقبض على الجناة[٤] .

وكانت لصاحب الشرطة كما كان للشحنة مواكب عبارة عن دوريات تضم عددا كبيرا من الجند بأسلحتهم وخيولهم وحملة المشاعل والنفاطين وإظهارا للقوة وترويعا للصوص والمفسدين[٥] ، وكان لصاحب الشرطة جلسات علنية غاية فى الهيبة ، حيث يتصدر المجلس صاحب الشرطة ويجلس إلى كاتبه ليدون محاضره ، وأحكامه ، ويقف حولهما أعوان كثيرون مدججون بالسلاح[٦] .

ووجد ديوان للشرطة فى العصر العباسى يرأسه (حاجب باب النوبى) وحجابة باب النوبى إحدى الوظائف الخطيرة فى الدولة العباسية ، ولرئيس الديوان مكانة تقربه من نيابة الوزارة ،

---

(١) فاضل عبد اللطيف الخالدى : النظم فى العراق فى أواخر العصر العباسى ، رسالة ماجستير لم تنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ١٥١ .

(٢) أنور الرفاعى : النظم الإسلامية ص ٩٨ ، ٩٩ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ص ١١٧ - ١٢٠ .

(٣) الخالدى : النظم ، ص ١٥١ .

(٤) الجنابى : الشرطة والجيش ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٥) خالد الجنابى : نفسه ، ص ٣٠١ .

(٦) خالد الجنابى : نفسه ، ص ٣٠٢ .

والـــوزارة[١] ، ويشترط مع حاجب باب النوبى - رئيس الشرطة - موظف آخر يعرف بنائب الشـرطة وهو وكيـل حاجب باب النوبى ومنه يتلقى الأوامر الفورية ، وتبلغ إليه الجرائم والمخالفات فى بغداد ، فيبلغها النائب إلى حاجب الباب[٢] ، وعرف النواب بالمساعدين ، أو أصحاب النوبة حيث يقيمون فى دار خاصة بهم عند "باب النوبى" ، أو أصحاب العسس ، أو أصحاب الطواف أو الخفرا.[٣] ، وكانوا يتخذون لأنفسهم أعلاما خاصة بهم ، ويلبسون زيا مميزا ، ويحملون مطارد [٤] أو تروسا نقش عليها اسم صاحب الشرطة أو الشحنة ، بالإضافة إلى القوانين ليلا ، ويصحبون معهم كلابا للحراسة[٥] .

وكان للشحنة وصاحب الشرطة فى العصر العباسى والسلجوقى ملابس خاصة ، فكان صاحب الشرطة يرتدى القباء الأسود ، ويتقلد سيفا ، وهما علامتان : الأولى تميزه من سائر الناس ، وعامتهم ، والثانية تميزه من الخواص كالقضاة والمحتسب ، وغيرهم من أعوان الدولة، وكان يحمل الحربة فى المواكب[٦] .

أسلحة الشرطة :

وكان أفراد الشرطة والشحنة يتسلحون بالدرة يؤدبون الناس ، كما كانوا يستعملون المقرعة والسياط لإقامة الحدود ، أو لحمل الناس على تطبيق النظام ، وكانوا يتسلحون بأنواع أخرى بأنواع أخرى من الأسلحة المعروفة كالسيوف والحراب والأقواس والرماح القصيرة (المطارد) ويعلقون فى أوساطهم الطبرزين وهو سلاح يشبه "الطير" أى الفأس له نصل قصير ، وكانوا يحملون التروس للوقاية ، وقد كتب عليها اسم الشحنة وصاحب الشرطة[٧] .

---

(١) ابن الساعى : المختصر المحتاج إليه ، جـ٩ ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) صالح العلى : بغداد ، ص ١٩٣ - ٢٠٥ .

(٣) أحمد عبد الرازق : شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك ، (القاهرة ، ١٩٨٢م) ص ٣٠ ، ٣١ .

(٤) أحمد ممدوح حمدى : الشرطة فى مصر الإسلامية (المجلة ، مارس ١٩٦١م) ص ٨٥-٨٧ .

(٥) المطارد : رماح قصيرة ، تسمى مهماز عند الفرس ، أنورى : اصطلاحات ، ص ١٤٤ .

(٦) خالد الجنابى : الشرطة ، ص ٣٠٣ .

(٧) خالد الجنابى : الشرطة ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ . والطبر هى الفأس الفارسية .

كما كانوا يحملون أسلحة تلائم طبيعة عملهم ، مثل الكشاف ، والصفاد ، والغل ، والكبل[١] والقيد والسلاسل وكلها آلات أعدت لأهل الدعارة والتلصص والجنايات ، وكان رجال الشرطة يستعينون بها فى حالات خاصة لتكبيل المتهمين ، أو نقلهم إلى مجالس الشرطة أو السجون[٢] .

١٠- المحتسب :

يعرف الفقهاء الحسبة بأنها "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا فعله"[٣] تحقيقا لقوله تعالى" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"[٤] ، وتأكيد السنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد قال : لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم [٥] ، ومعنى هذا أن الحسبة كانت نفلا على كل أفراد الأمة الإسلامية ، وواجب مفروض على من يتولاها ، أى المحتسب[٦] .

ونظرا لأهمية هذا المنصب فقد اشترط الفقهاء فيمن يتولاه شروطا منها أن يكون لين القول، طلق الوجه ، كريم الأخلاق ، خالص النية ، بعيدا عن الرياء ، وأن يكون عدلا ذا صرامة وقوة فى الدين متورعا عن قبول الهدية ، لا يخالف قوله فعله ، وأن يكون عارفا بأحكام الشريعة وسنة المصطفى (عليه السلام)[٧] . أما أهم الأعمال التى يقوم بها المحتسب فأغلبها يتعلق بالدين والخلق مثل الأمر بتأدية صلاة الجمعة والمحافظة على صلاة الجماعة ،

---

(١) الصفاد : الغل ، الكبل أنواع معينة من الأسلحة صغيرة الحجم تشبه السلاسل الحديدية .

(٢) خالد الجنابى : الشرطة ، ص ٣٠٣ .

(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٠ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٥ ، ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ، القاهرة ١٤٠٠هـ ، ص ٦ ، ٣٤ .

(٤) سورة آل عمران ، آية رقم ١٠٤ .

(٥) صحيح مسلم ، جـ٣ ، ص ١٥٥ .

(٦) ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى (القاهرة ١٩٧٦) ص ٢٦ .

(٧) الشيرزى : عبد الرحمن بن نصر ، نهاية الرتبة فى طلبة الحسبة ، تحقيق د/ السيد العرينى (بيروت ١٩٨١) ص ٦-١١ .

وأداء الزكاة ، وردع أهل البدع ، ومراعاة آداب السلوك والتمسك بأهداب الدين والمحافظة على الأخلاق العامة ، ومنع النساء من التبرج ، ومراقبة الحانات وشاربى الخمر ، ومنع الدعارة[1] .

وتناولت أعماله أيضا أعمالا مادية تتفق ومصالح المسلمين العامة ، حتى أصبحت الحسبة أشبه بخدمة اجتماعية اقتصادية لسكان المدن مثل المحافظة على المواطنين وسلامتهم ، كمنع الحمالين ، وأصحاب السفن من المبالغة فى الحمل ، أو شحن السفن ، والحكم على أهل المبانى الآيلة للسقوط بهدمها وإزالتها ، وإزالة بروز مصاطب الحوانيت فى الأسواق ، وإماطة الأذى عن الطريق ، وأمر السقائين بلبس السراويل القصيرة الساترة لعوارتهم ، وتغطية القرب ، ومنع معلمى الأطفال من ضربهم ضربا مبرحا ، ومنع معلمى السباحة من التغرير بالصغار[2].

وكان عمل المحتسب الأساسى الإشراف على الأسواق ، والنظر فى الموازين والميكاييل ، وصحتها ونسبتها ومراقبة الأسعار ومنع الاحتكار ، والإشراف على دور الضرب والعيار ، ومراعاة إثبات اسم الخليفة على السكة والطراز[3] ، كما كان يشرف على السلع المعروضة فى الأسواق ، ويراقب طوائف أصحاب الحرف على اختلافهم كالأساكفة وبائعى الحرير والفراء، والخياطين والصباغين ، والحاكة ، والخبازين ، وصانعى الحلوى والشوائين ، والصيادلة ، والأطباء ، والصيارف والصياغ وغيرهم ممن كانت تعج بهم أسواق المدن الإسلامية[4] ويفرض حسبته على الجميع[5].

---

(١) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ١٢-٢٤ ، الشيرزى : نهاية الرتبة ص ١٢-١٦ .

(٢) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ١٣-٢٧ .

(٣) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ١٤ - ٥٦ .

(٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٨ -٦٣ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٥ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ١ ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ص ١١٤ .

(٥) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ١٤ - ٩٧ .

وللمحتسب نواب فى سائر المدن والأقاليم التابعة له يتولون أعمال الحسبة فيها[١] ، ويستعين فى تصريف أعماله بمعاونيين له[٢] ، كان يختارهم من بين أصحاب الحرف المختلفة ، ليشرف كل منهم على أحوال طائفته ، ويطلع على أخبارهم وحيلهم حتى يتسنى له مراقبتهم[٣] .

وكان للمحتسب سلطة تنفيذية إلى رأيه وهو ما عرف بالتعزير كالردع بالقضاء على شئ محرم ، والتوبيخ بالقول ، أو الضرب بالسوط أو الدرة ، والتشهير أو التجريس بأن يلبس المشهر به طرطورا منقوشا بالخرق الملونة ، ومكللاً بالأجراس ليطاف فى الشوارع[٤] .

وقد عرف المحتسب فى كل دول العالم الإسلامى ، وبطبيعة الحال وجدت فى العصر السلجوقى وقد اهتم السلاجقة اهتماما كبيرا بالحسبة ، ومتوليها المحتسب ، ودققوا فى اختياره وأسندوا إليه أعماله ، فقد نبه نظام الملك [٥] إلى أهمية المحتسب بقوله "ينبغى تعيين محتسب فى كل مدينة تكون مهمته مراقبة الأوزان والأسعار ومعرفة المبيعات والمشتريات ، ومراقبة البضائع ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر" .

بل أنه ألزم الملك أو السلطان مؤازرة المحتسب والأخذ بيده ، لأن مهمته ركيزة من ركائز السلطنة ويفضل نظام الملك أن يسند هذا المنصب إلى أحد خاصة السلطان أو خدمة ، أو إلى تركى عجوز ممن لا يحابون أبدا وممن يهابهم الخاص العام [٦] .

١١- الطشت دار : أى صاحب الطشت

وهو من وظائف المعروفة والمهمة ، وصاحب هذه الوظيفة مسؤول عن صب ماء الغسيل للسلطان ، وطبيعى أن السلطان بحاجة إلى من يساعده فى صب الماء عند قيامه بالغسيل

---

(١) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٨ ، المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٣٥٩هـ/ص ١٩ .

(٢) فتحية النبراوى : النظم الإسلامية ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(٣) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ١٠٨ ، ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٦١ .

(٤) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص ٦١ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ، ص ١١٥ .

(٥) سياسة نامة ، ص ٨٠ .

(٦) نظام الملك بسياسة نامة ، ص ٨٠ .

صباحا ، وقبل وبعد وجبات الطعام ، أو عند دخوله الحمام ، ولابد أن يكون الشخص الذى يتولى هذه المهمة من العناصر المقربة والمخلصة جدا للسلطان[١] لقربه منه وجلوسه معه ، ولأنه فى كثير من الأحيان كان السلطان ينفرد بالطشت دار[٢] ويلغ من أهميته أن السلطان كان يستشيره فى بعض المسائل الخاصة فلابد أن يكون شخصا أمينا مخلصا للسلطان[٣] .

١٢- الساقى (الشراب دار)[٤] :

وهو من الوظائف المهمة فى البلاط السلجوقى ، ويعرف بساقى السلطان[٥] الذى يعين خصيصا لهذا الغرض ، حيث يشرف على مد الأسمطة التى تقام فى المواسم والأعياد ، وعند استقبال سفراء الملوك ، كما كان الساقى يشرف على تقطيع اللحوم ، وتقديم المشروبات والماء فى أثناء الطعام وبعده[٦] .

١٣- أمير الحرس :

إمارة الحرس من أهم الوظائف وأجلها فى كل العصور ، لأنها تالية للحجابة ، فأمير الحرس مهاب كالحاجب[٧] الأعظم ، وكان لكل إقليم من أقاليم السلاجقة ملك أو أمير ، ولكل أمير حرس وأتباع ، يرأسهم شخص يسمى "أمير الحرس" الذى يقف أمام باب السلطان

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٦٩ . حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٢٠٥ .

(٢) إدريس : رسوم ، ص ١١١ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٤٨٨ ، ويساعد الطشت دار فى عمله : المهتار ، وهو لقب واقع على كبير طائفة المهنة ، ويسمى مهتار الطشت خانه ، والمهتار أى الأكبر ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٥ ص ٤٧ . والبابا وهو لقب عام لجميع رجال الطشت خاناه ممن يتعاطى الغسل والصقل وغير ذلك وهو لفظ رومى ، ومعناه أبو الآباء ، وهو الذى يقوم بتنظيف قماش السلطان وتحسين هيئته ويساعده الرختوان والرخت بالفارسية اسم للقماش ، وهو المتولى لأمر القماش ، أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ١٥٨ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٥) إدريس : رسوم ، ص ١١٠ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٦٩ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٧٧ .

مع الحاجب الكبير ، ويتولى الكوس[(١)] والعلم والنوبة[(٢)] ، ويكون بجواره خمسون رجلا من أصحاب المخاصر[(٣)] ، عشرون بدبابيس ذهبية بدبابيس فضية الرأس ، والعشرة الآخرون بدبابيس كبيرة ، ينفذون ما يأمر به السلطان فى مجلس السلطنة بإشراف أمير الحرس[(٤)] .

ولقد كان أمير الحرس ذا مكانة عظيمة فى البلاط السلجوقى ، لأن عمله مختص بالعقوبات ، والجميع يخشون غضب السلطان أو الملك وعقابه ، فإذا أراد السلطان عقاب أحد فى المجلس يعهد بذلك إلى أمير الحرس فيضرب عنقه ، أو يقطع يده أو رجله ، أو تكون عقوبته الشنق ، والجلد ، والزج فى السجن ، أو الإلقاء فى بئر ، وهذا كله كان موكلا إلى أمير الحرس[(٥)] .

ولقد بلغ نفوذ أمير الحرس أنه كان يضرب له اللواء والطبل والدف فى أوقات الصلاة[(٦)] ، ويشرف أمير الحرس على حرس الأبواب ، وأصحاب النوبة ، الذين كان لهم مشرفون يمرون عليهم يعرفون أحوالهم ، ولا يغمضون طرفهم طول الليل[(٧)] .

وكان أمير الحرس يشرف أيضا على الحرس الخاص بالسلطان ، والحريم ، والبدايات ، والخفر والبوابين الخاصيين ، وعليه معرفتهم جميعا ، والاستفسار عن أحوالهم وعلانية لأنهم أسرع انخداعا بالمال وإغراء به[(٨)] من غيرهم ، وكان الحرس الخاص يعرف باسم غلمان القصر ويتألف من التركمان الغز دائما[(٩)] .

---

(١) الكوس : الطبل وهى كلمة فارسية ، وترد أيضا كوست ، حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٥٥٣ .

(٢) النوبة : الجماعة من الناس وناب لزم الطاعة أى أنه كان لأمير الحرس جماعة يأتمرون بأمره ويطيعونه، ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص ٤٣٢٦ ، أدريس : رسوم ، ص ١١١ ، هامش ٦٤ .

(٣) المخاصر : من مخصر فعلها خصر أصلها فى الفارسية خشت بكسر الخاء وسكون الشين ومعناها الرمح والمزراق ، أى أن هؤلاء كان يحمل كل منهم رمحا أو مزراقا من ذهب أو فضة أو ذات حجم كبير . أنظر: أحمد السعيد سليمان تأصيل ص ٨٦ ، أدريس : رسوم ص ١١٢ هامش ص ٦٤ .

(٤) نظام الملك : سياسات نامه ، ص ١٧٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٥) نظام الملك : نفسه ، ص ١٧٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٧٧ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٦٨ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٦٨ .

(٩) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٤٣ .

١٤- صاحب الخبر والبريد ومنهى الأخبار :

أحد الموظفين الكبار فى البلاط السلجوقى ، فهو يشرف على البريد فى مختلف أنحاء الدولة ، ومراقبة الناس والتجسس عليهم ، ويقوم بموافاة السلطان السلجوقى بكافة الأخبار والحوادث التى تصل إليه من أعوانه المنتشرين فى أنحاء الأقاليم ، فهو يقوم بأعمال التجسس ورفع التقارير إلى السلطان السلجوقى[١] ، لأنه يجب على الملوك أن يتحروا أحوال الرعية والجيش ، وكما بعيد وقريب ، وأن يعرفوا كل صغيرة وكبيرة فى المملكة فلابد من صاحب بريد[٢] .

وكان القائمون بوظيفة صاحب الخبر أو البريد يبلغون السلطان أيضا بحال الرعية فى شتى أنحاء الدولة فلصاحب الخبر أعوان منتشرون يعرفون بالجواسيس ، ويبثون كعيون فى زى تجار وسياح ومتصوفة ، وبائعى أدوية ، ودراويش ، لنقل كل ما يسمعون من أخبار ، ويوافون السلطان بها ، فهناك ولاة ومستقطعون وعمال يضمرون للسلطان العداء ، ويتربصون به الدوائر سرا ، وعليهم تبليغ السلطان بأية محاولة للهجوم عليه من قبل ملك أو أمير أو عدو فيأخذ السلطان استعداده[٣].

ويجب أن يعهد بهذه المهمة إلى من لا يساء الظن بهم وبألسنتهم وأقلامهم ، ولا يجرون وراء أغراضهم ومصالحه الخاصة ، لأن صلاح المملكة وفسادها مرهون بهم ، وكان السلطان يعينهم بنفسه ، وتدفع لهم رواتبهم من الخزانة ، ويجب ألا يعرف أحد غير السلطان بالمهام التى يؤدونها ، واعتبر وجود صاحب الخبر ومنهى الأخبار دليل على عدل الملك ويقظته وقوة رأية فى نظر نظام الملك[٤] .

وقد اهتم نظام الملك بالجاسوسية فذكر أنه ينبغى أن توكل وظيفة صاحب الخبر ورجاله إلى أناس مدربين خبراء بالسبل ، والدروب ، والأماكن والمدن ، وكتب إلى السلطان ملكشاه ناصحا بأن يرتب لهم وظائف مشاهرة وأن تصدر لهم مرسومات خاصة بهم توضح فيها

---

(١) هلال بن الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، نشر آمدروز (بيروت ١٩٠٤م) ، ص ٢٤٢ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، إدريس : رسوم ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ص ١١١ ، ١١٢ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٨٦-١٩٣ .

(٤) سياسة نامة : ص ١١١ ، ١١٢ .

واجباتهم ، وما هو منوط بهم ، كما بين أنه ينبغى أن يكون لهؤلاء القائمين بأعمال الخبر والبريد نقباء يعنون بشأنهم وينظمون شأنهم ويتولون تدريبهم ، وبذلك لا يقصر أحد فى أعماله فتستقيم أمور الدولة ، ويصلح أحوال المجتمع ويأمن السلطان على حكمه ورعيته[١].

ولقد أمر السلطان ألب أرسلان بإلغاء هذه الوظيفة على الرغم من معارضة وزيره نظام الملك[٢] ، وكانت حجة ألب أرسلان فى ذلك عندما سئل من قبل أبى الفضل السجستانى[٣] هذا السؤال : "لم لا يوجد لك صاحب بريد ؟ فأجابه "أتريد أن تذرو ملكى الرياح ، وتفرق عنى أنصارى ؟ قال " لماذا "قال السلطان" إذا ما اتخذت صاحب بريد ، فإن محبى والمقربين منى لن يأبهوا له ، أو يدفعوا إليه رشوة لصداقتهم لنا وقربهم منا ، أما أعدائى فسيصادقونه ويغدقون عليه الأموال ، ومادام الأمر كذلك فإن صاحب البريد لاينهى إلينا سوى الأخبار السيئة عن الأصدقاء ، والأخبار الحسنة عن الأعداء ، وحينئذ تختل الأمور اختلالا يصعب تلاقيه[٤] .

وقد يكون السلطان ألب أرسلان رغم مهارته العسكرية وحنكته السياسية مخطئا فى ذلك، لأن إلغاء ديوان البريد شجع أعداءه ضده ، ولم يقوهم كما اعتقد هو ، حيث نشطت جماعة الإسماعيلية المناهضة لحكم السلاجقة وزاد شغبها ، واستولوا على كثير من القلاع ، وعرضوا أمن الدولة السلجوقية للخطر[٥] ، والدليل على ذلك هو قتل نظام الملك على أيديهم[٦] .

وإن كان السلاجقة قد ألغوا ديوان البريد ، إلا أنهم استبدلوا به صاحب الخبر ، ويرى بارتولد [٧]سببا آخر لإلغاء السلاجقة الأوائل وخاصة ألب أرسلان لديوان البريد على الرغم

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) أبو نصر الكاشانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٠ ، ٦١ ، إدريس ، رسوم ص ١١٣ .

(٣) أبو الفضل السجستانى : هو أبو نصر بن أحمد أبو الفضل الذى كان أميرا على سجستان فى أثناء حكم السلطان ألب أرسلان ، ص ٤٦٥هـ/١٠٧٣م ، انظر : تاريخ سيستان "سجستان" تصحيح ملك الشعراء بهار ص ٣٦٢ ، ٣٨٢ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٠٧ .

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ٦٢ ، ٦٣ ، إدريس : رسوم ، ص ١١٣ .

(٦) عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٩ - ٢١١ ، القزوينى : لب التواريخ ص ١٠٧ .

(٧) تاريخ التركستان ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

من أهميته وأقدميته فى العالم الإسلامى ، هو أن زعيما شعبيا لشعب رعوى لا يميزه عن بقية جنوده ورجال جيشه شئ فى الملبس ويشاطرهم جميع المشاق ، ليس بمقدوره أن يتحول فجأة إلى طاغية ، لأن نظام التجسس سيصطدم برعاة مثلهم[١] .

١٥- الدزدار :

كلمة فارسية مكونة من مقطعين : داز أودز بمعنى قلعة ، ودار أى الحافظ أو الممسك أو صاحب ، فهى بذلك تعنى حافظ القلعة أو متولى القلعة[٢] ، ويحتل منصب الدزدار أهمية عظيمة فى العصر السلجوقى ، لأن القلعة تعتبر أخطر موقع داخل المدينة ، فهى المركز الرئيسى للدفاع عنها ، فالعدو لايمكن أن يتحكم فى المدينة إلا إذا تمكن من القلعة ، وقضى على آخر أثر لمقاومة حاميتها[٣] . وانطلاقا من هذا المبدأ كان الدزدار الشخصية الثانية فى الإمارة من حيث الدفاع ، لأنه يقع عليه عبء الدفاع عنها فى أوقات الخطر ، والحفاظ على سلامتها ، وفى حالة غياب الأمير يصبح الدزدار الحاكم ، وكان من اختصاصاته الإشراف الدائم والمستمر على إحكام التحصينات وتفقد المنشآت العسكرية ، وإعدادها للدفاع عن المدينة[٤] .

١٦ الاسكدار [٥] :

من أعوان صاحب البريد ، ويشبه فى عمله ساعى البريد فى عصرنا الحالى ، وكانت الرسائل ترسل بوساطة هؤلاء الاسكدارية إلى كافة الولايات ، فبعد أن قام رسول الخليفة

---

(١) يذكر أن طغرلبك لم ينزع حذاءه أو درعه أو عمامته لعدة أيام فى أثناء تقهقره مع جنوده كثيرا - البيهقى : تاريخ ، ص ٧٦٠ ط. غنى وفياض ، بارتولد : التركستان ، ص ٤٥٢ هامش (١) .

(٢) المقريزى : السلوك ، جـ١ ص ٤٠ حاشية (٥) ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ص ٧٣ ، حاشية (١) ، حسانين : قاموس الفارسية ص ٢٤٦ .

(٣) رشيد الجميلى : إمارة الموصل فى العصر السلجوقى ، رسالة دكتوراه ، لم تنشر (جامعة القاهرة ١٩٧٦م) ، ص ٢٣٦ .

(٤) رشيد الجميلى ، نفسه ص ٢٣٧ .

(٥) الاسكدار : جمعها اسكدارية بمعنى ساعى البريد أو حامل الرسائل الذى يغير دابته كل منزل ليركب دابة أخرى مستريحة ، ويتمنطق بحزام حتى لايتعب ، وهو من الفارسية (أزكوداري) أى من أين لك هذا ؟ انظر : البيهقى ، تاريخ ص ٧٩٩ ، ٣٩٣ ، الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٢٦٤ الذى يورد معنى آخر للاسكدار فهو مدرج يكتب فيه جوامع الكتب المنفذة للختم من ديوان الرسائل ص ٢٧٤ ، بارتولد : التركستان ص ٣٥٩ ، انورى : اصطلاحات ، ص ١٨٦ - ١٩٤ .

العباسى القائم بأمر الله بسفارته إلى طغرلبك أرسلت الرسائل بواسطة الاسكدارية إلى كافة الولايات الواقعة على طريقة ليستقبلوه بما يليق ، وليحتفوا به[١] . وهو نفسه (الفرانق) من الفارسية بروانه أى : الخادم ، أى : حامل الرسائل[٢] ، وكانت الرسائل السرية تدون بنوع من الشفرة يدعى (المعما)[٣] .

١٧- أطباء الخاصة :

وكانوا مختصين بالإشراف على صحة السلطان ورعايته ، وامتد عملهم أيضا إلى المقربين من السلطان[٤] .

١٨- أمير الحج :

كان سلاطين السلاجقة يهتمون بامارة الحج ، ويختارون لها من يصلح ، وكان هذا متوارثا عن الغزنويين[٥] وغيرهم .

١٩- متولى خزانة الملابس السلطانية الجامة دار "أو الخازندار" :

كان للسلطان السلجوقى ملابسه الخاصة[٦] ، وكان يتولى هذه الملابس موظف يعرف بمتولى خزانة الملابس السلطانية لأنها كانت توضع وتصنع فى دور طراز خاصة بها ، وكان أبو الغنائم تاج الملك الشيرازى ممن تولى هذه الوظيفة للسلطان ملكشاه[٧] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٠ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ١٩١ .

(٢) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٦٤ ، بارتولد : التركستان ص ٣٥٩ ، حسانين : قاموس الفارسية ص ١٨٨ - ١٩٠ .

(٣) الكرديزى : زين الأخبار ص ١٢ ، العوفى : لباب الألباب ص ٩٢ ، بارتولد : التركستان ص ٣٥٩.

(٤) البيهقى : تاريخ ، ص ٢٥٦ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٣٧٨ ، ٣٨٢ .

(٦) انظر الفصل الثانى من الرسالة ، والجامعة دار : كلمة مركبة من جامه بمعنى ملابس ، ودار بمعنى ممسك أى ممسك الثوب ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٥٩ ، ولعله يقصد المشرف على إعداد الملابس ، ومما يتعلق به (الجامه خانة) أى خزانة الألبسة ، حسانين : قاموس الفارسية ، ص ٢٠١ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

٢٠- الخطيب :

ينبغى اختيار الخطباء الذين يصلون بالناس فى المساجد الجامعة ، للتأكيد من تقواهم وحفظهم للقرآن الكريم ، فالصلاة من الأمور الدقيقة ، وصلاة الناس مرهونة بالإمام ، فإذا ما اختلت صلاته ، اختلت صلاتهم أيضا[١] .

٢١- عامل الخراج (البندار) :

مهمته جمع الخراج من الولايات ، ويساعده عدد من الموظفين يقوم كل منهم بجباية الخراج كل من ناحيته ، وكان الخراج يجبى فى بعض الجهات دفعة واحدة ، وفى هذه الحالة يجبى الخراج فى يوم النوروز وهو أول أيام السنة الفارسية بعد حصد الزرع[٢] ، وأحيانا يجبى على دفعتين كما هو الحال فى كثير من الولايات الإسلامية[٣] .

٢٢- قائد الاصطبلات (آخور سالار) :

ويتولى الإشراف على الخيول السلطانية ، وكان يمنح قلنسوة ذات ركنين ، وهو مستمد من دواوين الغزنويين[٤] .

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٨٠ ، بارتولد : التركستان ، ص ٣٦٣ ، بانورى : اصطلاحات ، ص ٢٤٢ .

(٢) Krmer : The The Orient Under Caliphate, London, (1949) ; p. 297 .

أنورى : اصطلاحات ، ص ٩٧ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٥٦ .

(٤) البيهقى : تاريخ ص ٦٣٢ ، ٦٦٣ ، بدر عبد الرحمن : رسوم ص ١٢٢ ، أنورى : اصطلاحات ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، ويساعد آخوسالار رجل يعرف بالمهمرد- ماه الكبير - مرد الرجل بالفارسية ، وهو الذى يتصدى لحفظ قماش الجمال ، أو قماش الاصطبل والسقائين ، انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٥ ص ٤٧١ ، كما يساعده - الغلام - متولى خدمة الخيل ، وربما سموه بذلك لصغره فى النفوس ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٥ ص ٤٧١ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠٩-٢١١ ، جان ليون الأفريقى (الحسن بن محمد الوزان الزياتى) وصف أفريقيا ، ترجمة / عبد الرحمن حميدة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، سنة ١٣٩٩هـ ، ص ٦٠٢ .

٢٣- الدوات خانة :

يقصد بها ديوان الكتابة ، ومن مهامه حفظ الوثائق الرسمية[١] ، وهي مستمدة أيضا من دواوين الدولة الغزنوية التي ورثها السلاجقة [٢] .

٢٤- البرده دار :

وهو متولى أمر الستائر[٣] .

٢٥- الدوات دار :

الدوات دار اسم فارسي مركب من لفظين أحدهما عربي وهو الدوات والثاني دار ومعناه ممسك ، ومهمته تبليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير ، وإبلاغ عامة الأمور وتقديم القصص إليه والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، وتقديم البريد[٤] ، كما كان من مهامه الرئيسية إعداد الدواة والقلم للسلطان[٥] .

٢٦- السنجق دار :

وهي من الوظائف التي استحدثها السلاجقة ، ومتولى هذه الوظيفة يحمل السنجق "الرمح" أمام السلطان في المواكب ، وهو مركب من لفظين أحدهما تركي وهو سنجق معناه الرمح والثاني دار ومعناه ممسك ، ويكون المعنى ممسك السنجق ، ويراد به أيضا العلم أو الراية[٦].

٢٧- الوكيل الخاص :

وهو الذي يتولى الإشراف على شؤون تموين الملك ، ومطبخه ، واصطبله وقصوره الخاصة ، وولده وحاشيته ، وخدمه ، وعليه أن يمثل شهريا أو يوميا وفي أي وقت أمام السلطان ليعرض أعماله على السلطان[٧] .

---

(١) البيهقي : تاريخ ، ص ١٦٣ ، هامش(١) .

(٢) آنوري : اصطلاحات ديواني ، ٢٠٨ .

(٣) البيهقي : تاريخ ، ص ٢٤٧ ، هامش (١) .

(٤) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ص ١٤١ ، حاشية (١) .

(٦) عمر سعيد : نظم بلاط العباسيين ورسومه في بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ١٩٧٢ ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٢٥ .

٢٨- السعاة :

هم أنفسهم الاسكدارية ، أى : سعاة البريد ، وينبغى وضعهم على الطرق المعروفة دائما وتخصيص أجور شهرية ، ومكافآت شهرية لهم ، لكى يهتموا بما يقع من أحداث وأخبار ليل نهار من على بعد خمسين فرسخا ، ويجب أن يعين لهم نقباء لمراقبتهم ، والإشراف عليهم حتى لايتوانوا فى أداء واجباتهم(١) .

٢٩- الغلمان :

وهم الذين يرسلون من البلاط السلجوقى فى مهام خارجية ، بعضهم بأمر وأكثرهم دون أمر، ووظيفتهم تحصيل مبالغ مستحقة للسلطان على الناس (٢) .

٣٠- الندماء والمضحكون :

مهمتهم إيناس السلطان ، وحماية الملك بحكم وجودهم معه ليل نهار ، ويقلب السلطان معهم الحديث الذى لايستطيع تقليبه مع الوزراء ، والكبراء لأنهم أصحاب مناصب ومقامات ، وينبغى أن يكون النديم كريم المعدن ، فاضلا ، وسيما ، نقى المذهب ، حافظا للسر ، نظيف الملبس ، عارفا بكثرة للأسمار والقصص والنوادر هزليها وجديها ، حسن الراوية ، مجيدا للعب النرد والشطرنج ، وحبذا لو أنه يجيد الغناء والضرب على الآلات الموسيقية ، وينبغى أن يكون موافقا للملوك دائما(٣) ، وكان للسلطان مضحك يجلس معه فى قصره مثل جعفرك مضحك السلطان ملكشاه(٤) .

وكان السلطان يأخذ نديمه معه فى مجالسه ومجالس تنزهه وشرابه وأنسه ، وصيده ولعبه ، ويفضل أن يكون النديم من الأطباء والمنجمين ، ومن ذوى التجارب والأسفار ، وممن خدموا العظماء والأكابر ، وكان لكل نديم رتبة ومقام ، إذ خصصت أماكن لحلول بعضهم ، وأماكن لوقوف بعضهم الآخر ، وينبغى أن يكون لندامى السلطان رواتب لعيشهم ، وحرمة تامة بين حشمه وعليهم أن يكونوا متحفظين مهذبين للملك والسلطان محبين(٥) .

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٢٣ ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ، ص ٦٠٤ .

(٢) نظام الملك : نفسه ، ص ١١٠ .

(٣) نظام الملك : نفسه ، ص ١٢٦-١٢٨ . الراوندي : راحة الصدور ، ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٤٥ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٢٦-١٢٨ .

٣١- المختارون :

حرس مستخلص للموكب ، وملازمة الدار والدخول فى أوقات جلوس السلطان ، والمقام من أول النهار إلى آخره[١] ، وكان يوجد فى القصر السلجوقى ما ئتا رجل يختارون منهم عادة من حيث المظهر الحسن والطول الفارع ، والرجولة ، والشجاعة ، يلازمون السلطان فى حله وترحاله، ويظلون بألبسة جميلة فى القصر ، ومعهم سلاحهم ، ولكل خمسين منهم نقيب يتولى شؤونهم ، والإشراف عليهم ، وإسناد المهام لهم ، وينبغى أن يكونوا خيالة مجهزين بكل الوسائل والمعدات ، وينبغى أن تسجل فى الديوان باستمرار أسماء أربعة آلاف راجل من كل الأجناس ، ألف للسلطان خاصة ، وثلاثة آلاف لأفواج الأفراد والجيوش وقادتها للاستعانة بهم وقت الحاجة[٢] .

٣٢- أمير المجلس :

وهو من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير[٣] .

٣٣- فردادار :

فردا معناه الستارة ، ودار ممسك ، أى ممسك الستارة للسلطان[٤] .

٣٤- البازدار :

وهو الذى يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده وخص بإضافته إلى الباز الذى هو أحد أنواع الجوارح دون غيره لأنه هو المتعارف بين الملوك فى الزمن القديم ، وكان يخرج مع

---

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ١ ، ص ٢٥٣ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٣١ ، ١٣٢ ، وقد فرضت الدولة السلجوقية رقابة مشددة على عمالها وأرباب وظائفها حتى لاتسول لهم أنفسهم استغلال مراكزهم والإخلال بمهام أعمالهم ، وكانت تصدر لهم الأوامر بالرفق بالرغبة ، وكان لايسمح لأحد بعملين فى آن واحد ، ولا يوكل رجلين لعمل واحد حتى لاتختلط المسئولية ، ولقد قضى نظام الملك على البطالة بإسناد الأعمال لمن لاعمل لهم ، أما من يخشى على الدولة بسبب دينه أو مذهبه تصرف له رواتب دون إشراكه فى الأعمال حتى لايجد منفذا لتحقيق هدفه . نظام الملك : سياسة نامه ص ٢٠٩ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٥٥ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٦٩ ، حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ٢٠٨ - ٢١١ .

سلاطين السلاجقة حاملا لهم طيورهم التى يصطادوا بها مثلما كان يفعل السلطان ملكشاه[١]. ويعاونه الجوندار الذى يتصدى لخدمة طيور الصيد من الكراكى ونحوها ويحملها إلى موضع تعليم الجوارح[٢] .

٣٥- المجندار :

بكسر الميم وهو متولى خدمة المحفة السلطانية[٣] .

٣٦- الخوان سالار :

مقدم الخوان ، وهو كبير رجال المطبخ السلطانى وهو مركب من لفظين خوان ما يؤكل عليه ، وسالا رأى مقدم[٤] .

٣٧- الجمدار :

متولى الباس السلطان ثيابه ، مركب من لفظين جاما ومعناه الثوب ودار أى ممسك[٥] .

٣٨- المهمندار :

وهو الذى يستقبل رسل السلطان والعربان والواردين على السلطنة وينزلهم دار الضيافة ، ومركب من مهمن أى المضيف ، ودارممسك[٦] .

٣٩- البشمعدار :

وهو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ، ومركب من لفظين ، أحدهما البشمع التركية بمعنى النعل ، ودارممسك[٧] .

---

(١) صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٦٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١١٣ .

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٧٠ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٧٠ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٧١ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٥٩ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٥٩ .

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٥٩ .

النظام القضائى

تطور منصب القضاء :

القضاء لغة - أحكام الشئ والفراغ منه ، لقوله تعالى "وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب"[١] ، أى أخبرناهم بذلك وفرغنا لهم منه[٢] ، واصطلاحا هو القطع لقوله تعالى "فاقض ما أنت قاض"[٣] وقد سمى القاضى بذلك لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم[٤] ، ومن هنا جاء تعريف ابن خلدون للقضاء بأنه منصب الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى ، وقطعا للتنازع ، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاه من الكتاب والسنة"[٥] أى أن مهمة القاضى الأساسية كانت الفصل بين المتنازعين حسب الشريعة الإسلامية[٦] .

والقضاء الإسلامى مؤسسة تطورت مع تطور المجتمع الإسلامى ، وتأثرت بالحاجات التى نشأت نتيجة ظهور الدولة العربية الإسلامية وتوسعها وانقسامها ، وتغلب الأعاجم عليها ، ومع تطوره تعددت السلطات التى تمارسه ، وكثرت نظريات الفقهاء التى تعالج طبيعته ومشاكله[٧] ، فالقضاء جزء مهم من ولاية الخليفة العامة على المسلمين له أن يمارسه بنفسه أو بواسطة نوابه طبقا للشريعة الإسلامية[٨].

---

(١) سورة الإسراء ، آية رقم ٤ .

(٢) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، (دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م) جـ٢ ص ٨٣٤ .

(٣) سورة طه ، آية رقم ٧٢ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٥١ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ص ٩٩-١٠٢ .

(٥) المقدمة ، ص ٤٥١ .

(٦) ابن تيمية : الحسبة ، ص ٥٥-٥٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص ٢٣ .

(٧) انظر : الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٦٦-٧٧ ، ابن تيمية : الحسبة ، ص ٤٩-٦٨ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥١ .

(٨) جعفر حسين خصباك : القضاء فى العراق فى العهد السلجوقى ، بحث مستخرج من المجلة التاريخية العراقية ، العدد الثالث (بغداد ، ١٩٧٤) ، ص ٨١ .

ويعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أول قاض فى الإسلام ، وكان يحكم بين الناس بما أنزل الله[١] ، وكان يستشير بعض الصحابة ، ويجتهد فى مسائل أخرى[٢] ، وكانت طرق الإثبات عنده : البينة واليمين وشهادة الشهود ، وكان يقول "البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر"[٣] .

وبعد أن انتشرت الدعوة الإسلامية فى أنحاء شبه الجزيرة العربية ، أذن الرسول (عليه السلام) لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس ، وأقر للبعض الآخر بالفتوى ، ومنهم معاذ بن جبل ، وعلى بن أبى طالب قضاة اليمن ، وعبد الله بن نوفل قاضى المدينة المنورة[٤] ، ولما استخلف أبو بكر قال له عمر بن الخطاب "أنا أكفيك القضاء"[٥] ، ولما ولى عمر الخلافة وضع للقضاء نظاما محكما ، وجعله مستقلا عن نظر الوالى ، وعين معه قضاه[٦] ، وسار على نهجه عثمان وعلى (رضى الله عنهما)[٧] ، وحظى القضاء أيضا باهتمام خلفاء بنى أمية الذين امتنعوا عن مباشرته وقلدوه لمن هم أهله[٨] ، واقتصرت أعمالهم على النظر فى

---

(١) عطيه مشرفه : القضاء فى الإسلام (شركة الشرق الأوسط ، القاهرة) ١٩٦٦م ، ص ٢٥-٤٣ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٢٧٥ ، جعفر حسين : القضاء فى العراق ، ص ٨١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ٤ ، ص ٣١٣ ، جـ٧ ، ص ٥٠٥ ، أنور الرفاعى : النظم الإسلامية ، ص ١١٠ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ص ٩٩ ، جعفر حسين : القضاء فى العراق ، ص ٨١ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٨٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل ، جـ٣ ، ص ٤٢٦ ، الكندى : الولاة والقضاء ، تحقيق حسين نصار (دار صادر ، بيروت ، بدون) ص ٣٤٣ .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل ، جـ٣ ص ٤٢٦ ، حسن ابراهيم ، النظم الإسلامية ، ص ٢٧٦ ، أنور الرفاعى : النظم الإسلامية ، ص ١١٠ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ، ص ١٠٠ .

(٦) أنور الرفاعى : النظم الإسلامية ، ص ١١٠ ، فتحية النبراوى : تاريخ النظم الإسلامية ، ص ١١١.

(٧) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٢٧٧ ، فتحية النبراوى : تاريخ النظم ، ص ١١١ .

(٨) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٤٣ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢١ ، حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ٢ ص ٨٣٥ .

الأحكام ، والفصل فى الخصومات ، والنظر على الأوقاف والوصاية على الأيتام ، ونظر المظالم، والشرطة ، والأحداث[١] .

أما فى العصر العباسى فقد زادت أعباء ومهام القضاة بصورة كبيرة ، حيث أضيف إلى أعمالهم أعمال أخرى مثل الحسبة ، ودار الضرب ، والعيار ، وبيت المال ، والنظر فى أموال المحجور عليهم ، وفى وصايا المسلمين وتزويج الأيامى ، والإفتاء والولاية على المساجد ، والخطابة ، والإمامة ، والتدريس[٢]، وكذلك الإشراف على تشييد مؤسسات الدولة ، كما يتضح من الكتابات الأثرية على بعض الآثار الإسلامية[٣] . ولقد كان القضاء مستقلا فى أحكامه[٤]، وكان القضاة يعينون من قبل الخلفاء[٥] وكان هذا حقا من حقوقه حتى فى العهدين : البويهى والسلجوقى [٦] .

ويشترط فيمن يتولى القضاء شروط سبعة هى : الذكورة مع البلوغ ، والإسلام ، والعدالة، والحرية والعلم بالأحكام الشرعية ، وسلامة الحواس[٧] .

---

(١) الكندى : الولاة ، ص ٣٢٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٢ ، ٤٥٦ ، حسن الباشا: الفنون والوظائف ، جـ٢ ص ٨٣٧ ، جعفر حسين : القضاء فى العراق ص ٨١-٨٤ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة ص ١٠٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢١ ، حسن ابراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٢٨١ ، حسن الباشا: الفنون والوظائف ، جـ٢ ، ص ٨٦٧ ، ٨٣٣ - ٨٤٠ .

(٣) حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ٢ ، ٨٣٣-٨٤٠ .

(٤) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٦٥-٦٨ .

(٦) جعفر خصباك : القضاء ، ص ٨١ ، صفية سعادة : تطور منصب قاضى القضاة فى الفترتين البويهية والسلجوقية ، ط. (دار أمواج ، بيروت سنة ١٩٨٨) ، ص ١٦ ، ١٧ ، على الرغم من أن الخليفة كان يختار القضاة فى العصر السلجوقى ، لكنه فى الواقع كان يطلب إليه الموافقة على تنصيب القضاة الذين يتم اختيارهم عن طريق السلطان السلجوقى ، حيث كان على الخليفة الموافقة فقط على رأى واختيار السلطان السلجوقى القوى لأن بقاءه فى السلطة مرهون بإرادة السلطان ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن باستطاعة البويهيين والسلاجقة فى أى وقت تعيين القضاة دون موافقة الخليفة ، لأن هذا مرتبط بالإسلام ، وهذا ما كان يحترمه هؤلاء الأجانب والعجم فى الخليفة والعلماء المسلمين ، لمزيد من التفاصيل : انظر ، صفية سعادة : تطور منصب ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٧) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٦٥-٧٦ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٨٨ .

قاضى القضاة فى عهد السلاجقة :

استحدث الخليفة العباسى هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م ، منصب قاضى القضاة على رأس السلطة القضائية[١] ، وكان أول من تقلده أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم[٢]، صاحب كتاب الخراج ، وأحد أقطاب المذهب الحنفى فى العصر العباسى الأول ، وكان يقيم فى مركز الخلافة فى بغداد ، ويسند إليه قضاء العاصمة ، وسائر الأمصار فى الأفاق والأقطار شرقا وغربا ، كما صار منذ الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ينفرد بتعيين القضاة وعزلهم فى سائر الأقاليم والبلاد التابعة للخلافة ، وكذا الإشراف عليهم ومراقبتهم[٣] ، وبعد أن أصبح من الصعب على الخليفة مراقبة القضاة[٤] ، فأصبح هو رئيس السلك القضائى[٥] .

وقد انتقل هذا المنصب إلى كل الدول الأخرى التى عاصرت أو تلت الخلافة العباسية[٦] ، وقد اتخذ سلاطين السلاجقة قاضى قضاة لهم يقيم معهم فى حاضرة السلطنة السلجوقية ، وذلك خلاف قاضى القضاة العباسى[٧] ولابد أن يكون سنيا وفق مذهبهم[٨] .

وعندما دخل السلاجقة العراق سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، كانت السلطة القضائية غير متزنة ، حيث أدى تدخل البويهيين الشيعة إلى فساد السلطة القضائية ، فلم يتوان القضاة فى العصر البويهى عن خرق القوانين بغية إرضاء أشخاص معينين ومحاباتهم وكسب الدراهم والامتيازات والوعود وأصبح وجود قضاة نزهاء أمرا نادرا[٩] ، وقد تورط القضاة فى القضايا السياسية

---

(١) صفية سعادة : تطور منصب ، ص ١٣ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١٠ ، ص ٢٦٤-٢٦٧ ، حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ٢ ص ٨٦٧ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١١ ، ص ٢٨٦-٢٩١ .

(٤) حسن الباشا : الفنون والوظائف ، جـ٢ ص ٨٦٨ ، أحمد عبد الرازق : الحضارة ، ص ١٠٥ .

(٥) جعفر خصباك : القضاء ، ص ٨٨ .

(٦) أحمد عبد الرازق : الحضارة ، ص ١٠٥ .

(٧) إدريس : رسوم ، ص ٩٦ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥ - ١٤٨ .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم جـ٦ ص ٥٥ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٤ ، ص ٣٩-٥٢ .

بحدة فى العصر البويهى[١] واستخدموا أساليب متعددة للبقاء فى مناصبهم التى كانت تدر عليهم ربحا وفيرا ، ومنصبا اجتماعيا مرموقا[٢] . ويبدو أن الأساليب التى استخدمها القضاة للبقاء فى مركز قوى فى الفترة السلجوقية لم يختلف عن تلك المستخدمة فى الفترة البويهية ، وإن كان السلاجقة قد أخذوا درسا من البويهيين وأخطائهم واستعملوا أساليب جديدة للتعامل مع طبقة العلماء (القضاة) [٣] .

ولقد تميزت الفترة السلجوقية بظهور ميزات جديدة هى :

أولا : أعلن السلاجقة منذ البدء أنهم رواد السنة ، الأمر الذى منع الخليفة من شن حرب ضدهم على أسس دينية مما أدى إلى تقليص سلطته ، بعكس البويهيين الشيعة الذين أحجم العلماء بشكل عام عن الانضمام إليهم ، فاستغل الخليفة هذا الوضع لصالحه[٤] .

ثانيا : أدرك وزراء السلاجقة العظام ، أمثال الكندرى ، ونظام الملك ، خطر العلماء البغداديين إذا تركوا وشأنهم ، أو إذا انضموا إلى الخلافة العباسية ، لذا حاول السلاجقة الحد من حرية العلماء قدر الإمكان فأنشأ نظام الملك المدارس بغية تنظيم طبقة العلماء ، ودمجها بالجهاز الحكومى ، ووضعت المدارس تحت مراقبة الوزراء السلاجقة الشديدة ، فكانوا مسئولين دون غيرهم عن تعيين المدرسين فيها ، ولم يكن هناك أى أمل للمعارضين بالحصول على مركز تعليمى فى هذه المؤسسات[٥] ، وبالتالى تلقت المعارضة ضربة شديدة وخاصة فى مطلع الحكم السلجوقى ، عندما اضطروا والحنابلة منهم إلى تقديم الطاعة والتملق إلى السلاجقة[٦] .

---

(١) صفية سعادة : تطور منصب قاضى القضاة ، ص ١٠٤ .

(٢) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٣ ، ص ١٢-١٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٦٣ .

(٣) صفية سعادة : تطور منصب ، ص ١٠٥ .

(٤) صفية سعادة : نفسه ، ص ١٠٦ .

(٥) مجلة يادكار : وفات سلطان ملكشاه ، ص ٦٢-٦٦ ، صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٦) مثال ذلك : أبو منصور الشريف ، قائد الحنابلة ، والذى اقترح أبو عبد الله الدامغانى ، لخلافة ابن ماكولا على القضاء إرضاء لعميد الملك الكندرى ، ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ، ص ١٧٦ ، السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ، ص ص ١٥٢ ، ابن هداية : طبقات الشافعية ، ص ١٣٢ ، صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٠٨ هامش (١) .

ثالثا : اتخذ سلاطين السلاجقة بتدبير من وزرائهم الحيطة ، حيث أنهم نظموا أو أدمجوا العلماء ضمن مؤسسة الدولة ، وأبقوا عائلة غير عربية على رأس السلطة القضائية ، وأدت هذه السياسة إلى نتيجتين مهمتين فمن جهة تفادت التدخل فى المنازعات الحزبية والصراع من أجل السلطة الذى كان مستقراً آنذاك فى بغداد[1] ، ومن جهة أخرى ، أدت إلى تأمين استمرار ولاء تلك العائلة الغريبة ولاءً تاما لقضية السلاجقة ، على الرغم من أنها وجدت معارضة شديدة من قبل الأحزاب البغدادية بما فيها الحنفية التى تنتمى إليها هذه العائلة ، وبذلك اطمأن بال السلاجقة لعلمهم أنه لن يكون بقدرة الأسرة الدامغانية خيانة أسيادها ، لأنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد هاجموا مركزهم فى القضاء[2] .

ولقد تميز منصب قاضى القضاة فى عهد السلاجقة العظام وغيرهم بظاهرة جديدة ، حيث سيطرت عائلة واحدة على منصب قاضى القضاة ، وتوارثتها أبا عن جد بدءا من ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، حتى سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م ، وإن تخلل هذه المرحلة فترات أقصى فيها الدامغانيون عن منصبهم إلا أنهم استطاعوا فى كل مرة استعادته الأمر الذى عجزت عن انجازه أية عائلة قضائية أخرى[3] ، وكان ذلك من مصلحة السلاجقة لإسكات أية مقاومة أو معارضة من قبل الجسم القضائى الذى كان له استقلالية فى بغداد حتى دخولهم سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[4] ، حيث أن السلاجقة سيطروا سيطرة كاملة على السلطة القضائية والتنفيذية ، ومعظم المناصب الحكومية الأخرى المتواجدة فى بغداد[5] .

ولهذا يجب أن نقرر أن دراسة منصب قاضى القضاة فى بغداد بالذات هو دراسة عائلة الدامغانى التى تمكنت من الاحتفاظ بهذا المنصب فترة طويلة ، مما يدل على مدى سيطرة

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول الصراع الحزبى فى بغداد راجع : ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٥ ص ١٦ ط. بيروت ، حوادث سنوات ٤٤٧-٤٨٥هـ/١٠٥٥-١٠٩٢م ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٦٤ وما بعدها، جـ١٠ ، ص ٢٤ ، ومابعدها ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص ٥٧ ومابعدها .

(٢) صفية سعادة : تطور منصب قاضى القضاة ، ص ١٠٨ .

(٣) عن أهم العائلات القضائية خلال العصر البويهى والسلجوقى ، أنظر : صفية سعادة : المرجع السابق ص ١٢٧ - ١٧٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ١٥ ، ط. بيروت ، ص ٣٤٧ .

(٥) عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران ص ١٦٤ ، صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

السلاجقة على السلطة ، متخطين سلطة الخليفة صاحب الأمر والنهى فى تعيين قاضى قضاته[١]، ولقد ارتبط تطور منصب قاضى القضاة ارتباطا وثيقا بتاريخ كل سلطان ، وكل وزير سلجوقى ، وبعد أن كان هم القاضى هو أن يحظى بموافقة الخليفة مثلما كان الحال فى العصر البويهى مثلا[٢] ، أصبح همه أن يرضى السلاجقة[٣] .

أشهر من تقلد منصب قاضى القضاة زمن السلاطين العظام :

١- أبو عبد الله الدامغانى :

هو محمد بن على بن الحسين بن عبد الملك المعروف بأبى عبد الله الدامغانى رأس العائلة الدامغانية ، وأول من تقلد منصب قاضى القضاة فى العصر السلجوقى ، فقد اختاره أبو منصور الشريف رئيس الحنابلة ، وابن عم الخليفة القائم بأمر الله العباسى ، لخلافة الحسين ابن ماكولا[٤] الذى توافقت وفاته مع دخول طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٥] .

وقد ولد أبو عبد الله فى دامغان[٦] ، ودرس فيها الفقه ، ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره ، انتقل إلى بغداد ، مركز العلم آنذاك ، حيث تابع دراسته للفقه ، والحديث على يد علماء بغداد[٧]، ونظرا لفقره المادى فقد واجه أبو عبد الله صعوبات قاسية قبل إتمام

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١٠ ، ص ٢٦٤-٢٦٧ ، صفية سعادة : المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٢) ابن مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص ٣٥٨ ، وما بعدها .

(٣) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، جعفر خصباك ، القضاء فى العراق ، ص ٨٨ .

(٤) ابن ماكولا : هو الحسين بن على بن جعفر بن علكان بن محمد بن أبى دلف العجلى ، أبو عبد الله المعروف بابن ماكولا الشافعى من أشراف العرب ولد سنة ٣٦٨هـ/١٩٧٨م ، ولى قضاء البصرة ، ولكن الخليفة القادر بالله عينه قاضيا للقضاة سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م ، فلما ولى الخليفة القائم أقره عليه إلى حين وفاته سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وكان نزيها عفيفا ، أنظر : ابن الجوزى ، المنتظم جـ١٥ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص ٥٨ ، ابن هداية : طبقات الشافعية ، ص ٧٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٥) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ، ص ١٥٢ .

(٦) دامغان : بلد كبير بين الرى ونيسابور ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٤٣٣ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص ٢٦ .

دراسته، فلقد لجأ إلى الدراسة فى الشوارع خلال الليل ، بسبب عجزه عن تأمين ثمن الشموع للإضاءة [(١)] ، وفى سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م حصل أبو عبد الله على إجازة تدرجه فى الفقه والشرع من ابن ماكولا ، قاضى قضاة بغداد حينذاك [(٢)] .

ولقد كان أبو عبد الله متمرسا فى الفقة ، كتمرسه فى القضاء ، ودليل ذلك المناظرة الشهيرة مع أبى إسحاق الشيرازى [(٣)] ، الشافعى [(٤)] ، ولقد تقلد أبو عبد الله الدامغانى منصب قاضى القضاة منذ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥ حتى وفاته سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، وقد ناهز الثمانين من عمره ودفن فى مشهد الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان [(٥)] ، أى : أنه ظل فى منصبه أكثر من ثلاثين عاما [(٦)] .

ويرجع سبب اختيار الدامغانى قاضيا للقضاة فى بغداد إلى أمرين كلاهما مر بالنسبة للخليفة ولأهل بغداد أما الأول : فهو أن وزير طغرلبك الكندرى كان معروفا بتحيزه للمذهب الحنفى ، وأنه صمم على تعيين قاضى القضاة من الأحناف [(٧)] ، ولذلك كان اقتراح اسم الدامغانى الحنفى توددا إلى عميد الملك والسلاجقة فى آن واحد ، خاصة فى الوقت الذى عجز فيه البغداديون جميعا عن إدارة شؤونهم الخاصة [(٨)] .

والثانى : هو أن السلاجقة أرادوا اختيار قاض للقضاة من أسرة غير عربية ، لكى يضمنوا استمرار ولائها لهم ، ثم أنه كان إيرانيا وإيران مركز قوة للسلاجقة ، وكان يتكلم الفارسية ،

---

(١) قيل إن الخليفة القادر بالله وجد أبا عبد الله ذات ليلة جالسا فى الشارع تحت قنديل فاستعلم عن حالته المادية وقدم له مبلغا من المال ، راجع ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ ص ٢٣ ، صفية سعادة : المرجع السابق ص ١٦٣ ، هامش (٣) .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ص ٢٥٢ .

(٣) أبو اسحاق الشرازى : أنظر ترجمته ص .

(٤) السبكى : طبقات الشافعية جـ٤ ص ٢٣ ومابعدها حيث أورد مناظرتين من هذه المناظرات .

(٥) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٤٨ .

(٦) صفية سعادة : المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٧ .

(٨) صفية سعادة : المرجع السابق ص ١٠٩ .

وهى لغة كان يفهمها السلاجقة[١] ، إلى جانب أن الدمغانى كان فقيرا وغريبا ، فهو يفتقد إلى قاعدة شعبية فى بغداد ، ويفتقد المال الضرورى لبناء قاعدة كهذه ، ولذا كان تابعا أمينا للسلطان السلجوقى[٢] .

ولكن السؤال المطروح هو : لماذا اختار أبو منصور الشريف اسم أبى عبد الله الدامغانى بالذات ؟ أو بمعنى آخر لماذا قبل رئيس الحنابلة وهو من الأسرة العباسية الحاكمة بتعيين قاضى قضاة ضعيفا ؟ والإجابة : أن الحنابلة فى بغداد اعتبرت نفسها مهزومة بانهزام الخلافة حينما أجبرت على تعيين قاضى للقضاة بناء على رغبة الوزير السلجوقى القوى الذى كان يستمد سلطته وقوته من سلطة وقوة سيده السلطان[٣] وكان عليها أن تتأقلم فى هذه الأوضاع الجديدة على أمل أن يتغير الوضع فى المستقبل ، ولقد عبر أحد الحنابلة فى بغداد عن هذه الوضع جيدا حينما قال : مانعلم كيف حالنا مع هؤلاء الأعاجم والدولة لهم[٤] . إلى جانب أن اختيار حنفى بعيدا عن العائلات القضائية الكبيرة مثل عائلة بنى الشوارب[٥] ، وعائلة الزينبى[٦] ، كان يعنى إبعاد حزب بغدادى مناوئ وكبير وذوى مركز رفيع وقوى ، بدليل أن أبا عبد الله الدامغانى حافظ على صداقة الحنابلة ووثق علاقاته بهم[٧] .

---

(١) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ص ٢٣ ، صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٣) حسانين : سلاجقة إيران ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ٢٤٥ .

(٥) تولت عائلة بنى الشوارب منصب قاضى القضاة من سنة ٢٩٢هـ-٤٠٥هـ/٩٠٤-١٠١٤م ، راجع : ابن مسكويه ، تجارب الأمم جـ٢ ، جـ٣ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٥ ص ٤٦-٤٩ ، جـ٧ ص ٤١٠ ، ٤١١، جـ١٠ ص ١٠ ، جـ٢ ص ٢٠١ ، ٢٣٢ .

(٦) عائلة الزينبى تولت المنصب منذ سنة ٥١٥هـ ٦١١هـ/١١٢١-١٢١٤م ، انظر : صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، الزينبيون من طبقة الأشراف يتصل نسبهم بالسيدة زينب بنت المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، وزوجة العاص بن الربيع ، وبفضل نسبهم هذا استطاعوا تولى منصب نقابة الأشراف العباسية منذ سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م ولمدة طويلة حيث تولى أبو الحسن محمد بن على بن أبى تمام الزينبى نقيبا للنقباء ، وخلفه ابنه على ، ثم تولوها دون انقطاع حتى مجئ السلاجقة ، ووصلوا إلى ذروتهم عهد الخليفة المسترشد بالله العباسى ٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م . لمزيد من التفاصيل راجع : السمعانى : الأنساب (حيدر آباد ، دائرة المعارف سنة ١٩٦٢ ، ١٩٦٦) جـ٦ ص ٣١٧ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ١١ ، ص ٣٨٧ ومابعدها .

(٧) صفية سعادة : المرجع السابق ص ١١٠ .

ولكن كيف طوع السلاجقة قاضى القضاة لهم ؟ أو بصيغة أخرى كيف كان الدامغانى رجلا للسلطان السلجوقى ؟ لقد أظهرت الحوادث التاريخية مدى ولاء الدامغانى التام للسلاجقة ، ففى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م اشترك الدامغانى فى مقاومة البساسيرى ، فكان جزاؤه السجن لتواطئه مع السلاجقة[١] ، وتم الإفراج عنه فيما بعد تعهده بدفع ما يناهز الثلاثة آلاف دينار ، إلا أنه لم يسلم إلا سبعمائة دينار فقط[٢] ، ويبدو أنه أعفى من التزامه المادى نتيجة قبوله أخذ البيعة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله[٣] . ومع ذلك ، وعندما عاد طغرلبك إلى بغداد[٤] ، لم يتردد الدامغانى فى الخروج لملاقاته ، والترحيب به وكان هو الشخصية المهمة الوحيدة التى رحبت بالسلطان السلجوقى ، وبصحبته بعض الشهود[٥] ، وما كان هذا الموقف إلا ليثبت ثقة طغرلبك الكاملة بأبى عبد الله الدامغانى[٦] .

وحدث آخر يلقى الضوء على العلاقة الوثيقة بين السلاجقة ، وبين قاضى القضاة هو زواج طغرلبك من ابنة الخليفة القائم بأمر الله ، والذى كان طغرلبك يأمل فى تأمين الخلافة لذريته بالتصاهر بين العائلات السلجوقية والعباسية[٧] . وعندما نقل الكندرى طلب السلطان إلى الخليفة ، رفض الخليفة رفضا تاما[٨] ، وهنا هدده الكندرى بترك بغداد ، وارتداء الثياب البيضاء بدلا من السوداء التى ترمز إلى الولاء للعباسيين ، وأجرى الترتيبات اللازمة لإبلاغ طغرلبك جواب الخليفة[٩] ، وهذا يعنى تهديدا كاملا للخليفة بإعلان بغداد تابعة للخلافة الفاطمية ذات الشعار الأبيض .

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ١٦ ص ٣٤١ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ٩ ، ص ٤٠١-٤٠٣ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم : جـ٨ ، ص ١٩٦ .

(٣) ابن الجوزى المنتظم : جـ٨ ، ص ١٩٦ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص ٥٩١ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص ٥٩١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ١٩٦ .

(٦) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٩ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ٥٩٦ ، فتحى أبو سيف : المصاهرات ، ص ٧٥ -٨٢ صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٢٧ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢١ ، ٢٢ ، وفاء محمد على : الزواج السياسى ، ص ٨٧ .

(٩) اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٢ ، ص ٧٢ ، ص ٧٧ ، إقبال : إيران ، ص ٢٤٠ .

وهنا جاء دور الدامغانى الذى اجتمع بالخليفة العباسى القائم بأمر الله - والمغلوب على أمره - وشرح له خطورة قراره ، مؤكدا له أنه فور سماعه بهذا الرفض سيقوم طغرلبك باجتياح بغداد وأخذها عنوة[١] ، وكان هذا الحوار كافيا لقبول واقتناع الخليفة بتزويج ابنته من السلطان المسن ، وبالطبع كان أبو عبد الله الدامغانى هو الشاهد الرئيسى فى حفل الزفاف[٢].

وقام الدامغانى بعد ذلك بخدمات ومهام أخرى لسلاطين السلاجقة ووزرائهم ، ففى سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م طلب إليه الوزير نظام الملك الموافقة القانونية على عزل وزير الخليفة فخر الدولة ابن جهير لأنه تجاهل أمره فيما يخص عمله[٣] ، وبعدها ببضع سنوات عهدت إلى عبد الله الدامغانى دعوى قضائية من قبل السلطان ملكشاه ضد الخليفة وخسر فيها الخليفة الدعوى[٤]، وأخيرا عندما أطلق سراح العالم الشهير أبى ثابت مسعود الرازية[٥] الذى سجن بناء على أوامر الخليفة ، خبأه الدامغانى فى داره[٦] .

وقد تبين عند وفاته سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م تركه ثروة مالية [٧] ، استطاع من خلالها أن يضمن لنفسه ولعائلته من بعده مقاما رفيعا فى الحكم داخل بغداد ، وداخل دولة عظيمة كدولة السلاجقة ، بتحالفة معهم ، ولم يشذ واحد من البيت الدامغانى عن هذه القاعدة بل بقوا جميعا أوفياء للسلطان السلجوقى مهما كان اسمه ورسمه ، ومعارضين للخلافة مهما كان مركزها[٨] .

---

(١) أبو نصر الكاشانى : دراسة آل سلجوق ، ص ٢٥ ، صفية سعادة ، المرجع السابق ص ١١١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٩ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٥٩٦ .

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٨١ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٧ .

(٥) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ٣ ، ص ٣٦٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص ١٦٧ .

(٦) أبو ثابت مسعود الرازى : أحد أعلام بغداد ، قبض عليه الشحنة بأمر من الخليفة ، وقيده وأخذ ماله، ثم أفرج عنه واختفى بدار الدامغانى ، صفية سعادة : المرجع السابق ص ١١٢ هامش(٤) ، وخرج بعد ذلك برسالة إلى بلاد ماوراء النهر .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٣٨ .

(٨) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

٢- أبو بكر محمد بن أبى المظفر منصور السمعانى الشافعى :

الفقيه المحدث ، ومن الوعاظ المبرزين ويلقب بتاج الإسلام ، له علم بالتاريخ والأنساب ، ووالد عبد الكريم صاحب كتاب الأنساب[١] ، ونصب على منصة قاضى القضاة بعد وفاة أبى عبد الله الدامغانى مباشرة بناء على اختيار نظام الملك[٢] حيث لم يرث أبو الحسن على بن عبد الملك ، منصب أبيه الدامغانى فورا ، على الرغم من أنه دفع مبالغ طائلة لهذا الغرض ، وتم اختياره فيما بعد[٣] .

ويعلل كثير من المؤرخين[٤] إقصاء أبى الحسن الدامغانى عن منصب والده ، بأن الخليفة المقتدى بأمر الله خشى من القلاقل والأقاويل بأنه عين أبا الحسن لأنه قبض رشوة منه على الرغم من أن قبض الرشاوى من الطامحين لمنصب قاضى القضاة عادة درج عليها الخلفاء منذ العصر البويهى أيام القادر بالله العباسى ولم يأبهوا كثيرا للأقاويل التى قيلت حول هذا الموضوع[٥] .

ولكن السبب الحقيقى وراء عدم تعيين أبى الحسن الدامغانى ، وتعيين أبى بكر السمعانى مكانه هو أنه كان قد زال إلى الأبد نصير الحنفية (أبو نصر الكندرى) إلى الأبد ، وتولى نظام الملك الشافعى الأشعرى للوزارة السلجوقية ، مما يعنى وجود حزب جديد وهو حزب الأشعرية - الشافعية[٦] وكان أبو إسحاق الشيرازى وهو من المقربين إلى الخليفة ونظام الملك وهو شافعى قد توسط عند الخليفة والوزير السلجوقى لتعيين شافعى على أعلى مناصب الإفتاء.

---

(١) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٤ ، ص ١٨٦-١٨٩ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ١٩٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٢٠٨ ، السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ، ص ٨٨ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ص ٢٠٨ ، السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ، ص ٨٨ .

(٥) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ص ٤٧ ، الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، صفية سعادة : المرجع السابق ص ١١٣ .

والقضاء[١] ، ولذا لم تكن مجرد صدفة أن يتأخر تعيين أبى الحسن الدامغانى لمنصب قاضى القضاة إلى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، وهى السنة التى توفى فيها الخليفة المقتدى بأمر الله العباسى[٢] .

وبعدها تربعت الأسرة الدامغانية على منصب قاضى القضاة حتى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٤م[٣]. وقد تمتع قاضى القضاة فى العصر السلجوقى بامتيازات كثيرة ، فهو الذى يعين القضاة الآخرين وهو الذى يختار الشهود والوكلاء (المحامين) ، بل كان من رسوم تعيينه أن يخلع عليه من الخليفة ثم السلطان السلجوقى ، ويضرب بين يديه بالبوقات والدبادب ، كما فعل مع عبد الله الدامغانى[٤] . بل أن قاضى القضاة حصل على امتياز أهم وهو أخذ البيعة للخليفة ، والتى لم تكن حتى العهد البويهى من واجبات قاضى القضاة[٥] ، بل حصل على امتياز أهم وهو تنصيب أو خلع الخلفاء[٦] .

تشكيلات القضاء فى السلطنة السلجوقية :

كان لاتساع السلطنة السلجوقية أثره فى أن يصبح لكل مدينة وإقليم قاض يعين من قبل قاضى القضاة فى بغداد أو أصبهان أو الرى أو مرو أو غيرها من حواضر السلاجقة[٧] .

وقد قسمت العراق إلى أربع مناطق قضائية عند دخول السلاجقة هى (أ) باب الطاق[٨] وقد عين أبو عبد الله الدامغانى عليها ابنه أبا الحسين قاضيا[٩] ، (ب) حريم دار الخلافة

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ٥ ص ٧ ، ٨ ، السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ص ٨٨ ومابعدها .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٩٣ .

(٣) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٦٢-١٧٢ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٥ ، ط. بيروت ، ص ٣٤٩ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٠٩ .

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ص ٢١٩ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢٢١ .

(٧) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٩٠ .

(٨) باب الطاق : إحدى جهات بغداد الأربعة فى الجهة الشمالية الشرقية ، صالح العلى : بغداد ، ص ٣٤١ .

(٩) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

وولى عليها أبو المظفر ابنه [١] (ج) باب الأزج والرصافة أضيفت إلى أعمال أبى الحسن ، (د) الكرخ وعين عليها ابنه أبا الحسين قاضيا[٢] الذى فوض صلاحياته بدوره إلى أخيه أبى النصر[٣] .

وكان محمد بن على أحمد الواسطى ت ٤٣١هـ/١٠٣٩م قاضيا فى شرقى بغداد والكوفه وغيرها من الفرات[٤] وفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م توفى أبو يعلى بن الحسن بن الفراء الحنبلى قاضى الحريم بدار الخلافة [٥] وفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م توفى محمد بن القاضى بربع الكرخ[٦] ، وفى سنة ٤٦٦هـ/١٠٥٧م توفى عزيزى عبد الملك الجبلى الذى كان قاضيا بباب الأزج[٧] .

بل أننا وجدنا لكل ربع من أرباع المدن الكبرى كبغداد وأصفهان ومرو قاضيا خاصا[٨] ، وكان القاضى يقوم بالحكم فى أكثر من ربع واحد ، أو يعين نوابا له يقومون بالقضاء فى أرباع أخرى نيابه عنه.، أو يحكم فى ربعه إلى جانب حكمه فى منطقة قضائية أوسع[٩] .

وكان القضاة ينتشرون فى مختلف مدن العراق والمشرق الإسلامى وقراهما فى العصر السلجوقى[١٠] وكان عدد منهم يحكم فى أكثر من مدينة أو قرية ، أو فى مدينة واحدة وأعمالها ، ففى سنة ٤٦٦هـ/١٠٥٧م توفى أحمد بن محمد السمنانى[١١] الذى كان قاضى

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣١٨ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣١٧ .

(٣) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم ، جـ٢ ص ٣٩٩ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ٣٠٧ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣١٧ .

(٧) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص ٤٠٥ ، وباب الأزج : مجلة ببغداد ، صالح العلى : بغداد ، ص ٣٤.

(٨) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٩٢ .

(٩) جعفر خصباك : نفس المرجع والصفحة .

(١٠) جعفر خصباك : نفس المرجع والصفحة .

(١١) السمنانى : أحد أعلام الشافعية ، ابن هداية ، طبقات الشافعية ص ١٥٤ .

القضاة أبو عبد الله الدامغانى قد ولاه نيابة القضاء حيث قلده قضاء باب الطاق فى بغداد بالإضافة إلى بعض مناطق فى سواد العراق[1] ، وفى سنة ٤٦٦هـ/١٠٥٧م توفى محمد بن عبد الله قاضى عكبرا[2] وهى مدينة صغيرة شمال العراق ، وفى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م توفى عبد الرحمن بن محمد الذى ولى قضاء البصرة[3] .

ثقافة القضاة ونزاهتهم :

من خلال استعراض سيرة قضاة بغداد وغيرها من المدن التى وقعت تحت سيطرة ونفوذ سلاطين السلاجقة العظام نجد أنهم كانوا من الفقهاء ، وأن أكثرهم عرف بسعة العلم[4] ، ولم نعثر على قاضى واحد عرف بالجهل ، فمثلا القاضى محمد بن الحسين بن محمد أبو يعلى ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م كان إماما فى الفقه ، ولما توفى عطلت الأسواق ومشى فى جنازته خلق كثير[5].

والقاضى عزيزى بن عبد الملك الجيلى قاضى باب الأزج صنف كتبا عديدة فى الوعظ وغيره، وكان فاضلا حسن المعرفة بمذهب الشافعى مع معرفة بالأصول على المذهب الأشعرى،[6] وقد شهد عند قاضى القضاة محمد بن المظفر الشامى سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م قبل تقليده القضاء[7] .

ولقد دقق سلاطين السلاجقة فى شروط اختيار قاضى القضاة ومعاونيه من شهود وكتاب وحجاب ، وأمناء ، ووكلاء (المحامين) [8] ، فكان يختار من أغزر الناس علما ، وأزهدهم نفسا ويداً ، وأقلهم طمعا ، كما كانوا يعزلون من لم يكن كذلك ، ويستبدلون به من كان

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٨٧ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٨٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

(٤) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٤٣ .

(٦) ابن هداية : طبقات الشافعية ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ١٠ ص ٨٠ .

(٨) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ٩٧ .

خيرا منه[١] ، يقول نظام الملك [٢] "ينبغى التعرف على أحوال قضاة المملكة واحدا واحدا ، والإبقاء على العلماء والزهاد ، والأمناء منهم ، وعزل كل من لايتصف بهذه الصفات ، وتعيين آخر صالح مكانه ، ويجب أن يكون للقاضى راتب شهرى يكفيه أمور معاشه حتى لايكون فى حاجة إلى الخيانة ، لأن هذا العمل مهم ودقيق ، لأن دماء المسلمين وأموالهم بيد القضاء" .

ولقد راعى سلاطين السلاجقة العظام تنفيذ أحكام القضاة حتى ولو على أنفسهم ، وكان من رسومهم أنه إذا امتنع شخص ما ، أو تأخر عن الحضور عن مجلس القضاء ، أحضروه عنوة عن طريق وكلاء الدار السلطانية ، وحتى ولو كان من المزهوين بعظمته ووجهاهته وحشمته ، لأن ذلك يديم ممالكهم وسلطانهم سنوات طويلة[٣] .

أما عن نزاهة القضاء ، فمن الصعب الخروج برأى شامل دقيق عن مستوى نزاهة قضاة هذه الفترة إلا ما قل منهم ، فالمتوافر لدينا من المعلومات يدل على نزاهة غير قليلة وجدت فى معالجة أمور القضاء على الرغم من وجود أمثلة قليلة تشير إلى عكس ذلك[٤] ، فسيرة غالبية القضاة تدل على نزاهة ، وفضل وعلم وملازمة للحق ، ولابد أن يكون ذلك فى معاونيهم من كتاب ، وشهود ، وحجاب ، وأمناء ووكلاء ، وإن كانت أكثر المصادر تكتفى بسرد سيرة الواحد منهم وهى طيبة فى الغالب دون أن تشير إلى نزاهته وعفته ، ودقته ، مما يدل على أن هذه الصفات كانت من الأمور التى اعتاد الناس عليها[٥] .

ففى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م توفى قاضى القضاة أبو عبد الله بن على الدامغانى[٦] ، وكانت هناك أموال كثيرة تحمل إليه من الأمصار لاتعرف طبيعتها ، ويبدو أنها كانت من باب

---

(١) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٧٧ .

(٢) سياسة نامة ، ص ٧٧ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٧٧ .

(٤) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ١٠١ .

(٥) أبو بكر الهروى : التذكرة الهروية فى الحيل الحربية ، (القاهرة ١٩٨٢م) ص ١١ ، صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٦) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

الأجـور[١] ، فبذل ابنه أبو الحسن أموالا جزيلة ليخلفه ، ولكن الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله رأى أن يدفع الظن عنه بقبـول المال ، فعين أبا بكر محمد ابن المظفر الشامى قاضيا للقضاة، فاستبشر الناس بذلك[٢] .

وكان ابن المظفر الشامي هذا نزيها عفيفا ، لم يكن يقبل رزقا على عمله ، ولم يغير ملبسا ولا مأكلا ، وكان له بيت يؤجره بدينار ونصف في الشهر ويقتات به ، فأثار سلوكه هذا أهل الباطل فلفقوا إليه التهم عند الخليفة حتى سخط عليه ، ومنع الشهود من إتيان مجلسه ثم رضى عنه[٣] ، وبلغ من نزاهته أن تركيا ادعى عنده على رجل آخر ، فسأله ألك شهود فقال نعم فلان ورجل اسمه المشطب ، فقال له لا أقبل شهادة المشطب لأنه يلبس الحرير ، فقال له التركى إن السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير فقال له أبو المظفر الشامى (ولو شهدا عندى فى باقة بقل ما قبلت شهادتهما) [٤] .

مجالس القضاء : (المكان الذى كان يجرى فيه القضاء) :

كان المسجد الجامع المكان الذى يجرى فيه القضاء منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٥] وكان القضاء يتم بعد ذلك فى الجامع أو بيت القاضى ، أو أى مكان آخر يراه القاضى مناسبا لعمله[٦] . ولم تكن هناك قاعدة فى ذلك ، فقاضى القضاة محمد بن على الدامغانى أول من شغل هذا المنصب فى العهد السلجوقى ، حكم أكثر من ثلاثين سنة ٤٤٧-٤٧٨هـ) (١٠٥٥-١٠٨٥م) كان يقضى فى داره وقيل إنه لم يعقد مجلسا للقضاء فى جامع أو مسجد[٧] ، وسار على نهجه ابنه أبو الحسن الذى اتخذ داره مقرا للقضاء[٨] .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) ابن هداية : طبقات الشافعية ، ص ١٧٩ ، ١٩٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ص ١٦٠ .

(٣) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٤ ، ص ١٨٦-١٨٩ .

(٤) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٤ ص ١٨٦، ١٨٩ ، الذهبى : شذرات الذهب جـ٤ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٥) مصطفى مشرفه : القضاة فى الإسلام ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٦) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٣ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٧) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٣ ، ص ١٠٩ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٨١ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٢٠٨ ، اليافعى : مرآة الجنان جـ٣ ص ٢٠٤ .

مذاهب القضاة :

كان أغلب قضاة الفترة موضع الدراسة من الشافعية ، والحنفية ، والحنبلية ، ولم يرد ما يشير إلى وجود قاضى مالكى أو شيعى[١] ، وكان سلاطين السلاجقة يختارون القضاة وفق مذاهبهم وبناء على رغبة وزرائهم ، فأبو عبد الله الدامغانى اختاره أبو نصر الكندرى الحنفى المذهب ، كان القضاة خلال فترة عمله (٤٤٧-٤٧٨هـ/١٠٥٥/١٠٨٥م) من الأحناف[٢] ، ولما قتل الكندرى سنة ٤٥٧هـ/١٠٥٦م برز حزب الشافعية الأشعرية بقيادة نظام الملك الطوسى الذى عين شافعيا أشعريا قاضيا للقضاة هو أبو المظفر الشامى[٣] .

ومثل الشافعية أكبر نسبة من القضاة[٤] يليهم الحنفية ، أما الحنابلة فكانوا قلة[٥] ، ففى سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٤م ، توفى القاضى أبو بكر بن الرطبى قاضى دجيل[٦] ، وكان شافعيا[٧] ، وفى سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م توفى قاضى البصرة عبد الله بن الحسن وكان فقيها شافعيا[٨] ، وفى سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م توفى باى بن جعفر بن باى الذى ولى القضاء بباب الطاق وحريم دار الخلافة وكان شافعيا[٩] ، وفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م توفى أبو يعلى محمد ابن الحسين بن الفراء الحنبلى وكان قاضى الحريم بدار الخلافة[١٠] ، وفى سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م

---

(١) انظر على سبيل المثال : السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ، جـ٤ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ١٧١-١٩٩ ، الذهبى : شذرات الذهب جـ٤ ص ٢٩-٧٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢، ص ١٨٧ ، جعفر جفناك : القضاء : ص ١٠٢ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٢٠٨ .

(٣) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ، ص ٨٨ .

(٤) انظر : ابن هداية الله ، طبقات الشافعية ، ص ١٧١-١٩٩ .

(٥) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٢ .

(٦) دجيل : اسم نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت مقابل القادسية دون سامراء ويسقى كورة واسعة وبلاد كثيرة ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٧) ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ٢١١ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٥٤ ، ط. بيروت .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم : جـ٨ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل : جـ٨ ، ص ٣٧٨ ، ط. بيروت .

توفى القاضى أبو الحسين بن أبى جعفر السمنانى وكان أشعريا ، وحنفيا[١] ، وكانت العائلة الدامغانية التى قدمت سلسلة من القضاء عائلة حنفية المذهب[٢] .

إيرادات القضاة ورواتبهم :

لابد أن يكون للقاضى راتب شهرى يكفيه أمور معاشه لئلا تكون له حاجة إلى الخيانة[٣] ، ولقد حرص سلاطين السلاجقة العظام على ذلك ، فأقطعوا الإقطاعات للقضاة[٤] ، فمنهم من قبلها ومنهم من رفضها[٥] ، ويبدو أن عددا من القضاة لم يتقاضى شيئا على عمله ، فقد مر "أن قاضى القضاة محمد بن المظفر الشامى الذى عمل قاضيا للقضاة سنة ٤٧٨هـ-٤٨٨هـ/ ١٠٨٥-١٠٩٤م لم يكن يرتزق على القضاة شيئاً ، ولم يغير ملبسه وأحواله قبل القضاء وبعده[٦] ، بينما نجد أن قاضى القضاة عبد الله الدامغانى كانت تحمل إليه أموال كثيرة من الأمصار[٧] .

ديوان القاضى وأعوانه :

كان للقاضى ديوان وهيئة من الأعوان تساعده على القيام بواجباته[٨] ، أهم أعضائها الكاتب والحاجب والشهود العدول ، والأمناء ، والوكلاء بمجلس القضاء ، والمحضرون وأصحاب المسائل[٩] ، ووكلاء الخاصة السلطانية[١٠] ، والمسجل والمعدل أى (المطهر للأحكام أو المنفذ لها) [١١] .

---

(١) ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ١٨٥ .

(٢) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٦٢-١٧٣ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ص ٧٧ .

(٤) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٤ .

(٥) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٢ .

(٦) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٤ ، ص ١٨٦-١٩٤ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم : جـ٩ ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٨) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٥ .

(٩) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٥ ، حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠٠-٢٠٥ .

(١٠) نظام الملك : سياسة نامه ص ٧٧ .

(١١) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠١-٢٠٣ .

وكان ديوان القاضى ويسمى أيضا ديوان الحكم[١] ، يشتمل على المعاملات من شهادات وحجج ، ووقوف ومداينات وعقود ومحاضر مع تواريخها ، كما أنه يحتوى على أدلة تعديل الشهود وجرجهم[٢] .

وكاتب أو مسجل القاضى أو كاتب الجلسة كان ضروريا لقيام القاضى بواجبه ، وكان يجالس القاضى ليسجل أحكامه[٣] ولذا وجب أن تتوفر فيه صفات السداد والاستقامة ، والتدين والخلق القويم ، والمعرفة بما يزاوله[٤] .

أما المحضر فهو الذى يحمل دفترا لإثبات المستندات ، ويجب أن يحمل شهادة تدل على إنهائه مدة دراسية معينة ، وعليه أن يطوى ما يحمله ، حتى لا يعرف أحد ما بداخله[٥] . كما يعاون القاضى خازن المحكمة ، الذى كان يقوم بحفظ (ملفات) الدعاوى ، والترجمان الذى كان ينقل إلى القاضى أقوال الأعاجم إذا كان القاضى فى بلد يكثر فيها أناس لايتكلمون العربية ، والحاجب الذى يرتب المتقاضين حسب أوقات حضورهم[٦] .

أما الشهود العدول ، فكان لكل قاض من القضاة هيئة من الشهود العدول عليه أن يختارهم بعناية فائقة ويراقبهم ، ويبعث بأصحاب مسائله أى : مجنديه يطالعونه بسيرة كل منهم ، فإذا تبين له أن أحدهم انحرف عن جادة الصواب بارتكابه شهادة الزور ، أو سلك سلوكا لا يليق بوظيفته عزله القاضى عن الشهادة[٧] .

---

(١) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٥ .

(٢) جعفر خصباك : نفسه ، ص ١٠٦ .

(٣) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٤) السمنانى : أبو القاسم على بن أحمد السمنانى : روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق : الناهى ، بغداد ١٩٧٠-١٩٧٢م) ج١ ، ص ١٢٤ - ١٢٦ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٩٠ ، وربما يكونون طائفة من أعوان القاضى عليهم إحضار من لايحضر إلى مجلس الحكم ، ومازالت هذه الوظيفة حتى الآن باسمها ، ويسمون الأعوان ، انظر : أحمد الشامى ، الحضارة ، ص ٩٠ .

(٥) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٦) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٩٠ .

(٧) السمنانى : روضة القضاة ، جـ١ ، ص ١٩٨ .

والشهود يقومون بوظائف متعددة ، منهم من يقيمون شهادة المدعى ، المدعى عليه ، وهم يشهدون للقاضى وعليه فى محاكماته ، ووثائقه التى يوقعها ، وهم يرافقون الوكلاء بباب القاضى ، ويشهدون على صحة وكالاتهم ، ولذلك كان دورهم خطيرا وكبيرا فى مساعدة القاضى[١] ، ولهذا كثرت أخبارهم ، ودقق القضاة فى شروط اختيارهم وكانوا يختارون من ذوى الأخلاق ومعروفى السريرة وظاهرى السير واشترط فيهم البلوغ ، والحرية ، والإسلام والعلم بما يشهدون به من الحقوق[٢] . وكانت العادة أن الشاهد لايصبح عدلا إلا إذا شهد أمام القاضى وزكاه عدلان[٣] ، فمحمد ابن المظفر ابن بكران الشامى شهد أولا عند قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م وزكاه القاضى أبو يعلى بن الفراء ، وأبو الحسن بن السمنانى[٤] .

وعلى القاضى أن يأمر بتصفح أحوال الشهود المعدلين سرا وعلانية ، للتأكد من استمرار كونهم عدولا[٥] ، كما وصف دورهم فى تحقيق العدالة بما يأتى (فإن هؤلاء الشهود أعوان للحق على انتصاره وحرب الباطل على تتبيره وبواره ، ومحجة الحاكم إلى قضائه ، ووزره الذى يستند إليه فى سائر الأنحاء[٦].

ولأهمية الدور الذى يقوم به الشهود كان على القاضى أن يتخذ من سموا بأصحاب المسائل وكانوا فى حكم أعوانه وأتباعه ، يسألون سرا وعلانية عن أنساب الشهود ومجالسهم وسلوكهم ليتأكد القاضى عن طريقهم أنهم مازالوا أهلا للقيام بواجباتهم ، وكان على الواحد من هؤلاء أن يتصف بخصائص معينة على رأى الفقهاء منها العقل والورع والأمانه ، والصلاح ، والبراءة من الشحناء والبغضاء بينهم وبين الناس ، ووفور العقل وكتمان السر[٧].

---

(١) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٤ .

(٢) السمنانى : روضة القضاة ، جـ١ ص ١٩٨ .

(٣) ابن الدبيثى : المختصر المحتاج إليه ، جـ٢ ص ٧٨ .

(٤) المنتظم ، جـ٩ ، ص ٩٥ ، ابن الدبيثى : المختصر ، جـ١ ص ٢٦٠ .

(٥) جعفر خصباك : القضاء فى العراق ، ص ١٠٥ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٧) السمنانى : روضة القضاة ، جـ١ ، ص ١٢٤-١٢٦ .

وكان هذا هو المثل الأعلى المطلوب تحقيقه فى الشهود العدول ، ولكن الواقع كثيرا ما كان يبدو خلاف ذلك فالسمنانى المعاصر للدامغانى وأحد تلاميذه[١] يشير إلى شهود شيخه قاضى القضاة الدامغانى بقوله (وقد رأينا شيوخ شيخنا (رحمه الله) ، وقد طال بهم الزمان وهم شهود لا يسأل عنهم ولايبحث[٢] ، وقال فى موضع آخر : إنه رأى الشهود فى مدينة السلام (بغداد) يشهدون على معرفة النساء اعتمادا على قول العامة والدلالين ويفعلون مثل ذلك بين يدى قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى[٣] .

أما الوكلاء (المحامون) :

كان الوكلاء الذين يقومون بوظيفة المحامين الآن من أهم أعوان القاضى[٤] ، وكان القاضى هو الذى يعينهم ، فيكونون فى حكم أتباعه وأعوانه ، فإذا أرسلت امرأة إلى القاضى ترفع دعوى فى حق لها على أحد يرسل القاضى معها شاهدين وبعض الوكلاء فتوكل ويشهد الشهود على ذلك[٥] .

وإذا كان المريض لايستطيع حضور مجلس الحكم ، وله حق على غيره ، أرسل القاضى إليه أحد أمنائه ممن يعرف المريض ، ومعه شاهدان فيأمره الأمين أن يوكل وكيلا يحضر مجلس القاضى ليخاصم المدعى ، وإذا صحت وكالة الوكيل جاز للقاضى أن يسمع دعواه ، والدعوى عليه فيما يتولاه لغيره[٦] .

وكان لابد أن يتصف الوكيل بباب القاضى بكثير من الصفات الضرورية منها أن يكون من أهل الستر والعدل والعفاف ، شيخا كبيراً ، ومأمونا على الحريم ، ولا يتوكل فيما يعلم أنه باطل ولايخضع لمن يتوكل له ، ولاينبغى أن يغش موكله[٧] .

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ص ٩٨ ومابعدها ، صفية سعادة : المرجع السابق ص ١٥٦-١٥٨ .

(٢) السمنانى : روضة القضاء ، جـ١ ص ٢٣٢ .

(٣) السمنانى : نفسه ، جـ١ ، ص ٢٣٠ .

(٤) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٧ .

(٥) جعفر خصباك : نفسه ، ص ١٠٧ .

(٦) السمنانى : روضة القضاة ، جـ١ ، ص ١٨٨ .

(٧) السمنانى : روضة القضاة ، جـ١ ، ص ١٢٣ .

ولكن واقع الحال كان فى بعض الأحيان على غير هذه الصورة ، فيقول السمنانى[١] عن أستاذه وشيخه الدامغانى (وقد شاهدنا وكلاء شيخنا قاضى القضاة (رحمه الله) ، وهم بالضد من هذه الصفات التى ذكرها أصحابنا ، وكان فيهم إنسان يتباهى بالشر والخصام[٢] .

ولقد كانت وظيفة أمناء القاضى[٣] أيضا من أهم الوظائف المعاونة له ، لأنه يتولى رعاية أموال اليتامى عن طريق هؤلاء الأمناء[٤] حتى يبلغوا أشدهم ، وعليه وضع أموالهم بأيدى أمناء يحفظونها ويقومون على رعايتها وتنميتها عن طريق الإقراض والبيع والشراء ، وربما يقوم بوضعها عند من يتجر بها[٥]. كما كان الحاكم[٦] أى : متولى إدارة القضاء هو المشرف على ديوان القاضى إداريا[٧] .

تلاميذ القاضى :

كان على القضاة تعليم عدد كان ممن يثقون فيهم ، ليتولوا بعدهم ، أو ليكونوا شهودا لهم، فقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى كان له عدد من التلاميذ ، نالوا إجازتهم فى الحقوق وأصبحوا شهودا رسميين عدولا عين بعضهم فى مراكز حساسة[٨]، ووصل بعضهم إلى منصب القاضى فعبيد الله بن محمد بن طلحة بن الحسين ، أبو محمد الدامغانى ، وهو ابن أخيه ، قدم بغداد وتتلمذ على يد عمه والذى نصبه فور تخرجه قاضيا على حى الكرخ سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م[٩] .

---

(١) روضة القضاة ، جـ١ ، ص ١٢٣ .

(٢) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٨ .

(٣) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٨ .

(٤) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥) السمنانى : روضة القضاة ، جـ١ ، ص ١٤٠ ، ١٦٠ ، ١٨٢ .

(٦) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٧) حسن أنورى : نفسه ، ص ١٩٩ .

(٨) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٩) ابن أبى الوفاء : الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية ، جزءان فى مجلد واحد ، (حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف النظامية بدون ت) ، جـ١ ، ص ٣٤٠ .

وكان الدامغانى على درجة عالية من الدهاء ، فقرر ألا يكتفى بتعليم تلاميذه المذهبين الحنفى والحنبلى بل تجاوزهما ، وقبل تعليم تلاميذه المذاهب الأخرى[١] ، فمن تلامذته من الحنابلة ، الحسن بن محمد الغزنوى الذى أصبح صديقا حميما له ، فولاه منصب محتسب بغداد[٢] ، وأبو القاسم شيبان بن الحسن الحلبى الحنبلى الذى أصبح فيما بعد شاهدا فى المحكمة الحنفية [٣] ، وأبو القاسم على بن محمد السمنانى الذى أصبح قاضيا فيما بعد[٤]، وأبو المعالى البغدادى الذى قلده الدامغانى قضاء الأنبار[٥] ، وأبو السعادات محمد ابن الحسن، عين فى البدء شاهدا ، ومن ثم قاضيا فى يعقوبا[٦] . وأبو الحسن أحمد بن مسعود الذى عين قاضيا على الكوفة[٧] .

مهابة القضاة عند سلاطين السلاجقة :

بلغت مهابة القضاة عند سلاطين السلاجقة درجة كبيرة فأجلوهم ، وزادوا فى أعطياتهم ، واحترموا أحكامهم ونفذوها[٨] وملأوا المدن والقرى التابعة لهم بهم ، فكان لكل مدينة سلجوقية قاض يعاونه مجموعة كبيرة من الأعوان[٩] .

---

(١) صفية سعادة : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٢) ابن أبى الوفا : الجواهر ، جـ١ ص ٢٠٣ .

(٣) ابن أبى الوفا : نفسه ، جـ١ ص ٢٥٨ .

(٤) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ٣ ، ص ٨٤-٨٨ .

(٥) الأنبار : بفتح أوله ، مدينة قرب بلخ ، وهى قصبة ناحية جوزجان ، وهى على الجبل ، والأنبار أيضا مدينة على الفرات فى غربى بغداد بينهما ٦٠ كم ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور ، جددها أبو العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس ١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م . ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٦) يعقوبا : قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد ٦٠ كم من أعمال طريق خراسان ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ٤٥٣ .

(٧) ابن أبى الوفا : الجواهر ، جـ١ ص ٩٤ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٤٤١ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٧٦ .

(٩) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٩٨-٢٠٢ .

فالسلطان طغرلبك أول سلاطين السلاجقة ، عندما جلس على عرش مسعود الغزنوى فى نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، أظهر احترامه للقاضي "صاعد"[١] قاضى نيسابور ، فأخذ بيده ، وأجله إلى جواره على وسادة ، واستمع إلى نصائحه التى جاء فيها "اخشى الله عز وجل ذكره ، واعدل بين الناس ، واستمع للمظلومين ، والمساكين ، ولا تترك هذا الجيش يظلم الناس فان الظلم شؤم[٢] .

وكان السلطان ألب أرسلان يهيب القضاة ، ويحترمهم ، ويستمع إليهم ، ويوقرهم ، فعندما عبر نهر الفرات وهو فى فتوحاته ببلاد الشام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م ، قال له أبو جعفر قاضى حلب : يامولانا أحمد الله تعالى على هذه النعمة ، وهى أن هذا النهر لم يقطعه تركى إلا مملوك ، وأنت قطعته ملكا ، فأحضر الأمراء والأتراك ، وأمره باعادة القول ، فأعاده ، فحمد الله تعالى حمدا كثيرا وبجل القاضى ، وزاد فى أعطياته[٣] .

وكان السلطان ملك شاه عادلا ، لم يسمع بمظلمة فى عهده [٤] ، مما يؤكد احترامه للقضاة وأحكامهم .

ملابس القضاة :

كان لزى القضاة الصدارة بين الأزياء[٥] فكانوا يلبسون الخف والطيلسان[٦] ، والمواد ، والجلباب الواسعة ذوات الأكمام الواسعة ، والتى جعلوها ثلاثة أشبار ، وكانت هذه الأكمام

---

(١) هو أبو العلاء الاستوائى صاعد بن محمد بن أحمد النيسابورى الحنفى ، قاضى نيسابور ، ورئيس الحنفية ، وعالمهم توفى سنة ٤٣١هـ/١٠٣٠م عن سبع وثمانين سنه ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جـ٣ ، ص ٢٤٨ .

(٢) البيهقى : تاريخ ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ .

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ٥٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص ١٥١ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٥) ميخائيل عواد : صور مشرقة من حضارة بغداد فى العصر العباسى ، (بغداد سنة ١٩٨١م ، ص ٤٤ .

(٦) الطيلسان : كساء أخضر لحمته أو سدته من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ والقضاء جمعها الطيالسة ، دوزى : معجم الملابس ص ٢٨٠ .

تقوم مقام الجيوب ، يحفظ فيها الإنسان كل ما يحتاجة كالدنانير والكتب[١] ، كان القاضى يضع فيها الكراسة التى يدون فيها الأحكام[٢] ، وكاتبه يحفظ فيها الرقعه لعرضها عليه[٣].

كما كان يلبس العمامة السوداء[٤]، والدنيـة[٥] التى كانت تلبس فى مواكب الخلفاء والسلاطين ولكنها كانت مدعاة للسخرية فخف استعمالها ، ولبس القضاة أيضا القراقفات والقمص[٦] . وكان لكل قاض ، حاجب ينظم دخول الناس عليه[٧] .

---

(١) حبيب زيات : (أزياء الأكمام ، وما كانت تصلح له فى الملابس العربية) مقال منشور بمجلة المشرق (بيروت ، ١٩٤٧) المجلد الرابع ، ص ٤٦٥-٤٧٦ .

(٢) ميخائيل عواد : صور مشرقة ، ص ٤٥ .

(٣) حبيب زياد : أزياء الأكمام ، ص ٤٧٥ .

(٤) العمامة السوداء : لباس الخاصة ببغداد وغيرها من المدن التابعة للخلافة العباسية ، وهى تيجان العرب بها يتفاخر العربى ، ويتباهى ، وكانت العادة ألا يدخل الناس على الخلفاء إلا وهم معممين ، والسواد هو شعار بنى العباس ، وكان أشياعهم يرتدونه ، ولذلك سماهم التاريخ (المسودة) بكسر الواو المشددة) أما بنو أمية فكان شعارهم البياض ، وأشياعهم سموا (المبيضة) بكسر الباء المشددة ، لبس العباسيون السواد لأول مرة حين قتل مروان بن محمد الإمام ابراهيم بن محمد العباسى ، حزنا عليه ، فصار شعارا لهم ، وأول من لبس السواد منهم هو عبد الله بن على بن عبد الله عم السفاح والمنصور ، أنظر : الجاحظ ، البيان والتبيين (دار المعارف بمصر ، سنة) ، جـ٣ ص ٧٧ ، الصابى : رسوم دار الخلافة ص ٧٥، ٧٦ ، ميخائيل عواد : نزع العمائم فى دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم ، مقال منشور بمجلة الرسالة (القاهرة ، مارس ١٩٤٩م) ، العدد ٥٣ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، أحمد الشامى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٥-٣٧ ، دوزى : معجم الملابس ص ٣٠٠ .

(٥) الدنية : تجمع على الدينات ، قلنسوة بشكل الدن ، محددة الأطراف ، طولها نحو شبرين ، تتخذ من ورق وفضة على هيئة عيدان ، وتغشى بالمواد ، وتزين أحيانا بشقائق صفر طوال ، تتدلى على الصدره ، كان يلبسها القضاة عامة فى العصور الإسلامية ، كما كان يلبسها الخطباء والأكابر أحيانا أنظر : ميخائيل عواد : دنية القاضى فى العصر العباسى ، مقال منشور بمجلة الرسالة (القاهرة ، أكتوبر ١٩٤٣م) العدد ٤٨ ص ٩٧٩-٩٨١ ، ابن منظور : لسان العرب مادة دوى ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ١ ص ٢٣٤ .

(٦) القراقفات : جمع قراقف ، وقراقف جمعها قرقفة ، قلانس مستديرة ضخمة ، كان يلبسها القضاة والفقهاء فوق رؤوسهم أيام العباسيين ، ميخائيل عواد : صفحات ، ص ٥٨ هامش (٢٣) . والقمص هى القمصان .

(٧) حسن أنورى : اصطلاحات ، ص ١٩٨ .

ديوان المظالم (قضاء المظالم) :

هو نوع من القضاء ، يقوم به الخليفة [١] ، أو السلطان أو من أنيب عنهما من كبار شخصيات الحكم كالوزير أو أحد كبار الموظفين[٢] .

ويعرفه الفقهاء بأنه (جلب المتظلمين إلى التناصف ، وزجر المتنازعين عن التجاحد[٣] ويحتاج حسب قول ابن خلدون[٤] إلى علو يد ، وعظيم رهبة ، تقمع الظالم من الخصمين ، وتزجر المعتدى لأن متوليه يمض ما عجز القضاة أو غيرهم عن إقصائه[٥] ، خاصة إذا كان الظلم من قبل ذوى الجاه والسلطان من الولاة والحكام وعمال الخراج أو كتاب الدواوين وغيرهم[٦] . وهو يشبه فى مضمونه محاكم الاستئناف فى الوقت الحالى[٧] ، ولم يتوان الرسول (عليه السلام) والخلفاء الراشدون عن رفع المظالم التى كانت تصل إليهم من الولاة والحكام ، وشددوا عليهم بعدم قبول الهدايا[٨] وأول من أفرد يوما للمظالم هو عبد الملك بن مروان ٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م [٩] .

وأنشأ العباسيون ديوانا للمظالم جلس فيه خلفاؤهم لقضاء مظالم الناس[١٠] ، أو أنابوا عنهم من يقومون بذلك ، وكانوا يطلقون عليه قاضى المظالم أو صاحب المظالم[١١] .

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٧٨ ، حمدى عبد المنعم : ديوان المظالم ، (بيروت ١٩٨٣) ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) جعفر خصباك : القضاء ، ص ١٠٩ .

(٣) أبو يعلى بن الفراء : الأحكام ص ٥٨ .

(٤) المقدمة ، ص ٢٢٢ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٢ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة ، ص ١٠٨ .

(٦) حمدى عبد المنعم : ديوان المظالم ، ص ٣٩ .

(٧) أحمد عبد الرازق : الحضارة ، ص ١٠٨ .

(٨) حمدى عبد المنعم : ديوان المظالم ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٩) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ٧٨ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١٠) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ١٧٩ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٨٠ .

(١١) حمدى عبد المنعم : ديوان المظالم ، ص ٥١ ، ٥٢ .

ولقد جلس سلاطين السلاجقة العظام تأسيا بخلفاء بنى العباس لقضاء المظالم مثلما فعل السلطان ألب أرسلان وملكشاه[١] ، كما أنابوا أيضا عنهم من يقوم بهذه المهمة مثل الوزير نظام الملك الطوسى الذى كان يعقد يوما للمظالم[٢] .

وكان يساعد صاحب المظالم أحد الموظفين الكبار ، ففى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م خلع على النقيب أبو الغنائم المعمر بن محمد العلوى وقلد نقيب الطالبين[٣] والحج والمظالم ، وقرئ عهده فى المواكب[٤] ، وفى سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م أمر الخليفة المقتدى بإحضار محمد بن محمد المعوج إلى الديوان حيث خلع عليه ، وقلده النظر فى المظالم فقبل وجلس بباب النوبى[٥] .

وكانت الدركاه (دار السلطنة) هى مقر ديوان المظالم السلجوقى [٦] ، فكان كل من له مظلمة يذهب إلى باب السلطان ، ويحدثه مشافهة دون حجاب ، ويطلب إنصافه ، ولا يبرح باب الدركاه إلا إذا أجيب طلبه[٧] .

وكان سلاطين السلاجقة العظام يحرصون على إقامة الحدود ، وتنفيذ أحكام الدين ، واتصفوا بالعدل والمسامحة ، فكان السلطان طغرلبك كريما حليما محافظا على إقامة الشرع والحد[٨] وكان السلطان ألب أرسلان رجلا شجاعا يخشاه الناس[٩] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٢) عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣) أى نقابة العلويين ، فكان لكل من العباسيين والعلويين نقابة ببغداد ، أنظر عنهم : ابن الأثير ، الكامل جـ٩ ص ١٥٨ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٣٦ .

(٥) ابن الدبيثى : المختصر ، جـ١ ص ١٠٣ .

(٦) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤ - ١٦ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامة ص ٢٩٩ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٩) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩ .

أما السلطان ملكشاه فكان عادلا لدرجة أنه كان لايقبل شفاعة فى إطلاق ظالم حتى ولو كان الشافع هو الخليفة نفسه[١] ، وغلب عليه لقب العادل حتى قيل إنه لم توجد فى عهده مظلمة ودخلت الطمأنينة قلوب الناس ، فكان الباعة يطوفون بالتبن والدجاج وسط العسكر لا يخافون بطشهم ، ولا يبيعون إلا بما يريدون[٢] .

وكثيرا ما كان ينوب وزراء السلاطين السلاجقة عنهم فى قضاء المظالم ، وإذا استدعى الأمر أن يسند إلى أحد الفقهاء جزء به كقضايا الأحوال الشخصية التى كانت من مهام القضاة[٣] .

---

(١) الراوندى : نفسه ، ص ١٩٤ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ص ٧٢ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٩٣ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٢ .

الفصل الرابع

النظم الحربية

النظام الحربى : الجيش السلجوقى - عناصر الجيش السلجوقى - تشكيلات الجيش السلجوقى - أسلحة الجيش السلجوقى (تسجيل الجند السلجوقى (ديوان العرض) - أساليب السلاجقة فى القتال - مرتبات الجند (النظام الإقطاعى العسكرى السلجوقى) - المحتسب - الطشت دار - الساقى (الشراب دار) - صاحب الخبر - أمير الحرس - الاسكدار (ساعى البريد) - الدزدار - أطباء الخاصة - أمير الحج - الجامة دار (متولى خزانة الملابس السلطانية) - الخطيب - البندار - قائد الاصطبلات - الدوات خانة - السنجق دار - الوكيل الخاص - السعاة - الغلمات - الندماء - المختارون .

الجيش السلجوقى :

اهتم سلاطين وأمراء السلاجقة اهتماما بالغا بالجيش ، لأنه عماد دولتهم[1] ، فهم أنفسهم رجال حرب وقتال وفرسان[2] ، عملوا فى جيوش السامانيين والخانيين والغزنويين كجنود وقادة وفرسان[3] .

إلى جانب أن الروح القتالية قد تأصلت فيهم لطول ممارستهم لحياة البداوة القبلية ، فأصبح لكل سلطان من سلاطينهم العظام ، وكل أمير من حكام الأقاليم التابعين له جيش كبير ، مدرب[4] ، يقوم بتسليحه والإنفاق عليه ، والاهتمام به ، وأقطعوا جنودهم الإقطاعات بدلا من الرواتب[5] .

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٤ - ٢١٦ .

(٣) القزوينى : لب التواريخ ، ص ١٠٤ - ١٠٦ ، عبد الله رازى : تاريخ كامل إيران (آباء ماه ١٣٤٧)، ص ١٩٥-١٩٧ .

(٤) خواندمير : حبيب السير ، جـ٣ ، ص ٤٧٩ ، أحمد معوض : أضواء ص ٣٣-٣٧ .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

ومنذ عهد السلطان طغرلبك زاد الاهتمام بالجيش القوى ، ليزود به عن البلاد التى فتحها ، ويحقق سياسته التوسعية فى تكوين دولة عظمى[١] ، وبحكم طبيعة السلاجقة البدوية ، فقد كان الجيش المسلح القوى بالنسبة للبدوى هو أهم دعامة أساسية تقوم عليها الدولة ، فكون سلاطين السلاجقة جيشا قويا تكون من عدة آلاف من الفرسان وغيرهم[٢] .

عناصر الجيش السلجوقى :

كان قوام الجيوش السلجوقية فى البداية مجموعة القبائل التركمانية الغزية السلجوقية التى وفدت مع السلاجقة ، وعبرت معهم إلى المشرق الإسلامى[٣] ، إلى جانب أتراك آخرين تدفقوا بعد إسلامهم[٤] كجنود غزاة جدد ضمن الجيش السلجوقى ، فاشتركوا معه فى كل المعارك وتقاسموا معهم الغنائم والأسلاب[٥] .

ثم دخلت فى الجيش السلجوقى عناصر جديدة محاربة معظمها ليس من الأتراك ، ولكن من الشعوب المسلمة السابقة عليهم ، أثارها النصر الهين ، والغنائم الكثيرة التى يحققها السلاجقة ، فانضووا ضمن الجيش السلجوقى[٦] ، فوجدنا عناصر من الخوارزميين ، والديلم الخراسانيين ، والأعاجم (الفرس) ، والأكراد ، والأوج[٧] ،

---

(١) أحمد معوض : أضواء ص ٣٣-٤٨ ، محمودعرفه محمود : الجيش العباسى خلال عهدى البويهيين والسلاجقة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب القاهرة سنة ١٩٨٢ ، ص ١٤٩ .

(٢) أنظر : ٢٠٩ - ٢١٢ من الرسالة .

(٣) أبو عمر منهاج الدين عثمان : طبقات ناصرى جلد أول (لاهور ، جنورى ١٩٣٥ع) ص ٤٤١ .

(٤) يذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م إسلام عشرة آلاف خركاه فى مناطق بلاسوغون والصغد والبلغار من الأتراك .

(٥) شاكر مصطفى : دخول الترك الغز إلى الشام ، مقال بمجلة المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، (الأردن، ١٩٧٤) ص ٣٢٠-٣٢٢ .

(٦) شاكر مصطفى : دخول الغز الشام ، ص ٣٢٠ ، ٣٢٢ .

(٧) الأوج : فرع من الأتراك ، وربما هم الكرجيين نسبة إلى كرجة معرب كرجة ، وهى مدينة من مدن خوروزستان ، أنظر عنهم : بارتولد : تاريخ الترك ، ص ٦٢-٦٥ .

والخـرلجيــة (القـارلـوق)[١] فى جيش طغـرلبك الذى دخل بـه بغـداد لأول مـرة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٢] .

وفى معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م ، وجدنا فى نواة الجيش السلجوقى عشرة آلاف كردى إلى جانب الأتراك بشتى عناصرهم ، والفرس[٣] ، وعنصر جديد اشترك مع الجيش السلجوقى هم العرب الذين انضوا تحت راية السلاجقة راضيين[٤] .

وكانت جيوش السلطان ملكشاه التى بنى بها ووسع دولته أيضا من عناصر مختلفة[٥] ، ولكن التركمان شكلوا العمود الفقرى فى الجيش السلجوقى أى : الفرسان[٦] ، بينما شكلت العناصـر الأخرى معظم الرجـالة (المشاة)[٧] ، وبزوال العـهـد البويهى من بـغـداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٨] ، زال معه جيشهم وتفرقت عناصره المختلفة أيضا ، وانضم القسم الأكبر منهم إلى الجيش السلجوقى[٩] ، كما التحق بخدمة سلاطين السلاجقة عناصر أخرى من مسلمى بلاد مـاوراء النهر[١٠] ، كما دخل المماليك فى الجيش السلجوقى ، وأصبحوا

---

(١) القارلوق : الخزلج : أحد الشعوب التركية عاشت فى شرق بلاد التركستان الغربية ، ولقب حاكمهم بلقب بيغو مثل حاكم الغز ، وكان على المسافر إلى الصين أن يقطع أرضهم ، وأسلموا منذ وقت مبكر ، وضموا بلاد الترك الغربية إليهم سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م ، أنظر : بارتولد : تاريخ الترك ، ص ٤٠-٤٢ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٥ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) أبو نصر الكاشانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٩-١٢ .

(٣) عن الأتراك وعناصرهم : أنظر ، بارتولد ، تاريخ الترك ، ص ٣٧ - ٩٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٣١٣ ، سهيل زكار : المدخل ، ص ٣٧-٩٨ .

(٥) انظر على سبيل المثال : الراوندى ، راحة الصدور ص ١٩٧-٢١٦ ، البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٠-٦١ .

(٦) محمود عرفه : الجيش ، ص ١٤٩ .

(٧) البيهقى : تاريخ ص ٥١٠ ، حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١١٦-١١٨ .

(٨) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٦٠٦-٦٤٢ .

(٩) ابن الجوزى : المنتظم : جـ٨ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(١٠) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٧-٢١٦ .

يشكلون عنصرا مهما من عناصره ، لما كانوا يتصفون به من صفات عسكرية ومهارة قتالية عالية[١] ، وكانت هذه الجموع والعناصر تلتحق بخدمة من يضمن لها أرزاقها[٢] .

ولقد حبذ نظام الملك تعدد عناصر الجيش ، وعدم الاعتماد على عنصر واحد فقط بقوله "ينبغى أن يؤسس الجيش من كل جنس وملة ، لأن اتخاذ الجيش من جنس واحد مدعاة لظهور الأخطار والفساد ، وعدم الجدية والبلاء فى الحرب"[٣] .

ولم تتوقف هجرة القبائل التركمانية الغزية ، وغيرها من الترك من بلاد ماوراء النهر[٤]، طوال عهد السلاطين العظام ، وساعد توافدها ، وانضمامها إلى جيوش السلاجقة على تقويتها ، فلقد اتخذهم سلاطين السلاجقة كجند مخلصين ، ساعدوهم فى حروبهم الكثيرة ضد الدول غير الإسلامية مثل بيزنطة وأرمينية ، وضد الدويلات التى كانت لاتدين بالمذهب السنى فى الشام والجزيره[٥] . وضد أعدائهم فى بلاد ماوراء النهر[٦] ، أو الخارجين عليهم من أمراء السلاجقة[٧]. وسمح السلاطين العظام لحكام أقاليمهم بتكوين جيوش خاصة بهم ، وتكونت جيوشهم أيضا من عناصر مختلفة ، وكان الأمير يخرج بنفسه كالسلطان لقياده جيشه، ويساعده وزيره وكبير حجابه ، وأمراء حرسه وغيرهم[٨] .

وعلى الرغم من وجود جيش خاص بالخلافة العباسية فى بغداد ، فإن سلاطين السلاجقة العظام لم يسمحوا للخليفة العباسى باتخاذ جند خاص به لحماية الخلافة ، حيث اعتبروا

---

(١) أبو شامة : الروضتين ، جـ١ ، ص ٣٥ .

(٢) محمود عرفة : الجيش ، ص ١٤٩ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٤٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٢٦٥ ، شاكر مصطفى : دخول الأتراك الغز الشام ، ص ٣٢٠-٣٢٢.

(٥)(سهيل زكار : المدخل ، ص ٦٣ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٠-١٩٢ .

(٧) ابن خلدون : العبر ، جـ٥ ، ص ٢-٧ .

(٨) حسن انورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٧ ، ٢١٣ .

أنفسهم وجنودهم جنودا للخلافة ، بل جيشها المخلص ، وحماة النظام السياسى السنى ، وكانوا يقصدون منه تجريد الخليفة من وسائل الدفاع والحماية ، كما فعل البويهيون[١] .

تشكيلات الجيش السلجوقى :

١- الفرسان (الأمراء) :

يؤلف الفرسان العنصر الأساسى فى الجيش بصفة عامة[٢] ، ويسمون بالخيالة[٣] ، وكان فرسان السلاجقة من التركمان ، وخاصة من أمرائهم[٤] ، ومن أهم أسلحة الفرسان السيوف والرماح ، والحراب ، وكانوا يلبسون الدروع ، ويركبون الخيل السريعة المدربة الفارهة ، والتى أجاد فرسان السلاجقة قيادتها وركوبها[٥]، وكانت لهم خبرة كبيرة بالحرب من فوق ظهر الجياد[٦] .

وسار السلاجقة على احترام فرسانهم إلى حد كبير ، فهم عماد الجيش وبهم فتح السلاطين العظام البلاد وكانت قوتهم واتساع دولتهم مرهون بهم وبمهارتهم القتالية ، فلم يكن للجند السلجوقى حق الإفصاح عن مطالبهم إلا عن طريق مقدميهم (الفرسان) ، وإذا تجاوز أحدهم هذا التقليد ، كان يلقى أشد العقاب[٧] ، وكانت لهم القيادة فى الجيش فعرفوا بالاسفهسالارية[٨] ، أى قواد الجيش[٩] .

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ص ٣٦٠ ، محمود عرفه : الجيش العباسى ، ص ١٣٨-١٤٩ .

(٢) محمود شيت خطاب : العسكرية الإسلامية .

(٣) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣١ .

(٤) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٨ .

(٥) ر. سى - سميل : الحروب الصليبية ، ترجمة سامى هاشم ، (بيروت ، ١٩٨٢م) ، ص ٧٦-٧٨ .

(٦) الجاحظ : أبو عثمان بن بحر ، رسائل الجاحظ فى مناقب الترك ، تحقيق عبد السلام هارون ، الخانجى، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٧٠ .

(٧) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٦٤ ، خالد جاسم الجنابى ، الجيش والشرطة ، مقال بكتاب حضارة العراق ، جـ٦ (بغداد ، ١٩٨٤م) ، ص ٢٤٥ .

(٨) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٢ .

(٩) البيهقى : تاريخ ص ٢٧٠ ، حسين أمين : تاريخ العراق ص ٢٠٥ ، حسن الباشا : الوظائف والألقاب الإسلامية ، جـ٢ ، ص ٥٨٩ .

٢- المشاة (الرجالة) :

وهم الرجالة من الجند ، وقد اتخذوا من شتى العناصر التى كونت الجيش السلجوقى[١]، وكانت أعدادهم كبيرة تصل إلى عدة آلاف[٢] ، ومن أسلحتهم السيوف والحراب والسهام ، وكانوا يلبسون الدروع ، ويضعون فوق رؤوسهم الخوذ[٣] ، ويحملون فى أثناء الحرب كنائن النبل[٤] ، كما كانوا يحملون الناجيخ وهى الحربة القصيرة أو المهماز[٥]، ولهم وعاء يضعون فيه سهامهم وأقواسهم[٦] ، وكانوا يحملون الرمح ، وكان الرمح التركى أخف وزنا وحملا[٧] .

٣- النشابون (الرماة) :

يطلق عليهم الرماة ، لأنهم يرمون بالنشاب[٨] ، كما يتسلحون بكنائن النبل ، والفؤوس الصغيرة (البلطة) ، ويستعان بهم فى صد المغيرين ، وفى الحصون والأبراج[٩] .

٤- المنجنيقيون :

وهم رماة المنجنيق[١٠] ، وكانوا يستخدمون فى تدمير القلاع ، والأسوار ، والحصون والدفاع عن المدن ، والقلاع ضد هجمات الأعداء[١١] ، فقد ضرب نظام

---

(١) شاكر مصطفى : دخول الأتراك الغز الشام ، ص ٣٢٠-٣٢٢ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ١٦ - ٧٦ .

(٣) الخوذ : ما يوضع على الرأس ، وتصنع من حديد أو غيره ، أحمد الشامى : الحضارة ص ٩٩ ، ١٠١ .

(٤) كنائن النبل : جمع كنانة وهى الجراب الذى يوضع فيه السهام . لسان العرب ، جـ٥ ، ص ٤٩٤٣ .

(٥) حسن أنورى اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤٤ .

(٦) حسن أنورى : نفسه ، ص ١٤٣-١٤٥ ، خالد الجنابى : الجيش والشرطة ، ص ٢٤٨ .

(٧) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٨ ، الشامى : الحضارة ، ص ٩٩ .

(٨) النشاب : ويعاونهم الطلائع وهى سرية من الفرسان يتقدمون الجيش عادة : للاستكشاف والاستطلاع، متز : الحضارة جـ٢ ، ص ١٢٥ ، أحمد الشامى : الحضارة ، ص ٩٩ .

(٩) نعمان ثابت : الجندية فى الدولة العباسية ، (بغداد سنة ١٩٣١م) ، ص ١٥١ ، خالد الجنابى : الجيش ، ص ٢٤٨ .

(١٠) حسن انورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤٤ .

(١١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام جـ٤ ص ٣٦ ، نعمان ثابت : الجندية ص ١٥٤ ، خالد الجنابى ، الجيش ص ٢٥٠ .

الملك قلعة فضلون سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م بالمنجنيق لفتحها[١] وهم بمنزلة المهندسين العسكريين حاليا [٢].

٥- الجمارون :

وهم الذين يتولون أعمال التحصين وبناء الأسوار ، وقطع الصخور وحفر الخنادق[٣] .

٦- النفاطون :

وهو الذين يرمون الأعداء بقوارير النفط ، وتصنع من الزجاج ، وهى تشبة القنابل الآن ، وتستعمل لأحراق السفن والأسلحة ، والأمتعة التى تصنع من الخشب ، ويضرب أيضا الجنود ومجتمعات العدو ، وكانوا يلبسون ملابس خاصة غير قابلة للاحتراق وهم مثل قاذفى القنابل حاليا[٤] .

(٧) الزرافون :

وهم طائفة من الجند ، اختصت بقذف النار المشتعلة ، أو النفط الملتهب ، بواسطة أنابيب نحاسية ، أو أسطوانية يحملها الجند ، أو في السفن عرفت عند العباسيين باسم الزرافات أو النفاطات[٥].

٨- العرادون :

العرادة آلة حربية تشبه المنجنيق ، ولكنها أصغر منه[٦] ، وتخصص هذه الطائفة من الجند لاستخدام نوع معين من الأسلحة الثقيلة عرفت باسم العرادة[٧] .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٩٢ ، ط. بيروت .

(٢) أحمد الشامى : الحضارة ، ص ١٠٠ .

(٣) رشيد الجميلى : الموصل فى العصر السلجوقى ، ص ٢٦١ .

(٤) الخالدى : النظم فى العراق ، ص ٢٩٣ ، أحمد الشامى الحضارة ص ١٠٠ ، الجنابى : الجيش ، ص ٢٥٢ .

(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ، جـ٤ ، ص ٣٦٠ .

(٦) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٥٤ ، ٥٦ ، الخالدى : النظم ، ص ٢٩٣ .

(٧) الخالدى : النظم ، ص ٢٩٣ .

٩- رماة الجروخ :

يسمون أيضا بالجرخية ، وهى الذين يرمون السهام ، والحجارة ، والمواد الحارقة بواسطة آلة حربية ذات أقواس كبيرة تعرف بالجرخ[١].

١٠- السفن :

وقد تعددت أنواعها ، واستخدمت بكثرة فى الحروب ضد البيزنطيين[٢] .

١١- المنادى :

الذى ينفر فى الجنود بالحرب[٣] .

١٢- بيشرو :

الدليل ، أو طليعة الجند ومن يقتدى به ويسير أمام الجند[٤]، ويمكن تشبيهه بجنود الاستطلاع الآن .

١٣- حارس الجند :

وهم جنود يحيطون بالجيش من جوانبه لحراسته مثل الشرطة[٥].

١٤- الصياح :

الذى يصيح فى الجند بمواعيد القتال[٦] .

١٥- المعبئ :

الذى ينظم الجند فى ديوان العرض ، وفى الجرائد السلطانية[٧] .

---

(١) نعمان ثابت : الجندية ، ص ١٥٤ .

(٢) رشيد الجميلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩ ، ص٢١-٤٣ ، أحمد الشامى : صناعة السفن ، بحث نشر بمجلة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، ١٩٩٤م .

(٣) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٩ .

(٤) أنورى : أنورى : نفسه ، ص ١٢٧ .

(٥) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٦١ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٧-١٢٨ .

(٦) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٨ .

(٧) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٩ .

١٦- سرهنكك :

مقدم الجيش [١] .

١٧- سلاح دار :

متولى دار السلاح[٢] ، أو من يحمل سلاح السلطان أو الأمير ، ويقومون بحراسته وللسلاحدارية أمير يعرف بأمير السلاح[٣] .

١٨- العارض :

مهمته عرض الجند للسلطان ، ورئاسة ديوان عرض الجيش ، وعليه ضبط نفقات الجيش ومرتباته ، وتنظيم تغذيته وتفقد مظهر المجندين ورجال الجيش[٤] .

-كردوس :

جالى السيف ، وصاقله ، وكان يصاحب الجيش فى كل معركة [٥] .

- قاضى العسكر :

هو القاضى الذى يفصل بين الجند ، ويتحدث فى الأحكام فى أثناء تنقلاتهم ، وكان يتخذ له كاتب ، ويكون له شهود عدول ، ويكون له منزل بجوار خيام الجند ، ويكون مستعدا للأحكام التى يكثر فعلها بين المعسكر مثل الغنائم ، والقسمة ، والمبيعات ، والديون المؤجلة، والرد بالعيب ، والشركة ، وما يحكم فيها بمغيب[٦] ، وكان يعين من قبل السلطان ، وقد جرت العادة أن يعين قضاة للعسكر حسب مذاهبهم الدينية[٧] .

---

(١) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٦١ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٩ .

(٢) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٣ .

(٣) حسن الباشا : الوظائف ، جـ٢ ، ص٥٩٦ ، ٥٩٧ .

(٤) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٥ .

(٥) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٣٧ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١١ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٧) حسن الباشا : الوظائف والفنون ، جـ٢ ، ص ٨٦٦ .

- الفراشون :

الذين يقومون بفرش ونصب الخيام للجند[١] .

- الفقهاء والوعاظ :

الذين لازموا الجيش ، لشد أزره ، وتحميسه على القتال[٢] .

- الأطباء والمرضون :

الذين يقومون بمداواة الجرحى ، ودفن الموتى[٣] .

أسلحة الجيش السلجوقي :

زود سلاطين السلاجقة العظام جيوشهم بأنواع عديدة من الأسلحة ، والتى شاع استعمالها فى تلك الفترة وقد تنوعت الأسلحة المستخدمة فى الجيوش السلجوقية على النحو الآتى :

- السيوف ، شمشير بالفارسية [٤] :

وهو من أقدم الأسلحة على الإطلاق ، ويعد السيف هو السلاح التقليدى لجميع الجيوش فى العصور الوسطى [٥] ويستعمله الفرسان والمشاة على السواء ، وكان السيف سلاحا رئيسيا فى جيش السلاجقة[٦] . وقد استخدم السلاجقة - كشعب تركى ماهر فى صناعة السلاح - السيوف المغولية ذات النصال المقوسة تقويسا خفيفا والتى تنتهى بطرف مدبب ، منحن ، إلى جانب السيوف المستقيمة[٧] ، ولم يتم للآن العثور على سيوف سلجوقية كثيرة[٨] .

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٨ .

(٢) الخالدى : النظم ، ص ٢٩٣ ، الجنابلى : الجيش ، ص ٢٥٦ ، ومعهم القراء والقصاصى لإثارة حماس الجند .

(٣) وكانوا يحملون معهم ما يعرف بمستشفيات الميدان وهى أماكن تبعد عن مسرح القتال بمسافة معقولة لمعالجة الجرحى على محفات تحملها الأبل ، أحمد الشامى :الحضارة ، ص ١٠٠ .

(٤) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٤٤ .

(٥) عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الإسلامى (القاهرة ، ١٩٥٧م) ص ٣٣-٣٧ .

(٦) عبد الرحمن زكى : السلاح فى الإسلام ، (دار المعارف ، ١٩٥١م) ، ص ١١٠ .

(٧) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٧٠ ، الجنابى : الجيش ، ص ٢٥٩ .

(٨) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٧٠ .

وأجاد السلاجقة استخدام سيف يسمى القليج[1] وهو طراز من النصال يتحول فيه الظهر أو ينتقل من نصل ذى حد واحد قبيل الطرف إلى حدين بزاوية واضحة ، استعمله الأتراك ، ثم انتقل إلى إيران ونلاحظ أن وجه الاختلاف بين القليج التركى والشمشير[2] الإيرانى ينحصر فى الجزء النهائى من النصل ففى الشمشير يتجه تقوس الظهر تقريبا مع تقوس النصل ، أما فى القليج فيقف انحناء الظهر على بعد عشرين أو خمسة وعشرين سنتمترات من طرف النصل ، ثم يأخذ فى التضخم مرة واحدة وينشأ حدان قاطعان[3].

ويؤدى القليج وظيفتى الطعن والقطع على عكس الحالة تماما فى الشمشير الإيرانى الذى يعتبر أكمل الأسلحة للقطع فقط[4] ، ويوجد فى متاحف الفنون والسلاح فى العالم عدد وفير من القليجات[5] . والقليج هو ذلك التطور الذى طرأ على السيف الإسلامى الأول منذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) نظرا لاحتكاك المسلمين بالترك الذين كانوا صناعا مهرة للسلاح نظرا لثروة "جبال ألطاى"[6] المعدنية الكثيرة فى بلادهم[7] ، وشهرتهم بأنهم فرسان مهرة ، وعلى الرغم من قامتهم المستقيمة كانت هناك انحناءة أو تقوس فى أرجلهم من

---

(١) القليج : هو السيف بالتركية أو "تيغ" ، ويقال قليجچى لصانع السيف وقليجخانه (مصنع السيف) وقليجلى لحامل السيف ، أنظر : . Altay : Tugrulbey, p. 84 ، عبد الرحمن زكى : السيف ص ١٤٩ ، هامش (١) .

(٢) الشمشير : السيف بالفارسية ، وهو سلاح للقطع ضيق النصل لكنه سميك وينقش عليه اسم صانعه، وامتازت قبضته ببساطتها وخفتها ، ولها واقية على شكل الصليب المفرد ، وإذا ضرب به سمع له صوت رنان، زكى : السيف ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ١٤٩- ١٥٤ .

(٤) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ١٥٠ ، Altay : Tugrulbey, p. 84 .

(٥) يوجد فى المتحف الإسلامى بالقاهرة تحت أرقام ٣٥٨٧ شكل ٥٦ ، ٥٦ ب ، ورقم ٦٢٠٥ شكل رقم ٦٥ ، وفى متحف طوب قابو سراى : باستانبول تحت أرقام متعددة .

(٦) جبال ألطاى : هى الجبال التى أحاطت ببلاد الترك فى آسيا الوسطى ، بارتولد : تاريخ الترك ص أ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٧) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٧٦ .

كثرة ركوبهم الخيل[١] ، وكان المتطلب أن يكون لديهم سيف بتار قاطع يسهل للفارس التركى التحرك به على قدميه وهو أمر لايتيسر إلا بانحناء هذا السيف ، الذى كان له قدرة كبيرة على القطع ذلك لأن موضع السيف فى أثناء القطع يتحرك مع فارسه[٢] .

وقد اهتم السلاجقة وفرسانهم اهتماما كبيرا بأجزاء السيف كالغمد[٣] ، والحمل[٤] ، فقد ذكر القلقشندى[٥] أنه لما تولى طغرلبك السلطنة ، وقابل الخليفة القائم لأول مرة سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م خلع عليه سبع جبات سود وعمامة سوداء ، وطوق بطوق من ذهب ، وأعطى سيفا بغلاف من ذهب . والمكان الذى يصلح لضربات السيف المناطق المزودة بالحديد ، وضربات السيف أنواع ، أبدع فيها فرسان السلاجقة[٦] .

– القوس :

من أقدم أسلحة القتال ، واستخدم أيضا فى الصيد[٧] ، وقد اشتهر منه القوس التركى والفارسى ، ويتألف القوس البدن والوتر ، والمحسب وهو مقبض الرامى ويصنع الوتر من خيوط مفتولة أو شراك جلد ، ويصنع من الحديد[٨] وكان له وعاء يوضع فيه[٩].

---

(١) عبد السلام فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى إيران (دار المعارف ، ١٩٨١م ، ص ٢٠-٢٨ .

(٢) أحمد رمضان : الحرب الصليبية ، ص ٨٧-٩٤ .

(٣) الغمد : هو جفن السيف أو قرابه ، يجمع على أغماد يقال أغمدت السيف أو أقربته أى جعلته فى الغمد ويجمع قراب على أقربة ، وهو ما يوضع فيه السيف عندما لايسل ، وللغمد حمائل ويطلق عليها أيضا نجادة وجمعها نجد ، ويحلى الغمد برصائع وهى حلق مستديرة تحلى بها السيوف ، وينتهى الغمد من أسفله بقطعة معدنية النصل تكون من الحديد أو الفضة وأحيانا من الذهب ، ويلاحظ فى أغماد السيوف السلجوقية. أن الجزء الخلفى القريب من مقبض السيف له فتحة تساعد النصل على الانزلاق بسهولة فى داخل الغمد والخروج منه ، وتحلى الأغماد بنقوش منقوطة على الجلد ، ويخشن الجلد فى بعض الأحيان . لمزيد من التفاصيل : راجع ، عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤) حمل السيف : وعندما يكون السيف داخل غمده يعلق فى زنار يلتف حول وسط حامله أو يعلق فى حملية (نجادة) على أحد الكتفين ، عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٢٢٣ .

(٥) صبح الأعشى : جـ٣ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٦) أحمد رمضان : الحركة الصليبية ، ص ٨٧-٩٤ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ابن الجوزى : المنتظم : جـ١٦ ، ص ١٢٥ ط. بيروت ، عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٣٣ .

(٨) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ .

(٩) أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ١٤٧ .

وقد تميز الأتراك السلاجقة بالرمى بالقوس ، وكانت لهم مقدرة كبيرة على حملها[١] ، وقد تميز القوس السلجوقى بالخفة ، وكان هو السلاح الرئيسى للأتراك بجانب السيف[٢] .

– الرمح :

عود طويل فى رأسه حربة ، يتراوح طوله من خمسة أذرع إلى سبعة ، وهو خاص بالفرسان، فكان يطلق على الرماح القصيرة مربوعات ، وعلى الرماح الطويلة (الطوال)[٣] ومنها المتشعب والعريض ، والرفيع ، والمستوى ، والمموج وغيرها[٤] . وقد تميز الرمح السلجوقى بالخفة مما ساعدهم كثيرا على سرعة الضرب والحركة[٥] .

– الترس :

صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل فى اليد يتلقى بها ضربة السيف ونحوه ، وكان الترس من أسلحة الدفاع الرئيسية فى الجيش السلجوقى[٦] ، وسمى أيضا بالجحفة ، والدرقة ، والمجن ، وكان يصنع من الخشب المغطى بالجلد ، والجحف هى التروس من جلود بلاخشب ، ولاعقب ، وجمع الترس على تراس وتروس[٧] .

– الهراوة :

قطعة حديد ، لها رأس أيضا من حديد ، بارز منها نتوءات مسننة كطرف الحراب ، وكانت مستخدمة لضرب الدروع ، وكان الفارس السلجوقى يضرب على الخوذة بالهراوة والسيف معا مستخدما السيف فى اليد اليمنى والبراوة فى اليسرى ، أو يكتفى بالهراوة فقط ودرعه المستدير الصغير[٨] .

---

(١) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) سميل : نفسه ، ص ٧٨ .

(٣) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ .

(٤) الخالدى : النظم ، ص ٣٣٥ .

(٥) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٦) سميل : نفسه ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٧) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ٤٦٥٦ ، عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢٦ .

(٨) أحمد رمضان : الحركة الصليبية ، ص ٨٧ – ٩٤ .

- السهام :

من آلات الرمى الشهيرة ، وكانت سهام السلاجقة خفيفة ، فكانت تخترق الدرع للعدو ، وكانت فائدتها القضاء على تماسك العدو ، وقتل خيوله ، وكان بوسع الأتراك الرمى بالسهام ، فكانت أشبه بصاروخ معاد[١] .

- الحربة القصيرة - المسمار :

لضرب العدو عن بعد ، لأنها كانت تصوب لمكان أبعد[٢] .

- المنجنيق :

من أشهر الأسلحة الثقيلة ، وأشدها تأثيرا وبخاصة فى الحصار ، ويتألف من عامود طويل قوى موضوع على عربة ذات عجلتين فى رأسها حلقة أو بكرة يمر بها حبل متين وطويل فى طرفه الأعلى شبكة على هيئة كيس توضع فيه الحجارة ، أو برميل فيها مواد ملتهبة ثم يحرك ويرفع العمود على جراراته بواسطة رجال ، فيندفع من الشبكة ما وضع فيها من القذائف ويسقط على الهدف ، فيقتل أو يحرق[٣] ، وقد استخدمه الفرس والعرب والأتراك والبيزنطيون واستخدمه السلاجقة فى حروبهم خاصة فى ضرب القلاع والحصون والمدن الكبيرة، فقد استخدمه [٤] طغرلبك فى حصار ملاذكرد سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م[٥] ، وقد ضرب به تتش مدينة طرابلس سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م .

- العرادة :

من الأسلحة الثقيلة ، وهى تشبه المنجنيق فى هندستها واستعمالها ، بل اعتبره البعض من أنواع المنجنيق ولكنه أصغر منه [٦] .

---

(١) سميل : الحروب الصليبية ص ٧٨ .

(٢) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢٣-٢٦ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٠ ، ص ١٧١ ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ص ٤١٤٢ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٣٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٧ ، لبن ارينغاد الزدكاش : الأنيق فى المناجنيق ، تحقيق : إحسان هندى ، (دمشق ، ١٩٨٥م) ، ص ٢٣-٣٠ .

(٦) الخالدى : النظم ، ص ٢٩٤ .

- الجروخ :

هى آلات حربية تستعمل لرمى السهام ، والحجارة ، حجمها أصغر من العرادة ولها أقواس كبيرة تشد بوتر توضع بها السهام والمواد المشتعلة ، والحجارة لرميها من مسافات بعيدة[١] .

- النشابة :

يطلق عليها اسم السهم ، أو النبل ، وجمعها نشاب وتصنع من أنواع معينة من عود الشجر ، وأحسنها ما يكون مصنوعا من النبغ والأخشاب الصلبة ، ولا تستعمل إلا مع القوس لأنها تكمله[٢] .

- الدروع :

ثوب يسج من ذرد الحديد يلبس فى الحرب ، وتصنع من الحديد أو الفولاذ أو الكتان[٣] .

- الشبارة :

سفينة حربية صغيرة استخدمت فى العراق فى العصر البويهى والسلجوقى ، وكانت تشحن بالرماة من حملة القس والسهام ، وتجمع على شبارات ، وهى سفينة نهرية صغيرة[٤] .

- الخوذة :

قطعة واحدة من الحديد ، وهى من آلات الحرب ، تلبس لرقاية الرأس ، وتجمع على خوذ[٥].

- الخنجر :

"صلت" ، وهو السكين الكبير ، استعمل فى كل البلدان الإسلامية ، وله مقبض ، ويصنع غالبا من العاج[٦] .

---

(١) الخالدى : النظم ، ص ٢٩٤ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص ٤٤٢٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٦ ، ص ١٢٥ ، ط. بيروت .

(٣) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ .

(٤) درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، دار المعارف ١٩٧٩م ، ص ٧٢-٧٣ .

(٥) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ ، ٢٣ .

(٦) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢١ ، ٢٣ .

– الدبوس :

آلة حربية من حديد ، وكانت تستعمل فى تهشيم الخوذة المعدنية ، يحملها الفرسان فى السروج تحت أرجلهم ، وكانت تعرف بالعمد[١] .

أما عن تسجيل هؤلاء الجند والفرسان ، فكان يسجل كل جندى من الجيش السلجوقى فى الجريدة السلطانية[٢] وتعيين وظيفته وراتبه[٣] ، أما الجند النظامى فكانوا يسجلون فى دفاتر خاصة فى ديوان عرف بديوان الجند ، ويطلق عليه (الجرائد الديوانية) [٤] ، ويسمى هذا الديوان ديوان العرض ، أو ديوان عرض الجيش[٥] ويختص بالشئون الآتية :

١- تنظيم سجلات بأسماء الجند الذين تتوفر فيهم شروط معينة ، وهى البلوغ والحرية والإسلام وسلامة الجسم من العاهات التى تمنعه من القتال[٦] .

٢- ترتيب أسماء الجند تبعا لأجناسهم ، وأوصافهم ، وبلدانهم الأصلية ، وكان الغرض من هذا الترتيب معرفة أصل الجندى ، وجنسيته لأن ديوان العرض ضم أجناسا من العرب والأكراد والأتراك والديلم وغيرهم منْ الأجناس[٧] .

٣- تقدير العطاء لكل جندى ، وذلك حسب كفاءته ومقدرته على القتال[٨] .

---

(١) عبد الرحمن زكى : السلاح ، ص ٢٦ .

(٢) حسن أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ١٢٢ .

(٣) يطلق على الراتب العسكرى (الأطماع) مفردها طمع وهو رزق الجند ، وقيل أطماع الجند أوقات قبضها أيضا . أنظر : لسان العرب مادة (طمع) ، نظام الملك : سياسة نامة ص ١٣٩ هامش(١) ، أنورى : اصطلاحات ص ١٢٢ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٤ .

(٥) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ .

(٦) الخالدى : النظم ، ص ١٥٥ .

(٧) شاكر مصطفى : دخول الأتراك ، ص ٣٣٠ ، ٣٢٣ .

(٨) أنورى : اصطلاحات ، ص ١٢٢ .

٤- إسقاط من يموت من الجند ، أو يفقد اللياقة العسكرية من سجلات الديوان بسبب مرض ، أو عاهة أو غيرها من الأسباب[1] . ويتولى إدارته "العارض[2] رئيس ديوان العرض.

ولقد حرص سلاطين السلاجقة العظام على قوة جيوشهم ، وزيادة أعدادها ، ويرى نظام الملك أن قوة الجيش يجب أن تصل إلى سبعمائة ألف رجل ، وذلك لإيمانهم بأنه مازاد جيش السلطان إلا زادت قوته ، وولايته ، وما قل جيشه إلا قلت ولايته ، لأن الممالك تصنع بالرجال، ويصنع الرجال بالمال[3] .

ولقد أطاع الجند السلجوقى قوادهم ، ومقدميهم ، ونقباءهم ، بل والسلطان نفسه طاعة لامثيل لها ، وخير دليل على ذلك هو حركة الفتح المستمرة ، المتعاقبة التى قام بها هؤلاء الفرسان مع أسيادهم[4] ، فقد كان الترك جنوداً مهرة فى القتال منذ نعومة أظفارهم[5] .

وحدث فى بعض المرات أن عصى الجند أسيادهم ، ففى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وبعد دخول طغرلبك بغداد ، أحدث جنده ، صداما مع العامة ، أدى إلى تذمر الخليفة والعامة ، أدى إلى تذمر الخليفة والعامة منهم ، ولم يستطع طغرلبك كبح جماحهم[6] ، وعاتبه الخليفة فى ذلك[7].

وفى سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، عندما أمر طغرلبك بالخروج لمحاربة الفاطميين ، وأنصار البساسيرى بعد هزيمة السلاجقة فى موقعة سنجار[8] ، رفض الجند الخروج وقالوا "هذه بلاد

---

(١) الخالدى : النظم ، ص ١٥٥ .

(٢) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ .

(٣) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٨ - ٢٠٧ .

(٥) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ٧٧ .

(٦) ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ٥٦٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ص ٥٧ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ص ١٩٣ ، البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٣٩٩-٤٠٣ .

(٨) عنها ، أنظر : ابن الأثير ، الكامل جـ٩ ص ٢١٧ ، القزوينى : آثار العباد ، ص ٣٩٣ .

خربة وليس بها أقوات ، ولا علوفات ولم يبق معنا نفقات ، ونحن عاجزون عن القيام على ظهر خيولنا ونستأذن فى العودة إلى أهلنا ، فقد طالت غيبتنا عليهم ، فقبض طغرلبك على جماعة منهم وقيدهم ، واعتقلهم أياما ، ثم شفع فيهم وزيره عميد الملك الكندرى فأطلقهم[١].

ولقد فطن الوزير نظام الملك إلى نفسية الجند السلجوقى ، فكان أعلم بها من السلطان نفسه ، والدليل على ذلك موقفه من أولئك الأمراء الخارجين عن ملكشاه ، والذين انضموا إلى عمه قاورد بك ، ومطالبة نظام الملك (ملكشاه) بالعفو عنهم[٢] .

ويعطينا ابن الأثير [٣] مثالا آخر على بعد نظر نظام الملك ، ومعرفته بأدق جزئيات الجيش السلجوقى ففى سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ، فى أثناء استعراض السلطان ملكشاه لجيشه ، أسقط منه سبعة آلاف جندى ، لم يعجبه حالهم فاعترض نظام الملك ، وقال للسلطان "إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ، ولاخياط ، ولا من له صنعة غير الجندية ، فإذا أسقطوا لا تأمن من أن يقيموا رجلا منهم ، ويقولوا هذا هو السلطان ، فيكون لهم أمر ، ويخرج من أيدينا أضعاف مالهم" ، فلم يقبل السلطان ملكشاه مشورته ، فسار أولئك الجند إلى أخية تتش فقوى بهم .

أساليب السلاجقة فى القتال : (التكتيات السلجوقية) :

لقد كان السلاجقة فرسانا بطبيعتهم ، وكانوا على اختلاف أعمارهم يقضون معظم حياتهم على ظهور الخيل فى بيئة بدرية لاتعرف غير الحرب والقتال ، وهى البيئة التى نشأوا فيها وهاجروا منها[٤] ، ومن بين كافة الشعوب الأسيوية التى هاجرت من آسيا الوسطى ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ص ٢٨٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ص ١٣٥ .

(٣) الكامل ، جـ١٠ ، ص ١١٨ ، ١١٩ ، ولم تثبت المصادر عصيان جند السلطان ألب أرسلان عليه فى أى من معاركه ، وخيرد ليل على ذلك معركة مانزكرت وانتصاره الباهر على البيزنطيين ، أنظر : القزوينى : لب التواريخ ، ص١٠٥ ، ١٠٦ البندارى : آل سلجوق ، ص ٤٠-٤٤ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٩-١٩١ ، ستفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ١ ص ١٠٧-١٠٩ ، أحمد الشامى : العلاقات، ص ٣٤، ٣٥ ، فايز اسكندر : موقعة ملاذكرد وصداها فى القسطنطينية ، ص ٤ ومابعدها .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥-١٤٧ ، ابن بى بى : سلجوق نامه ، ص ١٠ ، ١١ .

كان الأتراك وهم الذين أثارت صفاتهم العسكرية الإحساس الشديد بالخوف والإعجاب فى آن واحد[١] لدى مؤرخى العصور الوسطى خاصة مؤرخى الإفرنج[٢] .

لقد تعددت التكتيكات السلجوقية فى القتال والحرب ، وكان جيشهم كأى جيش إسلامى خماسيا أى : مكونا من : مقدمة ، ومؤخرة ، وقلب ، وميمنة ، وميسرة[٣] ، ولكن تشكيلات الحرب والقوات المتعددة الجنسيات التى كان يتكون منها جيش السلاجقة كان لابد من تنظيمها[٤] .

فقبل المعركة كانت تشكيلات قوات الأتراك السلاجقة على هيئة صفوف متراصة ، يحملون سيوفهم وأقواسهم ويبدو متأهبين للقتال فى أية لحظة[٥] ، بالإضافة إلى صيحاتهم المتعالية لمحاولة منع عدوهم من الاقتراب[٦] وإرهابه بصوت طبولهم التركية القوية ، التى لم تكن أصواتها على وتيرة واحدة ، مما يدخل فى روع السامع لها أنها ذات طابع همجى[٧] .

فإذا ما بدأت المعركة كان للأتراك السلاجقة أساليب وتكتيات أثارت إعجاب أعدائهم ، وظلت معمولا بها حتى وقت متأخر من القرن الثامن عشر الميلادى ، ومازالت تدرس فى كثير من كليات الأركان العسكرية للآن[٨].

وكانت أول ميزة من مميزات الحرب لدى السلاجقة هى تكتيكات الرماة والفرسان التى سببت أكبر صعوبة أمام الزحف الصليبى فيما بعد[٩] ، وضد أى عدو يدخل معه فى معركة ،

---

(١) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٦ ، أحمد رمضان : الحروب الصليبية ، ص ٨٧ .

(٢) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٦ .

(٣) أبو نصر مبشر الطرازى : عسكريت در إسلام (قاهرة ذى الحجة ١٤٠٦هـ/اكست ١٩٨٦م) ، ص ٢٦-٣٣ ، أنورى اصطلاحات ، ص ٣٨ .

(٤) شاكر مصطفى : دخول الأتراك الغز الشام ، ص ٣٢٠-٣٢٣ .

(٥) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٦ ، أحمد رمضان : العلاقات بين الشرق والغرب ص ٨٧ .

(٦) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ترجمة د/حسن حبشى ج٣ ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٤م) ص ٢٥٣ .

(٧) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧ .

(٨) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧-٩٤ .

(٩) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٦ .

وبما أن كل جيوش العصور الوسطى كانت تعتمد على الفرسان ، لكن الفرسان السلاجقة تميزوا عن غيرهم بالسرعة والمرونة فى القتال والمناورة ، ويرجع السبب فى خفة حركتهم هذه إلى سرعة خيولهم ، ورشاقتها[١] وخفة أسلحتهم ، إذ كان سلاحهم الرئيسى القوس كما كانوا يحملون السيف والترس والرمح والهراوة[٢] .

وهناك أدلة على أن الرمح والترس السلجوقيين كانا أخف منهما لدى الصليبيين ، ولم يكن ترس السلاجقة شبيها بترس الصليبيين الذى كان قريبا من شكل الطائرة الورقية الطويلة ، بل كان ترسا مستديرا صغيرا ، وخفيف الوزن[٣] .

ولقد كان السلاجقة بمساعدة خيولهم السريعة ، وأسلحتهم الخفيفة أقدر على التحرك[٤] ، وقد جاءت خفة الحركة هذه من تفوق عنصر الفرسان على عنصر المشاة فضلا عن أن تدريع الفارس السلجوقى كان خفيفا ، ولو أضفنا إلى ذلك القدرة التى تميز بها الفارس الرامى السلجوقى من قدرته على إصابة الهدف بدقة فى أثناء امتطائه حصانه وهو يعدو به عدوا سريعا وكذا سرعة عدو الحصان نفسه على مدى الرمى ، لكانت لدينا قدرة فائقة على إحداث خسائر كبيرة فى الخصم ، وفى ذات الوقت سرعة اقتراب كبيرة فى المنطقة الحرام حتى الوصول إلى خط الأمام للعدو ، وتغيير أداة الفارس من القوس إلى أداة الجسم وهى السيف[٥] .

ولقد استفاد السلاجقة فوائد رئيسية من قدرتهم الفائقة على التحرك بسرعة :

أولا : مكنتهم خفة الحركة من البقاء على بعد معين من عدوهم ، واختيار لحظة التى يكونون فيها مستعدين للاشتباك معه[٦] ، وكان رماة السهام من الفرسان السلاجقة مهرة

---

(١) مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشى (دار الفكر العربى ١٩٩٨م ، ص ٤١، ٤٢ .

(٢) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٧ .

(٣) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٨ ، أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٨ .

(٤) ونسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ١ ص ١٥٦ .

(٥) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧-٩٤ .

(٦) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٨٧ .

جدا فى رميها ، فلم يكن أسلوبهم هو الرمى المنفرد ، وإنما الرمى الجماعى فى صورة رخات على العدو ، وجعلوا رخاتهم تنحصر فى هدف واحد هو الفرس ، ولذلك نجد أن أكبر خسائر أعدائهم كانت فى الخيل[١] .

فإذا ما جرت محاولة لمهاجمة الرماة السلاجقة كانوا مستعدين للتراجع ، ويخيل للناظر أنهم آثروا السلامة بالفرار ، وكانت جموعهم تتفرق ، لكنهم فى الحقيقة كانوا دائما يعودون إلى القتال ، وهكذا يكون تراجعهم الأول تراجعا تكتيكيا ، مما كان سببا فى نصرهم دائما ، ولم تكن هذه المناورة السلجوقية تجرى على نمط واحد بل كانت تتخذ صورا مختلفة ، ففى بعض الأحيان استمر تراجعهم عدة أيام بقصد إرهاق وإنهاك العدو ، واستدراجه بعيدا عن مراكز تموينه وقواعده ، كما كان تظاهرهم بالهزيمة أيضا محاولة لخداع العدو ، وجره إلى الكمين المنصوب له للقضاء عليه فى مناطق قتل مناسبة[٢] ، ولقد اتبع السلاجقة هذا الأسلوب مع الغزنويين فى داندنقان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م[٣] كما استعملوه مع الصليبيين فيما بعد[٤] .

ثانيا : استعمل السلاجقة هذه المناورة كطعم لوضع العدو فى كمين ، وكانوا بارعين فى حرب الكمائن فاستخدموا قوات قليلة العدد من الفرسان لإغراء العدو على مهاجمتهم ، والقضاء عليهم ، وهو أسلوب يمكننا أن نطلق عليه (تحريض العدو على الهجوم) ، وعندما كان يتحرك العدو لمهاجمتهم كانت هذه الجموع الصغيرة من فرسان السلاجقة ، تقوم بإغراء ، واستدراج فرسان عدوهم لإيقاعهم فى الكمين حيث القوة الرئيسية للفرسان السلاجقة ، التى تظل مختفية حتى اللحظة الحاسمة[٥] . وهذا النوع من القتال ونقصد به حرب الكمائن لا يحقق نصرا كاملا وحاسما ، ولا يعتمد عليه إلا إذا كانت طبيعة الأرض تسمح باختفاء القوة

---

(١) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧-٩٤ .

(٢) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٨ ، أحمد رمضان ، العلاقات ص ٨٨ .

(٣) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٨٣ ومابعدها .

(٤) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، جـ٣ ، جـ٤ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١٧٤.

(٥) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٩ .

الرئيسية للكمين ، كما لا يؤخذ بهذا الأسلوب القتالى إلا عند الحاجة للحصول على الأسرى لاستيفاء المعلومات منهم ، أو للعمل على إضعاف الروح الهجومية للعدو بكثرة بث هذا النوع من الكمائن[١] .

ثالثا : استغل السلاجقة قدرتهم على التحرك كأسلوب مهاجمة جناحى العدو ، ومؤخرته ، فكانوا يطوقون عدوهم فى أكثر من موضوع مثل النحل ، ويهاجمونه من كل جهة ، ويحيطون به من جميع الجهات[٢] ، كالحزام أو مثل الكرة حول محورها[٣] ، أو كما لو كانوا يحاصرون مدينة[٤] ، فإن لم يستطيعوا تطويق العدو وسعوا أجنحتهم إلى أقصى حد ممكن حتى يطوقوا عدوهم من الجانبين على الأقل[٥] ، وهذا النوع من التكتيك يحتاج إلى تفوق عددى فى بعض الأحيان ، ولكن السلاجقة استخدموه تحت كل الظروف فى حالة تفوقهم العددى على خصمهم ، أو فى حالة افتقادهم للقوة العددية[٦] ، ولقد سبب هذا الأسلوب الكثير من الارتباك للأعداء الذين كان عليهم أن ينظروا دائما إلى ماوراء أكتافهم[٧] .

رابعا : أما الفائدة الرابعة التى استفادها الأتراك من قدرتهم على التحرك ، فكانت مهاجمة العدو وإرغامة على القتال فى أثناء الزحف نحو المكان المقترح للمعركة[٨] ، وكان السلاجقة فى أسلوبهم هذا يقومون بمهاجمة مؤخرة الجيش المحارب لهم ، وكان هذا الأسلوب القتالى مزعجا ومربكا لأعدائهم الذين درجوا على خوض المعارك بعد صف قواتهم وفرسانهم

---

(١) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٩ .

(٢) سميل : الحروب الحروب الصليبية ، ص ٧٨ .

(٣) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٨ .

(٤) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، جـ٣ ، ص ٣٢٣ ، مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٥) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .

(٦) أحمد رمضان : الحروب الصليبية ، ص ٨٩ .

(٧) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .

(٨) أحمد رمضان : الحرب الصليبية ، ص ٨٩ .

فى هيئة القتال (أى مقدمة وميمنة وميسرة وقلب ومؤخرة) [١] ، مما ترك أثرا رهيبا فى نفسية الجند الصليبى فيما بعد[٢] .

وهناك أسلوب آخر تميز به فرسان السلاجقة عن غيرهم وهو الرمى بالسهام ، وكما سبق القول لم يكن رميهم منفردا ولكن جماعيا على شكل رخات على خيول العدو[٣] ، كما استعملوا القوس ورموه وهم على السرج بمهارة عالية ، فكان الفارس السلجوقى يستطيع الرمى بسهمه من فوق فرسه فى أثناء عدوه ، ولم تقتصر هذه المهارة على قدرته على إطلاق سهمه فى أثناء تراجعه ، ولكن كان بوسعه أن يدور على السرج ، ويطلق السهام التى وصفها الكتاب اللاتين بالمطر ، والعاصفة ، والبرد ، والغيوم أو العاصفة المطيرة[٤] وهذا يقف دليلا على أن الرمى لم يكن منفردا ولكن جماعيا .

كما كان باستطاعتهم فى حالة الارتداد أن يتحولوا فوق سروجهم دون أن يتوقفوا ويترجلوا ويصوبوا سهامهم نحو مطارديهم ، ويستهدف هذا الأسلوب القضاء على تماسك العدو[٥] ، وخاصة أن رميهم بالسهام كان يستهدف الخيل التى قتل العديد منها نتيجة السهام التركية ، وكثيرا ما أصيب الأعداء بضعف خطير بسبب فقدان الخيول[٦] .

وكانت السهام وسرعة رميها وكثرتها ، تحدث توترا عصبيا متواصلا على الجنود فى جيوش أعدائهم وكانوا يلجأون إلى إبطال ذلك الأسلوب بالاقتراب على نحو متلاحم من الجنود الذين يستعملونه ، ولذلك كان بوسع الأتراك السلاجقة الرمى بالسهام أكثر ، وتحريض عدوهم على الهجوم ، ومن ثم التخلى عن تشكيلهم[٧] .

---

(١) أبو مبشر الطرازى : عسكريت در إسلام ، ص ٢٦-٣٣ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ٣٨ .

(٢) أحمد رمضان : العلاقة ، ص ٨٩-٩٠ .

(٣) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٨٧ - ٩٤ .

(٤) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، أجزاء ٢ ، ٣ ، ٤، سميل : الحروب الصليبية ص ٧٩ .

(٥) أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٩٠-٩٢ .

(٦) مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨٧-٨٩ .

(٧) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

ولم تكن الأساليب السابقة الذكر تغنى السلاجقة عن القتال المتلاحم ، لتحقيق النصر الحاسم فى المعركة فكانوا عندما يجدون الفرصة المناسبة للاقتراب والتلاحم ، يعلقون أقواسهم على أكتافهم ويتلاحمون مع عدوهم ، وسلاحهم فى هذا التلاحم السيف والرمح والهراوة[١] .

وقد جرت عادة الفرسان السلاجقة أن يبدأوا حروبهم وهم على مدى إطلاق القوس ، ولكى يحوزوا نتيجة المعركة ، يقتربون للتلاحم مع العدو ، محافظين على مسافة ما بينهم وبينه حتى يتمتعوا بحركة الحرية والاختيار بين الاستمرار فى القتال أو التخلى عنه بالانسحاب ، وكانوا لايقدمون على القتال المتلاحم ، إلا بعد أن يحدثوا تأثيرا هداما فى خصمهم بالمناورة التى سبق ذكرها[٢] .

مرتبات الجند السلجوقى وأطماعهم (أرزاقهم) - نظام الإقطاعى السلجوقى :

اهتم سلاطين السلاجقة أهتماما كبيرا بتعيين أطماع للجند[٣] ، وتحديد مقدارها وصرفها لهم فى أوقاتها المحددة ، بحضور السلطان السلجوقى ، أو وزيره ، أو أحد قواده ليؤلف قلوبهم على طاعته والاجتماع على أمره ، والحرص على خدمته ، والاجتهاد فى المعارك والتفوق فيها[٤] .

وكانت الإقطاعات [٥] العسكرية هى أهم أرزاق ومرتبات الجند السلجوقى ، وقد حل الإقطاع الحربى العسكرى ، محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش[٦] ، حيث فرقت الأراضى

---

(١) سميل : الحروب الصليبية ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) أحمد رمضان العلاقات ، ص ٩٠-٩٢ . أما المشاة والذين كانت مهمتهم أساسية فى الحصار وتزويد الجيش بالمؤن والمعدات ، والحرب فى المناطق الوعرة ، وأحيانا تدمج مع الفرسان فيرافق الفارس جندى من المشاة ، كانت أهميتهم فى الجيش السلجوقى تأتى بعد الفرسان ، والدليل على ذلك أن مشاة الجانب الخاسر فى المعركة كان مصيرهم الذبح . انظر : سميل : سميل ، الحروب الصليبية ص ٨٦-٨١ ، أحمد رمضان : العلاقات ، ص ٩٢

(٣) جسن أنورى : اصطلاحات ، ص ١٢٢ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٣٩ .

(٥) الإقطاع : ما يقتطعه ولى الأمر لنفسه ، أو يمنحه لغيره من أراض أو أى نوع من المال الثابت أو المنقول وتسمى الأرض المقطعة بالقطيعة والجمع قطائع أو إقطاعا والجمع إقطاعات ، وتطلق القطيعة أحيانا على الضريبة وتطلق أيضا على الجنود المقطعين ، وبذلك حين عممت الإقطاعات العسكرية ، وهناك الإقطاعات المحلولة وهى التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع بعد ، المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص ٧٥ ، ٧٦، ابن مسكويه ، تجارب الأمم جـ٦ ، ص ٩٦ ، ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٤٧٢ ، أحمد الشرباص : الإسلام والاقتصاد ، (القاهرة ١٩٦٣) ، ص ١٨٨ .

(٦) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٠-٢١ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٩ ، ١٠ .

إقطاعات على الجند ، وسلمت إلى كل مقطع قرية أو أقل أو أكثر كل على قدر طاقته وطاعته[(١)] .

وكانت ظاهرة إحلال الاقطاع محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش ، تمثل ظاهرة مهمة من مراحل تطور النظم الإقطاعية فى العالم الإسلامى[(٢)] ، لأنه كان من عادة الخلفاء الراشدين منذ عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وبنى أمية ، وبنى العباس والفاطميين ، أن تجبى أموال الخراج ، ثم تفرق فى الأمراء ، والعمال ، والأجناد على قدرتهم ، وبحسب مقاديرهم ، وكان يقال لذلك ، فى صدر الإسلام "العطاء"[(٣)] .

واستمر الوضع على ذلك ، أن يأخذ الجند أرزاقهم من ديوان العطاء ، حتى استبد الأعاجم والموالى بالخلافة العباسية بحيث لم يعد للخليفة العباسى من السلطة إلا اسمها ، أو كما عبر بعض المعاصرين : "لم يبق له سوى السرير والمنبر ، والسكة ، والختم على الرسائل والصكوك، والجلوس للوعود .."[(٤)] .

إلى جانب فقدان العالم الإسلامى منذ أوائل القرن الخامس الهجرى لموارده المالية من التجارة الدولية نتيجة هيمنة قوى أجنبية على البحار ، وانتزاع دور الوساطة فى "تجارة العبور" الدولية من المسلمين ، الأمر الذى أدى إلى تدهور الطبقة البورجوازية والتمهيد لسيادة الإقطاعية[(٥)].

ويضاف إلى ذلك ابتلاء العالم الإسلامى بموجات بدوية رعوية انطلقت من الأطراف لتسيطر على القلب (المراكز) وتقيم نظما عسكرية تكرس الإقطاع ، كالسلاجقة ، والأتابكة ، والمماليك[(٦)] .

---

(١) المقريزى : السلوك ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢١ .

(٣) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص ١٥٣ ، الخطط ، جـ١ ص ٥٣ ، ١٥٤ .

(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم ، جـ٢ ص ٣٤١ ، ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٠ .

(٥) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٩ .

(٦) محمود اسماعيل : نفسه ، ص ٩ ، ١٠ .

كل ذلك عجل بظهور الإقطاع العسكرى الذى حل محل الرواتب منذ منتصف القرن الخامس الهجرى الذى تمتع فيه المقطع بكافة حقوق الملكية[١] ، وأساء فيه المقطعون التصرف ليس فى إقطاع البلاد والقرى ولكن أيضا فى إقطاع حقوق بيت مال المسلمين لأنصارهم وحواشيهم[٢] .

ولقد ساد الإقطاع العسكرى العالم الإسلامى بأسره منذ منتصف القرن الخامس الهجرى عن طريق القوة والغلبة العسكرية[٣] ، وفى ذلك يقول الماوردى "الجند أحق الناس بالإقطاع"[٤] ، وهذا لا يعنى أن القرون الأربعة الأولى من الهجرة قد خلت من ظهور النظم الإقطاعية فى الدول الإسلامية ، فلقد أقر الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا النظام حين أقطع أناسا من مزنية أرضا بقصد تعميرها[٥] ، وقد سار الخلفاء الأربعة من بعده على ذلك، فكان أراضى الفتوح تقطع للقبائل لتشجيعهم على الهجرة إلى المدن المفتوحة [٦] ، لينضموا إلى صفوف المحاربين ، وقد أقبل شرفاء العرب على الهجرة من أجل الحصول على الإقطاعات[٧] ، وفى العهد الأموى توسعت الدولة فى توزيع الإقطاعات ، وبصفة خاصة أراضى الموات بهدف إحيائها ، وصار حفر الأنهار فى الإقطاعات ظاهرة مألوفة [٨] ، وعندما قامت الخلافة العباسية سار الخلفاء العباسيون على سياسة توزيع الإقطاعات على خواصهم وحواشيهم[٩] .

---

(١) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٩ ، ١٠ .

(٢) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١١ .

(٣) محمود إسماعيل : الإقطاع ، ص ١٩ .

(٤) الأحكام السلطانية ، ص ١٩٤ ، والماوردى من جيل القرن الخامس الهجرى .

(٥) ابن ابراهيم : الإمتاع فى أحكام الإقطاع ، ورقة ٢ ، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٢١٢ .

(٦) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٤ .

(٧) عبد العزيز الدورى : نشأة الإقطاع فى المجتمعات ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد العشرون ، ١٩٧٠ ، ص ٤ ، ٩ .

(٨) عبد العزيز الدورى : نفسه ص ٤ .

(٩) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١١ ، مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ص ٩٤ .

ولقد كان هذا النوع من الإقطاع الذى ساد العالم الإسلامى حتى منتصف القرن الخامس الهجرى إقطاعا مدنيا ، يشمل الأراضى المقطعة للملتزمين ، وعليهم سداد ما للدولة من خراج وضرائب[١] ، وإن كان هذا النوع قد ساد بعض العيوب فى العهدين الأموى والعباسى بسبب فساد بعض المقطعين الكبار ، الذين لم يترددوا فى إرهاق الأهالى ، وإثقالهم بأنواع مختلفة من الضرائب ، ليستطيعوا أن يؤدوا إلى الحكومة ما عليهم من خراج ، ويحفظوا مازاد لأنفسهم ، وكان تعسف الحياة مع صغار المقطعين سببا فى لجوء الكثيرين منهم للاحتماء فى كبار المقطعين ، وهذا ما يعرف بنظام الإلجاء[٢].

وفى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ظهر مايعرف بالضمان وهو المسؤول عن تسديد الخراج عن عدد من الإقطاعات ، وغالبا مايكون هذا الضامن من سادة البلد ، ثم يقوم بدوره بجمع الخراج من المقطعين[٣].

واستمر الوضع على هذا الحال حتى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م وهى السنة التى دخل فيها بنو بويه بغداد وتسلطوا على الخلافة العباسية[٤] ، فقام معز الدولة أبو الحسن أحمد البويهى ٣٢٠-٣٥٦هـ/٩٣٢-٩٦٧م ، باعتقال الخليفة العباسى المستكفى ٣٣٣-٣٣٤هـ/ ٩٤٤-٩٤٥م فى داره ، وضيق عليه حتى خلع نفسه من الخلافة ، وولى بدلا منه المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٦-٩٧٤م) ، وتسلم معز الدولة البويهى وجنوده من الديلم وغيرهم أعمال العراق ولاية وإقطاعا ، وأقطع قادته ، وأصحابه من أهل عصبيته ، وخواصه وأتراكه جميع ما امتدت إليه يده من ضياع الخلافة ، ولم يترك للخليفة سوى إقطاعات يسيرة[٥] ، وزاد على ذلك حتى أقطع أنصاره حقوق بيت المال فى ضياع الوعية [٦] .

---

(١) ابن سلام : أبو عبيد القاسم ، كتاب الأموال ، (بيروت ١٩٨١) ، ص ١٥٧ .

(٢) محمود اسماعيل : الإقطاع ص ١٩ .

(٣) فاضل الخالدى : تطور الحياة السياسية ، ص ٢٩٠ .

(٤) سكوية : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص ١٧٨ ، الدورى : نشأة الإقطاع ص ٤ .

(٥) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٤٤ ، ٢٤٦ ، ابن خلدون ، جـ٣ ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، جـ٤ ، ص ٤٣٥.

(٦) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٥ ص ٣٥٢ ، ٣٥٤ .

وقد أهمل المقطعون فى العصر البويهى عمارة ما أقطعوا ، فصار من السهل عليهم أن يخربوا إقطاعاتهم ويردوها ، فيعرضوا عنها من حيث يختارون[١] ، وازداد الأمر سوءا حين اعتمد المقطعون على وكلائهم فى إدارة إقطاعاتهم ، فقام هؤلاء بأعمال الظلم والمصادرات[٢] حيث عاملوا الفلاحين معاملة تنطوى على العنف والشدة فى الوقت الذى كان هؤلاء المقطعون لايدفعون الرسوم التى فرضتها الدولة على الأراضى المقطعة[٣] .

ويرجع السبب فى ذلك إلى قلة خبرة البويهيين الإدارية ، واضطراب الجند ، ومطالبتهم بالأرزاق مما أدى إلى خراب هذه الأراضى ، لأن أصحابها من القواد كانوا يسعون للحصول على المال فقط ، ومن ثم قل اهتمامهم بالأرض [٤]، وكان للأمير البويهى أن يستردها متى أراد[٥] .

وهكذا أدى سوء تصرف بنى بويه ، وأعوانهم إلى خراب البلاد ، فضلاً عن إقصاء السكان العرب عن بلادهم تدريجيا ، وكثرة الفتن والاضطرابات[٦] ، حيث أهلك السلطان البويهى دولته بإقطاع الإقطاعات ، وإيجاد الزيادات وتمزيق الأموال ، وتسليم الأعمال[٧] .

وهكذا أوجد بنو بويه ما يعرف بالإقطاع الحربى ، وجاء السلاجقة ، وابقوا على هذا النظام وعمموه فى كل بلادهم بعد أن أعادوا النظر فى النظم القائمة وعلاجها على النحو الذى بدا لهم وجعل السلاجقة من الإقطاع الحربى (العسكرى) ركنا مهما من أركان دولتهم ، وسياستهم المالية والعسكرية[٨] ، فأقطعوا أفراد البيت السلجوقى ، وجند السلاجقة كثيرا من الإقطاعات[٩] .

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ٦ ص ٧٩ .

(٢) ابراهيم طرخان : النظم ، ص ٢٣ .

(٣) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٦ ، ص ٣٧ ، ١٣٨ ، أحمد صادق سعد : تاريخ مصر الاجتماعى - الاقتصادى ، (بيروت ، ١٩٧٩م) ، ط١ ، ص ٣٤٦ .

(٤) طرخان : النظم الإقطاعية ص ٢٢ ، ٢٤ .

(٥) سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٢٣ .

(٦) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٤ .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ٦ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٨) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ ، أحمد صادق سعد ، تاريخ مصر ص ٣٤٧ .

(٩) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، إدريس : نظم السلاجقة ، ص ٢١٢ .

ويعتبر نظام الملك الطوسى أول من عمم الإقطاع العسكرى الحربى ، حينما فرق الأراضى على الجند على شكل إقطاعات[١] ، عندما رأى أن (الأموال لاتحصل من البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع - أى : إيراد أودخل - لاعتلالها ، ففرقها على الأجناد إقطاعات ، وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا ، فتوفرت دواعيهم على عمارتها.."[٢] .

ولقد طور نظام الملك كثيرا فى الإقطاع الحربى البويهى الذى لم يعترف بوجوده قبله ، كما لم يزعم بابتكاره[٣] ، فلقد عمم نظام الملك الإقطاع العسكرى بعكس الإقطاع البويهى الذى لم يكن عاما وشاملا ، فلم يشمل كل العسكريين كالإقطاع السلجوقى[٤] ، كما أن الإقطاع البويهى يعنى امتلاك الأرض أما الإقطاع السلجوقى فكان استغلالا للأرض ، بمعنى لم يملك المقطع حق الرقبة ، بل له حق الاستغلال أو الارتفاق ، وحتى إذا ورث الجندى أباه فإنه لايرث إلا حق الاستغلال فقط[٥] .

كما أن المقطع فى النظام السلجوقى كان يخضع لسلطة الدولة ، والحكومة السلجوقية ، وكان فى مقدورها نزع الإقطاع منه متى أرادت وذلك إذا رأت أن هذا المقطع لم يف بالالتزامات المفروضة عليه[٦] . كما أن الإقطاع السلجوقى كان محدود الأمد ، فلقد أجرى نظام الملك تعديلاته بهدف ضمان عدم الإساءة فى استخدامه ، لهذا نرى أن المقطعين كانوا يعملون جهدهم إلى تحسين إقطاعاتهم وتنظيمها والاستفادة منها ، وتنفيذ جميع الالتزامات المفروضة عليهم كى يكسبوا رضا الحكومة ويستمروا فى استثمارها[٧] ، لأنهم لا شأن لهم على الرعايا سوى تحصيل الأموال المستحقة لهم بالحسنى[٨] .

---

(١) حسين أمين : تاريخ الحكم ، ص ٢٢٢ .

(٢) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ .

(٣) حسين أمين : نظم الحكم : ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٥) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٢ .

(٦) الخالدى : النظم ، ص ١٧٨ .

(٧) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٣ .

(٨) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٦٧ .

واتخذ نظام الملك إجراء وقائيا حينما أدرك أن تعميم الإقطاع فيه خطورة على السلطة المركزية ، وعلى أحوال الأمن ، حيث فرق إقطاع الجندى الواحد فى بلاد مختلفة ، ولم يجعله جملة واحدة فى بلد واحد حتى لايقوى المقطع بما يكون له من عصبية وقوة ، قد تكون خطرا على الدولة(١) .

وأيد البنداري(٢) هذا حينما قال "وربما قرر - أى : نظام الملك - لواحد من الجند ألف دينار فى السنة فوجه نصفه على بلد من الروم - أى : فى الأملاك السلجوقية بآسيا الصغرى- ونصفه الآخر على أقصى خراسان ، وصاحب الإقطاع راض" .

وحدد نظام الملك الالتزامات الرئيسية لهؤلاء المقطعين ، وذلك بأن قرر عليهم كما يقول البنداري(٣) خدما عن عصمة ولاياتهم يوصلونها ، وقرر معهم الحضور إلى الخدمة وموالاة الخدمات للحضرة ، والوصول بالعساكر الجمة .

وكانت هذه الالتزامات الحربية خطيرة ، فبعد أن يؤدى المقطع أداء اليمين لسيده السلطان أو الوزير السلجوقى ، ولولى عهد السلطان أيضا ، عليه أن يمد السلطان بالخدمة الحربية ، فإذا عجز أخذ منه إقطاعه أو يؤدى مالا ، كما كان عليه أن يساهم فى حفظ الأمن فى الداخل والخارج ، فإذا عجز أخذ منه إقطاعه أو يؤدى مالا ، كما كان عليه أن يساهم فى حفظ الأمن فى الداخل والخارج ، وأن يسهم فى تسهيل وسائل الاتصال بين أطراف المملكة بتقديم خيول للبريد (الخبر) وأن يؤدى الالتزامات المالية المتعلقة بإقطاعة ، وعليه الاشتراك فى بعض الأعمال العامة التى تطلب منه(٤) .

وكان على الأمير المقطع أن يؤدى مبلغا سنويا للسلطان السلجوقى ، شريطة أن ينضوى هو وعدد من جنوده تحت لوائه عندما يخوض السلطان السلجوقى الحرب ، كما كان عليه أن يجهز جنوده بالمؤونة والعتاد على نفقته الخاصة(٥) .

---

(١) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٥ .

(٢) آل سلجوق : ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) آل سلجوق : ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٨٤ .

(٥) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧٤ .

وكان المقطعون خاضعين للسلطان السلجوقى فإذا حاول أحدهم الاستقلال بإقطاعه ، يقوم السلطان بعزله وإقطاع الإقليم لأمير غيره[١] ، وكان هؤلاء المقطعون مرتبطين بالسلطان السلجوقى مباشرة فيقيمون الخطبة باسمه فى بلادهم ، وينفذون أوامره ، ويشتركون معه فى قتال أعدائه[٢] .

وفى مقابل تلك الالتزامات ، ومدى إيفاد المقطع بها ، يتمتع بكافة الحقوق الأدبية والمادية التى يخولها له إقطاعه ، ومرتبته ، كأن يخاطب فى المكاتبات بأسلوب معين ، وألقاب خاصة، وأن يسمح له بعدد معلوم من "الطبول" تدق على بابه فى أوقات الصلاة ، وأن يلى من الوظائف ما يؤهله له درجة إقطاعة الذى يرتفق به أو يستغله[٣] .

وليس هذا فقط كان السلطان يرسل له الخيل والمنح كالقماش والطعام ، فضلا عن مقادير من المال عند ولاية سلطان جديد ، أو تولية ولى العهد وهذه هى (نفقة البيعة) ، وعند الاستعداد للحرب أو الغزو ، يخلع على المقطع أو يخلع هو على السلطان الخلع[٤] ، أو يكافأ المقطع بمصاهرة السلطان نفسه نظير أعماله وهذا أسمى شرف له ، وقد حدث ذلك سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م حينما أقطع السلطان ملك شاه ذلك الإقطاع الكبير الذى شمل الموصل وحران[٥] والرحبة ، وأعمالها ، وسروج والرقة والخابور[٦] لمحمد بن مسلم بن قريش

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ص ٢٤٨ ، إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧٤ ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ، ص ٢٤٨ .

(٣) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٤) طرخان : نفسه ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٥) حران والرحبة : حران بتشديد الراء ، وآخره نون ، قصبة ديار مضرة بين الرها والرقة على طريق الموصل والشام والروم ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٢٣٥ ، والرحبة : بضم أوله وسكون ثانية قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة ، وقيل إنها ناحية بين المدينة والشام قريبة من أم القرى ، ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص ٣٣ .

(٦) سروج والرقة والخابور : الرقة بفتح أوله وثانية ، مدينة مشهورة على الفرات الشرقى ، ياقوت ، جـ٣ ص ٥٩ ، الخابور بعد الألف باء موحدة ، وآخرة راء ، وهى الأرض الرخوة ذات الحجارة اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات ، وهى ولاية واسعة وبلدان كثيرة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

العقيلى[١] ، وبجانب هذا الإقطاع الضخم زوجه السلطان ملك شاه من أخته خاتون زليخة فتسلم ابن قريش جميع هذه الأعمال ماعدا حران التى امتنع مقطعها محمد بن المشاطر عن تسليمها له إلا بناء على أمر السلطان[٢] .

والمعروف أن القوة العسكرية العاملة تحت كنف السلطان السلجوقى ، كانت تعرف باسم "العسكر" على حين أطلقت كلمة الجند أو الجنود على القوات المحلية فى الإقطاعات[٣] ، أو التى كان يرسلها المقطعون للسلطان سنويا ولذلك انتشر الإقطاع الحربى فى العصر السلجوقى انتشارا كبيرا[٤] ، والنظام الإقطاعى هو الأساس الذى قامت عليه الملكية فى عهد السلاجقة، فزعماء السلاجقة يعتبرون أصلا زعماء أقوامهم ، ويرون أن حكمهم يمتد حيث ارتحل قومهم ، لأنه ليس مرتبطا أو محددا بمساحة معينة من الأرض ، وكان لكل قبيلة نصيبها من المراعى ، ويتولى زعيم القبيلة توزيعها على بطون القبيلة وفق ما ينطق به العرف والتقليد[٥] .

ربما أن إيران أصبحت قاعدة السلاجقة ، فمن الجائز أن يكون السلاجقة قد تأثروا بالعادات والتقاليد الفارسية الساسانية عن الحكم الاستبدادى ، فاعتبروا المملكة ضيعة للسلطان يمتلكها نيابة عن قومه ، وأخذ يقطع أراضى تلك المملكة على أقربائه ومؤيديه[٦] ، وقد حرص بعض المقطعين أن تكون هذه الأراضى ملكا لهم بفضل ماحصلوا عليه من امتيازات تتعلق بإقطاعتهم ، ففى منشور من السلطان ألب أرسلان لأحد أبنائه بإقطاع جيلان[٧]

---

(١) هو ابن الأمير مسلم بن قريش العقيلى الذى لعب دورا مهما فى فتنة البساسيرى فى بغداد ، وكان أميرا على الموصل ، انظر : الشيرازى : مذكرات داعى الدعاة ، ص ١٠٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٣) Sanaullh : The Desine of the Seljukulempire, p. 80 .

(٤) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٦ - ٢٨ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٣٤ ، حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٣ .

(٦) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٤٣ .

(٧) جيلان : بالفتح ، وجيلان قوم من أبناء فارس ، انتقلوا من نواحى اصطخر فنزلوا بطرف من البحرين فغرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٠١ .

وخوارزم ، وطلب اليه أن يسهر على مصالح السكان ، وأن يراعى النظم المعروفة فى جمع الضرائب ، ونصح السكان بالتزام طاعته ، باعتباره مالكا لهذه الجهات[١] .

وكان هذا التعميم السلجوقى للإقطاع لايتعارض مع الملكية الفردية ، ولاسيما لأنه يتعلق بخراج الأرض ، وليس الأرض نفسها ، غير أن المقطعين استغلوا الفلاح ، وأساءوا إليه[٢] .

ولقد اعتبر سلاطين السلاجقة العظام الأقطاع كنوع من المنح والهدايا والعطايا التى تقر بها عيون الأتباع يقول الراوندى "إن الطرق كثيرة لشكر نعمة الله ، ولكن خيرها حق رعاية الحقوق، لذلك أقطع السلطان خواصه الإقطاعات"[٣] .

فلما قرر السلطان ألب أرسلان أن يأخذ البيعة لابنه ملكشاه بالسلطنة ، وأقر الأمراء على ذلك خلع عليهم ، وأقطعهم الإقطاعات ، فكانت مازندران للأمير بيغو اينانج ، وبلغ لأخيه سليمان بن داود ، وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس[٤] ، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغون ، ومرو لابنه أرسلان شاه ، وولاية بقشور ونواحيها لمسعود بن أرتاش ، وولاية اسفزار لمودود بن أرتاش ، وهما من أقارب السلطان[٥] . وهذا ما يعرف باقتسام البلاد فى النظام الإقطاعى السلجوقى[٦] .

ولما آلت السلطنة إلى ملكشاه أصبح عصره مفرق الطرق فى تعميم الإقطاع العسكرى فى دولة إسلامية[٧] فقد أقطع مدنا بأكملها لخلصائه ، بل بلدانا كاملة إلى كبار دولته ، فأقطع وزيره نظام الملك بلدة "طوس" مسقط رأسه تعبيرا عن تقديره لكفاءته فى تدبير أمور الدولة[٨].

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٣ ، أحمد حلمى : السلاجقة ، ص ٢٠١ .

(٣) راحة الصدور : ص ٢٠٢-٢٠٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ، ص ٢٨٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٩ .

(٦) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٩ .

(٧) ابراهيم طرخان : النظام الإقطاعى الإسلامى ، مقال منشور بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٦ ، ١٩٥٧ ، ص ٧٢ .

(٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ورقة ١٤٢ .

كما أقطع أمراء العرب الخاضعين له الكثير من الإقطاعات الحربية ، منهم محمد بن مسلم العقيلى الذى أقطعة الموصل وحران والرحبة[١] ، وسالم بن مالك العقيلى أقطعه ملكشاه قلعة جعبر[٢]، بعد أن أخذ منه دمشق وحلب[٣] ، وأمر على بن المقلد بن نصر بن منقذ الكتانى العربى على سيرز ، وبعد وفاته انتقلت لابنه[٤] .

كما فاز الأمراء التركمان بنصيب وافر فى مملكة ملكشاه ، وحازوا نصيبا كبيرا من الإقطاعات فالأمير بوزان أقطعه ملكشاه سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م الرها وحران وقلعة حلب بعد أن فتحها فى السنة نفسها[٥] ، وأقطع الأمير أحمد ابن إبراهيم بن هوزان الروادى الكردى المراغة[٦] ، وبلغ ما يرسله إلى ملكشاه ٤٠٠,٠٠٠ دينار فى السنة ، وكان يركب فى خمسة آلاف فارس[٧] .

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، طرخان : النظم ، ص ٢٧ .

(٢) قلعة جعبر : على الفرات مقابل صفين ، وكانت تعرف بدوسر فتملكها رجل من بنى تغلب يقال له جعبر بن مالك فغلب عليها فسميت به ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٣٩٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، طرخان : النظم ، ص ٢٧ .

(٤) أبو نصر ابن منقذ فسلم إلى ملكشاه اللاذقية وفاصية وكفر طاب ودخل فى طاعته ، فأمره عليها ولبا وقطعها سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ص ٤٩٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ص ٣٣٢ ، ابراهيم طرخان : النظم ، ص ٢٧ .

(٥) أبو شامة : الروضتين جـ١ ص ٣٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٥ ص ١٢٥ ، والأمير بوزان أمير تركمانى خدم السلاجقة وأخلص للسلطان ملكشاه وساعد تتش فى دفع جيوش الفاطميين بقيادة بدر الجمالى، وكان مقتله على يدتتش سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م فانضم مماليكه إلى بركيا روق ابن ملكشاه حين نازعه تتش على السلطة ورماه أحمد مماليك بوزان بسهم فقتله سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م . عن ذلك أنظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١٨٥ ، ١٩٩ ، إبراهيم طرخان : النظم ، ص ٥٠ هامش(٢٩) .

(٦) المراغة : اشهر مدن أذربيجان ، وكانت تدعى "افرازهروز" فعسكر فيها مروان بن محمد حين ولاته لأرمينيه وأذربيجان ، وكانت دوابه تتمرغ فيها فجعلوا يقولون لها المراغة ، ياقوت معجم البلدان ، جـ٥ ص ٤٢١ .

(٧) أبو المحاسن : النجوم ، جـ٥ ص ٢٠٨ ، إبراهيم طرخان : النظم ، ص ٢٧ .

وشمل إقطاع الأمير قايماز الأرجوانى الكوفة[١] ، والأمير ياغى سيان أنطاكية وظل بها حتى زحف عليها الصليبيون فى الحملة الأولى[٢] ، ومن كبار الأمراء وأعيان القادة آق سنقر الملقب بقسيم الدولة أبو عماد الدين زنكى ، والذى كان من أصحاب ملكشاه ، وتربى معه ، فجعله من أعيان أمرائه ، وأخص أوليائه" حتى كان يخشاه نظام الملك ، ولذلك أشار على السلطان أن يوليه حلب وأعمالها واليا ومقطعا ليبعده عن السلطان ، وفى الوقت نفسه يتخذه سنداً له ، فأقطعه السلطان ملكشاه قلعة حلب وأعمالها ، وحماة ومنبج واللاذقية وما معها ، وظلت هذه الإقطاعات معه ، واحترامه قادة وملوك السلاجقة لولائه وجهاده معهم ، حتى قتل سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[٣] .

وكانت بغداد إقطاعا للشحنة نظير راتبه ، وعندما كانت تسوء العلاقة بينه وبين الخليفة يأمر الخليفة بإبداعه بغيره ويطلب ذلك من السلطان السلجوقى ، ففى سنة ٤٦٩هـ.١٠٧٦م أصدر الخليفة أمرا بإبدال إقطاع الشحنه كوهرائين بألف دينار ، فامتنع الشحنة وطالب بألف وثمانمائة دينار ، فكوتب نظام الملك فى ذلك وعوض الشحنة من عنده[٤] .

وكثيرا ما اعتدى السلطان السلجوقى على إقطاعات الخليفة ، ففى سنة ٤٥٣هـ/١٠٦٣م وعندما رفض الخليفة القائم زواج ابنته من طغرلبك[٥] ، وكانت له ضياع واسعة من واسط[٦] إلى صرصر[٧] ، كما كان لكبار رجاله .

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ٣ ص ٤٩٤ ، إبراهيم طرخان : النظم ص ٢٧ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص ١٧٤ .

(٣) أبو شامة : الروضتين : جـ١ ص ٢٧ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ٧٥ ، الباهر : ص ١٥ و إبراهيم طرخان ، ص ٥١ ، هامش (٣٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص ١٧٥ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ ص ٣٠٧ ، إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢١٤ . -

(٥) البندارى : آل سلجوق ص ١٨ .

(٦) صرصر : بفتح أوله ، وتكرير الصاد والراء ، يقال أصله صرر من الصر أى البرد ، وصرصر : قريتان من سواد بغداد ، صرصر العليا ، وصرصر السفلى ، وهما على ضفة نهر عيسى وربما قيل نهر صرصر فنسب إليهما ، أنظر : ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص ٤٠١ .

(٧) واسط : بين البصرة والكوفة وسميت بذلك لتوسطها بينهما ، بناها الحجاج بن يوسف ، ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

ولقد انتقل النظام الإقطاعى الحربى كاملا إلى الدول التى نبتت وتفرعت فى أحضان السلاجقة ثم ورثتهم من بعد[١] ، وهذه الدول هى : الدولة الزنكية "النورية[٢] " ، والدولة الأيوبية ، ثم دولة المماليك ، وهى الدولة الإقطاعية الكبرى ، التى قامت كل نظمها الاقتصادية على النظام الإقطاعى العسكرى[٣] .

بل أصبح النظام العسكرى الإقطاعى السلجوقى أنموذجا احتذته سائر الدول الإسلامية الشرقية التى عاصرتهم وأعقبتهم[٤] ، وهم أنفسهم - أى : السلاجقة - أخذوه عن معاصريهم من الغزنويين وانتقل برمته مع تطوير إلى الدولة الغورية فى بلاد الهند[٥] .

---

(١) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٣٠ .

(٢) الدولة الزنكية (النورية) : تنسب إلى عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، وقد أسندت اليه أتابكية الموصل سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م ، كما ضمت اليه الجزيرة (العراق) ونصيبين ، ثم وسع ملكه فضم سنجار وحرام والخابور وبقيت هذه الدولة حتى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، ثم نقل حكمها إلى ابنه نور الدين محمود الذى سيلعب دورا كبيرا وخطيرا فى أحداث الحملات الصليبية ، واليه تنسب الدولة النورية . لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، ١٢٤-١٩٨ ، الكامل جـ١٠ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ومابعدها ، أحمد الشامى صلاح الدين ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ١ ص ١١ ، ٣٤-٣٦ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٢٨ .

(٣) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٢٣ .

(٤) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٤٨ ، وعن النظم الإقطاعية فى الدول النورية والأيوبية والمملوكية، انظر : القلقشندى صبح الأعشى ، جـ٥ ، جـ١٣ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٤٩-٥٩ طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٨٩-٣٥٠ .

(٥) الدولة الغورية : هى الدولة التى ورثت أملاك الغزنويين فى الهند أواخر القرن السادس الهجرى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، وكان أول سلاطينها شهاب الدين الغورى الذى لعب دورا مهما فى نشر الإسلام بالهند - يشبه إلى حد كبير دور السلطان محمود الغزنوى . عنها انظر : ابن الأثير : جـ١٢ ص ٤١ ومابعدها ، الساداتى : تايخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، جـ١ ص ١٢٣ ، ثريا محمد على : الغوريون ، (القاهرة ١٩٩٤م) ، ص ٩-٥٩ عن إقطاعهم العسكرى انظر : ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٢٨٧ ، توفيق محمد لقبابى : التطور السياسى لدولة الغور الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة : آداب القاهرة ، ص ٥٦ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ص ٥٩ ، ٦٠ .

يقول ابن تغرى بردى[١] :

"أنشأ بنو بويه بنى سلجوق ، وأنشأ بنو سلجوق بنى أرتق[٢] ، وآق سنقر جد عماد الدين زنكى ، ثم أنشأ بنوزنكى بنى أيوب سلاطين مصر وغيرها ، ثم أنشأ بنو أيوب المماليك ودولة الترك .. فانظر إلى أمر الدنيا وكيف كل طائفة نعمة طائفة . ونشوءها إلى يومنا هذا "أى : إلى أيام ابن تغرى بردى فى القرن الخامس عشر الميلادى التاسع الهجرى[٣] .

وقد أمر طغرلبك بالاستيلاء على إقطاع الخليفة ، ولما تم الزواج رد الإقطاعات إليه[٤].

وعلى الرغم من أن الإقطاع فى عهد السلاطين العظام كان مرتبطا بخراج الأرض ، وليس الأرض ذاتها ، إلا أنه كان من حق المقطع أن يحكم إقطاعه حكما مطلقا ، ويمارس السيد الإقطاعى امتيازات فى مقابل أن يدفع للسلطان مبلغا سنويا من المال ، ويكون فى خدمته زمن الحرب مع عدو معين من الجند المحاربين[٥] .

وكانت هذه الطريقة إحدى الوسائل التى هيأت للسلاطين العظام انتصاراتهم ، خاصة السلطان ملك شاه فعندما توجه لإخضاع بلاد ماوراء النهر سنة ٤٨٢هـ/١٠٩٠م ، كان كلما مر ببلد جمع منها الجنود ، حتى صار له جيش كبير عاونه فى إخضاع معارضيه[٦] .

لقد كان الإقطاع فى الدولة السلجوقية ضربا مهما من ضروب استغلال الأرض[٧] ، فلما توجه ملكشاه إلى بغداد سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، قدم نظام الملك الأمراء السلاجقة إلى الخليفة

---

(١) النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ٢٧٩ .

(٢) بنو أرتق : هم بنو أرتق بن أكسب وهو قائد تركى من قواد الدولة السلجوقية ، وقد تقلد ولاية بيت المقدس بعد أن أفتتحها تتشى السلجوقى صاحب دمشق ، وتعرف أتابكة ديار بكر بالدولة الأرتقية نسبة إلى مؤسسها ، وقد شملت ماردين وميافا رقين وبعض الحصون المجاورة كحصن كيفا (راجع : حسن ابراهيم : تاريخ الإسلامى السياسى والدينى ، جـ٤ ، ص ٨٠ -٨٢ ابن خلكان : وفيات ، جـ١ ، ص ١٩١ .

(٣) ابراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٣١ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، البندارى : آل سلجوق : ص ١٨ ، ١٩ .

(٥) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ص ٣٧١ ، أى أن الإقطاع كان يشمل الحكم والولاية ، طرخان : النظم ص ٢٢ .

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٩ .

(٧) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٦ .

بقوله "هذا فلان بن فلان إقطاعه كذا وكذا ، وعسكره كذا وكذا[١] بن ويكفى أنه كان بالعراق وحده أربعون سيدا إقطاعيا ، ولم يكن على رأس هذه الإقطاعات إلا عدد قليل من الأسر العربية[٢].

ولقد اختلفت الإقطاعات من حيث المساحة ، والموقع والجودة ، باختلاف رتبة ومكانة المقطع[٣] ، فقد يكون الإقطاع قرية صغيرة أو قلعة ، أو ولاية بأكملها[٤] ، ولكن كان من حق المقطعين أن يزيدوا من إقطاعاتهم بشرط ألا تكون هذه الزيادة على حساب أبناء جلدتهم ، ففى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م أقطع السلطان ملكشاه بلاد الشام ، وما يفتح منها لأخيه الأمير تتش[٥] .

ومن قبل كان طغرلبك قد وزع الإمارات على إخوته وبنى جلدته من السلاجقة إقطاعا لهم، وسمح لهم بفتح ما يشا ءون من البلاد ، وضمها إليهم ، بشرط ألا تكون على حساب بعضهم البعض[٦] .

وهكذا ساد النظام الإقطاعى فى الأرض السلجوقية ، أو التى كانت تقع تحت سيطرتهم ، حتى أن الخليفة نفسه كان يتعايش على الإقطاعات أسوة بما كان يحدث فى العهد البويهى[٧].

ولما زاد عدد الجند السلجوقى ، وكان من الصعب على الدولة ضمهم فى ديوان واحد يتولى عطاءهم إلى جانب ما أصاب الأراضى من الإهمال لفقدان من يرعاها[٨] ، عمم نظام الملك الإقطاع كما سبق القول ، وكان نظام الملك يرمى من وراء تعميم الإقطاع العسكرى إلى عدة أمور مهمة هى :

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٥٨ .

(٢) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧١ .

(٣) أبو الفداء : المختصر ، جـ٢ ، ص ٣٠٨ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٣٠٧ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨ ورقة ١٤٢ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ٥٣ - ٥٦ .

(٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٧ .

(٧) ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٨) السبكى : طبقات الشافعية جـ٣ ، ص ٣١٧ .

١- أدى اتساع دولة السلاجقة فى عهد ألب أرسلان ، وملكشاه إلى عجز خزانتها عن توفير أرزاق الجند ، فرأى نظام الملك أن يعطى كل جندى قرية أو أكثر يعيش من إنتاجها ، وبذلك ضمن أرزاقها[١] .

٢- لما استقرت الإقطاعات لدى المقطعين عمل كل منهم على رعايتها لزيادة إنتاجها ، مما ترتب عليه انتعاش الحالة الاقتصادية [٢] .

٣- أدى توزيع الإقطاعات العسكرية إلى زيادة الرقعة الزراعية ، مما نتج عنه توفير المحصولات ، بعكس العصر البويهى[٣] .

٤- كانت الضرائب تفرض على رعايا الدولة لتوفير أرزاق الجند ، فلما ساد الإقطاع أعفى الناس من هذا العبء[٤] .

٥- تيسير إدارة ولايات الدولة ، بعد أن اتسعت رقعتها ، وذلك باتباع نظام اللامركزية فى الحكم[٥] .

٦- كان أفراد الأسرة السلجوقية يستغلون صلة انتسابهم للسلطان ، ويستولون على ما يشاءون من أملاك الرعية ، مما جعلهم يشعرون بعدم الأمان ، فلما وزعت عليهم الإقطاعات زادت مواردهم ، فكفوا أيديهم عن أموال الرعية وممتلكاتهم[٦] .

٧- أدت الإقطاعات العسكرية إلى حرص الجنود على الاستقرار فى الجندية حتى لاتسترد منهم إقطاعهم الذى أصبح مصدرا مهما من مصادر رزقهم[٧] ، وهذا كل ما كان يهم أمراء وسلاطين السلاجقة .

---

(١) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ ، السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٤ ، ص ٣١٦ .

(٢) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ٩٨ .

(٣) طرخان : النظم الإقطاعية ص ٢٢-٢٤ ، حسين أمين : النظم ، ص ٢٢٤ .

(٤) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ص ٩٨ .

(٥) طرخان : النظم ، ص ٢٢ ، حسين أمين : نظم الحكم ص ٢٢٤ ، وخفف نظام الملك بعض المتاعب الإدارية والحربية عن الإدارة المركزية .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ .

(٧) طرخان : النظم ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

٨- أدرك نظام الملك أن معظم الجيش السلجوقى هو من القبائل المختلفة العناصر فأراد أن يجعل تلك الجماعات تعيش فى أرض تقطع لها لترتبط بالأرض وتشعر بشعور المواطنة ، وباستقرار تلك الجماعات فى أراضى محددة يمكن السيطرة عليها ، ومن ثم تخفيف حركاتها فى الغزو ، والمنازعات فيما بينها[١] .

٩- كان نظام الملك يستهدف إشراك الأقاليم فى حكم الدولة السلجوقية ، أى أن الولاية تحكم نفسها بنفسها مع ارتباطها بالمركز فى الشئون المهمة والخطيرة ، على أن تسير وفق مصلحة الدولة السلجوقية وخدمة السلطان السلجوقى الكبير[٢] .

ولكى يضمن نظام الملك تحقيق أهدافه من وراء تعميم الإقطاع العسكرى ، وضع عدة شروط يلتزم المقطعون باتباعها :

١- يؤدى المقطع الخراج المقرر عليه ، وكان يحدد بالاتفاق بين صاحب الإقطاع والوزير السلجوقى [٣] .

٢- ألا يجهد المقطعون العاملين لديهم بمطالبهم المادية ، وأن يحبى ما يقرر عليهم من مال بالحسنى حتى يأمن هؤلاء العاملون على حياتهم[٤] .

٣- أن يلتزم المقطعون والعمال بحسن معاملة الرعية ، وألا يجبوا منهم الخراج إلا إذا نضج المحصول وحان موعد الحصاد ، وإن احتاج أحد من الرعية إلى بقرة أو بذور ، وجب أن يمدوه لها ، وأن يترفقوا به حتى لا يشعر بالظلم ، فيرحل عن أرضه ، ومن يثبت عليه سوء معاملة الرعية يسترد منه الإقطاع[٥] .

٤- قصر نظام الملك أعمال المقطعين على جمع الضرائب التى يؤديها الفلاحون[٦] ، وقد عرفها نظام الملك بقوله "فيعلموا أن حقوقهم الشرعية على الفلاحين تنحصر فى جمع الضرائب

---

(١) حسين أمين : نظام الحكم ، ص ٢٢٤ .

(٢) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٤ .

(٣) طرخان : النظم ، ص ١٨٩ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٦٧ .

(٥) نظام الملك : نفسه ، ص ٦٧ .

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٧ ، ص ١٨٢ .

المقررة التى نيط بهم جمعها برفق فإذا ما جبيت هذه الضرائب يصبح الفلاحون أحرارا فى أبدانهم ، وأزواجهم ، وأولادهم ، ومالهم من أرض ومتاع ، وليس للمقطع أى حق فيها [١] .

كما وضع نظام الملك قواعد لضمان عدم تعرض الإقطاعات للتلف وتقييد نفوذ المقطعين تنحصر فيما يلى :

١- متابعة أحوال الإقطاعات ، وبخاصة ما يتعلق بصلاحيتها ، وإنتاجها حتى لاتجبى الأموال بغير حق ولاتشعر الرعية بالظلم[٢] . وكان أمراء السلاجقة قد أوكلوا إلي القائمين بأمر الجباية ، أن يرسلوا إلى كل مدينة نائبا سديد الرأى عفيف اليد ، على ألا تقع وظائف هؤلاء النواب وأرزاقهم على عاتق الرعية ، فتجهد جهدا جديدا[٣] وقد عرف هؤلاء النواب باسم الوكلاء لجهل الأمراء بشئون الزراعة[٤] .

٢- استبدال العمال وذوى الإقطاع مرة كل سنتين ، أو ثلاث حتى لاتتوطد أقدام المقطعين فى إقطاعاتهم ، ويديرون المؤامرات ضد الدولة ، ويصبحون خطرا عليها[٥] .

٣- عدم تركيز الإقطاعات للمقطعين فى جهة معنية ، فإقطاع الفرد الذى قيمته ألف دينار فى السنة جعل نصفه فى بلاد الروم ، والنصف الآخر فى أقصى خراسان[٦] ، حتى لايستقل المقطع بإقطاعه .

وعلى الرغم من كل هذه الشروط والقواعد التى وضعها نظام الملك فإن أصحاب الإقطاعات حاولوا قدر المستطاع تحقيق مآربهم بكل الوسائل ، فصاروا يميلون إلى الاستقلال ، واعتبر بعضهم الإقطاع وراثيا ، وأساءوا معاملة الفلاحين ، واستولى الكبار منهم على إقطاعات الآخرين ، مما أدى إلى ظهور الفساد فى الدولة[٧] ، كما حدث لولاية كرمان

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٦٧ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ص ١٧٤ ، حسن إنورى : اصطلاحات ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٩٣ .

(٤) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ١٠٠ ، هامش(١) .

(٥) نظام الملك : سياسة نامه ص ٦٩ ، حسن أنورى : اصطلاحات ، ص ٤٨ ، ٥٠ .

(٦) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ .

(٧) أبو نصر الكاشانى : دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٠-٢٥٣ .

فكانت إقطاعا لقاورد ثم لأولاده من بعده[١] ، وكذلك ولاية آسيا الصغرى التى كانت إقطاعا لسليمان بن قتلمش وأولاده من بعده[٢] .

ولقد اقترن استغلال الإقطاع بكثير من أعمال الظلم والعسف ، وقاسى الفلاحون شرما يقاسى إنسان مستعبد وعبد مستذل[٣] ، وإذا هرب الفلاح فرارا من الظلم والقهر ، أعيد قسرا ، خاصة فى عهد المماليك[٤] . لأن المقطع والملتزم يعمل كل الوسائل على الإثراء ، وجمع المال ، ولايتردد فى إرهاق الناس وإثقالهم بالضرائب المختلفة حتى يستطيع أن يؤدى للدولة ما علية من مال الخراج ، ويحتفظ لنفسه بما زاد على ذلك[٥] .

وقد ترتب على هذا أن شكا الفلاحون للسلطان السلجوقى نفسه تعسف المقطعين ، ففى عهد السلطان ألب أرسلان شكا له الرعية من الخراج ، وما يلحقهم من ضرر ، فقنع منهم بالخراج الأصليه[٦].

---

(١) أفضل الدين كرمانى : تاريخ كرمان ، ص ١٠-٨١ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٥ ، ص ٥ ، ٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٥ ، ص ٩ ، ١٠ .

(٣) طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ١٣ ، حسن محمود الشريف : العالم الإسلامى ، ص ٥٨٢ . ومن ضمن الحقوق السيادية ، حق الولاية على العامة أى العبودية المعممة ، ومن المعروف أن نظام الملك نفسه أكد فى كتاباته على أن أصحاب الإقطاعات ليس لها عمل سوى استخراج مبلغ معين من السكان دون أن يحق لهم المساس بسيادتهم فى اشخاصهم وزوجاتهم ، وأطفالهم ، وأملاكهم الخاصة ، وكتب (أن الأرض وسكانها ملك للسلطان ، والأمراء المقطعون وحكام الأقاليم ليسوا إلا حرسا أقيم لحمايتها ، وهذا يعنى أن الإقطاع السلجوقى لم يكن يتضمن حقوق سيادية للمقطعين على الفلاحين ، وكثيرا ما حث نظام الملك السلطان على إرسال جواسيس بل عمل شبكة منهم من أجل ذلك ، على الرغم من ذلك خالفوا أمره ، انظر : نظام الملك : سياسة نامة ص ٦٩ ، ١٧٤ ، أحمد سعد صادق : تاريخ مصر ، ص ٣٤٧ .

(٤) طرخان : نفسه ، ص ١٣ ، ١٤ ، وهو يعكس النظام الإقطاعى الأوربى الذى كان فيه القن أو العبد يورث مع الإقطاع وليس له أى حق ، أنظر : عبد الحافظ البنا : النظام الإقطاعى فى المملكة اللاتينية فى القسطنطينية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، آداب الزقازيق ، ١٩٩٤م ، ص ١٠٣-١١٣ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص ٣٢٣ ، سرور : الحضارة ، ص ١١٤ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

وإذا كان النظام الإقطاعى في العصر السلجوقى قد أدى إلى ظهور بعض الأضرار فإن هذا لم يكن نتيجة هذا النظام ، وإنما يرجع سبب ذلك إلى سوء التطبيق[١] ، ولو سار الإقطاع العسكرى بالشروط التى وضعها نظام الملك لما ظهرت فيه تلك المساوىء [٢] .

وربما يرجع ذلك إلى أن الذين طبقوا هذا النظام الإقطاعى العسكرى ، قوم لا ذالوا فى مرحلة البداوة[٣] أو على الأقل لم ينسوا التقاليد البدوية القبلية التى انحدروا منها ، ومن ثم اعتبروا أنفسهم زعماء قومهم ، واعتبروا السلطنة كلها ضيعة لهم يمتلكها السلطان نيابة عن قومه ، وله مطلق الحق فى أن يقطع منها ما يشاء لمن يشاء من أقربائه ومؤيديه[٤] ، وهذا ما فعله زعماء السلاجقة العظام طغرلبك ، وألب أرسلان وملكشاه ، ومن جاء بعدهم من سلاطين السلاجقة .

أما عن نتائج النظام الإقطاعى العسكرى فى العصر السلجوقى فمن أهمها :

١- أدى نظام السلاجقة الذى يقضى بمنح الوزير راتبا بقدر إيراد الإقطاع[٥] فى سائر أنحاء الدولة إلى ازدياد الطامعين فى هذا المنصب ، وكان نظام الملك يثير غيرة الحاقدين ، حتى أنه حاول إثبات حسن نيته للسلطان ، فذكر له أنه سينشئ من هذه الأموال المدارس والربط ، وينعم على الفقراء والعلماء لتستقيم دولة السلطان ملكشاه[٦] ، وقد أتيحت الفرصة فيما بعد لكل من أراد زيادة دخله من الوزراء إلى التغاضى عن قسوة المقطعين للفلاحين ، مما أدى إلى تفشى الفوضى ، وإضعاف الروح المعنوية لديهم[٧] .

---

(١) مراهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ١٠١ .

(٢) أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٦٨ - ٧١ .

(٣) الدورى : نشأة الإقطاع ، ص ١٦ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٣٨ .

(٥) العروض السمرقندى : جهاز مقاله ، ص ٨٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٣ ، حسين أمين : نظم الحكم ص ٢١٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٣ ، عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧-٢١١ .

(٧) الدورى : نشأة الإقطاع ، ص ١٦ - ١٨ .

٢- تطور نظام الجباية (جباية الضرائب) فأصبح الضامن[1] يتولى جبايتها ، وكانت حساباته تخضع لرقابة الحكومة وقد يكون هذا الضامن تاجرا أو موظفا ، وكان الضامن يتغير من حين لآخر ، ولا تمنحه الدولة أية مميزات خاصة على الناس[2] .

٣- اتساع مهام ديوان عرض الجيش ، فأصبح مختصا بالإقطاعات الحربية بما فى ذلك تدوين أسماء الجند ، وترتيب أرزاقهم ، وإقطاعاتهم[3] .

٤- أدى ازدياد نفوذ بعض القواد ، وامتناعهم عن دفع ما قرر عليهم من أموال للسلطان إلى عجز فى الموارد المالية للدولة ، وبالتالى عدم الوفاء باحتياجاتها ، مما كان له أثر بالغ فى الأحوال الاقتصادية[4] .

٥- تدهور نظام الرى بوجه عام لإهمال الجند رعاية القنوات والسدود واستصلاح الطرق فساءت حالة الفلاحين بدرجة كبيرة[5] .

٦- أدى نظام الإقطاع إلى ظهور الأتابكة[6] ، فكان سلاطين وأمراء السلاجقة يجلبون المماليك الأتراك ويعلمونهم مبادئ الإسلام ، ويسند اليهم بعض الوظائف ، ومنهم من يلحق بخدمة السلطان وحرسه الخاص ، وإذا ما أدى هؤلاء خدمات مهمة للدولة ، وبرزت لهم مزايا حربية ممتازة ، وصلوا إلى أعلى المناصب فى الجيش والبلاط السلجوقى ، وقد يسند إليهم

---

(١) التضمين .

(٢) الدورى : نشأة الإقطاع ، ص ١٦ - ١٨ .

(٣) إقبال : الوزارة ، ص ٥٧ ، أنورى : اصطلاحات ديوانى ، ص ٦٨ - ٧١ .

(٤) مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ١٠٢ .

(٥) الحسينى : أخبار الدولة ، ص ٢٩ ، ٣٠ مواهب عبد الفتاح : الحياة السياسية ، ص ١٠٢ .

(٦) الأتابكة : كلمة أتابك تركية الأصل ، وهى مركبة من لفظين ، "أتا" بمعنى (مرب) ، و"بك" بمعنى أمير ومعناها الأمير المربى أو الأمير الوالد ، وكان لقبا يطلق على الأمراء والقواد العسكريين الذين يعهد اليهم بتربية أبناء السلاطين السلاجقة ، وتعليمهم وتدريبهم على شئون الحكم وفنون الحرب . لمزيد من التفاصيل : راجع ، دائرة المعارف الإسلامية مادة "أتابك" ، وشمس الدين سامى : قاموس الأعلام (تركى) جـ١ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، أحمد الشامى : صلاح الدين ، ص ٣٤ ، هامش (١) .

ولاية إقليم من أقاليم الدولة السلجوقية المترامية الأطراف[١] ، أو قد يعهد إليه بتربية أحد أبناء السلطان أو الأمير السلجوقى ، مثلما فعل نظام الملك مع ملكشاه فكان أتابكاله [٢] .

فاذا عين السلطان أحد أبنائه حاكما على مدينة من المدن أو ولاية من الولايات ، عهد إلى أحد الأتابكة بمعاونته فى الحكم ، وإسداء النصح له ، إذا لزم الأمر ، وقد اتخذ الأتابكة من هذا المنصب فرصة لفرض سيطرتهم على البلاد ، واتخذوا لأنفسهم الألقاب ، بل ذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك فبلغوا مراتب الملوك ، واستقلوا بالولايات مثل أتابكية دمشق التى تنسب إلى ظهر الدين طغتكين ، الذى كان أحد قواد الجيش السلجوقى ، ومملوك السلطان تتش[٣] ، وأتابكية الموصل وتنسب إلى عماد الدين زنكى بن اقسنقر[٤] .

ويمكن القول إن الإقطاع ونظامه ، قد تأثر به السلاجقة من أسلافهم الغزنويين الذين كرسوا فى دولتهم الإقطاع العسكرى[٥] ، ولأن السلاجقة ورثوا أغلب النظم الإدارية والمالية الموجودة فى العصر الغزنوى فربما يكونون قد ورثوا النظام الإقطاعى العسكرى منهم[٦] ، ولكنهم عمموه بفضل جهود الوزير القدير نظام الملك[٧] .

والإقطاع العسكرى الغزنوى شكل كل الأراضى الزراعية فى الدولة الغزنوية ، إذ جرى توزيعها على الأجناد الذين اشتدت الحاجة اليهم للتوسع فى شبه القارة الهندية[٨] .

وقد حمل الإقطاع العسكرى الغزنوى الذى تأثر به السلاجقة بلاشك ، الكثير من النظم الإقطاعى السائدة حيث تعهد الأمراء المقطعون بتقديم أجنادهم للعمل فى جيوش السلاطين ،

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، جـ٤ ص ٦٠ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ١٦٧ ، جـ٤ ، ص ١٨ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥٤ ، حلمى : السلاجقة ، ص ١٨٤ ، أحمد الشلبى : صلاح الدين ص ٣٥ .

(٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٤ ، أحمد الشامى : صلاح الدين ، ص ٣٥ .

(٥) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٦) انورى : اصطلاحات ، ص ٦٨ - ٧١ .

(٧) عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٧ - ٢١١ ، أنورى : اصطلاحات ، ص ٦٨ - ٧١ .

(٨) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٥٨ .

فضلا عن تقديم ضرائب عينية من المنسوجات والخيول والبغال المسرجة[١] ، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الهدايا والألطاف تقدم فى الأعياد الرسمية كالنيروز والمهرجان[٢] .

وفضلا عن الإقطاع العسكرى ، عرفت الدولة السلجوقية ظاهرة إقطاعية أخرى سادت العالم الإسلامى وهى تضمين الجباية [٣] ، ونظرا لعسف الجباة لجأ صغار الملاك إلى إلحاق أراضيهم بالإقطاعات الكبرى ، فيما عرف باسم نظام "الإلجاء"[٤] .

ويجب أن نقرر فى النهاية أن نمط الإقطاع العسكرى الذى تمتع فيه المقطع بكافة حقوق الملكية . أى : إقطاع الرقبة ، كان من ابتكار نظام الملك الوزير القدير[٥] ، ذلك النمط الذى جمع بين الإدارة والإقطاع والملكية[٦] فكان طفرة نحو إقامة إقطاعية واضحة محددة ، هذا فضلا عن احتفاظ المقطع بحق التصرف فى إقطاعه بالبيع والرهن والتوريث ، وهو ما يعرف بحق الرقبة[٧] .

كما أتسم الإقطاع العسكرى السلجوقى بالطابع الهرمى حيث حق الأمير الإقطاع أن يمنح فرسانه إقطاعات صغرى وهو أمر لم يحدث قبل العصر السلجوقى إلا فيما يختص بإقطاع الخلفاء أو السلاطين أو نوابهم[٨] ، يقول القلقشندى[٩] "إن من حق المناشير أنها لاتكتب الا عن السلطان مشمولة بخطة ، وليس لغيرة فيها تصرف إلا فيما يكتب فيه النائب الكافل" .

---

(١) البيهقى : تاريخ ، ص ٥٨١ ومابعدها ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٦٤-٦٥ ، ط. بيروت .

(٢) عنهما ، أنظر ص ٣٤٥ من الرسالة .

(٣) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٥٨ .

(٤) الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٥٨ .

(٥) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٦١-٦٩ ، محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٤٩ .

(٦) آشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى (دمشق ١٩٨٥) ص٢٧٥ .

(٧) محمود اسماعيل : الإقطاع ، ص ٤٩ .

(٨) محمود اسماعيل : نفسه ، ص ٤٩ .

(٩) صبح الأعشى : جـ٣ ، ص ١٥٧ .

ولكن لما تمزقت السلطنة السلجوقية ، أصبح أمراء الإقطاع شبه مستقلين عن السلاطين[١].

وكان الوزير هو الشخص المسئول عن الإقطاعات ومراقبتها ، وفى أحيان كثيرة كان يغض الطرف عن بعض التجاوزات ذلك لأن الوزير حسب القاعدة السلجوقية المعروفة ، كان يتناول راتبه بمقدار عشر إيراد الدولة ، وكان هم الوزير أن تزداد الإقطاعات ليزداد راتبه ، وهذا بالطبع سيؤدى إلى فوضى جديدة ، وإلى تحكم الإقطاعين بالفلاحين مما يؤدى إلى النفور والاستياء الشديدين وإلى إضعاف الروح المعنوية ، ومن ثم إلى ضعف المجتمع السلجوقى العام[٢] .

ولكن لابد أن نقرر أن نظام الإقطاع العسكرى كان له أثره البالغ فى النجاح ، فى بدايته ، مادام السلاطين أقوياء ولم تكن هناك بوادر الانقسام الخطير ، كما أن الحكام السلاجقة كانوا فى مراقبة مستمرة للذين أقطعوا[٣] ، كما أن نظام الملك لم يعط أى مقطع أية فرصة لتقوية إقطاعه فيعشر له إقطاعاته [٤] ، ولكن هذه السياسة بمرور الزمن تغيرت ، حينما تطرق الضعف والوهن إلى جسد الدولة السلجوقية ، فتشجع المقطعون على الانسلاخ عنها واستشرى الطمع بينهم ، وزاد التنافس والنزاع حول الإقطاعات وعليها ، وأفلست الدولة واستقلت المقاطعات ، وحكم الأتابكة مكان آسيادهم والتى ظلت تشتد حتى خنقت الدولة المركزية[٥] .

وهكذا ظهرت نتائج الإقطاع العسكرى السيئة بعكس ما كان يرمى إليه مؤسس هذا النظام[٦] .

---

(١) آشتور : التاريخ الاقتصادى ، ص ٢٧٦ .

(٢) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٥، ٢٢٦ ، حسن محمود والشريف : العالم الإسلامى ص ٥٨٢ .

(٣) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٢١٠-٢١٢ .

(٤) البندارى : آل سلجوق ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٥) حسين أمين : نظم الحكم ، ص ٢٢٦ .

(٦) حسن محمود ، الشريف ، العالم الإسلامى ، ص ٥٨٢ .

وهكذا نقرر أن سلاطين السلاجقة العظام ، أرسوا نظاما إداريا وحربيا وقضائيل متينا ، استطاعوا من خلاله إدارة دولتهم الشاسعة ، ولقد ساعدهم فى ذلك قوتهم ووحدتهم ، بل وحدة البيت السلجوقى نفسه ، وكان لوزرائهم فضل كبير فى إدارة وتنظيم هذه السلطنة ، ولكن كانت هناك بعض العيوب التى شابت النظام الإدارى والقضائى والحربى ، فإطلاق يد الوالى أو - الملك - السلجوقى (نائب السلطنة) فى إدارة مملكته أعطى الفرصة الكافية لهؤلاء الولاة لتكوين قوة وثروة نازعوا بها السلاطين أنفسهم فى خراسان والرى وأصبهان ، وبالنسبة للنظام القضائى ، واحتكار السلاجقة لقاضى حنفى مما جعله ينفذ ما يملى عليه من أحكام ، جلب متاعب وصراعات مذهبية عدة لم تسلم منها بغداد أو عواصم السلاجقة ، كما أن النظام الحربى كان مدده المالى هو الإقطاع السلجوقى الذى كان سلاح ذا حدين على السلطنة نفسها ، فهم قد آتى بأموال طائلة إلى الخزانة السلطانية بعد تعميمه على يد نظام الملك ، ولكن أوجد ظلما اجتماعيا فى فترات الضعف السلجوقى عليه ، حينما كان يتعسف الجباة فى جمع الأموال من المقطعين ، وثانية الأسافى هو ما أوجد هذا النظام من ظهور مايعرف بالاتابكيات التى ألهبت ظهر الدولة السلجوقية فيما بعد ، بل قل أدت إلى تفكيكها وضعفها ، واستقل الأتابكة كل بما تحت يده مكونين دول مستقلة .

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

- ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد ، ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠ .

شذور العقود فى تاريخ العهود ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٤ تاريخ ميكروفيلم رقم ٦٧٥١ .

- ابن الفوطى : عبد الرازق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابونى ، ت ٧٣٢هـ/ ١٢٢١م.

تلخيص مجمع الآداب ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ٢١٨٩ تاريخ، ميكروفيلم رقم ٢٤٨١ .

- ابن وحشية : أحمد بن على بن قيس بن المختار بن عبد الكريم ، أبو بكر .

الفلاحة النبطية مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٠ زراعة ، ميكروفيلم رقم ٥٣١٩ .

- الداودارى : أبو بكر عبد الله بن أبيك ، ألفه ٧٣٤هـ/١٣٣٣م .

كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٦ ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٣٤ تاريخ بعنوان (الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية / ميكروفيلم رقم ٦٤٨٣ .

- الذهبى : الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨هـ/١٢٥٦م .

سير أعلام النبلاء ، مجلد ١١ ، ١٢ ، معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية تحت رقم ٢٨٧ تاريخ ، ميكروفيلم ٦٣١٢ .

- سبط بن الجوزى : أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزو اغلى ، ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م .

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، جـ٢ ، جـ٨ ، تحت رقم ٥٥١ تاريخ ميكروفيلم رقم ٦٤٣٥ .

- السلامى : شهاب الدين أحمد ، ت ٨٠٦ / ١٤٠٣م .

مختصر التواريخ ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٣٥ تاريخ ، ميكروفيلم رقم ٦٥٧١ .

- العينى : بدر الدين محمود ، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م .

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ ، ميكروفيلم رقم ٦٣٥٨ .

- الماوردى : نور الدين أبى الحسن على بن محمد ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م .

الرتبة فى طلب الحسبة بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ٥٥١٠ ميكروفيلم رقم ٢٤٩٩ .

- المراكشى : أحمد بن ابراهيم ، ت ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م .

الامتاع فى أحكام الإقطاع ، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط - المغرب - تحت رقم ٢١٢ ونسخة مصورة بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٧١ فقه ، ميكروفيلم رقم ٢٤٩٢ .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

١- القرآن الكريم .

٢- صحيح البخارى .

- صحيح مسلم .

- ابن أبى أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدى ، ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م .

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، سنة ١٩٨١م .

- ابن أبى الوفا : أبو محمد بن الحسين الحنفى ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م .

الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية ، جزءان فى مجلد واحد ، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف النظامية ، بدون - ت .

- ابن الأثير : على بن أحمد بن أبى الكرم ، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨-١٢٤٠م .

الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء بولاق سنة ١٢٧٤هـ ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، راجعه وصححه ، د/ محمد يوسف الدقاق ، جـ١١ ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، تحقق عبد القادر طليمات ، القاهرة ، سنة ١٩٦٣م.

- ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشى ، ت ٧٢٩هـ/١٣٢٧م .

معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م .

- ابن أرنبغا الزردكاش : ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م .

الأنيق فى المناجيق ، قدمه وحققه وعلق على متنه ورسومه د/ احسان هندى ، منشورات جامعة حلب ، سوريا ، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

- ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد ، ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م .

بدائع الزهور فى وقائع الدهور (المعروف بتاريخ مصر) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م .

- ابن بسام : محمد بن أحمد بن بسام المحتسب (عاش فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) .

الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق ؟ حسام الدين السامرائى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، سنة ١٩٦٨م .

- ابن بطوطه : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى ، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م .

تحفه الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المعروف برحلة ابن بطوطة ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٦٤ .

- ابن تغرى بردى : أبو المحاسن جمال الدين يوسف ، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م .

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٥ ، ط. دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩- ١٩٣٣م.

- ابن تيمية : تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم الحنبلى ت ٧٢٨هـ/١٣٢٦م .

الحسبة فى الإسلام ، تحقيق / صلاح عزام ، القاهرة ١٤٠٥هـ ، مطبعة المؤيد ، دمشق ، ١٣١٨هـ .

- ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧هـ/ ١٠٤٥م .

المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ط. الهند ، حيدر آباد الدكن ، سنة ١٣٥٨هـ/١٣٥٩هـ.

ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دراسة وتحقيق ، محمد عبد القادر عطاء ، مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه نعيم زرزور ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. أ

أخبار الحمقى والمغفلين ، ط. التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٥هـ .

أخبار الظراف والمتماجنين ، ط. دمشق ، سنة ١٣٤٧هـ .

تلبيس أبليس ، ط. دار النهضة المصرية ، سنة ١٩٢٨م .

مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجت الاثرى ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، سنة ١٣٤٢هـ، ١٩٢٣م .

- ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانى الاندلس ، ت ٦١٤هـ/١٢٢٢م .

رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، ط. القاهرة سنة ١٩٥٥م ، ط. دار صادر بيروت ، ١٩٦٤ .

- ابن حنبل : الامام احمد بن حنبل ، ت ٢٤١هـ/٨٥٥م .

المسند ، تحقيق الشيخ احمد شاكر ، ط. ٤ القاهرة ١٩٥٤م .

- ابن حزم الأندلسى : أبى محمد على بن أحمد ، ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م .

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، جـ٣ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧١م .

- ابن حوقل : أبى القاسم النصيبى ، ت ٣٦٧هـ/٩٧٩م .

صورة الأرض ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٧٩م .

- ابن خرداذبه : أبو القاسم عبد الله بن عبد الله ، ت ٣٠٠هـ/٩١٢م .

المسالك والممالك ، نشر دى غويه ، ١٨٨٩م .

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن جابر ، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م .

المقدمة ، ط. بيروت ١٩٨٦م .

العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ٧ أجزاء ، ط. القاهرة ١٢٨٤هـ/ط. بيروت ١٩٨١م .

- ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧م .

– ابن الدبيثى : الحافظ أبى عبد الله محمد بن الدبيثى ٦٣٧هـ/١٢٣٩م .

المختصر المحتاج اليه ، تحقيق مصطفى جواد ، انتقاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى نشر المجمع العلمى العراقى ، بغداد سنة ١٩٧٧م .

– ابن دحلان : السيد احمد بن زينى ، ت ١٣٠٤هـ/١٨٦م .

تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية ، ط. القاهرة ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م .

– ابن دحية : أبو الخطاب عمر بن على حسين بن سبط الإمام أبى بسام الفاطمى ، ت ٦٦٣هـ/١٠٥٣م .

النبراس فى تاريخ بنى العباس ، تحقيق عباس العزاوى ، ط. بغداد ، سنة ١٩٤٦م .

– ابن دقماق : صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى ، ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م .

الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، حققه ، محمد كمال عز الدين ، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٥م .

– ابن رستة : شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد ، ت ٢٩٥هـ/٣٧م .

الأعلاق النفيسة ، ط. ليدن ، ١٨٩٢م .

– ابن زنجوية : حميد بن زنجوية ، ت ٢٥١هـ/٨٦٥م .

الأموال ، تحقيق شاكر فياض ، الطبعة الأولى ، الرياض ، سنة ١٩٨٦م .

– ابن الساعى : الإمام الفقيه على بن أنجب ، ت ٦٧٤هـ١٢٧٥م .

مختصر أخبار الخلفاء ، ط. بولاق ، القاهرة ، سنة ١٣٠٩م .

– ابن سلام : أبى عبيد الله بن سلام ، ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م .

الأموال ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة ١٩٨١م .

– ابن سيده : أبى الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى ، ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م .

كتاب المخصص ، ط١ ، مصر سنة ١٣١٧هـ .

– ابن الصابى : أبو الحسن بن أبى اسحاق ، ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م .

تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، ط. بيروت سنة ١٩٠٤م .

رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، ط. بغداد ، سنة ١٩٦٤م .

– ابن الصيرفى : تاريخ الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكتاب، ص ٥٤٢هـ/١١٤٧م .

الاشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق / أيمن فؤاد سيد . ط. الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠م.

القانون فى ديوان الرسائل ، تحقيق / أيمن فؤاد سيد ، ط. الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠م.

– ابن طباطبا : فخر الدين محمد بن على المعروف بابن الطقطقى ، ت ٧٠٩هـ/١٢٤٧م .

الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، د. دار صادر ، بيروت سنة ١٩٧٥م.

– ابن طيفور : أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر ، ت ٢٨٠هـ/٨٩٣/٨٩٤م .

تاريخ بغداد ، تحقيق عزت العطار ، بغداد ، ١٩٤٩م .

– ابن العبرى : غريغوريوس أبو الفرج بن أهارون ، ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م .

مختصر تاريخ الدول ، وقف على تصحيحه وفهرسته ، الأب أنطون صالحانى اليسوعى ، دار الرائد اللبنانى ، بيروت ١٩٨٣م .

– ابن عبد ربه : شهاب الدين أحمد ، ت ٣٤٩هـ/٩٤٠م .

العقد الفريد ، القاهرة ، ١٤٣٩هـ/١٩٢٨م .

– ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن هبة الله ، ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م .

بغية الطلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، ط. دمشق ، سنة ١٩٥٤م.

– ابن عساكر :

تبيين كذب المفترى فيما نسب للإمام الأشعرى ، مصر ١٣٥٣هـ .

– ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن على بن محمد ، ت ٤٨٢هـ/١٠٨٩م .

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط. دار أحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ١٩٧٧م .

- ابن الفراء : أبى يعلى بن الحسين ، ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م .

الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، سنة ١٩٨٣م .

- ابن فضلان : أحمد بن فضلان العباسى .

رحلة بن فضلان ، حققها سامى الدهان ، دمشق ، سنة ١٩٦٠م .

- ابن الفقيه الهمدانى : أبو بكر احمد بن محمد الهمدانى ، ت أواخر القرن الثالث الهجرى .

مختصر تاريخ البلدان ، ط. ليدن ١٩٦٧م .

- ابن القلانسى : أبو يعلى حمزة بن أبى على التميمى ، ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .

ذيل تاريخ دمشق ، حققه د/ سهيل زكار ، دار حسان ، دمشق ، سوريا سنة ١٩٨٣م .

- ابن كثير : عماد الدين اسماعيل بن عمر أبو الفداء الدمشقى ، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م .

البداية والنهاية ، جـ١١ ، ١٢ ، ط. القاهرة سنة ١٩٤٨م .

- ابن مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد ، ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م .

كتاب تجارب الأمم ، نشره آمد روز ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ١٩١٤م

- ابن مماتى : شرف الدين أسعد بن مهذب بن الملح ، ت ٦٠٦هـ /١٢٠٤م .

قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، ط. القاهرة ، ١٩٤٣م .

- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، ت ٦٣٠هـ/١٢٢٤م .

لسان العرب ، ط. بولاق ، القاهرة سنة ١٣٠٠هـ .

- ابن ميسر : محمد بن على بن يوسف ، ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م .

تاريخ مصر ، مطبعة هنرى ماسيه ، القاهرة ، ١٩١٩م .

- ابن الوردى : سراج الدين أبى حفص عمر بن مظفر بن عمر بن الفوارسى ، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م .

خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ط. القاهرة ، ١٣٩٦هـ .

تاريخ ابن الوردى ، المعروف بتتمة المختصر فى تاريخ البشر ، ط. دار المعارف، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٨٦٨م .

– ابن النديم : محمد بن اسحاق ، ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م .

الفهرست ، ط. بيروت ١٩٧٨م .

– ابن هداية الله : أبو بكر بن هداية الله الحسينى ، ت ١٠١٤هـ/١١٠٥م .

طبقات الشافعية ، حققه عادل نويهض ، بيروت ، ١٩٨٢م .

– ابن واصل : جمال الدين سالم ، ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م .

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ٤ مجلدات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢م .

– أبو بكر الهروى : أبو عبد الله ، ت ٣٦٦هـ/٩٧٦م .

التذكرة الهروية فى الحيل الحربية ، القاهرة ١٩٨٢م .

– ابو الحسن على الحكيم : محمد بن عبد الحى بن يوسف ، ت ٧٤٩هـ/١٣٦٥م .

الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكه ، حققه حسين مؤنس ، مدريد سنة ١٩٦٠م .

– أبو حيان التوحيدى : على بن محمد بن العباس ، ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م .

الأمتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الذين ، بيروت ، بدون .

– أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ، ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م .

الروضتين فى أخبار الدولتين ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

– أبو شجاع : محمد بن الحسين ظهير الدين الروذاروزى ، ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م .

ذيل تجارب الأمم ، نشر أمدوزر ، مطبعة التمدن ، القاهرة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م .

– أبو الفداء : الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر شاهنشاه صاحب حماة، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م .

المختصر فى أخبار البشر ، ط. القاهرة ، سنة ١٣٢٥هـ .

تقويم البلدان ، ط. باريس ، ١٨١٥م .

- أبو عمرو السلمى : محمد بن الحسين بن محمد ، ت ٤١٢هـ/١٠٢١م .

طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبة ، القاهرة ١٣٨٩م .

- أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ، ت ١٩٢هـ/٨٠٧م .

كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ .

- الأبشيهى : شهاب الدين أحمد ، ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م .

المستطرف فى كل فن مستظرف ، ط. الحلبى ، القاهرة ، سنة ١٩٥٢م .

- الباخرزى : على بن الحسن بن على بن أبى الطيب الباخرزى ، ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م .

دمية القصر وعصرة أهل العصر ، تحقيق ونشر محمد ألتونجى ، بغداد سنة ١٩٧١م .

- البغدادى : صفى الدين عبد المؤمن عبد الحق ، ت ٧٣٩هـ/١٣٣٥م .

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ، ط. دار المعرفة بيروت ، سنة ١٩٥٣ .

- البغدادى : موفق الدين عبد اللطيف البغدادى ، ت ٦٢٩هـ/١٢٢٥م .

الطب من الكتاب والسنة ، حققه د/ عبد المعطى أمين قلعجى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٦م .

- البغدادى : محمد بن الحسن بن محمد .

كتاب الطبيخ ، تحقيق داود شلبى ، أعده للنشر فخرى البارودى ، بيروت ، ١٩٦٤م .

- البغدادى : أبو بكر أحمد بن على ، ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م .

تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٩٩٢م

كتاب الكفاية فى علم الرواية ، حيدر آباد ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

- البندارى : الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى ، ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م .

تاريخ آل سلجوق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان ١٩٨٠م .

- البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر ، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م .

فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٣١٨هـ .

- البلوى : أبى محمد عبد الله المدينى ، سيرة أحمد بن طولون .

سيرة أحمد بن طولون ، حققها محمد كرد على ، القاهرة ، بدون .

- البيهقى : ظهير الدين أبو الحسن البيهقى ، ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م .

تتمة صوان الحكمة ، نشر لاهور ، باكستان ، ١٣٥١هـ .

- بنيامين التطيلى : الرحالة الربى بنيامين بن يونة التطيلى الاندلسى .

رحلة بنيامين ٥٦١-٥٦٩هـ ، ترجمة وتعليق عزرا حداد ، بغداد ، سنة ١٣٨٤هـ.

- التنوخى : القاضى أبو على المحسن بن على بن محمد ، ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م .

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تصحيح مرجليوث ، مكتبة هندية بمصر ، سنة ١٩٣١م ، ط. بيروت ١٩٧١م ، ١٩٧٢م .

- التيفاشى : أحمد بن يوسف ، ت ٦٥١هـ/١٢٥٣م .

كتاب أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ، حققه وعلق عليه محمد يوسف حسن ، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٧م .

- الثعالبى : أبو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل ، ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م .

تاريخ غرر الفرس ، المعروف غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، مكتبة الأسدى، طهران سنة ١٩٣٠م .

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، طبع القاهرة ، ١٩٠٨م .

لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الانبارى وآخرون ، دار أحياء الكتب العربية ، مصر ، ١٩٦٠م .

يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٩٧٣م.

- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م .

رسائل الجاحظ فى مناقب الترك ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٦٤م .

الحيوان ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

التاج فى اخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكى ، القاهرة ١٩٤٩م .
الأذكياء ، ط. بيروت ، ١٩٨٥م .

- الخوارزمى : أبو بكر محمد بن العباس ، ت ٣٧٣هـ/٩٩٣م .

مفاتيح العلوم ، المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢هـ، القاهرة ١٩٦٨م .

- الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، ت ٣٣١هـ/٩٤٣م .

الوزراء والكتاب ، تحقيق الأساتذة مصطفى السقا ، ابراهيم الإبيارى ، عبد الحفيظ شلبى ط١ ، القاهرة ١٩٣٨م .

- الجوينى : أبو المعالى عبد الملك بن الشيخ محمد بن عبد الله الجوينى ، ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م .

العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية ، بغداد ، ١٩٥٥م .

- الحسن بن عبد الله : ابن محمد بن العباس (من أعلام القرن الثامن الهجرى) .

آثار الأول فى ترتيب الدول ، القاهرة ، بولاق ١٢٩٥هـ .

- الحسن الوزان : جان ليون الأفريقى

وصف أفريقيا ، ترجمة د/ عبد الرحمن حميدة ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، سنة ١٣٩٩هـ .

- الحسينى : صدر الدين أبو الحسن على ناصر بن على ، ت بعد ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م .

كتاب أخبار الدولة السلجوقية ، أعتنى بتصحيحه محمد أقبال ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة ١٩٨٤م .

زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) تحقيق د/ محمد نور الدين ، الكويت ، ١٩٨٥م .

- الأدريسى : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسى (من علماء القرن السادس الهجرى) .

كتاب : نزهة المشتاق فى أختراق الآفاق ، بيروت ، عالم الكتب ، سنة ١٩٨٩م.

- داود الأنطاكى :

تذكرة داود ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٠م .

- الدمشقى : شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الدمشقى شيخ الربوت ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م .

نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون .

- الدمشقى : أبو الفضل جعفر على الدمشقى ت ٥٧٠هـ/١١٧٤م .

الاشارة إلى محاسن التجارة ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، سنة ١٣١٨هـ .

- الدميرى : كمال الدين محمد بن موسى بن على ، ت ٨٠٨هـ/٥ .

حياة الحيوان الكبرى ، جزءان ، مصر ، سنة ١٣٧٤هـ .

- الذهبى : شمس الدين أبو عبد الله محمد ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م .

دول الإسلام ، حيدر آباد الدكن ١٢٣٣هـ .

العبر فى خبر من غبر ، تحقيق فؤاد سيد ، الكويت ، ١٩٦١م .

- الرشيد بن الزبير : القاضى أحمد بن على بن ابراهيم الغسانى ، ت ٥٦٣هـ/١١٦٧م .

الذخائر والتحف ، تحقيق د/ محمد حميد الله ، نشر دار المطبوعات والنشر ، الكويت سنة ١٩٥٩ .

- الزبيدى : محب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى الحنفى ، ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م .

تاج العروس من جواهر القاموس - مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون ، ط. مصر سنة ١٣٠٦هـ .

- السبكى : تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقى الدين ، ت ٨٧٩هـ/١٤٧٤م .

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمد الطناحى ، وعبد الفتاح الحلو ، القاهرة ١٩٦٦م .

- السرخسى :

كتاب المبسوط ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ .

- السمنانى : أبو القاسم بن أحمد ، ت ٣٨٩هـ/٩٩٨م .

روضة القضاة ، وطريق النجاة ، جـ١ ، تحقيق الناهى ، بغداد ، ١٩٧٠-١٩٧٢م .

- السيوطى : عبد الرحمن بن بكر جلال الدين ، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م .

تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، القاهرة ، ١٣٥١هـ/دار الفكر ، بيروت ، لبنان بدون .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب ، القاهرة ١٩٦٨م .

طبقات المفسرين ، طبع ليدن ، ١٨٣٩م .

- الشابشتى : أبو الحسن على بن محمد ، ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م .

الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف بغداد ، ١٩٥١م .

- الشهرستانى : أبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر احمد ، ت ٥٤٨هـ/١٣٦٦م .

الملل والنحل ، تحقيق الاستاذ / عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تحقيق محمد بن فتح الله بدران ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

- الشيرزى : عبد الرحمن بن نصر ، ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م .

نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، دار الثقافة بيروت ، ط٢ ، سنة ١٩٨١م .

- الاصطخرى : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى ، ت ٣٠٩هـ/٩٥١م .

المسالك والممالك ، تحقيق د/ محمد صابر عبد العال ، القاهرة ، ١٩٦١م .

- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ/٩٢٢م .

تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

- العصامى : عبد الملك بن حسن المكى ، ت ١١١١هـ/١٦٩٩م .

سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، ط.١ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٠هـ .

- العينى : بدر الدين أبو محمد محمود بن موسى ، ت ٨٨٥هـ/١٤٥١م .

السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودى) حققه وقدم له فهيم شلتوت ، راجعه د/ زيادة ، ط. دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ٦٦-١٩٦٧م .

- الغزالى : أبو حامد ، ت ٥٠٥هـ/١١١١م .

أحياء علوم الدين ، ط. دار الكتب العربية ، ١٩٧٦م .

تهافت الفلاسفة ، تحقيق وتقديم د/ سليمان دنيا ، ط٧ ، دار المعارف ١٩٨٧م.

فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، بدون - ت .

- غريب بن سعيد : القرطبى ، ت ٣٦٦هـ/١٩٧٦م .

صلة تاريخ الطبرى ، باعتناء دى غويه ، ليدن سنة ١٨٩٧م ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٧م.

- الفارقى : أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق الفارقى ، مولده سنة ٥١٠هـ/١١١٦م .

تاريخ ميافارقين ، تحقيق بدوى عبد اللطيف عوض ، ط. القاهرة ، ١٣٧٩هـ .

- القرشى : يحيى بن آدم ، ت ٢٠٣هـ/٨١٨م .

كتاب الخراج ، ط. ليدن ١٨٩٥م .

- القابسى :

التعليم فى رأى القابسى ، بغداد ١٩٦٩م .

- القرمانى : أبو العباس أحمد حلبى بن يوسف ، ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م .

أخبار الدول وآثار الأول ، ط. بغداد سنة ١٢٨٢م .

- القزوينى : أبو عبد الله زكريا محمد بن محمود القزوينى ، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م .

آثار البلاد وأخبار العباد ، نشر وستنفلد ، ط. جوتنجن سنة ١٩٤٨م . ط. دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٦٩م .

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق فاروق سعد ، بيروت سنة ١٩٧٣م .

- القلشندى : أبو العباس أحمد ، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م .

صبح الأعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزء ، ط. القاهرة ١٩٦٣م .

مآثر الأنافه فى معالم الخلافة ، جزءان ، تحقيق / عبد الستار أحمد فرج ، الكويت ، ١٩٦٤م .

- الكاسانى :

كتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، القاهرة ١٩١٠م .

- الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف ، ت ٣٥٠هـ/٩٦١م .

الولاة والقضاة ، ط. بيروت ، ١٩٠٨ .

- الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب ، ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م .

الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط٣ ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م ، ط. عيسى البابى الحلبى .

قوانين الوزارة ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، محمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٧٨م .

- السعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على ، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط. دار الأندلس ، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

التنبيه والاشراف ، صححه وراجعه عبد الله الصاوى ، ط. مكتبة المثنى . بغداد سنة ١٣٥٧هـ ، ١٩٣٨م .

- مجهول :

أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة د/ حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، سنة ١٩٥٨م .

- مجهول :

مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، احسان العمد ، ط١ الكويت سنة ١٩٨٤م .

- المقدسى : شمس الدين أبو عبد الله البشارى ، ت ٣٨١هـ/٩٩١م .

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦م ، ط. دار احياء التراث العربى ، صححه وفهرسه د/ محمد مخزوم ، ١٩٨٧م .

- المقدسى : محمد بن مفلح الحنبلى

الآداب الشرعية ، بغداد ١٩٦٦م .

- ماركو بولو : نيقولو بولو

رحلات ماركو بولو ، ترجمها إلى الانجليزية ونشرها وليم مارسون ، ترجمها إلى العربية عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٧م .

- المقريزى : تقى الدين أحمد ، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م .

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق د/ الشيال ، د/ محمد حلمي أحمد القاهرة ١٩٧١م .

المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان ، بولاق ، سنة ١٢٧٠هـ .

السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، القسم الأول ، تحقيق د/ محمد مصطفى زيادة ، القاهرة، ١٩٣٩م .

شذرات العقود فى أخبار النقود ، القسطنطينية ، سنة ١٢٩٨هـ .

اغاثة الأمة يكشف الغمة ، نشره الشيال ، وزيادة ، القاهرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

- المؤيد فى الدين : هبة الله الشيرازى ، ت ٤٧٠هـ/١٠٧٨م .

سيرة المؤيد في الدين ، نشر محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩م .

مذكرات داعى الدعاة ، حققه وقدم له وعلق عليه وشرح غوامضه ، د/ عارف تامر ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

المجالس المؤيدية ، تلخيص حاتم بن ابراهيم الحميدى اليمنى ، ت ٥٩٦هـ/ تحقيق د/ محمد عبد القادر ، تصدير د/ عبد العزيز الأهوانى ، القاهرة ١٩٧٥م .

- نصير الدين ابو الرشيد عبد الجليل :

بعض مثالب النواصب فى نقض بعض فضائح الروافض ، طهران ، ١٣٣١هـ .

- النوبختى : أبو محمد الحسن بن موسى ، ت ٣١٠هـ/٩٢٢م .

كتاب فرق الشيعة ، النجف ١٩٣٦م .

- النويرى : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م .

نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م .

- الوشاء : أبى الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى ، ت ٣٢٥هـ/٩٣٦م .

الموشى ، ط. ليدن سنة ١٨٨٦م .

- اليافعى : الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على ، ت ٧٦٨هـ/١٢٧٦م .

مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، أربعة أجزاء ، ط. حيدر آباد الدكن ، سنة ١٢٣٦هـ .

- ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى ، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م .

معجم البلدان ، ١٠ أجزاء ، ط. القاهرة ، ١٩٠٦م ، ٥ أجزاء ، ط. دار صادر، بيروت ، ١٩٦٥م .

- اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبى ، ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م .

كتاب البلدان ، ليدن سنة ١٨٩٢م .

تاريخ اليعقوبى ، ٣ أجزاء النجف ، العراق ، ١٣٥٧هـ ، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .

ثالثا : المراجع العربية والمترجمة :

- ابراهيم احمد العدوى : دكتور :

- مصر الإسلامية ومقوماتها العربية ورسالتها الحضارية ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦م .

- تاريخ العالم الاسلامى ، جـ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

- ابراهيم حلمى :

كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج ، دار عين للنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٩٤م .

- ابراهيم طرخان (دكتور) :

النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

- ابراهيم فؤاد :

الموارد المالية فى الإسلام ، ط. الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٥٧م .

- ابو صالح الألفى :

الفن الإسلامى ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٨٣م .

- أحمد أمين :

ظهر الإسلام ، ط١ ، ط٣ ، النهضة المصرية ١٩٦٢م .

- أحمد تيمور :

خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

- أحمد الخولى (دكتور) :

سجستان ، القاهرة ، بدون .

- أحمد رمضان أحمد (دكتور) :

حضارة الدولة العباسية ، ط. عين شمس ، سنة ١٩٨٢م .

الحرب الصليبية (العلاقات بين الشرق والغرب) سنة ١٩٩٤م .

- أحمد عبد الحميد الشامى (دكتور) :

العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، دار النهضة المصرية ، سنة ١٩٨٥م .

الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الأول ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

صلاح الدين والصليبيون ، (تاريخ الدولة الأيوبية) ، النهضة العربية ، ١٩٩١م.

الحضارة الإسلامية ، الزقازيق ، ١٩٩١م .

دولة المماليك البحرية ، ط٢ ، سنة ١٩٩٢ .

الخلفاء الراشدون ، ط٣ ، النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

العرب وركوب البحر وصناعة السفن وأنواعها ، بحث نشر ضمن ندوة دول البحر المتوسط بالإسكندرية ، ١٩٩٤م .

العلاقات التجارية بين دول الخليج بلدان الشرق الأقصى ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

- أحمد عبد الكريم سليمان (دكتور) :

المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط ، ط١ ، القاهرة ، سنة ١٩٨٢م .

- آدم متز :

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جزءان ، ترجمة د/ عبد الهادى أبو ريده ، ط. القاهرة ، ١٩٤٠-١٩٤١م ط. دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط٤ ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م . ط. الخانجى ، اعد فهارسه / رفعت البدراوى ، سنة ١٩٦٧م .

- إسعاد عبد الهادى (دكتور) :

فنون الشعر الفارسى ، ط. القاهرة ، ١٩٧٢م .

- أسعد طلس (دكتور) :

نظامية بغداد ، باريس ١٩٣٩م .

التربية والتعليم فى الإسلام ، بيروت ١٩٥٦م .

- السيد الباز العرينى (دكتور) :

المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧١م .

- آشتور :

التاريخ الإقتصادى والإجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، دمشق ، سنة ١٩٨٥م .

- أنور الرفاعى :

النظم الإسلامية ، دمشق ، ١٩٧٣م .

- الأب انستاس الكرملى :

رسائل فى النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، ط٢ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٧م .

- بارت :

تراث فارس (الفصل الخاص ببلاد فارس) بالمتحف البريطانى ، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٩م .

- بدر عبد الرحمن محمد (دكتور) :

رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية ، ط١ ، الانجلو المصرية ، سنة ١٩٨٧م .

- برنارد لويس :

أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرامطة ، راجعه وقدم له د/ خليل أحمد خليل ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠م .

- بروكلمان : كارل .

تاريخ الشعوب الإسلامية ، جزءان ، ترجمة نبيه فارس ، منير البعلبكى ، ط. دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٤م .

- برهان الزرنوجى :

تعليم المتعلم ، بغداد ، ١٩٤٢م .

- بطروشوفسكى :

الإسلام فى إيران ، قدم له وترجمه د/ السباعى محمد السباعى ، القاهرة ١٩٨٤م .

- بورميزوجينتوس :

ادارة الإمبراطورية البيزنطية للإمبراطور قسطنطين السابع ، عرض وتحليل وتعليق د/ سعيد عمران ، دار النهضة العربية ، سنة ١٩٨٠م .

- ترتون : إس

أهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة د/ حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ سنة ١٩٩٤م .

- توماس آرنولد :

الدعوة الى الإسلام ، ترجمة د/ حسن ابراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، واسماعيل النحراوى القاهرة ، ١٩٤٧م .

- تيمارا تالبوتارايس :

السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى ، وابراهيم الداقوقى ، مراجعة عبد الحميد العلوجى ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م .

- ثريا محمد على (دكتور) :

الغوريون ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

- جورج مقدسى :

خطط بغداد فى القرن الخامس الهجرى ، ترجمة صالح أحمد العلى ، بغداد ، ١٩٨٤م .

- ثناء بلال :

الملابس فى العصرين القبطى والاسلام ، دار النهضة المصرية ، ١٩٨٣م .

- جورجى زيدان :

تاريخ التمدن الإسلامى ، ط٤ ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

- حسانين ربيع (دكتور) :

دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

- حسن ابراهيم حسن (دكتور) :

تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ٤ أجزاء النهضة المصرية سنة ١٩٦٢م ، ط١ ، سنة ١٩٨٢م .

النظم الإسلامية بالاشتراك مع د/ على ابراهيم حسن ، دار النهضة المصرية ، سنة ١٩٥٢م.

عبيد الله المهدى امام الشيعة الاسماعيلية ، ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب بالاشتراك مع د/ طه شرف ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

الدولة الفاطمية ، النهضة المصرية ، سنة ١٩٤٨م .

- حسن الباشا (دكتور) :

الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٧٨م.

الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م.

التصوير الإسلامى فى العصور الوسطى ، ط٢ ، النهضة المصرية ، ١٩٧٨م .

- حسن أحمد محمود (دكتور) :

العالم الإسلامى فى العصر العباسى بالاشتراك مع د/ أحمد ابراهيم الشريف ، دار الفكر العربى بدون ، ت .

الإسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٢م .

- حسين أمين (دكتور) :

تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ط. المكتبة الأهلية ، بغداد ، سنة ١٩٦٥م .

حسين مؤنس (دكتور) :

عالم الإسلام ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٠م .

- حمدان الكبيسى (دكتور) :
أصول النظام النقدى فى الدولة العربية الإسلامية ، بغداد ، سنة ١٩٨٨م .

- د.م. دنلوب
تاريخ يهود الخزر ، نقله للعربية وقدم له د/ سهيل زكار ، دار الفكر بيروت ، سنة ١٩٨٧م .

- دوزى : رينهارت
المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، نقله من الفرنسية إلى العربية د/ أكرم فاضل، بغداد ١٩٧١م .

- دونالد ولبر :
إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة د/ عبد النعيم حسانين ، ومراجعة د/ ابراهيم الشواربى، القاهرة ، ١٩٥٨م .

- ديماند :
الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتصدير أحمد فكرى ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٨م .

- راشد البراوى (دكتور) :
حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، القاهرة سنة ١٩٤٨م .

- رشيد الجميلى (دكتور) :
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، أخرجه زكى محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، جزءان ، القاهرة ، سنة ١٩٥١-١٩٥٢م .

- زكى محمد حسن (دكتور) :
الفنون الإيرانية فى العهد السلامى ، دار الكتب المصرية ١٩٤٦م .
فنون الإسلام ، دار الرائد العربى ، القاهرة ١٩٤٧م .

- ستيفن ونسيمان :
تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العرينى ، جزءان ، بيروت سنة ١٩٨١م .

- سعاد ماهر (دكتور) :

الفنون الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٦م .

اثر الماوردى فى الفن السلجوقى ، مقال منشور بمجلة العربى ، العدد العاشر ، بغداد ، ١٩٥٧م .

- سعد زغلول عب الحميد (دكتور) :

الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب والعرب وغيرهم ، مجلة الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد العاشر ، الإسكندرية ١٩٥٦م .

العمارة والفنون فى دولة الإسلام ، الإسكندرية ، ١٩٦٧م .

- ستانلى لين بول :

الدول الإسلامية ، يبحث عن ١٨١ دولة إسلامية مع إضافات وتصحيحات بارتولد ، وخليل أدهم ، ترجمة إلى العربية محمد صبحى فرزات ، نشر مكتبة الدراسات الإسلامية ، دمشق ، سوريا ، بدون ، ت ترجمة احمد السعيد سليمان، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥م .

طبقات سلاطين الإسلام ، ترجمة مكى طاهر الكعى عن الفارسية بغداد سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

- سهيل زكار (دكتور) :

مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٧٣م .

- سيد أمير على :

مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ، ترجمة رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، والنشر ، القاهرة سنة ١٩٣٨م .

- سميل :

الحروب الصليبية ، ترجمة سامى هاشم ، بيروت ، ١٩٨٢م .

- شيرين عبد النعيم حسانين (دكتور) :

مسلمو التركستان ، والغزو السوفيتى من خلال الأدب والتاريخ ، آداب عين شمس ، سنة ١٩٨٥م .

- صالح أحمد العلى (دكتور) :

بغداد مدينة السلام ، جزءان ، ط. المجمع العلمى العراقى ، سنة ١٩٨٥م .

معالم بغداد الإدارية والعمرانية دراسة تخطيطية ، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ، سنة ١٩٨٨م .

- صلاح الدين المنجد (دكتور) :

ولاة دمشق فى العصر السلجوقى ، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير للحافظ بن عساكر ، دار الكتاب الجديد ، بيروت سنة ١٩٨١م .

- صفية سعادة (دكتور) :

تطور منصب قاضى القضاة فى الفترتين البويهية والسجلوقية ، ط١ ، دار أمواج ، بيروت، سنة ١٩٨٨م .

- عبد النعيم حسانين (دكتور) :

سلاجقة إيران والعراق ، ط. القاهرة ، سنة ١٩٥٩م .

ايران والعراق فى العصر السلجوقى ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ، بيروت ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

دولة السلاجقة ، مكتبة الخانجى ، سنة ١٩٦١م .

نظام الكنجوى شاعر الفضيلة الايرانى ، عصره وبيئته وشومره ، ط. مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٥٤م .

قاموس الفارسية ، دار الكتاب المصرى والبنانني ، القاهرة ، بيروت سنة ١٩٨٢م .

- عبد السلام عبد العزيز فهمى (دكتور) :

تاريخ الدولة المغولية فى إيران ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٨٦م .

- عبد الكريم عرابيه :

العرب والأتراك ، ط. دمشق ، سنة ١٩٦١م .

- عبد الرحمن زكى :

السيف فى العالم الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

السلاح فى الإسلام ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥١م .

الفن الإسلامى ، دار المعارف بمصر ، بدون .

- عبد الرحمن فهمى :

فجر السكة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٤٢م .

- عبد الله خورشيد البرى (دكتور) :

القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٢م .

- عبد العزيز الدورى (دكتور) :

تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ، بغداد ، ١٩٤٨م .

دراسات فى العصور العباسية ، بغداد ، سنة ١٩٤٥م .

النظم الإسلامية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٠م .

مقدمة فى التاريخ الاقتصادى ، ط١ دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٩م .

- عبد العزيز اللميلم (دكتور) :

نفوذ الأتراك السياسى فى الخلافة العباسية ، وأثره فى قيام مدينة سامراء ، ط. الرياض ، سنة ١٩٨٣م .

- عبد المنعم ماجد (دكتور) :

الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٣م .

- عصام عبد الرؤوف الفقى (دكتور) :

الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٧م .

تاريخ الإسلام فى جنوب غرب أسيا فى العصر التركى ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٤م .

- عطية مشرفة (دكتور) :

القضاء فى الإسلام ، شركة الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

- على مبارك :

الميزان فى الأقيسة والميزان ، القاهرة ، ١٩٤٤م .

- عليه عبد السميع الجنزورى (دكتور) :

الثغور البرية الاسلامية ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٩م .

- عمر رضا كحاله :

اعلام النساء ، القاهرة ، جـ٤ بدون .

- طه ندا (دكتور) :

الأعياد الفارسية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

- فاضل الخالدى (دكتور) :

الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق خلال القرن الخامس الهجرى ، دار الأديب ، بغداد ١٩٦٩م .

- فايز اسكندر (دكتور) :

موقعة ملاذكرد وصداها فى القسطينية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧م .

البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد فى مصنف نقفور برينيوس ، الإسكندرية سنة ١٩٨٤م .

استيلاء السلاجقة فى عاصمة أرمينية (آنى) ، الاسكندرية سنة ١٩٨٧م .

- فتحى أبو سيف (دكتور) :

الماوردى ، عصره ، وفكره السياسى ، القاهرة ١٩٩٠م .

المصاهرات السياسية فى العصرين الغزنوى والسلجوقى ، الأنجلو المصرية ، بدون .

- فتحية النبراوى (دكتور) :

تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

- فريال مصطفى :

البيت العربى فى العراق فى العصر الإسلامى ، ط. بغداد ، سنة ١٩٨٣م .

- فؤاد جبر :

جدولة العصور التاريخية للدول الإسلامية ، من عصر ما قبل الاسلام حتى سقوط الدولة العباسية ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

- فهمى عبد الرازق سعد (دكتور) :

العامة فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، بيروت ١٩٨٣م .

- فيليب حتى :

تاريخ العرب ، بيروت ، سنة ١٩٥١م .

- كى - لسترنج :

بلدان الخلافة الشرقية ، نقله للعربية ووضع فهارسه بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت ١٩٨٥م .

- الإمام محمد أبو زهرة :

المذاهب الإسلامية ، جـ٢ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ب.ت .

- محمد أحمد عبد المولى (دكتور) :

العيارون والشطار البغادوة فى التاريخ العباسى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، سنة ١٩٨٧م .

- محمد السعيد جمال الدين (دكتور) :

دولة الاسماعيلية فى ايران ، مؤسسة سجل العرب ، سنة ١٩٧٥م .

- محمد أمين صالح (دكتور) :

النظام المالى والاقتصادى فى الإسلام ، القاهرة ١٩٨٤م .

- محمد باقر الحسينى (دكتور) :

النقود العربية الإسلامية ، بغداد ، سنة ١٩٨٥م .

العملة الإسلامية فى العهد الاتابكى ، بغداد ، سنة ١٩٦٩م .

- محمد حسين الزبيدى (دكتور) :

التنظيمات السياسية والإدارية فى العصر البويهى ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٧٤م .

- محمد جمال الدين سرور (دكتور) :

سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى سنة ١٩٦٦م .

تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، دار الفكر العربى سنة ١٩٦٦م .

النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، دار الفكر العربى سنة ١٩٦٦م .
الدولة الفاطمية فى مصر ، دار الفكر العربى سنة ١٩٦٦م .

– محمد رجب النجار (دكتور) :

حكايات الشطار والعيارين فى التراث العربى ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٤٥ ، الكويت سنة ١٩٨١م .

– محمد فريد :

دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد الخامس ، بيروت سنة ١٩٧١م .

– محمد شكرى الألوسى :

بلوغ الأرب ، جـ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – بدون .

– محمد عبد الله الشيبانى :

نظم الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية ، القاهرة ، سنة ١٩٣٩م .

محمد ضياء الدين الريس (دكتور) :

الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الانصار ، ١٩٧٧م .

– محمد بن مسفر الزهرانى (دكتور) :

نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية (٤٤٧-٥٩٠هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٩٨٢م .

الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى ٣٣٤هـ/ ١٥٩٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦م .

– محمد محمود إدريس (دكتور) :

تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٥م .

رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، دار الثقافة ، القاهرة سنة ١٩٨٣م .

– محمود شيت خطاب :

العسكرية العربية الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

– محمود عبد الحليم محمود (دكتور) :

المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

- ماركار :

دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ مادة سلجوق .

- ماسينون :

خطط الكوفة ، ترجمة المصعبى ، صيدا ، سنة ١٣٦٥هـ .

- مصطفى غالب (دكتور) :

تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، دار الأندلس ، بيروت ، سنة ١٩٦٥م .

- منير الدين أحمد (دكتور) :

تاريخ التعليم عند المسلمين ، والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى ، مستقاه من (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادى ، ترجمة د/ سامى الصقار ، الرياض ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

- ميخائيل عواد :

صورة مشرقة من حضارة بغداد فى العصر العباسى ، بغداد ، سنة ١٩٨١م .

- ناجى معروف :

العملة والنقود البغدادية ، بغداد سنة ١٩٦٧م .

نشأة المدارس المستقلة الإسلام ، بغداد ١٩٦٧م .

- ناصر النقشبندى :

الدينار الإسلامى فى المتحف العراقى ، بغداد ١٩٥٣م .

- نعمات ثابت :

الجندية فى الدولة العباسية ، بغداد سنة ١٩٣٩م .

- نعيم اسماعيل علام (دكتور) :

فنون الشرق الأوسط فى العصر الإسلامى ، ط٤ دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٨٦م .

- نعيم زكى (دكتور) :

طرق التجارة الدولية ، ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، مصر ١٩٧٣م .

- وفاء محمد على (دكتور) :

الزواج السياسى فى الدولة العباسية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، سنة .

- ول ديورانت :

قصة الحضارة ، جـ٢ ، المجلد الرابع عشر ، القاهرة ١٩٧٣م .

- وليم الصورى :

الحروب الصليبية ، ٤ أجزاء ، ترجمة د/ حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٤م .

- هايد :

تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ٤ أجزاء ، ترجمة / أحمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٤م .

- يوسف العش :

الخطيب البغدادى ، مؤرخ بغداد ، ومحدثها ، دمشق ، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م .

رابعا : المصادر والمراجع الفارسية والتركية :

- ابن بى بى : علامة يحيى بن محمد المعروف بـ"بن بى بى" من (مؤرخى القرن السابع الهجرى) .

سلجوق نامه ، مترجم محمد زكريا مائل ، طبع أول ، جولائى ١٩٤٥م ناشر ، اشفاق أحمد، كلبرك ، لاهور .

وقد اختصر هذا الكتاب تحت اسم "مختصر سلجوق نامه" وترجمة د/ محمد السعيد جمال الدين تحت عنوان (أخبار سلاجقة الروم) ، نشره / مركز الوثائق والدراسات الانسانية ، جامعة قطر ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

- ابن فندق : أبو الحسن على بن زيد بيهق المعروف بابن فندق ، ت ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م .

تاريخ بيهق ، بالتصحيح وتعليقات ، أحمد بهمنار ، مهرماه ١٣١٧ خورشيدى ، جاب شد ، طهران ، ١٩٢٩/١٣٤٨م .

- أبو سعيد : محمد بن المنور :

أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبو سعيد ، ترجمة اسعاد عبد الهادى ، القاهرة ١٩٦٦م .

- أبو عمرو : منهاج الدين عثمان الجوزجاني ، ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م .

طبقات ناصرى ، جلد أول به تصحيح ومقابله وتحشيه وتعليقات عبد الحى حبيبى ، طهران، بدون .

- اقبال عباس :

وزارات در عهد سلاطين بزرك سلجوق (أزتشكيل ابن سلسلة تامرك سلطان سنجر ٤٣٢/٥٥٢هـ/ ١٠٢٠٨٢-١٩٢٥م ، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عله د/ محمد علاء الدين منصور ، راجعه د/ السباعى محمد السباعى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

- أنورى : حسن

اصطلاحات ديوانى دوره غزنوى وسلجوقى ، ناشر كتابخانه طهرزى ، تهران به جاب رسيد، دياه ٢٥٢٥ شاهنشاهى .

ديوان استيفاء در حكومت غزنويان وسلجوقيان ، مجلة بررس هاى تاريخى ، العدد ١٦ لسنة بهمن اسفند ١٣٥٢ شارة .

- البدليسى : شرف خان البدليسى ، ألفه فى أواخر سنة ١٥٠٥م .

شرفنامه ، ترجمة إلى العربية محمد على عونى ، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، ط. القاهرة بدون - ت .

- براون : ادوارد جونفيل

تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ، ٤ أجزاء ، ترجمة ابراهيم الشواربى ، آخرون ، ط. القاهرة ١٩٥٤م .

- البيهقى : أبو الفضل محمد بن حسين البيهقى ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م .

تاريخ البيهقى ، صحائف مسعودى ، ترجمة يحيى الخشاب ، صادق نشأت ، ط. الانجلو المصرية ، سنة ١٩٥٦م .

- الثابتى : (سيد على مؤيد)

تاريخ نيشابور ، سلسلة انتشارات انجمن اثارملى ، ايران ٢٥٣٥ شاهنشاهى .

- الجوينى : عطا ملك ، ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م .

تاريخ جهانكشارى ، ترجمة محمد السعيد جمال الدين ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ضمن كتابه دولة الاسماعيلية فى ايران .

- الجوينى : مؤيد الدين منتجب الدين بديع اتابك كتبها بين عامى ٥٢٨-٥٤٨هـ .

عتبة الكتبة - بتصحيح واهتمام محمد قزوينى ، وعباس أقبال ، ١٣٢٩شمس.

- خسرو : ناصر خسرو القباديانى . ت ٤٨١هـ/١٥٨٨م .

سفرنامة ، نقله للعربية يحيى الخشاب ، القاهرة ط. ١٩٤٣م ، ط٢ ، الهيئة سنة ١٩٩٣م.

ترجمة د/ أحمد خالد البدلى ، جامعة الملك سعود ، الرياض سنة ١٤٠٣هـ .

- خواندمير : غياث الدين بن همام الدين الحسينى ، ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م .

حبيب السيرفى معرفة أخبار أفراد البشر ، باتصحيح ومقدمه سعيد نفيسى طهران ١٣١٧ هـ ، ط. بومباى ١٢٧٣هـ/١٨٥٨م .

دستور الوزراء (شامل أحوال وزارى اسلام انقراض تيموريان) باتصحيح ومقدمه سعيد نقيسى ، طهران ١٣١٧هـ ، وترجمة د/ حربى أمين سليمان ضمن رسالته للدكتوراه ، ونشره ضمن كتابه المؤرخ الايرانى الكبير (غياث الدين خواندمير) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠م .

- دهخدا : (على أكبر)

لغت نامه (عدة مجلدات) شمارة مسلسل ٧٩ ، طهران ١٣٤١هـ س (جاتجانة دانشكاه طهران) .

- ديوان بابا طاهر ، ترجمة للانجليزية براون ، انتشارات بدبده ، تاريخ شهر يورماه ٢٥٣٥ شاهنشاهى .

ذبيح الله صفا - تاريخ أدبيات در ايران ، طهران ، ١٣٣٦ ش .

- دولتشاه :

تذكرة الشعراء ، ط. براون ، ليدن ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

- الراوندى : محمد بن على سليمان ٥٩٩هـ/١٠١٩م .

راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ، نشر وتصحيح محمد اقبال ، ترجمة إلى العربية د/ ابراهيم الشواربى ، د/ عبد النعيم حسانين ، د/ فؤاد الصياد ، مراجعة د/ الشواربى ، ط. دار العلم ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠م .

- رضا زاده شفق :

تاريخ أدبيات در ايران ، تاريخ الأدب الفارسى ، ترجمة موسى هنداوى ، دار الفكر العربى، ١٩٤٧م .

- سعيد نفيسى :

مدرسة نظامية بغداد ، مجلة مهر ، طهران ١٣١٣/١٩٤٣م .

- السمرقندى : أحمد بن عمر النظام العروضى ت ٥٥٠هـ/١٣٦٨هـ .

جهار مقاله (المقالات الأربع فى الكتابة والشعر والنجوم والطلب) ترجمة إلى الانجليزية ادوارد براون ، ونقله إلى العربية د/ عبد الوهاب عزام ، د/ يحيى الخشاب ، وحاشية الكتاب لمحمد بن عبد الوهاب القزوينى ، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط١ ، القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

- ش . سامى شمس الدين :

قاموس العلماء دردنجى جلد (المجلد الرابع) استانبول سنة ١٣٠٦هـ .

- شبلى النعمانى :

شعم العجم ، تاريخ شعراء ، وأدبيات ايران ، ترجمة محمد تقى فخر داعى كيلانى ، ط. طهران ١٣١٦هـ .

- عمر الخيام : أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام ، ت٥٢٧هـ/١١٣٢م .

نوروز نامه ، ترجمة إلى العربية رمضان متولى ضمن رسالة ماجستير لم تنشر بآداب القاهرة ، ١٩٧٠م .

- عوفى : سديد الدين محمد بن محمد عوفى البخارى ت ٦٣٥هـ/١٢٦٠م .

لباب الألباب ، نشر براون ط. ليدن ، ١٣٢١هـ/١٩٠٣م .

- عبد الله رازى :

تاريخ كامل ايران ، آباه ماه ١٣٤٧هـ .

غـلا مـعـلـى تـربـيـت ، تـربـيـت فـارسى ، المانى ، طـهـران ، بـهـمـن مـاه ، ١٣١٥ شمسيه .

- فامبرى ارمنيوس :

تاريخ بخارى من اقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة وتعليق د/ محمود الساداتى، مراجعة / الخشاب ، مصر ١٩٦٠م .

- الفردوسى أبو القاسم ، ت ٤١٦هـ/١٠٢٥م .

الشاهنامة ، ترجمة الفتح بن على البندارى ، تحقيق وترجمة عبد الوهاب عزام ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٩٣ .

- الكاشغرى : محمود بن الحسن بن محمد ، انتهى منه سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م .

كتاب ديوان لغات الترك ، ٣ أجزاء ، استانبول سنة ١٣٣٣هـ .

- القزوينى : حمد الله مستوفى أبى بكر بن أحمد ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م .

تاريخ كزيدة ، بسعى واهتمام براون ، ليدن ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ، ترجمة محمود مرسى قشطة رسالة ماجستير بآداب عين شمس ١٩٦٨م .

- قاسم غنى : تاريخ تصوف در ايران ، ط. طهران ١٣٦٢هـ/١٣٢٢هـ.ش .

تاريخ تصوف در ايران ، ط. طهران ، ١٣٦٢هـ/١٣٢٢هـ.ش .

- الكرديزى : أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود ، ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م .

زين الأخبار ، بسعى واهتمام وتصحيح محمد ناظم ، برلين ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، وترجمته د/ عفاف زيدان ، القاهرة سنة ١٩٨٢م .

- الكرمانى : أفضل الدين أبو حامد ، ق ٦هـ/١٢م .

تاريخ أفضل يابدايع الأزمان فى وقائع كرمان ، فرآورده مهدى بيانى طهران ١٣٢٦هـ/١٩٤٧م .

- محمد معين :

فرهنك فارسى ، انتشارات أمير كبير ، طهران ١٣٤٣ شمس .

- ممتحن : حسينعلى :

رازيقاى تمدن وفرهنك ايران ، انتشارات دانشكاه ملى ايران طهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى ، نظامية بغداد ، برز كثرين وانشكاه اسلامى عصر سلجوقيات .

- ميرخوند : محمد بن خاوند شاه ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م .

روضة الصفا (عدة أجزاء) ، ازانتشارات كنابفروشيهاك ، خيام طهران ١٣٣٩هـ.

ذكر طبقة السلجوقية وذيل من أحوال سلجوق ووالده تقاق ، ووفاء ميكائيل وحفظ أولاده وأهلهم من العتاد والشقاق ، طهران ، ١٣٣٣هـ .

- المافروخى : مفصل بن ابن سعيد بن الحسين المافروخى الأصفهانى (من علماء القرن الخامس الهجرى) .

محاسن أصفهان ، تصحيح جلال الدين الحسينى ، ط. طهران سنة ١٣٥٢هـ .

- مجهول :

تاريخ سيستان ، تصحيح ملك الشعراء بهار ، بهمت محمد رمضانى ، جاب دوم ايران ١٣٥٢ .

- مجلة المعهد المركزى للأبحاث الإسلامية بكراتشي ، مقال بعنوان منجم باشى ، مؤرخ تركى لسلاجقة ايران بقلم الأستاذ السيد أبو الحسن ، كراتشى ، يونيو سنة ١٩٦٥م .

- النرشخى : أبو بكر محمد بن جعفر النرشخى ألفه ٣٣٧هـ/٩٤٨م .

تاريخ بخارى ، ترجمة وتعليق أمين عبد المجيد بدوى ، نصر الطرازى ، ط. دار المعارف، بمصر سنة ١٩٦٥م .

- النخجوانى : هند وشاه بن سنجر بن عبد الله صاحبى ق ٨هـ/١٤م .

تجارب السلف ، بتصحيح واهتمام عباس اقبال ، طهران ١٣١٣ هـ.ش .

- نظام الكنجوى :

شاعر الفضيلة الإيرانى ، ترجمة عبد النعيم حسانين ، القاهرة ١٩٤٥م .

- نظام الملك : الحسن بن اسحاق بن العباس أبو على الطوسى ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .

سياسة نامه ، ترجمة محمود العزاوى ، ط. القاهرة ، ١٩٧٥م . وترجمة د/ يوسف حسين بكار دار الثقافة ، الدرحة ، قطر ، سنة ١٩٨٧م .

- النيشابورى : ظهير الدين ت ٥٩٠/١١٩٤م .

سلجوق نامه ، نشره بوزورث Bosworth طهران ، ١٣٣٢هـ/١٩٥٤م .

- همذانى : رشيد الدين فضل الله ت ٧١٨هـ/١٣١٨م .

جامع التواريخ ، تاريخ المغول ، المجلد الثانى جـ١ ، نقله إلى العربية د/ محمد صادق نشأت د/ محمد موسى هنداوى ، د/ فؤاد الصياد ، راجعه د/ راجعه / يحيى الخشاب ، ط. القاهرة ، سنة ١٩٦٠م .

- وحيد ديسكردى :

بابا طاهر عريان ، دانشمند شهير ، ٢٥٣٥ شاهنشاهى .

- ويلسن : كريستى ويلسن .

تاريخ صنايع إيران ، ترجمة عبد الله فريار ، ط. طهران ١٣١٧هـ .

- اليزدى : محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحسينى ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م .

العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ترجمة وتحقيق د/ عبد النعيم حسانين ، د/ حسين أمين، ط. جامعة بغداد ، سنة ١٩٧٩م .

- يادكار : آبان ماه ١٣٢٣ ، اكتبر - نوامبر ١٩٤٤ ، بقعدة ١٣٦٣ .

وفات سلطان ملكشاه سلجوقى .

- يادكار . بهمن ماه ١٣٢٣ زانوية - خوريه ١٩٤٥ صفر - ربيع الأول ١٣٦٤ .

فرمان تدريس نظامية نيشابور ، بنام محيى الدين محمد بن يحيى نيشابورى .

بقلم آقاى عبد الحسين نواتى .

مراجع تركية :

- SELGUKLU, ARASTIRMALARI, DERGISI .
II 1970, III, 1971 .
MALZGIREZA FERIOZE LSAYISI.
ANKARA, 1971 .
- MEHMET ALTAY KOYMEN .
TÜGRUL BEY VE ZAMANI ISTANBUL, 1976.

خامسا : الدوريات :

- ابراهيم أمين الشواربى :

- نشأة الشعر الفارسى ، بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، (فؤاد الأول) ، العدد الثامن ، المجلد الأول ، لسنة ١٩٤٦م .

- أحمد عبد الرازق :

وسائل التسلية عند المسلمين ، مقال منشور ضمن كتاب (دراسات فى الحضارة الإسلامية، بمناسبة القرن الرابع عشر الهجرى ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٥٥م .

- البستانى : المعلم بطرس :

دائرة معارف البستانى ، دار المعرفة ، بيروت ١٨٨١م .

- الطاهر أحمد مكى :

أصول المدرسة النظامية فى بغداد ، مقال ضمن كتاب (التربية الإسلامية فى الأندلس) تأليف خوليان ريبيرا ، ترجمة الطاهر مكى ، دار المعارف بمصر ، بدون .

- حبيب زيات :

أزياء الأكمام ، وما كانت تصلح له فى الملابس العربية ، مقال منشور بمجلة المشرق ، المجلد الرابع ، بيروت ، ١٩٤٧م .

- حسين أمين :

نظم الحكم فى العصر السلجوقى ، مقال منشور بمجلة سومر ، المجلد العشرون ، جـ١ ، جـ٢ ، لسنة ١٩٦٤م .

المدرسة النظامية من مظاهر الحضارة الإسلامية ببغداد ، مقال بمجلة كلية التربية ببغداد ، المجلد العاشر بعدديه ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .

المدرسة المستنصرية ، مقال بمجلة المعهد العلمى العراقى ، المجلد الرابع والعشرين ، بغداد ١٩٧٤ .

- حسين مجيب المصرى :

أثر الفرس فى حضارة الإسلام ، مقال منشور ضمن كتاب (دراسات فى الحضارة الاسلامية) بمناسبة القرن الخامس الهجرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٥م .

- خالد جاسم الجنابلى :

الجيش والشرطة ، مقال بكتاب حضارة العراق) ، جـ٦ ، بغداد ، ١٩٨٤م .

- جعفر حسين خصباك :

القضاء فى العراق فى العهد السلجوقى ، بحث مستخرج من المجلة التاريخية العراقية ، العدد الثالث ، بغداد ، ١٩٧٤م .

- جمال الدين الشيال :

السياسة النقدية ، مقال ضمن بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦١ .

- سعاد ماهر :

أثر الماوردى فى الفن السلجوقى ، مقال نشر بمجلة المؤرخ العربى ، العدد العاشر ، بغداد لسنة ١٩٥٧ .

- سعد زغلول عبد الحميد :

الترك والمجتمعات التركية ، مقال منشور بمجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، العدد العاشر ، ديسمبر ، ١٩٥٦م .

- سنية مصطفى حسن :

محمود الكشغرى وكتابه (ديوان لغات الترك) ، مقال نشر بمجلة أبحاث المؤتمر الدولى الأول للمسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ، جـ٦ ، ١٩٩٣م .

- شاكر مصطفى :

دخول الترك الغزالى الشام ، مقال بمجلة المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، الأردن ، سنة ١٩٧٤ .

- عبد الرحمن العبد الغنى :

موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور الأتراك السلاجقة ، حوليات كلية الآداب - حولية رقم ٩٧ ، الكويت ، ١٩٩٤م .

- عبد العزيز الدورى :

نشأة الإقطاع فى المجتمعات الإسلامية ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد العشرون ، سنة ١٩٧٠ .

- عبد الهادى محبوبة :

من رسائل نظام الملك ، مقال نشر بمجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد السابع ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٢م .

وثائق تاريخية من العهد الأول من حكم الدولة السلجوقية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد العاشر ، ط١ ، ١٩٦٤م .

- عبد النعيم حسانين :

تقديس الماء عند الإيرانيين القدماء ، مجلة سجل الثقافة الرفيعة ، العدد ٧ ، يونيو ١٩٥٧م .

- عبد المجيد محمود :

المصارف فى العراق ، مجلة غرفة التجارة ، بغداد ، ١٩٤٢م .

- على جواد الطاهر :

الشاعر فى المجتمع السلجوقى ، مقال منشور بمجلة كلية آداب بغداد ، العدد الثالث ، لسنة ١٩٦١م .

- فاضل مهدى :

المعاملات المالية والتجارية فى العصر السلجوقى ، مقال نشر بمجلة سومر ، العدد ٢٤ ، بغداد سنة ١٩٦٧م .

- محمد باقر الحسينى :

النقود الاسلامية فى العصر السلجوقى ، مقال نشر بمجلة سومر ، العدد ٢٤ ، بغداد ١٩٦٨م .

الخط أسلوبه وأنواعه ومميزاته على النقود الإسلامية فى العصر السلجوقى ، مجلة سومر ، المجلد الرابع والعشرين ، بغداد ، سنة ١٩٦٨م .

دراسة احصائية للكنى والألقاب المضروبة بالرى (المحمدية) ، مقال منشور بمجلة المسكوكات العدد السابع (بغداد ، ١٩٧٦م) .

- محمد فارس الجميل :

اللباس فى عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، حوليات آداب الكويت ، الحولية ١٤ ، لسنة ١٩٩٤م .

- محمد طه الحاجرى :

الورق والوراقة فى الحضارة الإسلامية ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٢ ، بغداد سنة ١٩٦٥م .

- محمد عبد العزيز مرزوق :

الطنافس اليدوية فى العصر الإسلامى ، مقال منشور بمجلة العلمى العراقى ، العدد ١٨ ، سنة ١٩٦٩م .

- محمد محمود يونس :

الأثر العربى فى شعر بلاد ماوراء النهر فى القرن السادس الهجرى ، مقال منشور ضمن سلسلة أبحاث المؤتمر الدولى لمسلمى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ، سنة ١٩٩٣م .

- محمود اسماعيل عبد الرازق :

الاقطاع الاسلامى من منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن العاشر الهجرى ، حوليات كلية الآداب ، الكويت ، حولية رقم ١١ لسنة ١٩٨٩ .

- محمود عرفه محمود :

الأحوال السياسية والدينية فى بلاد العراق والمشرق الإسلامى فى عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسى (حوليات آداب الكويت ، الحولية رقم (١٠) ، ١٩٨٨م - ١٩٨٩م .

- مصطفى جواد :

وزراء السلاجقة فى شعر عصرهم ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد السابع ، بغداد ، سنة ١٩٦٠م .

المدرسة النظامية ببغداد ، مقال منشور بمجلة سومر ، بغداد ، جـ٢ ، مج ٩ ، ١٩٥٣م .

- مليحة رحمة الله :

الملابس فى العراق خلال العصور العباسية ، مستخلص من المجلة المصرية للدراسات التاريخية المجلد ١٣ ، القاهرة ١٩٦٧م .

- ميخائيل مواد :

نزع العمائم فى دور الخلفاء والأمراء والسلاطين ، وبحضرتهم ، مقال منشور بمجلة الرسالة، القاهرة مارس ١٩٤٩م .

دنية القاضى فى العصر العباسى ، مقال منشور بمجلة الرسالة ، القاهرة ، العدد ٤٨ ، أكتوبر ١٩٤٣م .

- يحيى الخشاب :

نظام الملك والمدارس النظامية ، بحث مستخرج من مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية العدد الخامس ، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

سادسا : الرسائل العلمية :

- أحمد حلمى :

الأنورى ، عصره ، بيئته ، شعره ، رسالة دكتوراه غير منشوره آداب عين شمس، سنة ١٩٧٢٣م .

- بدر محمد فهد :

العامة فى بغداد ، فى القرن الخامس الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشوره ، آداب القاهرة ١٩٧٦م .

- توفيق محمد لقبابى :

التطور السياسى لدولة الغور الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة سنة .

- رشيد عبد الله الجميلى :

امارة الموصل فى العصر السلجوقى ، رسالة دكتوراه غير منشورة آداب الإسكندرية ، سنة .

- سامية محمود نصار :

الحركات المناوئة للخلافة العباسية فى المشرق الإسلامى فى العصر العباسى الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٨٣م .

- سعد الحميدى :

حضارة الدولة الغزنوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٩٨١م .

- صلاح العبيدى :

التحف المعدنية فى الموصل فى العصر السلجوقى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة ، سنة ١٩٦٥ .

- عبد الهادى رضا :

الوزارة ونظام الملك الوزير السلجوقى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب القاهرة ، بدون ت .

- عمر سعيد :

نظم بلاط العباسيين ورسومهم فى بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس، ١٩٧٢م .

- عمر عمر الشبراوى :

عامة بغداد ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٩٠م .

- فاضل الخالدى :

النظم فى العراق فى آواخر العصر العباسى ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

- محمد باقر الحسينى :

نقود السلاجقة ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، اداب القاهرة ، ١٩٦٨ .

- محمد توفيق خفاجي :

النظم الادارية والمالية فى بلاد العراق والفرس فى مستهل العصر العباسى إلى نهاية القرن الرابع الهجرى ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، آداب القاهرة ١٩٦٦.

- محمد عبد العظيم يوسف :

طغرلبك ، وتأسيس الدولة السلجوقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب الزقازيق ، ١٩٩١م .

- محمد وصفى أبو معلى :

بابا طاهر العريان الهمذانى ، عصره - بيئته - شعره ، رسالة ماجستير غير منشور ، آداب القاهرة ، بدون - ت .

- محمود عرفه محمود :

الجيش العباسى خلال عهدى البويهيين والسلاجقة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب القاهرة ١٩٨٢ .

- مواهب عبد الفتاح :

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة على عهد السلطان ملكشاه ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٨٢م .

سابعا : المراجع والدوريات الأجنبية :

- Arnold : Thamas W.

The Caliphate, Oxford, 1924 .

- Barthold.

Studies on the History of Ceutral Asia, Vol. I, Translated from the Ruassion by . V. Jminarsk, London, 1962 .

- Bosworth, Charanis .

The Armeniens in the Byzantine of Empire, London, 1939 .

- Charanis, p.

The Armenians in the Byantine Empire, (Lisbon, 1936).

- Lana Pocle : Stanley .
A cataluge of the Colactions of coins, London, 1897 .
- Le Srrange :
Gaghadad during the abbasid caliphate, Axford, 1900 .
- Holt, P.M.
The Combriudge of History of Ialam, London, 1961 .
- Krmer :
The Orient under caliphate, London, 1979 .
- Hassan, S.A.,
Some observations on the problems concerning the origin of the seljuqds, January 1965 .
Hitti :
A History of the Arabs, London, 19 .
- Malcolm .
The History of Persia, London, 1956 .
- Moles .
The Munismatic History of Bayy, London, 1976 .
- Muir.
The Caliphate, London, 1959 .
- Ostagarskye, G.
A History of the Byzantiane State, Oxford, 1968 .
- Osborn .
Ialam Under the Khalifs of Baghades, London, 1978 .
- Setton .
A History of the Grusales, Vol. I, London 1935 .
- Sanaullah .
The desine of the Seljukil Empire, Istanbal 1939 .
- Tritton, A.,
Islam belief and practices, London, 1951 .
- Vasiliev, A. A.,
A History of the Byzantine Empire, vol. I, Madison, 1961 .

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع ١٧٣٠٠ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 046 - X

مطابع زمزم ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق